شرح الدامغة الكبرى

المسمى

الأنوار البالغة والحلل السابغة

الطبعة الأولى
١٤٣١هـ / ٢٠١٠م

شرح الدامغة الكبرى
المسمى
الأنوار البالغة والحلل السابغة
الجـزء الأول

تأليف
السيد العلامة الحسن بن صلاح الداعي
المتوفى سنة ١١٢٠هـ

تحقيق
عبد الرقيب مطهر محمد حجر

طبع بعناية
السيد أحمد بن محمد الشامي

M

مقدمة التحقيق

يعد النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري / منتصف القرن السابع عشر الميلادي باعتراف الجميع هو العصر الذهبي الذي شهد فيه اليمن قيام الدولة القوية الموحدة، التي امتدت من حدود الحجاز شمالا إلى حدود عمان جنوباً، وذلك في أيام الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن الإمام القاسم، مما ساهم استقرار أوضاع تلك الدولة إلى ظهور حركة علمية زاهرة، وهذا بشهادة المؤرخين: «فليس هناك أدنى مبالغة إذا قلنا أن عصر الإمام المؤيد بالله وأخيه المتوكل على الله إسماعيل هو أخصب عصور الازدهار الفكري والأدبي في تاريخ اليمن الحديث والمعاصر »[1].

ترجمة المؤلف

وفي هذه الفترة ولد ونشأ مؤلفنا السيد العالم الفاضل شرف الدين الحسن بن صلاح ابن محمد بن صلاح بن محمد بن صلاح بن الحسن بن جبريل بن يحيى بن محمد بن سليمان بن أحمد بن الإمام الداعي يحيى بن المُحَسِّن[2].

وقد ترجم له مؤلف كتاب «نبلاء صعدة بعد الألف»[3] ترجمة مطولة جاء فيها بعد أن سرد نسبه ما موجزه: **وهو الملقب كسلفه بالداعي** نسبة إلى جده

(1) الدكتور حسين العمري، يمانيات في التاريخ والثقافة والسياسية ص١٥١.

(2) راجع التحف ص ٢٤٩ و ٣٤٣ الطبعة الثالثة، نص الكتاب جـ ٤ ص ٥٤٨.

(3) مخطوط بمكتبة المؤلف.

الإمام يحيى بن المحسن بن أبي الفوارس محفوظ بن محمد بن يحيى بن يحيى بن الناصر بن الحسن بن عبد الله بن الإمام المنتصر محمد بن الإمام القاسم المختار بن الإمام الناصر لدين الله

أحمد بن الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام.
قال: ولد كما وقفت عليه بخطه في **شهر رمضان سنة إحدى وخمسين وألف**[1]، ونشأ في حجر والده السيد صلاح (المتوفى سنة ١٠٦٥) على العفة والطهارة، وبعد أخذه في مبادىء التعليم وقراءة القرآن الكريم رحل إلى مدينة صعدة.

و في مقروءات أهل عصره في الفقه والنحو والأصولين واللغة وغيرها أخذ على مشايخ العلم فيها، وهم مشايخ عدة، منهم:

١ـ السيد العلامة علي بن محمد المنتصر.

٢ـ القاضي العالم المحقق يحيى بن أحمد الحاج الأسدي.

٣ـ القاضي الفروعي عبد القادر بن سعيد الهبل.

٤ـ القاضي يحيى بن محمد الرِّتْوه[2]**.**

٥ـ القاضي عبد الهادي بن أحمد بن يحيى حابس[3] **.**

---

(١) يوافقه في الميلادي: عام ١٦٤١م.

(٢) هكذا وقفت عليه بالراء المهملة ثم مثناة فوقية ثم واو وهاء.

(٣) قد ترجم المؤلف لمشايخه المذكورين في نص الكتاب راجع (الجزء الرابع) ص ٢٠٨ـ ٢٠٩ .

وغيرهم ممن استجاز منهم كالإمام محمد بن علي الغرباني **قال**: حتى تعلق من علم آبائه بأقوى سبب، وتمسك بحبل العلم والأدب.

وترجم له في «الجواهر المضيئة» المولى عبد الله بن الإمام القاسمي المتوفى عام ١٣٧٥هـ فقال في نعته: كان سيدا عالما، زاهدًا ورعًا، مفوّهًا فصيحا بليغًا، له اليد الطولى في العلوم والتاريخ[١].

ووصفه المولى مجد الدين المؤيدي: بالسيد الإمام العالم المؤرخ[٢].

وذكره أيضا العلامة عبد الرحمن سهيل في كتابه «بغية الأماني والأمل في تراجم أولى العلم والعمل بعد الألف» فقال في ترجمته: كان رحمه الله عالما عاملا، ذا فكرة نقادة، وفطنة مشتعلة وقادة، مقبلا على شأنه، زاهدا متعففا ورعًا، مفوّها فصيحا بليغًا، له اليد الطولى في العلوم والتواريخ، بلغ في ذلك مبالغ الكملاء، وعرف منها ما يعرفه فحول العلماء، من ذوي التحقيق والتدقيق، مع فهم كامل، وذهن سائل، وحافظة أعانته على كمال إدراكه فيما اشتغل بطلبه وتحصيله، حتى حصلت له العلوم، وحاز منطوقها والمفهوم، مع صلابة في دينه، ومتانة في إيمانه ويقينه، واشتغاله بالدرس والتدريس[٣].

ثم يتابع مؤلف كتاب «نبلاء مدينة صعدة» **قائلا بعد سرد ما تقدم:**

---

(١) الجواهر المضيئة، مخطوط.

(٢) التحف شرح الزلف ط٣/ ٣٤٣.

(٣) بغية الأماني والأمل (خ) ٧٨.

وتوقف بصنعاء مدة قصيرة لعلها للطلب أيام دولة الإمام المتوكل على الله إسماعيل، ولقي السيد العالم الكبير أحمد بن علي الشامي[1] كما ذكر ذلك عن نفسه، وكان المترجم مع علمه وتحقيقه أديبا ناظما ناثرا، وحين حصلت بعض الاختلالات من ولاة وقته أراد الدعوة إلى الرضا، ثم ترجّح له العدول، وقد أشار إلى ذلك في الشرح الكبير الذي جعله على منظومة الدامغة[2].

وكان مكثرا من النظم، آخذا في أغراضه بطريقة الأدباء[3]، وله أدبيات واسعة ومكاتبات مع أهل عصره، ومن ذلك ما دار بينه وبين السيد الإمام محمد بن علي الغرباني من المكاتبة المشتملة على المفاكهة بدرر النظم البليغ البديع، منها ما كتبه مؤلفنا إليه بقصيدة مطلعها:

قلبٌ لبعدك عنه مِنْ تلهبه   قد أوقد النار في الأحشاء مَن لهبه

وهي طويلة مذكورة مع جوابها في شرح الدامغة، ومما جاء في جوابها قول الإمام الغرباني:

يا مُهدي الدر والياقوت في كتبه   وسالباً لنفوس الناس من خطبه

(1) أحمد بن علي بن الحسن الشامي: عالم محقق، يعد من أهل الفروع كان مفتي صنعاء في وقته. وهو قريب النسب من المؤلف توفي بصنعاء عام ١٠٧٥هـ راجع مطلع البدور ، نص الكتاب جـ٤ ص ٨٩.

(2) انظر نص الكتاب، جـ٤ ص ٢٦٩.

(3) وقد غفل عن ترجمته الحيمي في طيب السمر، والحوثي في نفحات العنبر وما ذاك إلا لتباعده عن حواضر المدن.

ومن يحيّر غايات العقول إذا   أبصرت ما ابتدع الرحمن من

الأحسن الحسن الداعي الذي لك أن   تقولَ ما شئت فيما شئت من رتبه

مِنْ علمه أو ذكاه أو بلاغته   أو زهده أو تقاه الله أو قُرَبه[1]

ويكفي في ترجمته هذا الثناء من هذا الإمام.

ومن ذلك ما كتبه إلى القاضي الأديب ضياء الدين إسماعيل بن محمد العَبْدي[2] صنو مؤلف «كتاب الاحتراس» يعاتبه على عدم تسريح نظره في شرحه الصغير على الدامغة، المسمى «الأنوار البالغة»:

قل للضياء وبعض القول معتبة   ما لي رأيتك لم تحفل بأنواري

ولم تسرّح (عيوناً) في محاسنه   وتلقط الدر من تيار زخّارِ

(فما أخالك تجفو ودَّ ذي مقة)   إذا ظفرت بقولٍ غير مختارِ

فلو نظرتَ إليه كله لشفى   منك الفؤاد وزال العارض

فليس يسلم من عيبٍ ومن زللٍ   إلا كتاب لغفار وستّارِ

وطالما فضّلوا ما قد تقدم مِنْ   تأليف شخصٍ على شخصٍ

وما المعاصرُ في الباقين معتَبَرٌ   لو ثقّب الدر في ليلٍ بلا نارِ

وقد نظر مؤلفنا في البيت الأخير إلى قول ابن شرف القيرواني حين قال:

قل لمن لا يرى المعاصر   ويرى للأوائل التقديما

---

[1] انظر عيون المختار للمولى المؤيدي.

[2] ستأتي ترجمة إسماعيل العبدي في نص الكتاب جـ ٤ ص ٢١٦ـ ٢٢٢ .

إن ذاك القديم كان جديدا   وسيغدو هذا الجديد قديما

وهذا حقيق مشاهد بالعيان، فأجابه الفقيه المذكور بقوله:

لا تعتبنّ فلي عذرٌ أعوذ به   من نار عُتْبك يا من زنده وارِ

يصدني عن وفاءٍ بالحقوق لكم   كسب المعاش حلالاً خشية النارِ

وحادثات زمانٍ أنت تعلمها   ألهت محبّك عن إمعان أنظارِ

وعن مثافنةٍ فيها منافثةٌ   تشفي القلوب وترضي الخالق البارئ

وعن تأمّل ألفاظ تأملها   يجلو غشاوة أبصار بأنوارِ

والوقت لم يتسع للغوص يا سندي   للؤلؤ الرطب من خلجات زخّارِ

ومن مقاطيع مؤلفنا قوله وفيه الجناس التام:

رأيتُ عدوي مثقلاً بحمولةٍ   وقد كسرت والحمد لله ساقه

فقلت لعل الله جل جلاله   لأجل الذي قد نالني منه ساقه

وشعره متفاوت حسب الأغراض الشعرية، وقد أورد منه مقاطع وقصائد في أصل هذا الكتاب في أكثر من عشرين موضعا.

وهذه مؤلفاته وآثاره التي وقفت عليها:

١- **الآداب في مكارم الأخلاق**، موزع على ثلاثين بابا.

٢- **الأنوار البالغة والحلل السابغة** شرح أبيات الدامغة، وهو الذي بين يديك.

٣- **الأنوار البالغة شرح أبيات الدامغة**، وهو الشرح الصغير.

٤- **التحفة الحسنة**، ذكره مترجموه ولم أقف عليها.

٥- **التخميس الفاخر** لقصيدة جده الإمام يحيى بن المحسن، التي أولها: اسمع مقالة من صحت بصيرته.

٦- **حاشية على التقريب المنتزع من تفسير التهذيب**، ذكره المؤلف في كتابنا هذا.

٧- **رسالة في إبطال الحيلة لتحليل الزكاة لمن حرمها الله عليه من الأنام.**

٨- **سلوة المحزون وقدوة المغبون**، وهي في مراثي أولاده[١].

٩- **غرة وجه البيان في متشابه القرآن**[٢].

١٠- **الوسائل في نيل المسائل**، جمع فيه أشعاره الالهية والتضراعات والتوسلات النبوية.

وكان وفاته رحمة الله عليه بوادي قراض[٣] موطنه الذي استقر قيه أغلب أيامه وذلك في إحدى شهور سنة ١١٢٠ عشرين ومائة وألف[٤]، وقبره هناك شرقي مسجد آل يعيش.

---

(١) وذلك أنه اتفق على المؤلف رحمه الله (يوم الأحد ٢٠ شهر جمادى الأولى عام ١٠٩٤هـ) أن توفي ولده إبراهيم وأخوه يحيى بن صلاح غرقاً ـ في غيل المعقة من نواحي وادي قراض ـ أثناء الاغتسال والسباحة، في ظهر اليوم الذي أراد المؤلف الدخول في ليلته بعروس، فتحول الفرح إلى ترح والعرس إلى مأتم، وبعد عام واحد على تلك الحادثة توفيت ابنته شمس الحور (شهر جمادى الأولى عام ١٠٩٥هـ) وبعد شهر ينقص يوماً توفي ولده أبو فراس القاسم بن الحسن بن صلاح الداعي. فكان ذلك باعثاً له على ندبهم بقصائد مشجية جمعها هذا الكتاب.

(٢) لدى المحقق منه نسخة بخط المؤلف.

(٣) قراض: موطن من ناحية بلاد جماعة في الشمال من مدينة صعدة.

(٤) في مخطوطة بغية الأماني والأمل جاء تاريخ وفاته ١١٢٨ والصواب ما أثبت عن بقية المصادر.

التعريف بالكتاب

يعد هذا الكتاب التاريخي المعروف بشرح الدامغة الكبرى من أجمع المصادر وأثراها، فهو إلى كونه مصدراً تاريخياً هو أيضاً مصدر مرجوع إليه في الأنساب وفي التراجم وفي الأدب وفي أحاديث الفضائل والمناقب، فقد جمع مؤلفنا بين هذه الفنون متنقلاً بين موضوعاتها بأسلوب الكتابة التقليدية السائدة أنذاءك في عصره، واضعاً نصب عينيه في تكثيره للفوائد وجمعه للشوارد أن يجعل منه كتاباً متنوعاً ما وجد إلى ذلك سبيلا، تارة مستطرداً، وتارة أخرى مسترسلا.

فالكتاب في مادته التاريخية وحسب الهدف الذي صنف من أجله قد انسحب على فترة زمنية طويلة، ومن ثمَّ تطرق إلى موضوعات متنوعة، حيث جمع أخبار أئمة العترة من لدن أمير المؤمنين علي عليه السلام إلى أن انتهى إلى ذكر إمام عصره الإمام المتوكل على الله إسماعيل أواخر القرن الحادي عشر الهجري، متعرضاً لأنسابهم ووفياتهم، ومن عاصروا من الملوك والسلاطين والدول، وما تعرضوا له في سبيل الدعوة إلى الله، إلى غيرها من الأخبار والحوادث المهمة في عصر كل إمام، والرسائل الموجة عادة من الأئمة إلى الشيعة، وهي ما تسمى رسائل الدعوة، إضافة إلى تلك الفصول التي عقدها في فضائل الإمام علي عليه السلام والاحتجاج لإمامته بالنصوص الصريحة، التي هي عند المؤلف نصوص جلية. أضف إلى ذلك أن مؤلفنا حفل بتدوين قصائد مطولة ومساجلات أدبية كثيرا ما تحاشى

المؤرخون التعرض لها أو زبرها في مؤلفاتهم، إما خشية التطويل بها، أو تجنباً لعدم تدوين ما يكثر القالة حوله، وخصوصاً ما فيه جرح لخواطر أناس معاصرين، كمثل تلك المساجلات التي دارت بين اليحيوي والحمزي. كذلك فإن أهمية الكتاب تأتي أيضاً فيما دوّنه المؤلف عن أحداث عاصرها وعايشها بنفسه، وأعني بالقول تلك الأحداث التي سجلها المؤلف في تعارض الدعاة بعد وفاة الإمام المتوكل على الله إسماعيل، وما جرى بينهم من تنازع وحروب ومصادمات، ليس هذا فحسب بل كان المؤلف متفضلاً بما تناوله من تراجم لعلماء وأدباء معاصرين له من أهل مدينة صعدة وغيرها، فلولا اهتمامه بتقيد تلك التراجم لكانوا نسيا منسيا.

وتأتي أهمية الكتاب أيضاً فيما نقله المؤلف لنا في ترجمة الإمام يحيى بن المحسن من تلك الأشعار والقصائد التي تكشف لنا ولأول مرة جانباً مهماً من تاريخ هذا الإمام الذي ابتلي بمعارضة الأشراف الحمزات له، ومصادمة قيامه بالأمر بدعوة الاحتساب التي تزعمها وساندها علماء الظاهر، فمع فقدان سيرة[١] تؤرخ لأحداث دعوة هذا الإمام بين الأعوام (٦١٤ـ ٦٣٦هـ) تظل هذه الأشعار والقصائد هي المصدر الوحيد الذي نستوحي منه أبعاد تلك المعارضة، وما عاناه الإمام من ظلم ذوي القربى كما عبر عنه في قصيدة له كتبها إلى أحد أشراف المخلاف السليماني:

---

(١) قد جاء في أثناء الكتاب ما يشير أن هناك سيرة كتبت للإمام يحيى بن المحسن، لكننا نجهل كاتبها حتى الآن راجع (نص الكتاب) جـ٢ ص ٢٠٦.

ظلمُ القرابات لم يدعني أَورِي لهم في الخطوب زِنْدا
جهدت في نصحهم فخانوا راموا ضلالاً ورمتُ رشدا
وعظتُهم ما أفاد وعظي لو أنّه بالحسام أجدى

وعلى الجملة فليس من شك أن نشر هذا الكتاب سيكون رافداً للباحثين، وسيملأ بعض الفجوات التاريخية، ففيه ما هو جديد وغير مسبوق.

***

وحول منهج المؤلف في كتابه فقد كان تأثره واضحًا بالمنهج الذي سلكه شرّاح قصيدة بسامة الآل للسيد صارم الدين الوزير، فهو لم يختلف كثيرا عن ما جاء في تلك الشروح الثلاثة، أعني (مآثر الأبرار - والترجمان - واللآلي المضيئة) بيد أن المؤلف فضّل أن يكون شرحه هذا مبنياً على قصيدة من نظمه هو، معترفا بعد ذلك بمحاكاته لناظم البسامة فيما أقبل عليها من نظم الدامغة، حيث يذكر ذلك بجلاء أثناء ترجمته للسيد صارم الدين فيقول: «وله البسامة نظماً في سيرة آل محمد عليهم السلام وعلومهم وعلوهم، وبها اقتدينا، وعلى منوالها حذونا، وإن كان الفضل للأول، ولا يقاس الحجر بالمدر، ولا الوشل بالبحر، لكن لكل امرئ ما نوى »[1].

ومع هذا فقد كانت للمؤلف بواعثه الخاصة التي دعته إلى نظم قصيدة الدامغة،

---

(1) نص الكتاب، جـ ٣ ص ١٧٩.

وقد سجلها لنا في مقدمة كتابه بوضوح فقال: «**فإني في أيام عُنفُوان بالشباب**..سمعتُ من بعض النّواصب بمعمور الطائف شيئاً من السِّباب لمذهبنا الشريف، والتّهكم بأهل الدين الحنيف، وذَكَر من دانت له الأنام .. أميرَ المؤمنين المتوكل على الله إسماعيل ومدحَ سلطان الروم حينئذ محمد بن إبراهيم، فقلت: تلك شِنْشنة أخزميّة، وسلسلة أموية، وطريقة عباسية .. على من هم السفينة وأبواب المدينة العترة الزكية، والفرقة الناجية المنجية، إلى أن يقول: **وكنتُ أحفظ عن بعض مشايخي الكبار**.. أنه ينبغي لمن زار عبد الله بن العباس رضي الله عنه أن يشكو عليه ما جرى على أهل البيت الأطهار من أولاده الأملاك الأشرار من القتل والتطريد، والإلحاد في الحَرَم الشريف باتخاذ المقامات التي هي سبب الزَّيْغ والتحريف، للصرف عن مذهب الأئمة إلى مذاهب أربعة من فقهاء العامة، حرصاً على الملك أن يخرج عنهم.. فلما دخلتُ حرم ابن عباس لزيارته قلت بديهاً شاكياً عليه ما جرى من أولاده الأملاك هذه الأبيات التي سميتها من بعد بـ «**الدامغة لهامات النواصب لآل علي بن أبي طالب**» ثم ترجّح لي بعد ذلك نظمها وتعداد الأئمة فيها، فخراً على النّواصب الأرجاس، وبياناً لما فعلته الأموية وبنو العباس»[1].

ثم يتابع مؤلفنا فيأخذ في ذكر السبب الذي أداه إلى شرح القصيدة: «فلما قلتُ القصيدةَ على ما سنَح لي وقدرت عليه، عوَّلَ عليَّ بعض أئمة الآل في

---

(1) نص الكتاب، جـ ١ص ٣١- ٣٣ باختصار في اللفظ.

هذا الزمان أن أفك مقفلها، وأفتح مغلقها، وأحل معقدها، وأكشف رموز أسرارها، وأبيّن ما خفي من جمل ألفاظها.. ولما تم لي هذا الشرح على هذه الصفة من جمع كل غريبة، وحوز كل عجيبة، سميته: **الأنوار البالغة والحلل السابغة في شرح الدامغة**؛ وهذا الشرح الكبير على الدامغة الكبرى لأني فعلت الدامغة الصغرى وشرحت عليها شرحاً دون هذا، واستوفيت في هذا الشرح ما لم يكن في ذلك، وهذه سميتها **الدامغة الكبرى في تعداد أئمة بني الزهراء**»[1].

ونستخلص مما تقدم أن هناك قصيدتين صغرى وكبرى وأن لكل منهما شرح مفرد، وأن عقودا مرت على نظم الدامغة قبل أن يهتم المؤلف بجمع أي شرح عليها، فهو يخبرنا أن استهلاله لمطلع أبياتها كان بمدينة الطائف في عنفوان الشباب أثناء زيارته لقبة البحر ابن عباس، وفي مقابل ذلك يخبرنا أن جمعه لشرحيها الصغير والكبير «**كان في زمنٍ كثيرة فتنه، شديدة محنه، مع حلول الشيب في شعري، وإدراك الضعف في جسمي**»[2]، إذ أننا نعرف أن فراغه من تأليف الشرح الصغير على القصيدة كان في الحادي والعشرين شهر صفر عام ١١٠٢هـ وأن عدد أبيات الدامغة في ذلك الشرح لم يتجاوز ثلاثمائة وأربعة وخمسين بيتا[3].

---

(١) نص الكتاب، جـ ١ص ٣٣ و ٣٨ و ٣٩ باختصار.

(٢) نص الكتاب جـ ١ ص٣٧، مخطوطة شرحه الصغير على الدامغة.

(٣) مخطوطة شرحه الصغير، ورقة ٤٤٦.

وبعد أعوام ستة من التاريخ المتقدم كان المؤلف قد فرغ من تأليف الشرح الكبير عليها، وهو الشرح الذي بين أيدينا بزيادة في عدد أبيات القصيدة بلغ الضعف، حيث بلغت إلى ستمائة وست وثلاثين بيتا، وقد أرخ انتهائه من ذلك بقوله: «وانتهاء الفراغ من جمعه وتأليفه ولف منشور مفترقه وترصيفه ضحوة نهار الاثنين لعله خامس وعشرين من شهر ربيع الآخر أحد شهور سنة ثمان ومائة وألف بمحروس عشة آل يعيش بأعلى وادي قراض »[1].

***

ومع أننا نجهل تحديد العام الذي ابتدأ فيه نظم القصيدة، لكن هناك ما يدفعنا إلى القول أن ذلك كان في عام أداء مؤلفنا لفريضة الحج، وهذا العام ـ كما يخبرنا في موضع من هذا الكتاب ـ هو العام ثلاث وسبعين وألف ١٠٧٣هـ[2]، ففي هذا العام كان المؤلف في الثانية والعشرين، أي في مقتبل الشباب وعنفوانه، أضف إلى أنه بعد أربعة أعوام من هذا التاريخ سيشهد اليمن وأهله، بما فيهم مؤلفنا، رحيل الإمام المتوكل إسماعيل إلى دار الآخرة، ذلك الإمام الذي غاض مؤلفنا سماع كلام أحد النواصب فيه، وهذا ما يجعلنا نؤكد أن القصيدة قد تداولتها أيدي الأدباء والعلماء، وأن عدة من أدباء عصره قد أخذوا في تقريظها، منهم الفقيه إسماعيل العبدي بهذه الأبيات:

---

(1) نص الكتاب، جـ ٤ ص ٥٥٢.

(2) نص الكتاب، جـ ٤ ص ٢٨٠ وذلك أيام ولاية الشريف زيد بن محسن بن أبي نمي .

منظومة يعجز عن مثلها أبو العلا أحمد والنابغة
كم عبرةٍ زاجرة قد حوت وحكمةٍ باهرة بالغة
فقل لذي العلة في دينه عليك يا ذا الداء بالدامغة
لا زال مولاي أبو عذرها في حفظ مولى النعم السابغة[1]

ويقول أيضا الفقيه إسماعيل بن علي بن صلاح الطبري مقرظا:

أرضى الأئمة من أهل العلوم فقط أما سواهم لدى أهل النهى فسقط
فإن تكن رمت عرفاناً لسابقهم كفاك نظم حوى أعلامهم وضبط
لله ناظم عقدٍ هم جوهره لقد تكلم في أنبائهم وبسط
ما قال ما قال حسان وما بلغت يد امرى القيس ما قد قال قط
لذاك أمسى وأضحى أيما علمٍ أشم عالٍ وفي سمط الكرام [2]

ولم يفصح مؤلفنا عن اسم ذلك الإمام الذي حثه على شرح القصيدة، وعوّل عليه في فك مقفلها، وفتح مغلقها، وتبين ما خفي من جمل ألفاظها، بل ما أخبرنا به أن استتمام مثل ذلك المرام واستيفاءتلك الأقسام وبيان أحوال الأئمة الأعلام عصي على مثله، معللا ذلك بقوله: «فإن سيرة الواحد منهم تحتاج إلى مجلدات، وديوانُ من يقول الشعر منهم يستغرق الأيام والساعات، وذكر تصانيفهم وعددها مما لا يدخل تحت المقدور، ولا يتسعه مسطور»؛ قال: «فأجبته إلى ما ذكر بتعليقٍ فيه بعض بيان لبعض أحوالهم، ودعواتهم ووفياتهم، وكونهم هم الأئمة،

---

(1) طرة مخطوطة التحقيق، نبلاء صعدة بعد الألف (خ).
(2) نبلاء صعدة (خ).

وأن اتّباعهم فرض على الأمة »[1].

وهذه الجوانب الثلاثة: تبين أحوال الأئمة، وكونهم هم الأئمة، ووجوب الطاعة لهم من قبل الأمة، هي الهام الذي جهد المؤلف على ترسيخه، وتدعيم ركائزه، وليس بدعاً في هذا، فأغلب علماء ومؤرخي الزيدية في تناولاتهم التاريخية على هذه الطريقة، ولأن القصيدة جاءت مبنية في الأساس على الافتخار على النواصب من أعداء أهل البيت كما تفصح عن ذلك عبارة المؤلف[2]، فقد أداه ذلك إلى ذكر المفضول مع الفاضل، والإمام الداعي مع السابق، وكان ذلك مما لا غبار عليه، لولا أنه ذهب في الاعتداد بمن لم تثبت عدليته في بعض المواضع، وهذا مما يؤخذ على المؤلف. ومما يؤخذ عليه أيضا، تساهله في نقل بعض الروايات كقصة البساط[3]، وكخطبة ذات البيان على تلك الصفة التي وردت في الكتاب، فالثابت من تلك الخطبة قد رواه الشريف الرضي فيما جمعه في نهج البلاغة من خطب أمير المؤمنين، وما عدى ذلك لم يثبت بوجه صحيح، بل قال العلامة ابن أبي الحديد: قد زاد فيها قوم أشياء حملتهم عليها أهواؤهم، لا توافق ألفاظها طريقته

---

(1) نص الكتاب، جـ ١ص ٣٤.

(2) نص الكتاب، جـ ٣ ص ١٤١ وهذا نص كلامه: **(واعلم أن مبنى هذه القصيدة الافتخار بأئمة أهل البيت الأبرار على النواصب الفجار، من غير إعراض عن ذكر المفضول مع الفاضل، والأحق بالأمر بحكم فاصل، فإن من تقدمت دعوته مع تكامل الشروط فيه، فهو الإمام المعتبر).**

(3) راجع لوامع الأنوار ٥٤٥/١ أثناء الكلام على ينابيع النصيحة.

عليه السلام في الخطب، ولا تناسب فصاحتها فصاحته[1].

وقد اعتمد مؤلفنا في نقل مادة كتابه هذا على مصادر عديدة، لكن كان اعتماده في الأساس على كتاب (مآثر الأبرار) للمؤرخ الزحيف المعروف بابن فند، وعلى (ذيله) للسيد داود بن الهادي، وعلى (الترجمان) لابن مظفر، وعلى (الشافي) للإمام عبد الله بن حمزة، وعلى (الحدائق الوردية) و(محاسن الأزهار) للفقيه حميد الشهيد المحلي، وقد أشار إلى ذلك في أبياته التي يقول فيها:

لقد أبلغت في الأنوار جهدي ولم أنقل سوى ما صح عندي

عن الشافي أخذتُ بترجمان يَمُتّ إلى الحدائق وهو يهدي

إلى لُحق الزُّحَيْف مبيناتٍ يشاكل لفظها درراً بعقدي

وتمت بالمحاسن عند نقلي وما في العمدتين بغير كدِّ

وهذه هي أمهات المصادر، وهناك كتب أخرى رجع إليها كـ(كاشفة الغمة) للسيد الهادي بن إبراهيم الوزير، و(أنوار اليقين) للإمام الحسن بن بدر الدين، و(الكواكب الدرية) للسيد صلاح بن الإمام إبراهيم تاج الدين، و(عمدة الطالب) لابن عنبة، و(تيسير المطالب) للإمام أبي طالب، و(اللآلي المضيئة) للسيد أحمد بن محمد الشرفي، و(التحفة العنبرية) للسيد محمد بن عبد الله الملقب بأبي علامة، وغيرها من النقولات التي عزاها إلى مصادرها

[1] شرح نهج البلاغة ١/ ٢٠٧.

في أثناء الكتاب.

التعريف بالمخطوط

وقد اعتمدت في تحقيق الكتاب وإخراجه على نسخة خطية واحدة، هذه النسخة هي نسخة المؤلف، والتي نسخها بخط يده من أولها إلى آخرها، فكفانا الوقوف عليها عناء تطلّب مخطوطة أخرى. ويعود الفضل في الحصول عليها إلى السيد العلامة الفاضل محمد بن الحسن العجري[1] رحمه الله تعالى، فإن وصول مخطوطة الكتاب إلى يده كان بمثابة إنقاذ لها من الضياع، حيث حصل عليها صدفةً مع بعض الأفراد من أسرة آل الداعي - أسرة المؤلف - بهجرة مَدَران، فأخذ منها مصوَّرة، قبل أن تصل إلى آخرين بواسطة الشراء.

ومخطوطة المؤلف هذه غير مرقمة الصفحات، وإنما قام بترقيمها غيره ترقيما خاطئا لم نعتمده، كما أن المؤلف لم يشر إلى تجزئة مؤلفه إلى جزءين أو أكثر إلا أنه يبدو أن حباكة الكتاب وتجليده اضطر أحدهم نتيجة لضخامة الحجم إلى تجزئة الكتاب إلى جزءين، حيث انتهى الجزء الأول آخر ترجمة السيد عبد الوهاب بن محمد الرغافي[2]، وبدأ بدوره الجزء الثاني بالأبيات التي أولها: واسمع عن الشيعة الأخيار مختصرا، عند ترجمة إبراهيم الكينعي.. إلى آخر الكتاب. ولم نأخذ بهذه التجزئة لأسباب وجيهة.

ومما يجدر ذكره أن هناك بين أوراق المخطوط توجد قصاصات صغيرة

---

(1) توفي رحمه الله تعالى غرة عامنا هذا أول شهر محرم سنة ١٤٣١هـ.

(2) نص الكتاب، جـ ٣ ص ٢٨٧.

وكبيرة، وفي بعض المواضع ورقة كاملة تحمل خط المؤلف، وإشارة صريحة منه إلى أن
ما كتب في تلك القصاصات أو تلك الورقة هي زيادات ألحقها على نص كتابه، فكان لزاما علينا دمج تلك الزيادات والإضافات ضمن النص دون التنبيه عليها.

أما خط المؤلف (ناسخ المخطوطة) فقد جعلناه مقروءا، رغم ما فيه من الغموض في أغلب الأحيان والإبهام وعدم التنقيط، وذلك بالرجوع إلى مصادر التي نقل عنها، وأضاف إلى ضعف الخط إعوجاج الأسطر وتداخل بعضها في بعض، وهذا ما أعتذر عنه حقيقة مؤلفنا في أبياتٍ وقفت عليها بخطه:

لا تنكرنَّ إذا رأيت صناعتي   في الخط والتسدير بينة العوج
فالدهر معوجٌ وكل صدوره   معوجة الأحوال بينة العرج

هذا ما أردنا ذكره بخصوص وصف مخطوطة المؤلف.

وقد صدّر المؤلف **طرة هذه النسخة بهذا العنوان:** «كتاب الأنوار البالغة والحلل السابغة في شرح الدامغة، مما عني بجمعه ونظمها عبد الله الفقير إلى عفوه ورحمته الطامع في مغفرته ورأفته الحسن بن صلاح بن محمد بن صلاح بن محمد بن صلاح ابن الحسن بن جبريل الداعي اليحيوي الهادوي عفا الله عنه وغفر له ولوالديه ولكافة المؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى على سيدنا محمد

وآله أفضل الصلواة الزاكيات والسلام والرضوان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

وفي هذه الصفحة من طرة المخطوط جاء بخط الفقيه العلامة إسماعيل بن محمد العبدي[1] ما لفظه: « الحمد لله وحده، يقول العبد الفقير المعترف بالقصور: قد أسمت سرح لحظي في رياض هذه المنظومة الأنيقة، وفهمت أكثر ما انطوت عليه ألفاظها الجليلة من المعاني الدقيقة، ووجدتها قد ألمت من الفوائد بما لم يحصر، وضمت من الشوارد ما لم يضمه غيرها من السير:

منظومة يعجز عن مثلها أبو العلا أحمد والنابغة[2]

وفي عراض هذا الأبيات كتب المؤلف بخطه ما نصه: **وقال بعضهم:**

وشرحها الأنوار مثل اسمه يرفل في أنواره البالغة

وصارت الأبيات من تجر ذيل الحلل السابغة[3]

وفي الصفحة المقابلة جاء بخط القاضي العلامة الكبير محمد بن عبد الله بن علي الغالبي[4] ما نصه: «قد تم لي بحمد الله مطالعة هذا [الكتاب] العظيم، فوجدته قد جمع من [الفرائد النوادر] أقصاها، ومن الفوائد الشوارد أحسنها

(1) له ترجمة في نص الكتاب (الجزء الرابع) ص ٢١٦.

(2) إلى آخر الأبيات المتقدمة، ص ١٦ من مقدمة الكتاب.

(3) انظر نموذج مخطوطة التحقيق ص ٢٩.

(4) محمد بن عبد الله الغالبي: من أكابر علماء عصره، توفي بمدينة ضحيان عام ١٣٣٤هـ.

وأبهاها، فألفاظه غرر، وأسطره بالحق تزهو [وتتبختر]: ففي كل لفظ منه عقد من المنى، وفي كل سطر منه عقد من الدر. جمع من الفوائد ما لا تجمعه السير، وضم من الأحاديث ما لا تضمنه سلك الدر، علم ورثه من الرياض العلوية، وحكمة أخذها من الزهور الهادوية، شنشنة أعرفها من أخزم، ومن أشبه أباه فما ظلم، فجزاه الله أفضل الجزاء، وكافاه بالحسنى بحق جده المصطفى، وآله الأتقياء. كتبه محب آل النبي محمد بن عبد الله بن علي بن علي الغالبي وفقه الله حرر بتاريخ شهر شوال سنة ١٢٨١».

عملي في التحقيق

ها هو ذا كتاب شرح الدامغة الكبرى بين أيدي القراء في طبعته الأولى يحدث عما بذلت من جهد في إخراجه.

فلقد كان همي الأول أن يقابل المصفوف بالكمبيوتر على نسخة المؤلف، وقد تم لي ذلك بإعانة الأخ النبيل حسين بن علي بن محمد المؤيد، ثم بدأت في قراءة النص جيداً ومقابلته مع المصادر التاريخية، منها التي رجع إليها المؤلف ونقل عنها، وذلك للتوثيق والاطمئنان على سلامة النص، فتبين بذلك المغلق، وتوضّح المبهم، وما استعجم تركته حسب ما هو مرسوم في المخطوط، ونبهت في الهامش بمثل هذا التعليق: كذا في الأصل أو نحوه. أضف أنني في خلال ذلك كنت أرصد كل ما يوجب عليّ التعليق أو التنبيه عليه كتلك الأوهام والأخطاء التي وقع فيها المؤلف، أو التعريف ببعض الأماكن التي وردت في النص بحسب الحاجة، وتفسير بعض الكلمات الغريبة، خصوصا في الأبيات الشعرية، وكذلك

ترجمة من يحتاج إلى تعريف من الأعلام تراجم مقتضبة، مع تقطيع النص حسب علامات الترقيم.

أضف إلى ذلك ما اجتهدت في وضعه من عناوين لموضوعات الكتاب، وقد وضعتها بين حاصرتين ليتضح أنها من صنع المحقق. وخلاصة الأمر فقد جعلت الجهد منصبا أولاً وأخيرا على النص وتحقيقه دون أن أرهق القارئ بهوامش ليس لها من حاجة، كتراجم المشاهير ، والتعريف بما هو معروف، فقد أكثر بعض المحققين من ذلك بما لا طائل تحته، كما أني لم أهتم بتخريج الأحاديث النبوية على كثرتها في النص، ففي وسع من أراد ذلك الرجوع إلى موسوعات الحديث على أنواعها، فالأمر متيسر وفي متناول اليد. وكذلك لمن أراد التعرف على تراجم الأعلام الذين ورد ذكرهم في نص الكتاب من الفرقة الزيدية خصوصا، الرجوع إلى: مطلع البدور للقاضي ابن أبي الرجال، وإلى طبقات الزيدية الكبرى للسيد إبراهيم بن القاسم، وإلى المستطاب للسيد يحيى بن الحسين، وإلى البدر الطالع وملحقه، وإلى نشر العرف وإلى غيرها من المصادر التي رصدناه في مراجع التحقيق.

عبد الرقيب مطهر حجر

صعدة/

بتاريخ ٣ جمادى الثاني ١٤٣١هـ

تعليق فائدة عن الناشر

ومما يجدر بي ذكره في هذا الموضع فائدة تطرق إلى ذكرها المؤلف في مواضع من كتابه، ترتبط هذه الفائدة بنسب (ناشر هذا الكتاب) وذِكْر الجد الجامع له وللمؤلف، من تلك المواضع قوله في أثناء ترجمة السيد أحمد بن علي الشامي ونصه: «ونحن نلتقي نحن وإياهم في النسب إلى محمد بن صلاح بن الحسن بن جبريل، وجدهما الحسن هو الخارج إلى اليمن في أيام الإمام شرف الدين عليه السلام فيما أحسب والله أعلم»[1].

ويقول أيضاً في موضع آخر: «ومن أولاد أحمد بن الداعي: الحسن بن جبريل بن يحيى بن محمد بن سليمان بن أحمد بن الإمام الداعي يحيى بن المُحَسِّن. ومن أولاده: السيد العلامة صلاح الدين صلاح بن محمد بن صلاح بن الحسن بن جبريل المذكور وكان من العلماء العباد الزهاد، تعمَّر فوق مائة وخمسة عشر سنة، هكذا في اللوح الذي على قبره، وقبره في نيد جلود عند المسجد الذي هنالك شرقي هجرة مدران إلى جهة الشام. **وصنوه الحسن بن محمد والهادي بن محمد** الخارجان من هجرة مَدَرَان إلى اليمن[2]،

---

(1) نص الكتاب، جـ ٤ ص ٩١.

(2) يعلق السيد أحمد الشامي (ناشر الكتاب) على ذلك فيقول: المراد بها الجهة، فمن كان يذهب من صعدة ونواحيها إلى صنعاء يقال فيه ذاهب اليمن، والعكس يقال فيه: ذاهب إلى الشام، ويقال شامي لمن هاجر من الشام إلى صنعاء وما إليها.

واستوطنا مسور من مشارق صنعاء، فتوفي الحسن فيه وقبره هنالك مشهور مزور، وذريتهما هنالك بمسور وجحانة[1] من بلاد مسور وكوكبان، ويعرفون هنالك: بآل الشامي وآل الأخفش»[2]، ومثل هذا موجود في كتب الأنساب غير مغمور.

وفي وسع من أراد الاطلاع الرجوع إلى الكتب المصونة، كـ(مشجر أبي علامة) للسيد محمد بن عبد الله المؤيدي مخطوطة المؤلف ورقة ٤٦، و(اللآلي المضيئة) للسيد العالم الكبير أحمد بن محمد الشرفي، المجلد الثالث مخطوط، و(نيل الحسنيين) للسيد المؤرخ الكبير محمد زبارة ص ١٦٩-١٧١، و(التحف شرح الزلف) للمولى مجد الدين المؤيدي ص ٣٤٣ الطبعة الثالثة، و(نشر العرف في تراجم نبلاء اليمن بعد الألف) أيضا للمؤرخ زبارة، المجلد الثاني ص ٤٤، والمجلد الأول ص ١٥٤، و(ذروة المجد الأثيل) للسيد العلامة أحمد بن يحيى العجري، مخطوط وغيرها من المصادر الأخرى، **فلم نقصد من إيراد ذلك النص** إلا مجرد تدوين ما هو معلوم في هذا الموضع، حيث وقد علق ناشر الكتاب السيد أحمد بن محمد الشامي على النص السابق فقال:

«**وقد زرت هجرة مدران الواقعة بألت الربيع** في بلاد جماعة لواء صعدة

---

(1) وفي خبان أيضا، ولعل أول من نزل بها هو إسحاق بن هادي الشامي، الجد السابع لناشر الكتاب، راجع الحجري (مجموع بلدان اليمن وقبائلها) ٧٦/١.

(2) نص الكتاب، جـ ٣ ص ١٢٠.

في سنة ١٣٧٦هـ ووجدت قبرا عليه ضريح باسم: صلاح بن محمد بن صلاح بن الحسن ابن جبريل يقع بجانب المسجد الدامر شمال محل مدران، وهذا صلاح بن محمد بن صلاح بن الحسن بن جبريل هو أخو الهادي بن محمد بن صلاح بن الحسن بن جبريل **الجد الحادي عشر في نسبي وأنا أحمد بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن محسن بن إسحاق بن هادي بن علي بن صلاح بن الهادي بن محمد بن صلاح بن الحسن بن جبريل الشامي** نسبة إلى الشام المعروف بالآن بلواء صعدة. كما أنه - أعني صاحب القبر المذكور - جد مؤلف الدامغة السيد العلامة الحسن بن صلاح ابن محمد بن صلاح بن محمد بن صلاح بن الحسن بن جبريل».

***

وبعد إيراد هذا التعليق من قبل ناشر الكتاب وإيراد نسبه، أجد قلمي أقرب ما يكون إلى إيراد ترجمة له مقتضبة، لتمام الفائدة وقياماً بحقه:

فهو السيد العلامة العلم المفرد أحمد بن محمد الشامي، ولد يوم السبت خامس وعشرين شهر ربيع الأول عام سبع وأربعين وثلاثمائة وألف، في هجرة المسقاة ناحية السدة محافظة إب، وبها نشأ وتلقى تعليمه الأولي، ثم انتقل إلى مدينة جبلة ملتحقا بالمدرسة العلمية هناك مدة أربع سنوات، انتقل بعدها إلى صنعاء أم المدن اليمنية للدراسة بمدرستها العلمية، فأخذ على مشايخها حتى أحاط بمنهجها، وهو - أي ذلك المنهج - طريق ملحوب لطالب العلم إلى بلوغ درجة الاجتهاد، فتخرج منها بإجازة مشايخها، واشتغل

فيها مدرسا، والتحق للتدريب والتأهيل في المحكمة العليا لممارسة أعمال القضاء باستعراض الأحكام وتخليصها ومناقشتها والعرض على أعضائها، وفي عام ١٣٨١هـ استدعاه وزير العدل العلامة عبد القادر بن عبد الله للاستعانة به في أعمال الوزارة وتنظيم شؤونها.

وبعد قيام الثورة تقلد عدة مناصب في سلك القضاء، ورأس محكمة وصابين، ثم محكمة النادرة، و محكمة لواء البيضاء، ثم أصبح عضواً في المحكمة العليا للإستئناف فمحافظاً بلواء إب ورئيساً لمحكمة إستئناف لواء تعز حيث شغلها مدة أحد عشر عاما، ثم تفرَّغ للعمل السياسي واشترك بعد الوحدة اليمنية مع مشاهير علماء اليمن وشبانها في تأسيس حزب الحق الإسلامي وعيّن أمينه العام.

***

وكان له بعد انتخابات عام ١٩٩٧م تولي وزراة الأوقاف، وقد طمح في قبول هذا المنصب الوزاري إلى تحسين هذا المرفق الديني الهام، لكنه مُني بخيبة الأمل كما عبرت عنه استقالته التي قدمها إلى رئيس الجمهورية **بتاريخ ١٦جمادى الأولى ١٤١٩هـ الموافق ١٩٩٨/٩/٨م** وهذا نصها بعد البسملة:

فخامة الأخ رئيس الجمهورية حفظكم الله.

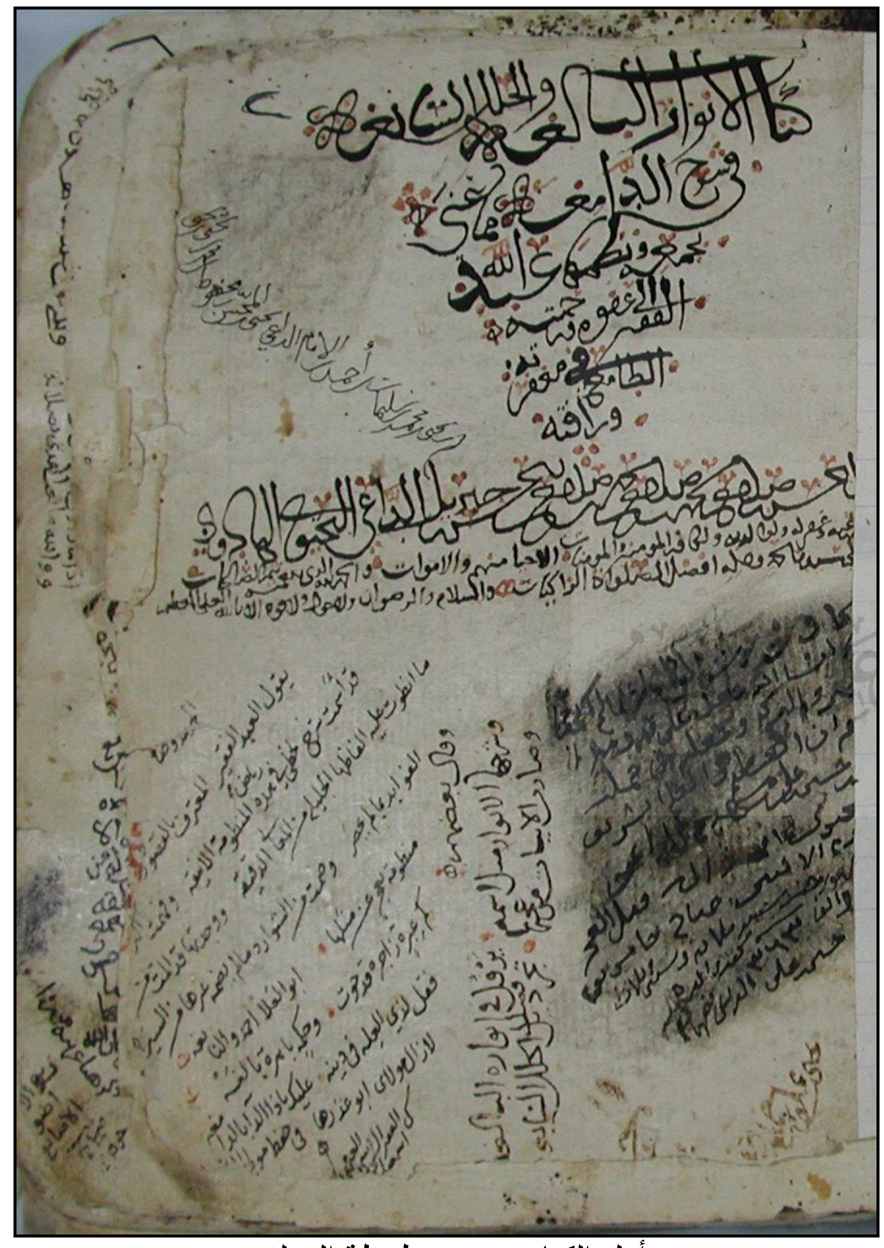
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فإنكم على يقين أن قبولي المشاركة في الحكومة وزيراً لوزارة الأوقاف قد كان عن تكليفكم بعزمة من عزماتكم التي من غير المستطاع ردها، وفي لحظة خاطفة قبل إعلان تشكيل الحكومة، فما أتيتها اختياراً، ولا جئت إليها شوقاً، وقد كنت مطمئناً إلى الحالة التي كنت عليها، ولا أرغب في استبدالها بغيرها، لكن تشددكم في الطلب وتذكيركم عن وجوب طاعة ولي الأمر جعلني أقبل، وأقول عسى أن أقيم حقاً أو أدفع باطلاً في قبول هذا المنصب الذي أعتبره دينياً وليس سياسياً، ويا لها من حسرة حين تكشفت الأمور عن عواقب المساءة، فالأطماع كانت تنبّهت، والشهية في الأوقاف قد توسعت في داخل الوزارة وخارجها، وشعرت بالإحباط من أول يوم، وحيل بيني وبين تحقيق أي إصلاح فيها، حين لم أعط أي صلاحية في أي عمل، وسلب مني اختصاصي ليقال فشل وزير الأوقاف، وواجهت صراعاً مريراً في خلق المشاكل المتعمدة والتجنيد لها:

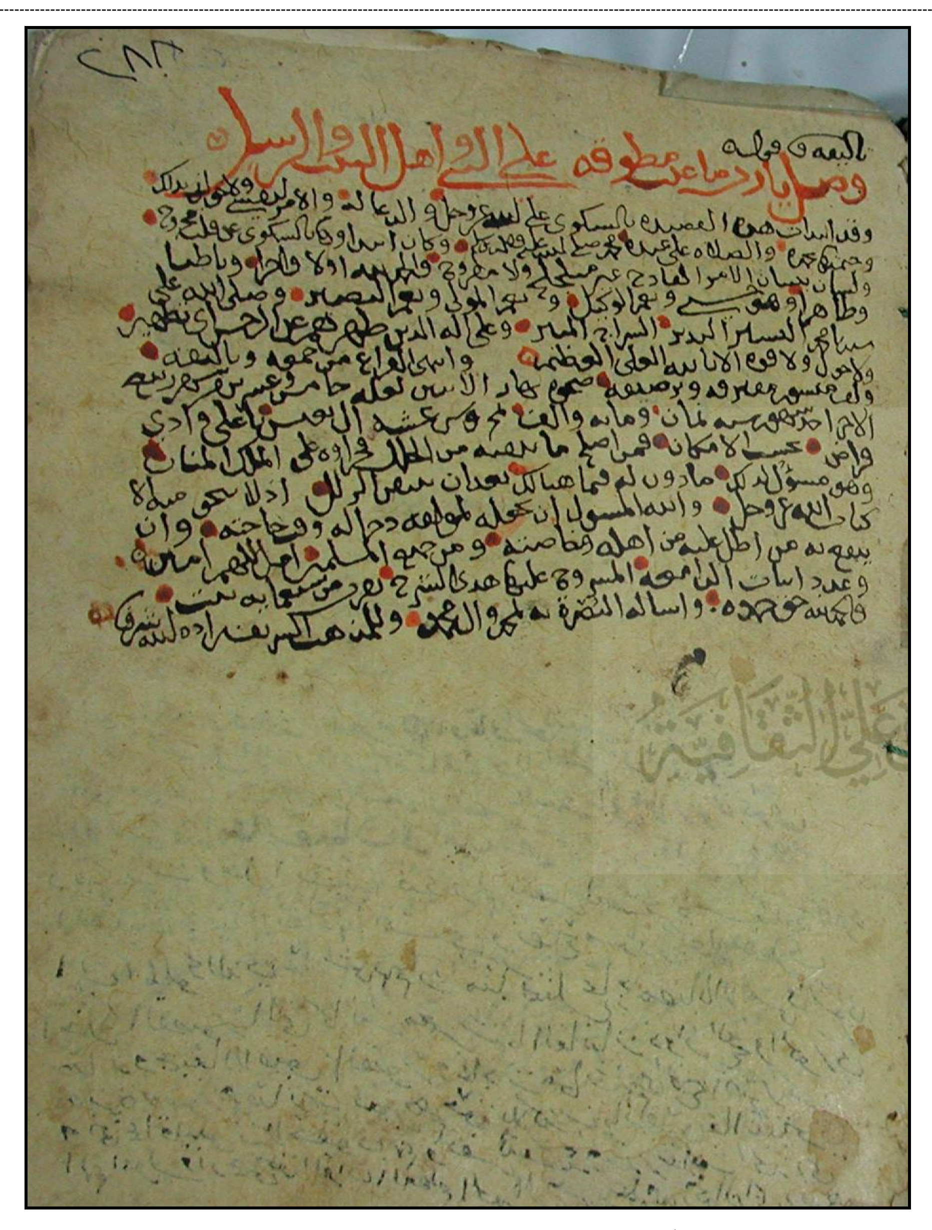
ولو كان رمحاً واحداً لا تقيته .. ولكنه رمحٌ وثان وثالث

وأنّى لي ذلك، وأهل المصالح كثيرون لا يكلون ولا يملون ولا يفترون في العمل المضاد، لتخوفهم من متابعتهم وكشفهم، وإحكام القبضة على فسادهم، ونصحنا فلم نفلح وغشوا فأفلحوا، لأنه يوجد سمّاعون لهم من أهل النفوذ ﴿ **وإن مكرهم لتزول منه الجبال**﴾ فقد اتقنوه بحثاً وتدقيقاً وقولاً وعملاً، وقد قلّبت هذا الأمر بطنه وظهره فما وجدتني يسعني على سلامة من ديني غير تقديم استقالتي إلى فخامتكم من منصب وزارة الأوقاف، فلن أطيق

العمل فيها على حالها، و لا أستطيعه على بعدكم مني، وإعراضكم عني، وتركي لمن ينهشني حتى مات قلبي، وأين مني الوفاء بالعهد المأخوذ علي جهاراً نهاراً أن أكون وأن أكون، ويا بعد ما بيني وما بين أن أكون، وبين ﴿ **وأفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا﴾**. ومن أجل هذا وذاك والذي والتي، أرجو تفضّلاً منكم ورحمة قبول استقالتي، واعتبروها أمانة مردودة إلى أهلها، واتركوني منقطعاً متفرغاً للتدريس والإرشاد، هرباً من سوء الخاتمة، وبعداً عن الاقتران بالمشابه بعضهم بعضاً دوني، والذين يريدوني نعجة يسوقونها إلى مسلخها بعد جلال السن وتقضي العمر، وسأظل عند حسن ظنكم، ناصحاً بمناصحة خالية عن الغش، سليمة من الريب، سدد الله على طريق الخير خطاكم، ووفقكم وأعانكم، وسلام الله عليكم. **المخلص أحمد محمد الشامي**



أول الكتاب من مخطوطة المؤلف



آخر الكتاب من مخطوطة المؤلف

مقدمة المؤلف[1]

بسم الله الرحمن الرحيم. وبه نستعين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين وسلم.

أحمد من حمده على كل حال أحمد، وصلوات الله على من سمّاه في الأرض محمداً وفي السموات أحمد، وعلى آله الذين أطفى الله بهم نار الجهل وأخمد، وسلم عليه وعليهم صلاة وسلاماً لا انقضاء لهما ولا أمد.

وبعد: فإني في أيام عُنفُوان الشباب، وقوة الجِدَّة وزَهرة الأيام، واتصال الأسباب الموجبة لوفور أهل العلم وكثرة الطلاب، ووجود الأدباء وكثرتهم وولوعهم بالآداب، سمعتُ من بعض النّواصب[2] بمعمور الطائف[3] شيئاً من السِّباب لمذهبنا الشريف، والتّهكم بأهل الدين الحنيف، وذَكَر من دانت له الأنام، وساعدته الأيام، وقام بنصر الملك العلام، وأحيا المدارس، وزّين المجالس، أميرَ المؤمنين المتوكل على الله ربِّ العالمين، بقية الأئمة الهادين، محيي شريعة سيد المرسلين، إسماعيل[4] بن أمير المؤمنين رضوان الله عليه

---

(1) العنوان من صنع المحقق.

(2) النواصب: يطلق على كل من نصب العداء لآل محمد.

(3) الطائف: بلدة حجازية معروفة، تقع جنوب شرقي مكة المكرمة.

(4) هو الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن الإمام القاسم بن محمد، تولى ما بين (١٠٥٤ـ ١٠٨٧) وستأتي أخباره وترجمته في نص الكتاب.

وسلامه،   وتحياته   وإكرامه،

ومدحَ سلطان الروم( ) حينئذ محمد بن إبراهيم( ).   ٢

فقلتُ تلك شِنْشنة أخزميّة، وسلسلة أموية، وطريقة عباسية، وعداوة شافعية، ولهجة ناصبية، واكتسابات حنفية، وتعصبات أشعرية، وخيالات حنبلية، وفرطات مالكية، على من هم السفينة، وأبواب المدينة، العترة الزكية، والفرقة الناجية المنجية، التي فارقها أولئك الأقوام، وصاروا بفراقها من الغارقين( ) على مدى الأيام، خلفاً عن سلف، وسلفاً لخلف، فالهداية موروثة لأهلها عن أهلها، والضلالة تائهة ( ) في محلها، وكنتُ أحفظ عن بعض مشايخي الكبار، وهو أيضاً مصدّر في كتاب

«تنقيح الأنظار شرح هداية الأفكار» لوالدنا الإمام صارم الإسلام إبراهيم بن محمد المؤيدي( ) سلام الله عليه أنه ينبغي لمن زار عبد الله بن العباس رضي الله عنه أن يشكو عليه ما جرى على أهل البيت الأطهار، من أولاده

---

(١) يقصد بالروم الأتراك، وهذا الإطلاق سائد في عصر المؤلف.

(٢) هو السلطان العثماني محمد خان بن إبراهيم بن أحمد ولد سنة ١٠٥١ وتولى الحكم ١٠٥٨ وهو ابن سبع سنين، فكانت جدته تدير أمور المملكة وتوفي ١١٠٤ (تاريخ سلاطين آل عثمان: ١٠٩).

(٣) إشارة إلى الحديث النبوي: أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق وهوى. (مؤلف).

(٤) إشارة إلى ما ورد في الحديث النبوي أيضاً: أين يتاه بكم عن علم تنوسخ عن أصلاب أصحاب السفينة. (مؤلف).

(٥) سيأتي ذكر أخباره وترجمته لاحقا في نص الكتاب.

الأملاك   الأشرار،

من القتل والتطريد، والإلحاد في الحَرَم الشريف، باتخاذ المقامات[1] التي هي سبب الزَّيْغ والتحريف، للصرف عن مذهب الأئمة، إلى مذاهب أربعة من فقهاء العامة، حرصاً على الملك أن يخرج عنهم، وألزموا الأمةَ بالقول والفعل إتّباع الفقهاء الأربعة، غير رغبة فيهم، ولا محبة لهم، ثم أنالوا آل محمد أعظم مما أنالهم بنو أميّة، حتّى أن المتوكل العباسي هدم قبر الحسين السبط عليه السلام، وأمر بإجراء الماء عليه لما زارته جارية من جواريه[2]، فقال علي بن بسّام[3]:

تالله إن كانت أمَيَّة قد أتت قَتْلَ ابن بنت نبيّها مظلوما

فلقد أتاه بَنُو أبيه بمثلها هذا لعَمْرُك قبره مهدوما

أسِفُوا على أن لا يكونوا شاركوا في قتله فتَتَبَّعُوهُ رميما

فلما دخلتُ حرم ابن عباس لزيارته قلت بديهاً شاكياً عليه ما جرى من

---

(1) المقامات: بدعة أحدثت في العصر المملوكي على يد السلطان فرج بن برقوق الشركسي (ت ٨١٥) وقيل في العصر العباسي كما ذكره الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى في الغايات (نزهة الأنظار للمقرائي خ ١٦. البدر الطالع ٢: ٢٦) قال عنها بعض الكتّاب العصرين: «بدعة قرّت بها عين إبليس اللعين، وصيّرت المسلمين ضحكة للشياطين» وقد أزيلت في سبعينيات القرن الهجري المنصرم.

(2) انظر عن تلك الحادثة مقاتل الطالبيين ٥٩٧ - ٥٩٨، تاريخ الطبري/ حوادث سنة ٢٣٦هـ.

(3) هو علي بن محمد بن نصر أبو الحسن بن بسام، ويقال له البسامي: من الكتّاب وأعيان الشعراء، وأكثر شعره في هجاء الوزراء في وقته، توفي سنة ٣٠٢هـ (أنظر وفيات الأعيان ٣/ ٦٦٣ نسمة السحر ٢/ ٣٨٨.

أولاده الأملاك هذه الأبيات التي سميتها من بعد بـ «**الدامغة لهامات النواصب لآل علي ابن أبي طالب**» ثم ترجّح لي بعد ذلك نظمها وتعداد الأئمة فيها فخراً على النّواصب الأرجاس، وبياناً لما فعلته الأموية وبنو العباس، ونشراً لمناقب الأئمة الأكياس[1]، الذين أذهب الله عنهم الرِّجْس وطهرهم تطهيراً، وإن كان قد كفانا المصطفى صلى الله عليه وعلى آله الأصفياء الخلفاء بقوله: «أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق وهوى».

فلما قلتُ القصيدةَ على ما سنَح لي وقدرت عليه، عوَّلَ عليَّ بعض أئمة الآل

في هذا الزمان أن أفك مقفلها، وأفتح مغلقها، وأحل معقدها، وأكشف رموز أسرارها، وأبيّن ما خفي من جمل ألفاظها، وإن لم يساعد الزمان لاستتمام المرام، وبسط الكلام، واستيفاء الأقسام، وبيان أحوال الأئمة الأعلام على التمام، فإن سيرة الواحد منهم تحتاج إلى مجلدات، وديوانُ من يقول الشعر منهم يستغرق الأيام والساعات، وذكر تصانيفهم وعددها مما لا يدخل تحت المقدور، ولا يتسعه مسطور؛ فأجبته إلى ما ذكر بتعليقٍ فيه بعض بيان لبعض أحوالهم، ودعواتهم ووفياتهم، وكونهم هم الأئمة، وأن اتّباعهم فرض

---

(1) الأكياس: جمع كيّس وهو الفطن الحسن الفهم.

على الأمة. هذا وقد لاحظت[1] ترتيبهم على قدر ترتب دعواتهم وأزمنتهم، وما فاتني من ذلك أو تعمدته فللتلازم بين إمامين، أو لاستقامة الشعر في بيت أو بيتين، في حالٍ يظهر للمتأملين، فإن للضرورة حكمها. وقد أحاطت بحمد الله بجميع من ذكره السيد العلامة صارم الدين «صاحب البسامة» [2]، وزيادة كثيرة ظاهرة لمن لم يذكره، وتعداد من قام من الأئمة بعده، وجملة من المقتصدين من الآل، وجماعة من أعيان الشيعة، ومعاصري الأئمة، وبلغ عددها إلى نيف وستمائة[3].

فمن اطّلع على عيب أو خلل وأصلحه فأجره على الله عز وجل، مع طلبي لذلك من جميع من أطل عليها، وله معرفة بما يحصل من الرمي إليها، فإنني معترف بالقصور، وإنما ألجأني إلى الترقي إلى هذا المقام ما حلّ بقلبي من الهمِّ المستور، الذي يعلمه من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، كما قال جدي الإمام المعتضد بالله يحيى بن المُحَسّن الداعي سلام الله عليه:

ولو تعلم الأيامُ ما في جوانِحي   من الهمِّ لانقادت إليّ على رَغْمِ
فقد علمتْ أشياعُ زيدٍ زعامتي   وفضلي وإقدامي يقيناً بلا وَهْمِ

---

(1) في الأصل: «لا حصت».

(2) هو السيد صارم الدين إبراهيم بن محمد الوزير «ناظم البسامة» وستأتي ترجمته لاحقاً في نص الكتاب.

(3) تحقيقاً عدد أبياتها: ستمائة وست وثلاثين بيتا.

فإن جهلت حقي فإني أَحِلّها   على ثقةٍ من موضع الروح في جسمٍ[1]

وليثق من أطل على ما نقلت، ونظر فيما دوّنت، بأني نقلته من مظان الصحة، وكتب الأئمة وعلماء الأمة، من نسخٍ عليها آثار الصحة، وخط من لا يتطرق إليه الأوهام بطمحه، كخط السيد الإمام العالم صارم الدين داود بن الهادي المؤيدي[2] عليه السلام من نسْخته التي نسخها من «شرح الزحيف» [3] الفندي على «البسامّة»، ومن «التمام» للسيد داود المذكور لذلك الشرح[4]، بشعر ألحقه وشرح علّقه، ثم من «الترجمان» لابن مظفر، ثم عن «الشافي» للإمام المنصور عبد الله بن حمزة عليه السلام، وعن «الحدائق الوردية» و«محاسن الأزهار»[5] وغير ذلك من المؤلفات الكبار. وقد أضفت كل شيء في الأغلب إلى أصله، ورددت الإحالة به على أمه، بعد أن تثبت في الأصل والفرع، وقد أشرت إلى أمهات شرحي هذا بقولي:

لقد أبلغت في الأنوار جهدي   ولم أنقل سوى ما صح عندي

---

(1) كذا في الأصل. ولربما كانت: جسمي.

(2) داود بن الهادي المؤيدي: عالم محقق من أعيان أهل عصره، ولد ٩٨٠ وتوفي شهر ربيع الأول سنة ١٠٣٥هـ من مؤلفاته: ذيل على قصيدة البسامة، وجعل شرحه لذياك الذيل مكملاً لكتاب ابن فند مآثر الأبرار (أنظر مطلع البدور ٢/ ٢٧١ البدر الطالع ١/ ٢٤٧، نص الكتاب فيما سيأتي.

(3) في الأصل: «التي نسخها للزحيف الفندي».

(4) في الأصل: «لتلك النسخة».

(5) من مؤلفات الشهيد «حميد المحلي» مطبوعان.

عن الشافي أخذتُ بترجمان   يَمُتّ إلى الحدائق وهو يهدي

إلى لُحَق الزِّحَيْف مبيناتٍ   يشاكل لفظها درراً بعقدي[1]

وتمت بالمحاسن عند نقلي   وما في العمدتين بغير كدِّ[2]

وتيسير المطالب لي تسنّى   وعن ابن الأثير أثرت وجدي[3]

وعن أسرار سيرة آل طه   بكاشف غمة أظهرت جدي

فخُذْ عنها وقلبك مطمئنٌ   ودع ذا الحقد في ظلمات حقد

فكم من حاسد مهما رآها   يذوب ووجهه للشر يبدي

أعوذ بوجه ربي من حسود   يعيِّبُهَا على وجه التّعدي

وأسأل كل ذي علم وفضل   ليستر عيبها بصحيح ودِّ

فيصلح ما يراه بحسن ضبط   وتأويل لما ينبو برشد

ولما تم لي هذا الشرح على هذه الصفة من جمع كل غريبة، وحوز كل عجيبة، سميته: « **الأنوار البالغة والحلل السابغة في شرح الدامغة**».

وهذا الشرح الكبير على «الدامغة الكبرى» لأني فعلت «الدامغة الصغرى» وشرحت عليها شرحاً دون هذا، واستوفيت في هذا الشرح ما لم يكن في ذلك، وهذه سميتها «**الدامغة الكبرى في تعداد أئمة بني الزهراء**»

---

(1) لحق الزحيف هي اللواحق الندية بالحدائق الوردية [ويسمى مآثر الأبرار] والعقد: هو العقد الفريد لابن عبد ربه.

(2) المحاسن: هو محاسن الأزهار للفقيه حميد المحلي. والعمدتان: العمدة الكبرى والعمدة الصغرى [لابن عنبه]. (مؤلف).

(3) تيسير المطالب في أمالي الإمام أبي طالب، وعن ابن الأثير [نقصد] جامع الأصول. (مؤلف).

على أن جمعي لهذا الشرح في زمنٍ كثيرة فتنُه، شديدة محنُه، مع حلول الشيب في شعري، وإدراك الضعف لجسمي، وخيانة السمع والبصر، فليعذرني من أطل على خلل، أو عثر على زلل، فكثير من مثلي ما حصل، إذ أنا بالقصور معترف، وإنما أنا من بحور العلماء مغترف، والله أسأل أن يجعل ذلك خالصاً لوجهه الكريم، مُقَرِّباً إلى جنات النعيم، وأن يمتّعني بسمعي وبصري وعقلي وقوتي أبداً ما أبقاني، وأن يلحقني بالصالحين، ويحشرني وآبائي في زمرة سيد المرسلين وأهل بيته الطيبين الطاهرين.

[استهلال منظومة الدامغة بالشكاية على ابن عباس]

وهذا أوان الشروع في الأبيات وشرحها فأقول:

نادِ الإلهَ لِنَفْعِ الحادث الجَلَل ... وافزع إليه لجرحٍ غير مندملِ[1]

واجهر بشكواك للسادات من مضر ... في قبة البحر عبد الله خير ولي

مما جرى من بني العباس عترته ... على الأئمة أهل العلم والعمل

قل يابن عم رسول الله سيدنا ... ويا ابن عم أمير المؤمنين علي:

أشكو إليك أموراً من بنِيْك جرت ... أجرَتْ عيون ذوي الإيمان عن كمل

عساه يسمع من شكواك معظمها ... من كلِّ أَرْعَنَ من أبنائه الأُوَل

ومن أميّة لا كانت ولا ذكرت ... فإنها أصل[2] كل البغي والزلل

(1) نسخة: وافزع إليه لكشف الضر والوجل. (مؤلف).

(2) في الأصل: «فإنها بيت» وما أثبتناه عن نسخة لقصيدة الدامغة الكبرى، بخط المؤلف.

فاشفع لنا في زوال الهمِّ قاطبة   إلى الذي خلق الإنسان من عجل
تجد له عند رب العرش منزلة   وشيعة جودها كالعارض الهطل
بحر يفيض على الصادي سواحله   بالعلم والجود والأخبار والمثل
به استنار الحجاز المعتلي وعلا   على البلاد فعنه العزّ لم يَحُل

به أي بابن عباس هو: أبو العباس عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم، ولد قبل الهجرة لثلاث سنين، وتوفي النبي ص وله ثلاث عشرة سنة، وقيل: خمس عشرة، وقيل: عشر، وذلك قبل خروج بني هاشم من الشعب، ولهم محصورون فيه قال ابن إسحاق: سنتان أو ثلاثاً حتى جهدوا لا يصل إليهم شيء إلا سراً مستخفاً(١) به من أراد صلتهم من قريش. وقيل: ولد قبل الهجرة بسنتين، وكان حبر الأمة وعالمها، دعا له النبي ص بالحكمة والفقه والتأويل، ورأى جبريل مرتين، قال مسروق: كنت إذا رأيت عبد الله بن عباس قلت: أجمل الناس، فإذا تكلم قلت: أفصح الناس، فإذا تحدث قلت: أعلم الناس. وكف بصره في آخر عمره، ومات بالطائف سنة ثمان وستين في أيام ابن الزبير وهو ابن سبعين سنة أو إحدى وسبعين، وصلى عليه محمد بن الحنفية، ذكر ذلك كله ابن الأثير في الجامع.

وما روي عنه من خيانته فيما ولاه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه

(١) في سيرة ابن هشام ١/ ٥٣: إلا سرا أو مستخفاً ممن أراد صلتهم من قريش.

السلام

لا يصح؛ لزهده وورعه وعلمه، وإن صح فقد رُوينا أن بصره كف لكثرة بكائه على أمير المؤمنين وحزنه عليه، والله هو الذي يقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات. وهو إمام أهل التفسير، وخاتمة أهل التعبير، وقد أشرنا إلى أنه يلقب بالبحر لسعة علمه بقولنا: «**بحر يفيض**»؛ وقيل: سمّاه رسول الله ص، وروي عنه أنه قال: رأيت جبريل عند النبي ص مرتين، ودعا لي رسول الله ص بالحكمة مرتين. وروي عنه أنه رأى رجلاً مع النبي ص فلم يعرفه، فسأل عنه النبي ص فقال له: أو قد رأيته؟ قال: نعم، قال: «ذلك جبريل، أما إنك ستفقد بصرك» فعمي في آخر عمره.

وعن سعيد بن جبير قال: مات ابن عباس رضي الله عنه بالطائف فشهدت جنازته، فجاء طائر لم يُرَ على خلقته[1]، فدخل في نعشه، ثم لم ير خارجاً منه، فلما دفن تُلِيت هذه الآية: ﴿ **يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ** ﴾[الفجر:٢٧] إلى آخرها، على شفير القبر لم يدر من تلاها، ذكر ذلك في «التبيان تفسير القرآن»[2] في تفسير سورة الفجر عند قوله تعالى: ﴿ **يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ، ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً** ﴾.

وقولنا: «**استنار الحجاز**»؛ فالحجاز سمي بذلك لحجزه بين نجد وتهامة،

---

(1) في الأصل: «خلقه». والتصحيح عن تفسير القرطبي وابن كثير.

(2) مؤلفه هو محمد بن الحسن الطوسي المتوفى ٤٦٠هـ.

وهو جزيرة العرب، وهو من أقصى عدن إلى ريف العراق طولاً، ومن جدة إلى ما والاها من ساحل البحر إلى أطراف الشام عرضاً[1]، ذكره الأصمعي. وهو الذي عناه النبي ص بقوله: « اخرجوا اليهود من جزيرة العرب» والله أعلم.

لا عيب فيه ولله الكمال سوا   أن النواصب قالوا فيه بالزَّلَل

من قولهم بشنيع القول حين قضوا   بأن ربك يقضي الكفر في الملل

وأنه سيرى يوم القيامة وهو الـ   فرد جل عن الإدراك بالمُقَل

هذه مبالغة في نفي العيب عنه، وتوصلاً بذكره إلى ذكر أهله، وذم النواصب أهل الجبر والتشبيه والتجسيم، وذكر مذهبهم الرديء ليجتنب.

[في ذم معتقد النواصب]

قال في «شرح الزحيف»[2]: واعلم أن النواصب اسم لمن نصب العداوة لآل محمد، فهم أدخل من الخوارج في العموم، إذ الخوارج يجمعها تكفير

(1) وقد نظم ذلك السيد «عبد الله بن علي الوزير» مؤلف طبق الحلوى فقال:

جزيرة العرب العربا يشملها   قولي الذي ما به نقد لمنتقد

فالطول من يمن، يا ذا الذكاء إلى   ريف العراق، فلا تنقص ولا تزد

والعرض من ساحل يعزا لجدتهم   إلى الشآم رواه العالم الصَّفدي

(2) في الأصل: «قال في الزحيف» وما أضفناه سيتم إضافته أيضا في سائر نص الكتاب، ولن نشير لذلك لاحقاً؛ فالزحيف لقب كما هو معروف وليس اسم كتاب. راجع عن الخبر مآثر الأبرار/١/ ٣٢٣.

علي

عليه السلام، وعثمان، وفي النواصب من يتولى عثمان، ولأن من النواصب جماعة من الصحابة كعبد الله بن الزبير وغيره. قال ابن أبي الحديد: كان ابن الزبير يبغض علياً، وينال منه، وقال مرة وهو في البصرة وقد أقبل علي عليه السلام: جاءكم الوَغْد اللئيم. ومكث أيام ادعائه الخلافة أربعين جمعة لا يصلي فيها على النبي ص وقال: لا يمنعني من ذكره إلا أن تشمخ رجال بآنافها. وفي رواية: إن له أُهَيْل سوء ينغضون رؤوسهم عند ذكره. وروي أنه قال لعبد الله بن عباس: ما حديث أسمعه عنك، فقال ابن عباس: ما هو؟ فقال: تأنيبي وذمي فقال: إني سمعت رسول الله ص يقول: «بئس المرء المسلم يشبع ويجوع جاره» فقال ابن الزبير: إني لأكتم بغض أهل هذا البيت منذ أربعين سنة. وكان علي عليه السلام يقول: ما زال الزبير منّا أهل البيت حتى نشأ ابنه عبد الله فأفسده. وهو الذي حمل أباه على الخروج على أمير المؤمنين، وزيّن لعائشة مصيرها إلى البصرة. وقد عدّ ابن أبي الحديد جماعة من الناس كانوا يبغضون علياً عليه السلام وأهله صحابة وغيرهم من التابعين وعدد أسماءهم انتهى.

وفي «أمالي الإمام المرشد بالله» عليه السلام أن عائشة لما بلغها وفاة علي

عليه السلام واستشهاده تمثلت بقول الشاعر:

فألقتْ عصاها واستقرّ بها النوى   كما قرَّ عيناً بالإياب المسافرُ[1]

قلت: ولا شبهة أن جميع أهل هذه المذاهب الأربعة من أهل النصب، لا يشك في ذلك ولا ينكره إلا مكابر، إلا من وفقه الله تعالى وعصمه فخرج من مذاهبهم الردية إلى مذهب العترة الزكية، كما قال بعضهم وقد تَزَيّد[2]:

إذا ما رأوني بعد ميلي إلى الهدى   أشاروا وقالوا: شافعي تَزَيّدا

ووالله ما بعت الهدى بضلالة   ولكنني بعت الضلالة بالهدى!

ومن عجائب أخبار النواصب وفضيع ما يروى عنهم، ما روى ابن أبي الحديد رحمه الله [3]: أن الحجّاج بن يوسف الثقفي قال يوماً لعبد الله بن هاني وهو رجل من بني أَوْد[4] حيّ من قَحْطان، وكان شريفاً في قومه، وقد شهد مع الحجّاج مشاهده كلها: والله ما كافأتك بعد، ثم أرسل إلى أسماء بن خارجة[5] سيّد فزارة: أن زَوِّجْ ابنتك من عبد الله بن هاني، فقال: لا والله ولا

---

(1) انظر أمالي المرشد بالله الأثنينية ٤٦١.

(2) تزيد: يعني رجع إلى مذهب الزيدية. والبيتان للحسن بن محمد العليف المتوفى سنة ٨٥٦هـ (أنظر مطلع البدور ٢/ ١٢١) وفيه جاء البيت الأول:

إذا ما رأوني من بعيد تغامزوا   علي وقالوا شافعي تزيدا

(3) في شرح نهج البلاغة ٤/ ٢٨١- ٢٨٢.

(4) هو أود بن صعب بن سعد العشيرة.

(5) أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة الفزاري، تابعي من أهل الكوفة، كان سيد قومه، توفي عام

كرامة. فدعا له بالسياط، فما رأى الشر في وجه الحجّاج زوج هاني، ثم بعث الحجاج إلى سعيد بن قيس الهمداني رئيس اليمانية[1] أن زَوِّج ابنتك من عبد الله بن هاني الأودي، فقال: ومن أَوْد! لا والله لا أزوجه ولا كرامة، فقال الحجّاج: عليّ بالسيف، فقال: دعني أشاور أهلي، فشاورهم، فقالوا: زَوِّجْه، ولا تعرِّض نفسك لهذا الفاسق، فزّوجه. فقال له الحجّاج: قد زوّجْتُك بنت سيد فزارة، وبنت سيد همدان وعظيم كهلان، وما أوْدٌ هناك! فقال: لا تَقُل ذلك، فإن لنا مناقبَ ليست لأحد من العرب، قال: وما هي؟ فقال: ما سُبّ أمير المؤمنين عبد الملك في نادٍ لنا قط، فقال: منقبة والله، قال: وشهد منا صفين مع أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان سبعون رجلاً، وما شهد مع أبي تراب منا إلا رجل واحد، وكان ما علمته امْرَأ سوء فقال: منقبة والله، قال: ومنا نسوة نَذَرْن إن قتل الحسين بن علي أن تنحر كل واحدة عشر قلائص[2]، ففعلن، فقال: منقبة ٍوالله، فقال: وما منّا رجل عُرِض عليه شتم أبي تراب ولعنه إلا فعل وزاد ابنيه حسناً وحسيناً وأمهما فاطمة، فقال: منقبة والله، قال: وما أحد من العرب له من الصباحة والملاحة ما لنا.

٦٦هـ. راجع الأعلام ١/ ١٣٥.

(١) في الأصل: «اليمامة». وهو تحريف صوبناه عن ابن أبي الحديد.

(٢) القلائص: جمع قلوص وهي الناقة الفتية.

فضحك الحجّاج وقال: أما هذه يا بن هاني فدعها لأنه كان دميماً، مشوّه الخلقة، شديد الأدمة[1]، مجدوراً[2]، في رأسه عوج[3]، مائل الشدق، شديد الحوَل.

قالوا: وكان جد الأصمعي من النواصب، ففي الرواية أنه جاء إلى الحجّاج فقال: إن أبوي عقاني فسمّياني علياً، فقال: ما أحسن ما توسلت به، فقد وليتك سَمِيّك[4] يعني شتمه، وأجريتُ لك كل يوم دانقين فلوساً، فإن تعديتهما قطعت باقي يديك. وإنما قال له ذلك لأنه كان قد سرق، فقال علي عليه السلام: من يشهد عليه أنه أخرجها من الحرز؟ فشُهد عليه بذلك، فأمر بقطع يده من أشاجعه[5] ، فقيل: ألا قطعته منْ زنده فقال: سبحان الله كيف يتوضأ؟ كيف يأكل؟ كيف يصلي؟ قال ابن خِلِّكان: ولما مات الأصمعي عبد الملك قال أبو قلابة[6]:

لعن الله أعظماً حملوها نحو دار البِلى على خشباتِ

(1) شديد الأدمة: أي شديد السمرة.

(2) المجدور: المصاب بمرض الجدي.

(3) عند ابن أبي الحديد: عجر. قال في هامش شرح النهج: في رأسه عجر: أي فيه عروق متعقدة. والعَجَر: النتوء وما يجتمع في الجسد كالسلعة والعقدة.

(4) عند ابن خلكان ٣/ ١٧٦: قد وليتك سمك البارجاه (موضع بالبصرة) وأجريت لك كل يوم دانقين فلوسا، فإن تعديتهما لأقطعن ما أبقاه علي من يديك.

(5) الأشاجع: أصول الأصابع. (مؤلف).

(6) وهو حبيش بن عبد الرحمن الجرمي، وقيل حبيش بن منقذ قاله المرزباني.

أعظماً تبغض النبيَّ وأهل الـ ـبيت والطيبين والطيباتِ

قلت: وهذا يدل على أنه ورث النصب من جده، ذكر ذلك في شرح الزحيف.

قلت: وحين قد جرى ذكره أذكر هنا غريبة من روايته، وإن كان ذكرها عند ذكر فضائل علي عليه السلام أليق، إلا أن الشيء بالشيء يذكر، والحديث ذو شجون، وقد صادفت محلها في إبطال الجبر إذ نحن بصدد ذمه وإبطاله؛ روى الأصمعي قال: قال لي هارون الرشيد ذات ليلة وأنا أسامره: يا أصمعي هل رأيت فيما دُرْتَ من البدو من يحسن اختلاقاً؟ قلت: نعم صحبني في بعض السنوات شاب ما أعلم أني رأيت مثله في فصاحة لهجته، وعذوبة منطقه، مع حداثة سنه، عالم بأيام العرب وأشعارها، ومعرفة وقائعها، فأخذت معه في بحر يضربني بأمواجه، فلما خفت الغرق قلت: يا أعرابي قد أحكمت الأشعار، ووعيت جميع الآداب، فكيف علمك بما تعبّدك الله به؟ فقال: اعلم إن أخذت ببعضه نلتُ أوفر النصيب من ثواب الله، قلت: فما تقول في القدر؟ قال: الرادّ على الله مأواه سقر، قلت: فما تقول في الجبر؟ قال: الله غني عن ظلم عباده، قلت: فما تقول في الإرجاء؟ قال: الإرجاء في العمل خير من الاتكال بالعلل، قلت: فمن تفضل علياً أو أبا بكر بن أبي قحافة؟ قال: والله ما سألت عن مسألة يرتاب فيها مثلي، ولا فضّلت تيس بني تيم على كبش بني هاشم، ولو أوجعني القاضي بدرته ضرباً.

قال: فاستلقى الرشيد على فراشه ضاحكاً، ثم استوى جالساً وقال: يا أصمعي: ما سمعت بمثلها أبداً ولا أوقع منها انتهى.

نعم وقد تضمنت هذه الثلاثة الأبيات قولهم بالجبر والقضاء والقدر ومسألة الرؤية؛ فقولنا: «**قضوا**» أي: حكموا بأن أفعال العباد خيرها وشرها من الله تعالى، وأن الله يرى يوم القيامة على تفصيل لهم في ذلك، وبعضهم يقول: يراه المؤمنون في الدنيا أيضاً، وتفرقوا فرقاً معروفة، وكلها مخالفة للفرقة الناجية، فهم أتباع كل ناعق، وسِيْقة كل سائق، وليس هذا موضع بيان أقوالهم والرد عليهم، فموضع ذلك أصول الدين، إلا أني استحببت ذكر ما سأل به أبو حنيفة موسى الكاظم بن جعفر الصادق عليهم السلام عن القول بالقدر، فقال عليه السلام: لا بد أن تكون المعاصي من الله تعالى أو من العبد، أو منهما جميعاً، فإن كانت من الله تعالى فهو أعدل من أن يأخذ عبده بشيء فعله فيه، وإن كانت منهما فهو شريك، والقوي أولى بإنصاف عبده الضعيف، وإن كانت من العبد وحده فعليه وقع الأمر.

فقال أبو حنيفة: ذرية بعضها من بعض. فأخذه بعضهم فقال:

لم تخلُ أفعالنا اللاتي نُذَم بها   إحدى ثلاث خصالٍ حين نأتيها
إمّا تفردُ مولانا بصنعتها   فاللوم يسقط عنّا حين ننشيها
أو كان يشركنا فيها فيلحقه   ما كان يلحقنا من لائمٍ فيها

أو كان أفعالنا منّا وقد سبقت   أوامرُ النهي عنها حين نبديها
سيعلمونَ غداً عند الحساب لهم   من كان مبدعها حقاً وقاضيها

وروي أن الحجّاج كتب إلى أربعة من العلماء، وهم: الحسن بن أبي الحسن البصري، وواصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد، وعامر الشعبي يسألهم عن القضاء والقدر، فأجابه أحدهم وهو الحسن البصري، وقال: لا أعرف فيه إلا ما قاله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فإنه قال: أتظن أن الذي نهاك دهاك، إنما دهاك أسفلك وأعلاك، والله ربك بريء من ذاك. وأجابه الثاني وهو واصل بن عطاء فقال: لا أعرف فيه إلا ما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فإنه قال: أتظن الذي فسّح لك الطريق لزِم عليك المضيق. وأجابه الثالث وهو عمرو بن عبيد وقال: لا أعرف فيه إلا ما قاله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فإنه قال: إذا كانت المعصية من الله حتماً كانت العقوبة من الله عليها ظلماً. وأجابه الرابع وهو عامر الشعبي وقال: لا أعرف فيه إلا ما قاله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فإنه قال: ما حمدتَ الله عليه فإنه منه، وما استغفرت الله تعالى منه فهو فعلك. يعني أنك تحمده على نعمه، وتستغفره من ذنوبك. فلما بلغ ذلك الحجّاج قال: قاتلهم الله، لقد أخذوها من عين صافية.

وروي أن علماء البصرة اختلفوا في القضاء والقدر فكتبوا إلى الحسن بن

علي

عليه السلام يسألونه عن ذلك، فأجابهم عليه السلام بما لفظه: من لا يؤمن بقضاء الله وقدره خيره وشره فقد كفر، من حمل ذنبه على الله فقد فجر، إن الله لا يطاع باستكراه. وسيأتي ذكر أول من قال بالقدر إن شاء الله تعالى، وزيادة إيضاح في إبطاله[1].

ومسألة الرؤية لا شك في استلزامها التجسيم، فمن قال بذلك فهو مجسم مشبّه.

وكمْ لهم من مقالاتٍ بها ذهبوا ... عن مذهب الرُّشد في العَوْجا من السبل

تسترّوا لابن إدريسٍ بمذهبه ... فيما يقول وحاشاه عن الخطل [2]

كلَّ المذاهب قد نَمُّوا وقد مُقِتوا ... إلا الزيود فهُمْ بالعدل في زحل

حنو بحنو بني المختار واتّبعوا ... في علمهم مذهب الأبرار والرسل

ونزهوا ربَّهُمُ عن كل فاحشةٍ ... وجانبوا الجبرَ والتشبيه للأزل

أَنْعم بها فرقة بالآي عاملة ... لسنة المصطفى أَحْيَت ولم تمل

تنجو بيوم غد إن جاء قائدُها ... أئمة من بني الزهراء كلُّ ولي[3]

بشرى لها برضا المختار مذهبها ... وحفظها آله عن كل ذي دَغَل

---

(1) راجع ذلك في الجزء الرابع ص ٣٧٤ وما بعدها.

(2) يعني نسبوا ما قالوه إلى ابن إدريس وهو الشافعي رضي الله عنه، وجعلوه مذهباً له. (مؤلف).

(3) نسخة: زيد ويحيى وأهل البيت كل ولي. (مؤلف).

أفنوا نفوسهم حفظاً لحرمتهم بين الأسنّة والأسياف والخول

وكيف لا ولها الأسلاف خير بني الـ ـدنيا[1] السفينة عن لفظ الرسول تُلِي

أسلافها خير أسلاف وفضلهم قد عمّ كلَّ الورى في السهل والجبل

فأولاً سيّد الإسلام قاطبة بلا خلاف به يعتد ذو جدل

مولى اللواء أمير المؤمنين وصي الـ ـمصطفى ختم الأنبياء والرسل

هو الخليفة بالنص الجلي ودع قول الغواة وأهل الجبر والجدل

هو الإمام فما تيم وإن ظلموا ولا عدي لما قد ناله تنل

حاشاه أن تبلغ الأقوام رتبته أو أن يقاسوا به في العلم والعمل

صهر الرسول أبو السبطين حيدرة حامي الحقيقة مُرْوِي البِيض والأسل

من رُدّت الشمس من بعد الغروب له وحين صلّى جرت كالسهم في عجل

صلى عليه إله العرش ما طلعت شمس النهار على حافٍ ومنتعل

فما ثناه أبو بكر وصاحبه عن رتبة هو عنها غير منتقل

بل جرّعاه وبنت المصطفى جرعاً بالغيظ قد أشربا علاً على نهل

وماتت الطّهْر حقاً وهي غاضبةَ عليهما ونهت أن يحضرَا لعلي

هذه الأبيات يستغرق شرحها مجلدات.

لكنني أشير إلى نبذٍ يسيرة مما يحتاج إلى ذكره. فقوله: «**قد ذموا وقد**

---

(1) نسخة: بني حوى. (مؤلف).

مقتوا » إشارة إلى ما ذكره العلامة الدامغاني في رسالته[1]، فإنه صرّح فيها بعيب كل مذهب، وذكر مذهب الزيدية وذمهم بما هو مدح في الحقيقة من التحري في إمام الصلاة، والتشكك في الطهارة، وإسباغ الوضوء. ومن أراد استقصاء ذلك بحث عنه على أن من نزّه الله عن الفواحش، وتأدب في حق الله، ولم يجسّمه ويشبّهه بخلقه فهو المحق والحق معه، وهو أحق أن يتبع، لا من ينزه نفسه، وينسب معصيته وفعله إلى الله تعالى، كمذهب هؤلاء المجبرة من الحنفية المرجئة، والشافعية المجبرة القدرية، والصوفية الحلولية، والإمامية، والإسماعيلية، والمطرفية، وفرق الباطنية، وغيرهم من الفرق الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً.

وقوله: «**السفينة عن لفظ الرسول**» إشارة إلى قوله ص: «أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق وهوى». وقوله ص: « فأين يُتَاه بكم عن علمٍ تنوسخ من أصلاب أصحاب السفينة حتى صار في عترة نبيكم».

وقوله ص: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي كتاب الله وعترتي أهل بيتي إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»

---

(1) الدامغاني: هو عبد الصمد بن عبد الله الدامغاني مؤلف رسالة المذكورة؛ واسمها كما جاء في طرة مخطوطتها: «الجوهرة الخالصة عن الشوائب في العقائد المذمومة على جميع المذاهب». (أنظر الأعلام للزركلي ٤/ ١٠ مطلع البدور ١/ ١٠٢.

إلى غير ذلك من الأحاديث التي رواها الموالف والمخالف، وتلقتها الأمة بالقبول؛ قال الإمام المنصور بالله عليه السلام: الأحاديث الواردة فيهم عليهم السلام من رواية الموالف والمخالف قريب من ألف ألف حديث. وسيأتي عند ذكر فضائلهم في آخر الكتاب إن شاء الله تعالى ما تيسر جمعه من ذلك.

وقوله: «**بلا خلاف به يعتد ذو جدل**» يعني: بين أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم، وأكثر الأمة إلا من كفّره من الخوارج، ومن يقول بمقالتهم.

وقوله: «**سيد الإسلام**» أي سيد المسلمين، فهو على تقدير حذف مضاف، أي سيّد أهل الإسلام، وذلك إشارة إلى قوله ص : «علي سيد العرب».

فقالت عائشة: يا رسول الله، ألست سيد العرب؟ فقال ص: « أنا سيد البشر وهو سيد العرب» ومن كان سيد العرب فهو سيد العجم؛ لأن العرب أفضل من العجم بلا خلاف، إلا عند الشُّعوبية[1]، ولا يعتد بخلافهم.

وقوله: «**مولى اللواء**» إشارة إلى قوله ص لعلي عليه السلام في حديث لفظه: « يا علي إني سألت الله تعالى فيك خمساً، فمنعني واحدة وأعطاني أربعاً، سألته: أن تجتمع عليك أمتي فأبى علي، وأعطاني فيك أنك أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة، وأنت معي ومعك لواء الحمد

---

(1) الشعوبية: هم الذين يصغرون شأن العرب ولا يرون لهم فضلا على غيرهم (أساس البلاغة: ٤٧٧).

تحمله[1] أسبق الأولين والآخرين، وأعطاني أنك أخي في الدنيا والآخرة، وأعطاني أن بيتك مقابل بيتي في الجنة، وأعطاني أنك ولي المؤمنين [بعدي]».

***

(1) في كنز العمال ١١/ ٦٢٥: وأنت تحمله بين يدي تسبق به الأولين والآخرين.

[ذكر فضائل الإمام علي بن أبي طالب (ع)]

وعن زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام قال: لي عشر من رسول الله ص ما أحب أَنْ لي بإحداهنَّ ما طلعت عليه الشمس، قال لي: « يا علي أنت أخي في الدنيا والآخرة، وأقرب الخلائق مني في الموقف[1] يوم القيامة، ومنزلي يواجه منزلك في الجنة كما يتواجَه[2] منزل الأخوين في الله، وأنت الولي، والوزير، والوصي، والخليفة في الأهل والمال و [في] المسلمين في كل غَيْبة، وأنتَ صاحب لوائي في الدنيا والآخرة، وليك وليي ووليي ولي الله، وعدوك عدوي وعدوي عدو الله».

وفي كتاب «الفردوس» لابن شيرويه الديلمي ذكره في قافية الواو رفعه بإسناده إلى أبي سعيد الخدري عن النبي ص في قوله تعالى: ﴿ **وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ**﴾ [الصافات:٢٤] عن ولاية علي بن أبي طالب.

وقال له النبي ص: «إنك تقاتلُ على تأويل القرآن كما قاتلتَ على تنزيله». وقال ص: «ستكون من بعدي فتن[3] فإذا كان كذلك فالزمّوا علي بن أبي طالب، فإنه أول من يراني يوم القيامة، وأول من يصافحني، وهو

---

(1) في الأصل: «المواقف» والتصويب عن أمالي أبي طالب ١٠٨.

(2) في الأصل: «يواجه».

(3) في الاستيعاب ولوامع الأنوار ٢/ ٥٠٦: ستكون بعدي فتنة فإذا كان ذلك.

الصديق الأكبر، وهو فاروق هذه الأمة، وهو يعسوب المؤمنين».

وقال ص: «لا يدخل الجنة إلا من جاء بجواز من علي بن أبي طالب».

وقال ص: «إنما مثل علي في هذه الأمة مثل الوالد».

وروي عنه ص أنه قال: « إن الله خلق روحي وروح علي قبل أن يخلق[1] آدم بما شاء الله تعالى، فلما أن خلق آدم أودع أرواحنا صلبه، فلم يزل ينقلها من صلب طاهر إلى رحم طاهر لم يصبها دَنَس الشرك ولا عَهْر الجاهلية، حتى أقرها في صلب عبد المطلب، ثم أخرجها من صلبه فقسمها نصفين[2]، فجعل روحي في صُلب عبد الله، وروح علي في صلب أبي طالب، فعلي مني وأنا من علي، نفسه كنفسي، وطاعته كطاعتي، لا يحبني من يبغضه، ولا يبغضني من يحبه» رواه ابن بابويه القمي.

وروي أيضاً عن أبي ذر وجابر عن النبي ص قال: «خلقت أنا وعلي بن أبي طالب من نور واحد، قد سبح الله يمنة العرش قبل أن يخلق آدم بألفي عام، فلما أن خلق الله آدم جعل ذلك النور في صلبه، ولقد سكن الجنة ونحن في صلبه، ولقد همَّ بالخطيئة ونحن في صلبه، ولقد ركب نوح السفينة ونحن في صلبه، ولقد قُذِف إبراهيم في النار ونحن في صلبه، فلم يزل ينقلنا الله تعالى من أصلاب طاهرة إلى أرحام طاهرة حتى انتهى بنا إلى عبد

---

(1) في الأصل: «خلق» وكذلك الحال فيما سيأتي قريبا.

(2) في تنبيه الغافلين ١٦١: فقسمها قسمين.

المطلب، فقسمنا نصفين، فجعلني في صلب عبد الله، وجعل علياً في صلب أبي طالب، وجعل فيّ النبوة والبركة، وجعل في علي الفصاحة والفروسية، وشق لنا اسمين من أسمائه، فذو العرش محمود وأنا محمد، والله الأعلى وهذا علي» وزاد جابر: «فعلي شقيقي، وأخي، ووارثي، وأبو ولدي، محبه محبي، ومبغضه مبغضي، ووليه وليي، وعدوه عدوي، وناصره ناصري، وخاذله خاذلي».

وقال الحاكم أبو سعد رضي الله عنه في «السفينة»:

وخيرُ هذا الخلقِ بعد المصطفى وصيُّه أَزْكى وصيٍّ عُرِفا

لم يعرِف الأوثانَ والأصناما أسبق مَنْ قد قَبِل الإسلاما[1]

صيّره هارونَه في أهله وكان بابُ علمه لفضله

ابسط إذا شئت غدير خُمِّ واقرأ على آذان قومٍ صُمّ

قال فيها شرحاً: لأن النبي ص لما انصرف من حجة الوداع ووصل غدير خم في يوم حار، ووضع له شيء عال، فقام عليه بعد أن أمر بالدَّوَحات فَقُمَّ[2] ما تحتهن من شوك، ثم قال: «الحمد لله نحمده ونستعينه، ونؤمن به، ونتوكل عليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمداً عبده ورسوله، أما بعد: أيُّها النّاس! فإنه

(1) في الأصل: «أسبق من قد قيل في الإسلاما» والتصويب عن عندنا.

(2) القم: ما يُقَمّ ويكنس، والقمامة: الكناسة.

لم يكن لنبيٍّ من العمر إلا نصف من عمِّر [من] قبله، وإنّ عيسى لبث في قومه أربعين سنة، وإني قد أسرعت في العشرين، ويوشك أن أفارقكم، ألا إني مسؤول وأنتم مسؤولون، فهل بلّغتكم؟ فماذا أنتم تقولون؟» فقام من كل ناحية مجيب يقول: أشهد أنك عبد الله ورسوله، فقد بلّغت رسالاته، وجاهدت في سبيله، وصدعت بأمره، وعبدته حتى أتاك اليقين. فقال: «ألستم تشهدون أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن الجنّة حق، وأنّ النار حق، وتؤمنون بالكتاب كله؟» قالوا: بلى، قال: « فإنّي أشهد أن قد صدقتموني[1]، ألا وإني فَرطكم[2] وأنتم تبعي، توشكون أن ترِدوا عليَّ الحوض فأسألكم عن ثَقَليَّ كيف خلفتموني فيهما؟». فقال رجل: بأبي وأُمّي ما الثقلان؟ قال: « كتابُ الله فتمسكوا به ولا تولوا ولا تضلوا، والأصغر منهما عترتي فلا تقتلولهم ولا تقهروهم، فإني سألت اللطيف الخبير فأعطاني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، ناصرهما لي ناصر، وخاذلهما لي خاذل، ووليهما لي ولي، وعدوُّهما لي عدو». ثم أخذ بيد علي عليه السلام وقال: « أيها الناس! ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: بلى يا رسول الله، فرفعه حتى رأينا بياض إبطيهما، ثم قال: «من كنتُ مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله» قالها ثلاثاً.

---

(١) في المصادر: قد صدقتكم وصدقتموني. راجع مناقب ابن المغازلي ٣٠.

(٢) الفرط: الذي يتقدم الوارد.

فقال حسان بن ثابت أبياتاً، واستأذن النبي ص في إنشادها فأذن له فقال:

يناديهمُ يومَ الغدير نبيُّهم بِخُمٍّ وأسمعْ بالنبي مناديا

وقال: فمن مولاكُمُ ونبيُّكم؟ فقالوا ولم يبدوا هناك تعاميا:

إلهك مولانا وأنت نبيُّنا وما لك منّا في الولاية عاصيا

فقال له قم يا عليُّ فإنني رضيتك من بعدي إماماً وهاديا

هناك دعا اللهم والِ وليَّه وكن للذي عادى علياً معاديا

قال في «النهاية»: فقال أسامة لعلي رضي الله عنه: لست مولاي إنما مولاي رسول الله، فقال رسول الله ص: « من كنت مولاه فعلي مولاه».

وسئل جعفر الصادق عن قوله ص: «من كنت مولاه فعلي مولاه» فقال جعفر: سئل رسول الله ص فقال: « الله مولاي أولى بي من نفسي لا أمر لي معه، وأنا مولى المؤمنين أولى بهم من أنفسهم لا أمر لهم معي، ومن كنت مولاه أولى به من نفسه، فعلي مولاه أولى به من نفسه لا أمر له معه»( ).

قلت: وهذا نص جلي على إمامته عليه السلام، وإليه أشار الإمام المنصور بالله عليه السلام في أرجوزته:

والنّص فيه ظاهر جلي يوم الغدير ساعة الإحفالِ

وإليه أشرنا في الدامغة بقولنا: «**بالنص الجلي**» مع ما سنذكره من الآيات

( ) أخرجه محمد بن سليمان الكوفي في المناقب ٢/ ٣٧٧، والمؤيد بالله في أماليه ١٠٢.

والأخبار.

وعن علي عليه السلام: دخلتُ على رسول الله ص فوضع رأسه في حِجْر دِحْية الكلبي، فسلمت عليه، فقال لي دِحْية: وعليك السلام يا أمير المؤمنين، وفارس المسلمين، وقائد الغُرِّ المحجّلين، وقاتل الناكثين والمارقين والقاسطين، ثم قال: خذ رأس نبيك في حِجْرك، فلما دنوت من رسول الله ص ووضع رأسه في حجري لم أر دحية، وفتح الرسول ص عينيه وقال: يا علي من كنت تكلم؟ فقلت: دحية وقصصت عليه القصة، فقال: لم يكن ذلك دحية، وإنما كان جبريل أتاك ليعرفك أن الله سمّاك بهذه الأسماء.

قال في «محاسن الأزهار»: وفي حديث أم سلمة: أنه قال ص لعلي: «أما والله إنك مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، يا أم سلمة: هذا علي أمير المؤمنين، وسيد الوصيين» قال فيه: وهذا نص على إمامته؛ لأن هذه اللفظة لا تطلق إلا على الإمام بإجماع الأمة، وإن جاز ذكرها مع التقييد، فيقال: أمير المصر وأمير الجند.

وقال ص: «إن علياً مني وأنا منه، وهو ولي كل مؤمن ومؤمنة».

وقال ص: «علي خير البشر فمن أبى فقد كفر».

وقال ص: « يا علي من أطاعك فقد أطاعني، ومن عصاك فقد عصاني، ومن أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله تعالى».

وقال ص: «من آذى علياً فقد آذاني، ومن سب علياً فقد سبني».

وقال ص وقد نظر إلى علي عليه السلام: «أنت سيّد في الدنيا، وسيّد في الآخرة: من أحبّك فقد أحبني، وحبيبك حبيب الله، ومن أبغضك فقد أبغضني، وبغيضك بغيض الله سبحانه وتعالى، والويل لمن أبغضك بعدي».

وروي أنه ص بكى فقال علي: ما يبكيك يا رسول الله؟ فقال: « ضغائن في صدور قوم يبدونها لك من بعدي» قلت: بسلامة من ديني؟ قال: «بسلامة من دينك».

وقال ص: «اللهم أدر الحق معه حيث دار».

وقال ص: «النظر إلى وجه علي عبادة».

وقال ص: «أوحي إلي في علي أنّه سيد المسلمين، وإمام المتقين، وقائد الغُرِّ المحجّلين».

وعن أنس بن مالك أنه قال: قال رسول الله ص: «أين علي»؟ فقام إليه، فقال ص بأعلى صوته: « يا معاشر المسلمين هذا علي بن أبي طالب، هذا شيخ المهاجرين، هذا أخي وابن عمي وحبيبي، هذا لحمي ودمي وشعري، هذا

أبو السبطين الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة، مفرِّج الكرب عني، هذا أسد الله وسيفه في أرضه على أعدائه، فعلى مبغضه لعنة الله ولعنة اللاعنين» آمين.

وقال ص: «حق علي على المسلمين حق الوالد على ولده».

وقال ص: «حب علي يأكل السيئات كما تأكل النار الحطب».

وقال ص: «والذي بعثني بالحق نبياً لقد أخبرني جبريل: أن الجنة أشوق إليك منك إلى الجنة»[1].

وقال ص: «إنك تقاتل الناكثين والمارقين والقاسطين».

وعنه ص: «علي مني وأنا منه».

وعنه ص: «لو أن رجلاً عبدَ الله ألف سنة بعد ألف سنة حتى صار كالحنايا، وصام حتّى صام كالوَتَر، وعبدَ الله بين الركن والمقام ثم لقي الله وفي قلبه بغض علي لكبّه الله على منخره في النار»[2].

وعنه ص: «من سبّك فقد سبّني، ومن سبني فقد سب الله سبحانه وتعالى».

وعنه ص: «حربك حربي وسِلْمك سِلْمي».

وعن أبي ذر قال: دخلت على رسول الله ص في مرضه الذي مات منه، فوجدتُه مغمى عليه، ملقى في حِجْر علي بن أبي طالب عليه السلام فلما أفاق

---

(1) أضاف في أنوار اليقين بعد ذلك قوله: يعني أهل الجنة.

(2) رواه الإمام الحسن بن بدر الدين عن القاضي عبد الجبار بلفظ: لو أن رجلا عبد الله ألف عام بعد ألف عام بين الركن والمقام، ثم لقي الله جل اسمه وفي قلبه مثقال ذرة من بغض علي لكبه الله على منخره في النار.

قال: يا أبا ذر، أيّما عبد مؤمن يصلي ركعتين في ظلام الليل لم يرد بهما أحداً إلا الله تعالى دخل الجنّة، ثم أغمي عليه، فلما أفاق جلس متكئاً على صدر علي عليه السلام وجعل يده في صدره ورأسه في حجره وقال: يا أبا ذر، أيّما عبد مؤمن صام تطوعاً يوماً لم يرد به إلا الله سبحانه وتعالى دخل الجنة، يا أبا ذر أفأزيدك؟ قلت: نعم، قال: من حشره الله يوم القيامة محبّاً لهذا الرجل - وجعل يده في صدر علي عليه السلام - دخل الجنة.

وعنه ص: «يا علي لو أن أمتي صاموا حتى يكونوا كالحنايا[1]، وصلوا حتى يكونوا كالأوتار، وبغضوك لأكبهم الله في النار».

وفي كتاب « درر السِّمْطين»[2]: عن عمار بن ياسر قال: سمعت رسول الله ص يقول لعلي: « إن الله تعالى زينك بزينة لم يزين العباد بزينة هي أحب إليه منها: الزهد في الدنيا، وحبك للمساكين[3]، فجعلك ترضى بهم أتباعاً، ويرضون بك إماماً، فطوبى لمن أحبك وصدق فيك، وويل لمن أبغضك وكذب عليك، فأما من أحبك وصدق فيك فهم رفقاؤك في الجنة، ومجاوروك في دارك، وأما من أبغضك وكذب عليك فإنه حق على الله أن يوقفه موقف الكذابين».

وروي أنه ص قال لعلي: «كذب من زعم أنه يحبني ويبغضك، يا علي

---

(1) الحنايا: جمع حنية وهي القسي الواحدة.

(2) لمؤلفه محمد بن يوسف الزرندي الشافعي، توفي ٧٤٧هـ.

(3) في الاعتصام ١/ ٦٢: المساكين.

من أحبك فقد أحبني، ومن أحبني أحبه الله، ومن أحبه الله أدخله الجنة، ومن أبغضك فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغضه الله، ومن أبغضه الله أدخله النار».

وروي أن النبي ص قال له: «الويل لمن أبغضك بعدي».

ذكر هذه الثلاثة الأحاديث في «الاعتصام» للإمام المنصور بالله القاسم بن محمد رحمه الله تعالى عن كتاب درر السمطين.

***

وعلى الجملة فإنها لو جرت أقلام شيعته بتحرير فضائله وفواضله لكَلّت، ولو كان البحر مداداً لكتب مناقبه لما انحصرت، وفي ذلك حديث سيأتي في آخر الكتاب عن الشُّقَيْف[1] وحديث في أول فصل فضائله سيأتي قريباً إن شاء الله تعالى، وذلك لما خصه الله به من الفضائل الجمَّة الكثيرة، والفواضل العامة الشهيرة.

فلو ادّعى مدعٍ الحصرَ لفضائله لظلمه، كما قلتُ في بعض قصائدي التي تضمّنها قِمْطَري[2]، ووعظت بها نفسي وغيري، ومدحته فيها بشيء مما

[1] هو أبو القاسم بن محمد بن الحسين الشقيف: أحد علماء الزيدية في القرن الثامن الهجري، وله مصنفات في الحديث منها كتاب السنام. وكان موجودا عام ٧٥٤هـ (أنظر مطلع البدور ٤/ ١٠٥، طبقات الزيدية ٣/ ١٢٩٦ باب الكنى.

[2] القمطر: ما تصان فيه الكتب.

حضرني حال إنشائها، وبذهني[1] في وقت نظمها، فمنها[2]:

وكمْ أعدُّ وكمْ أحصي لحيدرةٍ	مناقباً لو حصرْناها ظلمناه
لكنّني بيسير القولِ مكتفياً	إذ ليس ينفع ذا العِدْوان كُثْراه
وقد أشرتُ بما فيه لمهتدي	هدىً وذكرى لمن طابت سجاياه
وللنّواصب خطباً جلَّ موقعه	خطباً لديهم وعمّتهم رزاياه
نظماً هو الدر في سلك لغانيةٍ	بيضاء قد زانها درٌّ نظمناه
أرجو به الفوزَ في يوم يقوم به الـ	ـرُّوح الأمين وفي أخرايَ ألقاه
ضمّنته ما جنَتْ كفي وما حملت	نفسي من الوِزْر لكن حسبيَ الله[3]

***

فصل [في فضائله منقول عن شرح النهج]

قال العلامة ابن أبي الحديد المحب المودّ عبد الحميد في أول «شرح نهج البلاغة» في **ذكر فضائله عليه السلام** ما لفظه: إنها قد بلغت من العِظَم والجلالة والانتشار والاشتهار مبلغاً يسمُجُ معه التعرّض لذكرها، والتصدِّي

(1) وربما كانت: وبدهني؛ لأن الكلمة جاءت غير منقوطة.

(2) ستأتي كاملة في الجزء الرابع ص ٥٢١-٥٢٨.

لتفصيلها؛ فصارت كما قال أبو العيناء لعبيد الله [بن يحيى] بن خاقان: رأيتُني فيما أتعاطَى من وصف فضلك، كالمخبرِ عن ضَوْء النهار الباهر، والقمر الزاهر، الذي لا يخفى على الناظر، فأيقنت أنِّي حيث انتهى بيَ القولُ منسوب إلى العَجْز، مقصّر عن الغاية، فانصرفت عن الثناء عليك إلى الدعاء لك، ووكلت الإخبارَ عنك إلى علم الناس بك.

قال: وما أقولُ في رجل أَقَرّ له أعداؤه وخصومه بالفضل، ولم يمكنهم جَحْد مناقبه، ولا كتمانُ فضائله، فقد علمتَ أنه استولى بنو أميةَ على سلطان الإسلام في شرق الأرض وغربها، واجتهدوا بكل حيلة في إطفاء نوره، ووضع المعايب والمثالب له، ولعنوه على جميع المنابر، وتوعّدوا مادِحِيه، بل حبسوهم وقتلوهم، ومنعوا من رواية حديث يتضمّن له فضيلة، أو يرفع له ذكراً، حتى حظروا أنْ يسمَّى أحد باسمه؛ فما زاده ذلك إلا رفعةً وسُمُوّاً؛ وكان كالمسك كلما سُتِر انتشر عَرْفه، وكلّما كُتِم تضوَّع نَشْرُه، وكالشمس لا تُسْتَر بالراح، وكضوء النهار إن حُجِبت عنه عين واحدة، أدركته عيون كثيرة.

وما أقول في رجل تُعْزَى إليه كلُّ فضيلة، وتنتمي إليه كل فرقة، وتتجاذبه كلُّ طائفة، فهو رئيس الفضائل وينبوعها، وأبو عُذْرتها[1]، وسابق مضمارها، ومجلِّي حَلْبتها، كلُّ مَنْ برع فيها بعده فمنه أخذ، وله اقتفى، وعلى مثاله احتذى.

---

[1] أبو عذرتها: الذي افتض بكارة المرأة، ثم استعمل لكل من يأتي بشيء لم يسبق إليه.

وقد عرفتَ أن أشرف العلوم هو العلم الإلهي، لأنّ شرف العلم بشرف المعلوم، ومعلومه أشرف الموجودات، فكان هو أشرفَ العلوم، ومن كلامه عليه السلام اقتبس، وعنه نقل، وإليه انتهى، ومنه ابتدأ؛ فإن المعتزلة - الذين هم أهلُ التوحيد والعدْل وأرباب النظر، ومنهم تعلَّم الناس هذا الفن - تلامذته وأصحابه؛ لأن كبيرهم واصل بن عطاء تلميذُ أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفيّة، وأبو هاشم تلميذ أبيه، وأبوه تلميذه عليه السلام. وأما الأشعريّة: فإنهم ينتمون إلى أبي الحسن علي [بن إسماعيل] بن أبي بشر الأشعري، وهو تلميذ أبي علي الجُبّائي، وأبو عليّ أحد مشايخ المعتزلة، فالأشعرية ينتهون إلى أُستاذ المعتزلة ومعلّمهم، وهو علي بن أبي طالب عليه السلام.

وأما الإمامية والزيديّة فانتماؤهم إليه ظاهر.

ومن المعلوم علم الفقه: وهو عليه السلام أصله وأساسه، وكلّ فقيه في الإسلام فهو عيال عليه، ومستفيد من فقهه؛ أما أصحابُ أبي حنيفة كأبي يوسف ومحمد وغيرهما فأخذوا عن أبي حنيفة، وأما الشافعيّ رحمه الله فقرأ على محمد بن الحسن، فرجع فقهه أيضاً إلى أبي حنيفة؛ وأما أحمد بن حنبل فقرأ على الشافعي، فرجع فقهه إلى أبي حنيفة؛ وأبو حنيفة قرأ على جعفر الصادق بن محمد الباقر، وجعفر قرأ على أبيه محمد الباقر، وينتهي الأمر إلى علي عليه السلام. وأما مالك فقرأ على ربيعة الرأي، وقرأ ربيعة على عِكْرمة، وقرأ

عِكْرمة على ابن عباس، وقرأ ابن عباس على علي عليه السلام.

وأما فقه الشيعة فمرجوعه إليه ظاهر، وأيضاً فإن فقهاء الصحابة كعمر[1] بن الخطاب وابن عباس، وكلاهما أخذ عن علي عليه السلام. أما ابنُ عباس فظاهر، وأمّا عمر فقد عَرَف كل أحدٍ رجوعَه إليه في كثير من المسائل التي أشكلت عليه وعلى غيره، وقولَه غير مرّة: «لولا عليٌّ لهلك عمر»، وقولَه: «لا بقيتُ لمعضلة وليس فيها أبو الحسن»، [وقوله]: «لا يُفْتِيِنَّ أحد في المسجد وعليّ حاضر»، فقد عُرِف بهذا الوجه أيضاً انتهاء الفقه إليه.

وقد روت العامة والخاصّة قوله ص «أقضاكم عليّ» والقضاء: هو الفقه؛ فهو إذاً أفقهُهم. وروى الكلّ أيضاً أنه ص قال له وقد بعثه إلى اليمن قاضياً: «اللهمّ اهدِ قلبه، وثبِّت لسانه»، قال: فما شككتُ بعدها في قضاء بين اثنين، وهو الذي أفتى في الحامل الزانية، وهو الذي أفتى في المرأة التي وضعت لستة أشهر، وهو الذي قال في المِنْبريّة[2]: صار ثُمْنُها تُسْعاً. وهٰذه مسألة لو فكر الفَرَضيّ فيها فكراً طويلاً لاستُحسن منه بعد طول النظر هذا الجواب، فما ظنّك فيمن قاله بديهة، واقتضبه ارتجالاً.

ومن العلوم تفسير القرآن: وعنه أُخِذ، ومنه تفرّع، وإذا رجعتَ إلى كتب التفسير علمتَ صحة ذلك، لأن أكثره[3] عنه وعن ابن عباس، وقد علم الناس

---

(1) في الأصل: «كابن عمر» وفي الهامش كتب المؤلف ما نصه: أظنه كعمر لدلالة سياق الكلام عليه.

(2) سميت المنبرية لأنه سئل عنها وهو على المنبر انظر قصتها في النهاية لابن الأثير ٣/ ١٣٩.

(3) في الأصل: «لأن كثيره».

حالَ

ابن عباس في ملازمته له وانقطاعه إليه، وأنّه تلميذُه، وخرّيجه. وقيل له: أين علمك من علم ابن عمّك؟ فقال: كنِسْبة قطرة من المطر إلى البحر المحيط.

ومن العلوم علمُ الطريقة والحقيقة وأحوال التصوّف: وقد عرفتَ أن أربابَ هذا الفن في جميع بلاد الإسلام إليه ينتمون، وعنده يقفون؛ وقد صرّح بذلك الشِّبْلي، والجنيد، وسَرِيّ السقطي، وأبو يزيد[1] البِسْطامي، ومعروف الكرخي وغيرهم. ويكفيك دلالة الخِرْقة التي هي شعارهم إلى اليوم، وكونهم يُسنِدونها بإسناد متّصل إليه.

ومن العلوم علم النّحو والعربية: وقد علم الناس كافة أنّه هو الذي ابتدعه وأنشأه، وأمْلَى على أبي الأسود الدؤلي جوامعَه وأُصوله، من جملتها: الكلام كلّه ثلاثة أشياء: اسم، وفعل، وحرف جاء لمعنى، ومن جملتها تقسيم الكلمة إلى معرفة ونكرة، وتقسيم وجوه الإعراب إلى الرفع والنصب والجر والجزم، وهذا يكاد يُلحق بالمعجزات؛ لأن القوى البشريّة لا تقوى لهذا الحصر، ولا تنهض بهذا الاستنباط.

وإن رجعتَ إلى الخصائص الخُلُقية، والفضائل النفسانية والدينية، وجدتَه

---

(1) في الأصل: «وأبو زيد البسطامي» وهو خطأ.

ابن جَلاها وطَلاّع ثناياها[1].

وأما الشجاعة: فإنه أنسَى الناسَ فيها ذكر مَنْ كان قبله، ومحا اسمَ من يأتي بعده، ومقاماتُه في الحرب مشهورة يُضرب بها المثل إلى يوم القيامة؛ وهو الشجاع الذي ما فرّ قط، ولا ارتاع من كتيبة، ولا بارز أحداً إلا قتله، ولا ضرب ضربة قط فاحتاجت الأُولى إلى ثانية؛ وفي الحديث: «كانت ضَرَبَاته وتراً»[2]. ولما دعا معاويةَ للبراز قال له عمرو: لقد أنصفك، فقال: ما غششتني منذ صحبتني إلا اليوم، أتأمرني بمبارزة أبي الحسن وأنت تعلم أنه هو، أراك طمعت في إمارة الشام بعدي! وكانت العرب تفتخر بوقوفها في الحرب في مقابلته، فأما قتلاه فافتخارُ رهطِهم بأنّه عليه السلام قتلهم أظهرُ وأكثر، قالت أُخت عمرو بن وَدّ ترثيه:

لو كان قاتلُ عمرو غيرَ قاتِله ... بكيتُه ما أقام الرُّوحُ في جَسَدي

لكنَّ قاتِلَهُ مَنْ لا نظير له ... وكان يُدْعَى قديماً[3] بَيْضة البلدِ

وانتبه معاوية يوماً، فرأى عبد الله بن الزبير جالساً تحت رجليه على سرير فقعد، فقال له عبد الله: يا أميرَ المؤمنين، لو شئت أن أفْتِكَ بك لفعلت، فقال: لقد شَجُعت بعدنا يا أبا بكر! فقال: وما الذي تنكره من شجاعتي وقد

---

(1) قوله: ابن جلاها وطلاع ثناياها: أي عالم بأمورها.

(2) قال في صحاح الجوهري: كانت ضربات علي رضي الله عنه أبكارا؛ إذا اعتلى قد، وإذا اعترض قطَّ. قَطَطْتُ الشيء أقُطُّه: إذا قطعته عرضاً، ومنه قطُّ القلم. (مؤلف).

(3) أعلى الكلمة بخط المؤلف: أبوه (نسخة).

وقفتُ في الصف بإزاء عليّ بن أبي طالب! فقال: لا جَرَم[1] إنه قتلك وأباك بيسرى يديه، وبقيتِ اليمنى فارغةً، يطلب من يقتله بها. وجملة الأمر أن كلّ شجاع في الدنيا إليه ينتمي، وباسمه ينادي في مشارق الأرض ومغاربها.

وأما القوة والأيْد[2]: فبه يُضرب المثل فيهما؛ قال ابن قتيبة في «المعارف»: وما صارع أحداً قطّ إلا صَرعه. وهو الذي قلع باب خيبر، واجتمع عليه عُصبة من الناس لِيُقِلّوه فلم يقلوه، وهو الذي اقتلع هُبَل من أعلى الكعبة، وكان عظيماً جداً، فألقاه على الأرض. وهو الذي اقتلع الصخرة العظيمة في أيام خلافته بيده بعد عَجْز الجيش كله عنها، فنبع الماء من تحتها.

وأمّا السخاء والجود: فحاله ظاهر، كان يصوم ويَطْوِي، ويُؤثر بزاده؛ وفيه أنزل الله تعالى: ﴿ **وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا**﴾ [الإنسان: ٩] وروى المفسرون: أنه لم يكن معه إلا أربعة دراهم؛ فتصدق بدرهم ليلاً وبدرهم نهاراً، وبدرهم سراً وبدرهم علانية؛ فأنزل الله فيه: ﴿ **الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً**﴾ [البقرة: ٢٧٤].

وروي أنه كان يستقي بيده لنخْلِ قوم من يهود المدينة، ويتصدق بالأُجْرة، ويشدُّ على بطنه الحجر. قال الشعبي وقد ذكره: كان أسخَى الناس ما قال

---

[1] لا جَرَم: أي لا بد أو لا محالة.

[2] الأيْد: قال في الكشاف الأيد: القوة في الدين. (مؤلف).

لسائل قط «لا». وقال معاوية وهو عدوه ومبغضه لمِحْفَن بن أبي مِحْفن الضبي لما قال له: جئتك مِنْ عند أبخل الناس. فقال[١]: ويحك! كيف تقول إنّه أبخل الناس، ولو مَلَك بيتاً من تِبْر وبيتاً من تِبْن لأنفد تِبْره قبل تِبْنه. وهو الذي كان يكنُس بيوت الأموال ويصلّي فيها، وهو الذي قال: يا صفراء، ويا بيضاء غرّي غيري، وهو الذي لم يخلِّفْ ميراثاً، وكانت الدنيا كلّها بيده إلا ما كان من الشام.

وأما الحلم والصفح: فكان أحلمَ الناس عن ذَنْب، وأصفحَهم عن مسيء، وقد أظهر ما قلناه ما كان منه يومَ الجمل؛ حيث ظَفِر بمروان بن الحكم - وكان أعدَى الناس له، وأشدَّهم بغضاً - فصفح عنه. وكان عبد الله بن الزبير يشتِمه على رؤوس الأشهاد، وخطب يوماً بالبصرة فقال: قد أتاكم الوَغْد اللئيم عليّ بن أبي طالب. وكان عليه السلام يقول: ما زال الزبير رجلاً منّا أهلَ البيت حتى نشأ ابنه عبد الله فأفسده، فظفر به يوم الجمل، وأخذه أسيراً، وصفح عنه وقال: إذهب فلا أرَينَّك؛ ولم يزده على ذلك.

وقد علمتم ما كان من عائشة من أمره، فلما ظَفِر بها أكرمها، وبعث معها إلى المدينة سبعين[٢] امرأة من نساء عبد القيس[٣]، عمّمَهنّ بالعمائم، وقلّدهنّ السيوف، فلما كانت ببعض الطريق ذكرتْه بما لا يجوز أنه يُذكَر به، وتأفّفت

---

(١) سقطت فقال من الأصل، فأضفناها من شرح النهج.

(٢) في شرح النهج: عشرين امرأة.

(٣) كذا الأصل.

وقالت: هَتَك ستري برجاله وجنده الذين وكَلَهم بي. فلما وصلت المدينة ألقى النساء عمائمهنّ، وقلن لها: إنما نحن نسوة.

وحاربه أهل البصرة، وضربوا وجهه ووجوه أولاده بالسيف، وشتموه ولعنوه، فلما ظَفِر بهم رفع السيف عنهم، ونادَى مناديه: ألاَ لا يُتبَع مُولٍّ ولا يُجهَزُ على جريح، ولا يقتل مستأسر، ومَنْ ألقى سلاحه فهو آمن، ومن تحيّز إلى عسكر الإمام فهو آمن. ولم يأخذ أثقالَهم، ولا سبى ذراريَّهم، ولا غَنِم شيئاً من أموالهم، ولو شاء أن يفعل ذلك لفعل، ولكنه أبى إلا الصفح والعفو؛ وتقيّل[1] سنة رسول الله ص يوم فتح مكة، فإنه عفا والأحقاد لم تبرد، والإساءة لم تُنْسَ.

ولما ملك عسكر معاوية عليه الماء، وأحاطوا بشريعة[2] الفرات، وقال رؤساء أهل الشام له: اقتلهم بالعطش كما قتلوا عثمان عطشاً، سألهم عليّ عليه السلام وأصحابه أن يسوِّغوا لهم شِرْبَ الماء، فقالوا: لا والله، ولا قطرة حتى تموتوا ظمأً كما مات ابن عفان؛ فلما رأى عليه السلام أنه الموتُ لا محالة تقدّم بأصحابه، وحملوا على مراكز معاوية حملات كثيفة حتّى أزالوهم عن مراكزهم بعد قتل ذريع، سقطت فيه الرؤوس والأيدي، فقال له أصحابه: امنعهم الماء يا أمير المؤمنين

---

(1) تقيل: أي استراح إلى ظل الشريعة.

(2) الشريعة: مورد الشارب والجمع شرائع.

كما منعوك، ولا تَسقِهم منه قطرة، واقتلهم بسيوف العطش، وخذهم قبضاً بالأيدي فلا حاجة لك إلى الحرب، فقال: والله لا أكافئهم بمثل فعلهم، أَفْسِحوا لهم عن بعض الشَّريعة، ففي حدّ السيف ما يغني عن ذلك. فهذه إن نسبتها إلى الحلم والصبر فناهيك بها جمالاً وحسناً، وإن نسبتها إلى الدين والورع فأخلِقْ بمثلها أن تصدر عن مثله عليه السلام.

وأما الجهاد في سبيل الله تعالى: فمعلوم عند صديقه وعدّوه أنه سيّد المجاهدين؛ وهل الجهاد لأحد من الناس إلا له! وقد عرفتَ أن أعظم غزاة غزاها رسول الله ص وأشدّها نكاية في المشركين بدر الكبرى؛ قُتِل فيها سبعون من المشركين، قَتَل عليّ عليه السلام نصفَهم، وقَتل الملائكة والمسلمون النصف الآخر. وإذا رجعت إلى «مغازي الواقدي» و«تاريخ الأشراف» لأحمد بن يحيى[1] بن جابر البلاذري وغيرهما علمت صحة ذلك؛ دعْ مَن قتله في غيرها كأُحُد والخندق وغيرهما، وهذا الفصل لا معنى للإطناب فيه؛ لأنه من المعلومات الضرورية كالعِلم بوجود مكة ومصر ونحوهما.

وأما الفصاحة: فهو إمام الفصحاء، وسيد البلغاء؛ وفي كلامه قيل: دون كلام الخالق، وفوق كلام المخلوقين. ومنه تعلّم الناس الخطابة والكتابة، قال عبد

---

(1) في الأصل: «ليحيى بن جابر البلاذري» وما حرر هو الصواب واسم كتابه: أنساب الأشراف، طبع بيروت عام ١٩٨٩م.

الحميد بن يحيى(١): حفظتُ سبعين خطبةً من خطب الأصلع، ففاضت ثم فاضت. وقال ابن نباتة(٢): حفظتُ من الخطابة كنزاً لا يزيده الإنفاق إلا سعةً، وحفظت مائة فصل من مواعظ عليّ بن أبي طالب عليه السلام. ولما قال بعضهم لمعاوية: جئتك من عند أعْيَا الناس، قال له: ويحك! كيف يكون أعيا الناس، والله ما سنّ الفصاحة لقريش غيره. وحسبك أنه لم يدوَّنْ لأحدٍ من فصحاء الصحابة العُشْر ولا نصف العُشْر مما دُوِّن له، وكفاك «نهج البلاغة»؛ وقد مدحه الجاحظ في كتاب «البيان والتبيين» وفي غيره من كتبه.

وأما سجاحة الأخلاق: وبِشْر الوجه وطلاقة المحيَّا والتبسم، فهو المضروبُ به المثل فيه، حتى عابه بذلك أعداؤه فقال عمرو بن العاص لأهل الشام: إنه ذو دُعابة شديدة. فقال عليه السلام في ذلك: عجباً لابن النابغة يزعم لأهل الشام أن فيّ دعابة، وأني امرؤ تِلْعابة، أُعافِس وأُمارس. وعمرو بن العاص إنما أخذها من عمر لقوله لما همَّ باستخلافه: لله أبوك لولا دُعابة فيك! إلا أنّ عمر اقتصر عليها، وعمرو(٣) زاد فيها وسمّجها(٤).
وقال صعصعة بن صوحان وغيره من أصحاب علي وشيعته: كان فينا

---

(١) عبد الحميد بن يحيى بن سعد، الكاتب البليغ المشهور. توفي سنة ١٣٢هـ.

(٢) ابن نباته: هو عبد الرحيم بن محمد الفارقي، صاحب الخطب المنبيرية. ولد في ميافارقين (بديار بكر) سنة ٣٣٥ ونسبته إليها، وتوفي بحلب ٣٧٤هـ.

(٣) في الأصل: «وعمرا».

(٤) وفي ذلك يقول «أمير شعراء اليمن» الحسن بن علي بن جابر الهبل:

ألا تعجبن لعمرو وقد رمى بالدعابة خير البشر
ولم يخترعها ولكنه تلقفها عن أخيه عمر

كأحدنا، لِين جانب، وشدّة تواضع، وسهولة قِياد، وكنا نهابه مهابة الأسير المربوط للسيّاف(١) الواقف على رأسه.

وقال معاوية لقيس بن سعد: رحم الله أبا حسن؛ فلقد كان هشّاً بشّاً ذا فُكاهة. فقال قيس: نعم، كان رسول الله ص يمزح ويتبسم إلى أصحابه، وأراك تعيبه بذلك، أمَا والله لقد كان مع تلك الفكاهة والطلاقة أهيَبَ من ذي لِبْدتين قد مسّه الطَّوى، تلك هيبة التقوى ليس كما يهابك طَغامُ الشام.

قال ابن أبي الحديد: وقد بقيَ ذلك متوارَثاً متناقَلاً في محبِّيه وأوليائه إلى الآن،
كما بقيَ الجفاء والخشونة والوعورة في الجانب الآخر، ومَنْ له أدنى معرفة بأخلاق الناس وعوائدهم يعرف ذلك.

وأمّا الزهد في الدنيا: فهو سيّد الزهاد، وبدَل الأبدال، وإليه تشدُّ الرحال؛ ما شبعَ من طعام قطّ. وكان أخشنَ الناس مأكلاً وملبساً؛ قال عبد الله بن أبي رافع: دخلت إليه يوم عيد، فقرّب جِراباً مختوماً، فوجدنا فيه خبزَ شعير يابساً مرضوضاً، فقُدّم فأكل منه، فقلت: يا أمير المؤمنين فكيف تختِمه؟ فقال: خفت هذين الولدين أن يلُتّاه بسمن أو زيت. وكان ثوبه مرقوعاً بجلد تارة وبليف أخرى، ونعلاه من ليف. وكان يلبس الكرابيس(٢) الغليظ، فإذا وجد كمّه

(١) في الأصل: «للسيف».

(٢) في شرح النهج: الكرباس؛ والكرباس: ثوب يكون من القطن وغيره.

طويلاً قطعه بشفرة، ولم يُخِطْه، فكان لا يزال متساقطاً على ذراعيه حتى يبقى سَدًى لا لُحْمَة له. وكان يأتدم إذا ائتدم بخَلّ أو ملح، فإن ترقّى عن ذلك فببعض نبات الأرض، فإن ارتفع عن ذلك فبقليل من ألبان الإبل. ولا يأكل اللحم إلا قليلاً، ويقول: لا تجعلوا بطونكم مقابر الحيوان، وكان مع ذلك أشدّ الناس قوةً، لم يُنقِض الجوع قوته، وهو الذي طلّق الدنيا، وكانت الأموال تُجبى إليه من جميع بلاد الإسلام إلا الشام، فكان يفرّقها ويمزقها ويقول:

هذا جَنَايَ وخِيارُه فيهْ إذْ كُلّ جانٍ يدُه إلى فِيهْ(١)

وأمّا العبادة: فكان أعبدَ الناس، وأكثرهم صلاة وصوماً؛ ومنه تعلّم الناس صلاة الليل، وملازمة الأوراد وقيام النافلة، وما ظنّك برجل بلغ من محافظته على وِرْده أن بُسِط له نِطَعٌ(٢) بين الصفّين ليلة الهرِير، فيصلي عليه ورْدَه، والسهام تقع بين يديه وتمرّ على صِماخيه يميناً وشمالاً، فلا يرتاع لذلك، ولا يقوم حتى يفرُغ من وظيفته. وما ظنك برجل كانت له كثفِنَة البعير من طول سجوده. وأنتَ إذا تأملت دعواتِه ومناجاتِه، ووقفتَ على ما فيها من تعظيم الله وإجلاله، وما يتضمّنه من الخشوع لعزته، عرفتَ ما ينطوي عليه من الإخلاص، وفهمت من أيّ قلبٍ خرجت، وعلى أيّ لسان

---

(١) هذا البيت لعمرو بن عدي قاله في صباه حيث كان يخرج مع الخدم يجتنون الكمأة للملك جذيمة الأبرش خاله، فكانوا إذا وجدوا خيار الكمأة أكلوها وإذا وجدها عمرو جعلها في كمه حتى يأتي بها خاله، وينشد البيت. النهاية في غريب الأثر.

(٢) النطع: بساط من جلد.

جرت. وقيل لعلي بن الحسين عليه السلام وكان الغاية في العبادة: أين عبادتك من عبادة جَدّك؟ فقال: عبادتي عند عبادة جدّي كعبادة جدي عند عبادة رسول الله ص.

وأمّا قراءة القرآن والاشتغال به: فهو المنظور إليه في هذا الباب؛ اتّفق الكلّ أنه كان يحفظ القرآن على عهد رسول الله ص، ولم يكن غيره يحفظه، ثم هو أوّلُ مَنْ جَمَعه؛ نقلوا كلهم أنّه تأخر عن بيعة أبي بكر، فأهل الحديث لا يقولون ما تقوله الشيعة من أنه تأخر مخالفة للبيعة، بل يقولون: تشاغل بجمع القرآن؛ فهذا يدل على أنه أوّلُ من جمع القرآن، لأنه لو كان مجموعاً في حياة رسول الله ص لما احتاجَ أن يتشاغل بجمعه بعد وفاته [1].

وإذا رجعتَ إلى كتب القراءات وجدت أئمة القراء كلهم يرجعون إليه ؛ كأبي عمرو بن العلاء، وعاصم بن أبي النّجود وغيرهما؛ لأنهم يرجعون إلى أبي
عبد الرحمن السُّلَمِيِّ القارئ، وأبو عبد الرحمن كان تلميذه، وعنه أخذ القرآن، فقد صار هذا الفن من الفنون التي تنتهي إليه أيضاً، مثل كثير مما

(1) في هامش الأصل حاشية نصها: قال هذه دعوى وما تقوله الشيعة أصح لأن النبي ص لم يخرج من الدنيا إلا وقد أكمل الله له الدين، وأتم عليه النعمة، ألا ترى أن آخر آية نزلت: ﴿ **واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون**﴾ فقال جبريل للنبي ص: ضعها في رأس الثمانين والمائتين من البقرة، ولم يبق بعدها ص إلا إحدى وعشرين يوماً، وقيل: سبع ليال، وإن صح قولهم: أنه كان متشاغلاً بجمعه فالمراد كتابة المصاحف، لما عرف أن الناس قد اشتغلوا ببيعة أبي بكر رفضهم واشتغل بما هو له عند الله زلفة ووسيلة، وتركهم ودنياهم، على أن الصحيح أن بيعة أبي بكر وقعت وهو مشتغل بغسل النبي ص، وتجهيزه ودفنه، تمت والله أعلم.

سبق.

وأمّا الرأي والتدبير: فقد كان من أسَدِّ الناس رأياً، وأصحِّهم تدبيراً؛ وهو الذي أشار على عمر بن الخطاب لما عزم أنْ يتوجّه بنفسه إلى حرب الروم والفرس بما أشار. وهو الذي أشار على عثمان بأمور كان صلاحه فيها، لو قبلها لم يحدث ما حدث عليه، وإنّما قال أعداؤه: لا رأيَ له؛ لأنه كان مقيداً(١) بالشريعة لا يرى خلافَها، ولا يعمل بما قضى الدين بتحريمه، وقد قال هو عليه السلام: لولا الدينُ لكنت أدهى العرب. وغيره من الخلفاء كان يعمل بمقتضى ما يستصلحه ويستقويه، سواء كان مطابقاً للشرع أو لم يكن؛ ولا ريب أن مَنْ يعمل بما يؤدّي إليه اجتهاده، ولا يقف مع ضوابط وقيود يمتنع لأجلها مما يرى الصلاح فيه، تكون أحواله الدنيوية إلى الانتظام أقرب، ومن كان بخلاف ذلك تكون أحواله الدنيوية إلى الانتثار أقرب.

وأما السياسة: فإنه كان شديد السياسة [خشِناً] في ذات الله تعالى، لم يراقب ابنَ عمه في عمل كان ولاه إياه، ولا راقب عقيلاً في كلام جَبَهه به. وأحرق قوماً بالنار، ونقض دار مَصْقَلَة بن هُبَيرة، ودار جرير بن عبد الله البَجَليّ، وقطع جماعةً وصلب آخرين. ومن جملة سياسته حروبه في أيام خلافته بالجمل وصفين والنهروان، وفي أقلّ القليل منها مقْنَع، فإنّ كلَّ سائس في الدنيا لم يبلغ فتكه وبطشه مبلغ العُشْر مما فعل عليه السلام في هذه الحروب بيده وأعوانه.

(١) في شرح النهج: متقيدا، وهو الأصوب.

فهذه خصائص البشر ومزاياهم قد أوضحنا أنه فيها الإمام المتبع فعلُه، الرئيس المقتفى أثره.

وما أقول في رجلٍ يحبّه أهل الذمّة(١) على تكذيبهم بالنبوة، وتعظمه الفلاسفة على معاندتهم لأهل الملة، وتصوِّرُ ملوك الفرنج والروم صورتَه في بِيَعها(٢)، وبيوت عبادتها، حاملاً سيفَه، مشمّراً لحربه، وتصوِّر ملوك الترك والديلم صورته على أسيافها، كان على سيف عَضُد الدولة بن بُوَيْه، وسيف أبيه ركن الدولة صورتُه، وكان على سيف إلب أرسلان وابنه مَلكشاه صورته، وكأنهم يتفاءلون به للنصر والظفر.

وما أقول في رجل أحبّ كلُّ أحد أن يتكثّر به، وودّ كلُّ أحدٍ أن يتجمّل بالانتساب إليه، حتّى الفتوّة التي أحسن ما قيل في حدّها: ألا تستحسنَ من نفسك ما تستقبحه من غيرك، فإنّ أربابها نسبوا أنفسهم إليه، وقصروه عليه، وسَمَّوه سيّدَ الفتيان، وعضدوا حجة مذهبهم بالبيت المشهور المرويّ أنه سُمِع من السماء يوم أُحُد: لا سيفَ إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا علي(٣).

---

(١) في هامش الأصل ما نصه: قال الموصلي النصراني:

يقولون ما بال النصارى تحبه ... وكل البرايا من فصيح وأعجم
فقلت لهم إني لأحسب حبه ... طواه إلهي في قلوب البهائم

ذكرها عنه في التاريخ لابن خلكان). **قلت**: والصواب في عجز البيت الأول: وأهل النهى من أعرب وأعاجم.

(٢) البيعة: المعبد للنصارى واليهود والجمع بِيع وبيعات.

(٣) بخط السيد أحمد بن محمد الشامي أبقاه الله ما لفظه: وما ينسب إلى حسّان تضمين هذا، في أبيات له وهي:

وما أقول في رجل أبوه أبو طالب سيّد البطْحاء، وشيخ قريش، ورئيس مكة، قالوا: قلّ أن يسوَّد فقير وساد أبو طالب وهو فقير لا مال له، وكانت قريش تسمّيه الشيخ.

وفي حديث عفيف الكندي لما رأى النبي ص يصلِّي في مبدأ الدعوة، ومعه غلام وامرأة [قال]: فقلت للعباس: أي شيء هذا؟ قال: هذا ابن أخي، يزعم أنه رسول الله إلى الناس، ولم يتبعه على قوله إلا هذا الغلام وهو ابن أخي، وهذه المرأة وهي زوجته. فقلت: فما الذي تقولونه أنتم؟ قال: ننتظر ما يفعل الشيخ. - قال: يعني أبا طالب. وأبو طالب هو الذي كَفَل رسول الله ص صغيراً، وحماه كبيراً، ومنعه من مشركي قريش، ولقي لأجله عَنَتاً عظيماً، وقاسى بلاءً شديداً، وصبَر على نصره والقيام بأمره. وجاء في الخبر أنّه لما توفِّيَ أبو طالب أوحى الله إليه وقيل له: أخرج منها، فقد مات ناصرك.

وله مع شرف هذه الأُبوّة أن ابن عمه محمد سيدُ الأولين والآخرين، وأخاه جعفر ذو الجناحين، الذي قال له رسول الله ص: « أشبَهْتَ خَلْقي وخُلُقي» فمرّ يحجل فرحا؛ وزوجته سيدة نساء العالمين، وابنيه سيّدا شباب أهل الجنة؛

جبريل نادى معلنا والنقع ليس بمنجلي

والمسلمون يقاتلون حول النبي المرسل

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي

فآباؤه آباء رسول الله ص، وأُمهاته أمهات رسول الله ص، وهو مسوط بلحمه ودمه، ولم يفارقه منذ خلق آدم إلى أن مات عبد المطلب بين الأخوين عبد الله وأبي طالب؛ وأمهما واحدة، فكان منهما سيّدَا الناس؛ هذا الأول وهذا الثاني، وهذا المنذر وهذا الهادي.

وما أقول في رجل سَبَق الناس إلى الهدى، وآمن بالله وعبدَه وكلّ من في الأرض يعبد الحجر، ويجحد الخالق، لم يسبقه إلى التوحيد إلا السابق إلى كلّ خير وهو محمد رسول الله ص؛ ذهب أكثر أهل الحديث إلى أنّه أول الناس اتباعاً لرسول الله ص وإيماناً به، ولم يخالف في ذلك إلا الأقلّون. وقد قال هو: أنا الصدّيق الأكبر، وأنا الفاروق الأوّل، أسلمت قبل إسلام الناس، وصلّيت قبل صلاتهم.

قال ابن أبي الحديد: ومن وقف على كتب أصحاب الحديث تحقّق ذلك وعلمه واضحاً، وإليه ذهب الواقدي وابن جرير الطبريّ، وهو القول الذي رجحه ونصره ابن عبد البر صاحب كتاب «الاستيعاب»، انتهى كلام ابن أبي الحديد.

[في سبقه إلى الإسلام ووصف شجاعته]

قال في «جامع الأصول» لابن الأثير ما لفظه: قال الحاكم أبو عبد الله النيسابوري[1] رحمه الله تعالى: **لا أعلم خلافاً بين أصحاب التواريخ أن علي**

---

[1] هو الحاكم أبو عبدالله محمد بن عبد الله النيسابوري المعروف بابن البيع، وهو صاحب التصانيف

بن

أبي طالب أولهم إسلاماً، إنما اختلفوا في بلوغه، وهل كان لما أسلم بالغاً أو صبياً، وأجمع المسلمون أن أول الناس إسلاماً خديجة زوج النبي ص. وفيه: عن أنس بن مالك قال: بعث رسول الله ص يوم الاثنين، وصلّى عليّ يوم الثلاثاء. وعن ابن عباس: أول من صلى عليّ. وعن زيد بن أرقم، قال: أول من أسلم عليّ. وفيه أيضاً عن سلمان الفارسي قال: قال رسول الله ص: «أولكم وروداً علي الحوض أولكم إسلاماً: عليّ بن أبي طالب».

قلت: وقد ذكر ابن أبي الحديد في وصف شجاعته ما قد رأيت وفي «أنوار اليقين» للإمام الحسن بن بدر الدين ما لفظه:

وعن الناصر عليه السلام يرفعه إلى المعلى[1] عن المنتجع بن قارظ النهدي أن أباه حدَثَّه وكان جاهلياً، قال: شهِدت هوازن يوم هوازن، وكنت امرءاً ندباً يسوِّدني قومي، فلقينا رسول الله ص، فرأيت في عسكره رجلاً لا يلقاه قِرْن إلا دهاه[2]، ولا يبرز إليه شجاع إلا أرداه، فصمد له وبرز له الجلموز بن قريع، وكان والله ما علمته حوشي القلب[3]، شديد الضرب،

في علوم الحديث، منها المستدرك على الصحيحين. توفي بنيسابور صفر عام ٤٠٥هـ.

(1) كذا في الأصل. وفي أمالي الإمام أبي طالب ٩٥: عبيد الله بن المعلا.

(2) في الأصل: «دهداه» والتصحيح عن الأمالي.

(3) حوشي القلب: قويه أي ثابت الجنان.

فأهوى له الرجل سيفه فاختلى قحف رأسه، فجذب أمّ دماغه، فَحُدثُ عنه وجعلت أرمقه وهو لا يقصد ركاكة[1]، ولا يؤم إلا صناديد الرجال، لا يدنو من رجل إلا قتله. وكانت الدائرة لمحمد ص علينا، فأسلمت بعد ذلك، فتعرفت الرجل فإذا هو علي بن أبي طالب عليه السلام، وتالله لقد رأيت زنده فخلته أربع أصابع، وإن [أول] خنصره كآخر مفصل من مرفقه.

وفي ذلك اليوم انهزم المشايخ الذين تقدموه، وولوا الأدبار، وعصوا الله ورسوله، وفي ذلك اليوم يقول العباس بن عبد المطلب في شعره:

نصرنا رسول الله في الحرب وقد فرَّ من قد فَرّ منهم فأقشعوا[2]
وثامننا لاقى الحِمَام بسيفه بما ناله في الله لا يتوجعُ

وذكر أهل العلم أن السبعة: علي عليه السلام، وأبو سفيان الحارث بن عبد المطلب، وعقيل بن أبي طالب، وربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب، هؤلاء يضربون بين يدي النبي ص، والعباس بن عبد المطلب، والفضل ابن العباس آخذان بشكيمة بغلة النبي ص فهؤلاء هم السبعة. والثامن الملاقي الحمام بسيفه هو ابن أم أيمن[3] مولاة رسول الله صّ، واستشهد ذلك اليوم فيما روي. وكان أبو بكر وعمر وعثمان فيمن هرب بنفسه وأسلم رسول

---

(1) ركاكة القوم: ضعفاؤهم.

(2) في الأصل: «وأقشع».

(3) هو أيمن بن عبيد الحبشي المعروف بابن أم أيمن راجع عنه الاستيعاب ١/٤٠، والإصابة ١/ ٥٨.

الله ص، وفي ذلك نزل:
﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا﴾ [التوبة: ٢٥] انتهى.

وصاح أمير المؤمنين علي عليه السلام يوماً: يا معاوية هلم إليّ، فقال معاوية:
لا حاجة لي في مبارزتك فيلت سباع الأرض، فقال له عمرو: لقد أنصفك، فقال معاوية له: ما قد تقدم، ما غششتني منذ نصحتني إلا اليوم، أتأمرني بمبارزة
أبي الحسن، أراك طمعت في إمارة الشام بعدي.

وروى السيد أحمد الشرفي في «شرح الأساس» أن الذي قتل علي عليه السلام بيده الطاهرة ثمانين ألفاً. وروى المنصور بالله عبد الله بن حمزة عليه السلام: أنه
لم يمت عليّ عليه السلام إلا وقد أصابه في جسده ألف جراحة في سبيل الله تعالى.

قال في «الترجمان» وخرج عمرو بن العاص في بعض أيام صفين وهو يقول:

يا قادةَ الكوفة يا أهل الفِتنْ يا قاتِلي عثمان ذاك المؤتمنْ
أضرِبُكُمْ ولا أرى أبا الحسنْ

فخرج علي عليه السلام وهو يقول:

أنا الغلام القرشيّ المؤتمنْ أبو الحسين فاعلمنّ والحسنْ
ترضى بي السادة من أهل اليمن

وحمل عليه السلام على عمرو فأسقطه من على فرسه، فرفع عمرو رجليه وأبدى عورته، فأعرض عنه أمير المؤمنين، فرجع عمرو إلى مركزه ومعاوية يضحك، فقال: ممَ تضحك؟ فقال: منك ومن علي، ودفعك عن نفسك بالأستاه، والله لقد وجدته هاشمياً ملياً بالنزال لا ينظر إلى عورات الرجال، فقال: يا معاوية أما والله لو بدا له من صفحتك ما أبدى له مني لأوجع قِذالك، وأيتم عيالك، وانتهب مالك، فهلا ضحكت إذ دعاك إلى البراز وأنا عندك، فاحْوَلَّت عيناك، ومالت شدقاك، وارتعدت فرائصك، وبدا من أسفلك شيء أكره رائحته، ثم قال:

تسير إلى ابن ذي يَزَن سعيد وتترك في العجاجة من دعاكا
فهل لك في أبي حسن علي لعل الله يُمْكِن من قفاكا
دعاكَ إلى البِرَاز فلم تجبه ولو نازلته ترِبتْ يداكا
وكنتَ أصم إذ ناداك(١) عنها كأنّ سكوته عنها مناكا
فآب الكبش قد طحنت رحاه بنجدته وما طحنت رحاكا
فما أنصفت صحبك يا ابن هند أتفْرُقه(٢) وتُغْضِب مَن كفاكا

(١) في الأصل: «وكنت أصم أذن ذاك». وعند غير المؤلف جاء العجز: وكان سكوته عنها مناكا.
(٢) أتفرقه: أتخافه.

فلا والله ما أضمرت خيراً   ولا أظهرت لي إلا هواكا[1]

فخرج بعد ذلك بُسْر بن أرطأة فألقاه أمير المؤمنين عن فرسه، فكشف عورته كذلك؛ فقيل في ذلك:

أفي كل يوم فارس ذو كريهة   له عورة تحت العجاجة باديه
يكفّ لها عنه علي سنانه   ويضحك منه في الخلاء معاويه
بدتْ أمس من عمرو فقنّع رأسه   وعورة بُسْر مثلها حذو حاذيه
فقولا لعمرو وابن أرطأة أبصرا   سبيلكما لا تلقيا الليث ثانيه
ولا تحمدا إلا الحيا وخُصاكما   هما كانتا والله للنفس واقيه
فلولا هما لم تنجوَا عن سنانه   وتلك بما فيها عن العَوْد ناهيه
متى تلقيا الخيل المغيرة صبحة   وفيها عليّ فاتركا الخيل ناحيه
وكونا بعيداً حيث لا يبلغ القنا   وباز الوغى إنّ التجاربَ كافيه

قال: فكان بُسْر إذا لقي الخيل التي فيها علي عليه السلام تنحّى وتأخر. قال الأمير أبو فراس الحمدوني:

ولا خيرَ في دفع الرّدى بمذلّةٍ   كما ردّها يوماً بسوءته عمرو

فصل [في ذكر عبادته وزهادته]

نذكر فيه طرفاً من فضائل علي عليه السلام وعبادته، وزهادته وفواضله، صلوات الله وسلامه عليه، طلباً للثواب، ومنفعة للأصحاب. روى الإمام

---

(1) الأبيات في وقعة صفين ٤٢٢، شرح نهج البلاغة ٨/ ٧٣.

القاسم ابن محمد في «الاعتصام» عنه ص أنه قال: «من قال رحم الله علياً رحمه الله».

وروى الإمام الحسن بن بدر الدين عليه السلام في «أنوار اليقين» عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال: قال رسول الله ص: «إن الله تعالى جعل لأخي علي فضائل لا تحصى كثرة، فمن ذكر فضيلة من فضائله مقراً بها غفر الله له ما تقدم من ذنبه، ومن كتب فضيلة من فضائله لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقي لتلك الكتابة رسم، ومن استمع إلى فضيلة من فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالاستماع، ومن نظر إلى كتاب من فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالنظر»؛ ثم قال: «النظر إلى علي عبادة، وذكره عبادة، ولا يقبل الله إيمان عبد إلا بولايته، والبراءة من أعدائه» انتهى.

قال في «الحدائق الوردية» روى ابن الزبير[1] قال: كنا جلوساً في مسجد رسول الله ص، فتذاكرنا أعمال بدر وبيعة الرضوان، فقال أبو الدردآء[2]: ألا أخبركم بأقل الناس مالاً، وأكثرهم ورعاً، وأشدهم اجتهاداً في العبادة؟ قالوا: بلى من هو؟ قال: علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، قال: فوالله إن كان في جماعة أهل المسجد إلا معرضٌ عنه بوجهه، ثم ابتدر له رجل من الأنصار

(1) هو عروة بن الزبير كما في الحدائق الوردية ١/ ٥٣ ـ ٥٤.

(2) هو عويمر بن مالك الأنصاري الخزرجي، أبو الدرداء: صحابي، مات بالشام عام ٣٢هـ.

فقال له: يا عُوَيْمر لقد تكلمت بكلمة ما وافقك عليها أحد منذ أتيت بها. فقال أبو الدردآء: يا قوم إني قائل ما رأيت، وليقل كل منكم ما رأى؛ شهدت علياً عليه السلام وقد اعتزل عن مواليه، واختفى عمن يليه، واستتر بفسلان[1] النخل، فافتقدته، فقلت لحق بمنزله، فإذا أنا بصوت حزين، ونغمة شجي، وهو يقول: إلهي كم من موبقةٍ حلمت عن مقابلتها بنعمتك، وكم من جريرة تكرمت عن كشفها بكرمك، إلهي إن طال في عصيانك عمري، وعظم في الصحف ذنبي، فما أنا مؤمل غير غفرانك، ولا أنا براجٍ غير رضوانك. قال: فتعالى الصوت، واقتفيت الأثر، فإذا هو علي عليه السلام بعينه، فاستترت منه، وأخملت الحركة، فركع ركعات في جوف الليل الغابر، ثم فزع إلى الدعاء والاستغفار والبكاء، والبث والشكوى، فكان مما ناجى به ربه أن قال: إلهي أفكر في عفوك فتهون علي خطيئتي، ثم أذكر العظيم من أخذك فتعظم علي بليتي، ثم قال: آهٍ إن أنا قرأت في الصحف سيئة أنا ناسيها وأنت محصيها، فتقول: خذوه، فيا له من مأخوذ لا تنجيه عشيرته، ولا تنفعه قبيلته، يرحمه الملأ إذا أذن فيه بالنداء، ثم قال: آهٍ من نار تنضج الأكباد والكلى، آهٍ من نار نزاعة للشوى، آهٍ من تلهاب لظى.

قال أبو الدردآء: ثم أنعم في البكاء فلم أسمع له حساً ولا حركة، فقلت: غلبه النوم لطول السهر، أوقظه لصلاة الفجر فأتيته، فإذا هو كالخشبة الملقاة، فحركته فلم يتحرك، فزويته فلم ينزو، فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، مات

---

[1] الفسيلة: الصغيرة من النخل والجمع فسائل وفسيل، والفسلان جمع الجمع.

والله علي بن أبي طالب عليه السلام قال: فأتيت منزله أريد أنعاه إليهم، فقالت فاطمة عليها السلام: يا أبا الدردآء هي والله الغشية التي تأخذه من خشية الله تعالى، ثم أتوه بماء فنضحوه على وجهه فأفاق، فنظر إليّ وأنا أبكي، فقال: ما بكاؤك؟ فقلت: مما أراه نزل بك، قال: يا أبا الدردآء فكيف لو رأيتني وقد دعيت إلى الحساب، وأيقن أهل الجرائم بالعقاب، واحتوشتني ملائكة غلاظ شداد، وزبانية أفظاظ، فوقفت بين يدي الله الملك الجبار، قد أسلمني الأحباء، ورحمني أهل الدنيا، لكنتَ أشدّ رحمة لي بين يدي من لا تخفى عليه خافية. قال أبو الدردآء: فما رأيت لأصحاب محمد ص مثل ذلك.

وقال في كتاب «الاعتبار وسلوة العارفين» ما لفظه بعد أن ذكر سند ذلك:

قال سعيد بن كلثوم: كنت عند جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فذكر علي ابن أبي طالب فأطراه، فقال: والله ما أكل علي من الدنيا حرام قط حتى مضى لسبيله، وما عرض عليه أمران قط هما لله برضاً إلا أخذ بأشدهما عليه في دينه، وما نزلت برسول الله ص نازلة إلا دعاه فقدمه أمامه ثقة به، وما أطاق عمل رسول الله ص من هذه الأمة غيره، وإن كان ليعمل عمل رجل كأن وجهه بين الجنة والنار، يرجو ثواب هذه ويخاف عقاب هذه، ولقد أعتق من ماله ألف مملوك في طلب وجه الله تعالى، والنجاة من النار مما كدَّ

فيه بيده، ورشح منه جبينه، وإن كان ليقوت أهله بالزيت والخل والعجوة، وما كان لباسه إلا الكرابيس إذا فَضُل شيء عن يده من كمه دعا بالجَلَم[1] فقصه، وما أشبهه من ولده وأهل بيته أحد، وإن كان أقرب القوم شبهاً في لباسه وفقهه علي بن الحسين.

قلت: قوله: وما أطاق عمل رسول الله ص من هذه الأمة غيره فيه كفاية عن وصف عبادة علي عليه السلام؛ فإنه ص كان يصلي حتى ورمت قدماه، وكان يصلي ولصدره أزيز كأزيز المِرْجل[2] ص.

ولله در الصاحب الكافي حيث قال في مدح عليّ عليه السلام:

وعبادة لو قسّمت بين الورى عاد العباد وكلهم عبّادُ

ثم قال في كتاب «الاعتبار» ما لفظه:

محمد بن علي قال: كان علي بن الحسين يصلي في كل يوم وليلة ألف ركعة، وكانت الريح[3] تميّله بمنزلة السنبلة.

دخل محمد بن علي على أبيه فإذا هو قد بلغ من العبادة ما لم أر أحداً قد بلغه، وإذا به قد اصفر لونه، ورمصت[4] عيناه من البكاء، ودبرئت جبهته، وانخرم أنفه

(1) الجلم: الذي يجز به الشعر والصوف.

(2) المرجل: القدر يغلي على النار.

(3) كذا، وفي الاعتبار: وكانت الركعة.

(4) الرمص بالتحريك: وسخ يجتمع ويجمد في موق العين.

من السجود، وورمت ساقاه وقدماه من الصلاة، فرأيته بحال لم أملك أن بكيت من رحمته، فإذا به يفكر ثم قال: يا بني، أعطني تلك الصحف[1] التي فيها عبادة أمير المؤمنين علي عليه السلام، فأعطيته، فما قرأ فيها إلا يسيراً حتى رمى بها تضجراً، وقال: ومن يقوى على عبادة علي عليه السلام، انتهى لفظ كتاب «الاعتبار» للسيد الإمام الموفق بالله أبي عبد الله الحسين بن إسماعيل الجرجاني الحسني المعروف بالشجري[2].

ومن عجيب زهده عليه السلام لبسه المرقعة والدنيا قد سارت معه، حتى قال رضي الله عنه: والله لقد رقعت مدرعتي هذه حتى استحييت من راقعها.

قال معاوية لضرار الصّدائي[3]: صف لي علياً فقال: اعفني فقال: لتصفنه لي أو لأضربن عنقك، فقال: أما إذا ولا بدَّ من وصفه:

فكان والله بعيدَ المدى، شديدَ القُوَى، يقول فَصْلاً، ويحكم عَدْلاً، يتفجرُ

---

(1) في الأصل: «أعطني المصحف» والتصحيح عن الاعتبار.

(2) انظر الأعتبار وسلوة العارفين ٣٥٠- ٣٥١.

(3) ضرار بن ضمرة الكناني وقيل الضبابي وقيل الصدائي نسبة إلى صُدَاء حي من اليمن. كان من خواص علي وأوليائه. وخبر وصفه لأمير المؤمنين في المصابيح ٣٠٤، والآمالي الخميسية ٢/ ١٣، ومناقب محمد بن سليمان الكوفي ٢/ ٥١، وأمالي القالي ٢٠٠، وشرح نهج البلاغة ١٨/ ٢٢٤ ومصادر عديدة.

العلمُ من جوانبه، وتنطقُ الحكمة من نواحيه، يستَوْحِشُ من الدنيا وزهْرَتها، ويأنس إلى الليل ووحشته، وكان غزيرَ العَبْرة، طويل الفكرة، يُعْجِبُهُ من اللَّباس ما قَصُر، ومن الطعام ما خشُنَ، كان فينا كأحدِنَا، يُجيبُنَا إذا سألناه، وينْبِئُنَا إذا استنبأناه، ونحن والله مع تقريبه إيَّانا، وقُرْبه منا لا نكاد نكلمه هيبة له، يعظمُ أهل الدين، ويقرب المساكينَ، لا يطمع القويُّ في باطله، ولا يَيْأسُ الضعيفُ من عدله، وأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليلُ سُدُولَه، وغارت نجومُهُ، قابضاً على لحيته يتملْمَلُ تململَ السليم[1]، ويبكي بكاء الحزين، ويقول: يا دُنيا غُرّي غيري، ألي تَعَرَضْت وإلي تَشَوَّقت؟ هيهات هيهات، قد باينتك[2] ثلاثاً لا رَجعَةَ فيها، فَعُمْرك قصير، وخَطَرُك كثير، آهٍ آهٍ من قلة الزاد، وبُعْدِ السفر، ووَحْشة الطريق. فبكى معاوية وقال: رحم الله أبا حسن كان والله كذلك، وبكى من حول معاوية من القوم.

ثم قال: فكيف وُجْدك عليه يا ضِرَار؟ قال: وُجْد من ذُبح ولدُها في حِجْرها،

لا ترقأ دمعتها، ولا تسكن عبرتها.

***

(١) السليم: هو اللديغ وإنما قيل له ذلك للتفاؤل.

(٢) في الأصل: «ابنتك».

وروي أن معاوية قال يوماً لجماعته: من قال في علي ما فيه فله البُدْرة[١]- وكأنها متعينة- فقال كل منهم بكلام غير موافق إلا عمرو بن العاص[٢] فقال:

بآل محمد عُرِف الصواب وفي أبياتهم نزل الكتابُ
وهمْ حجج الإله على البرايا بهم وبجدهم لا يسترابُ
ولا سيما أبو حسن علي له في المجد مرتبة تهابُ
إذا طلبت صوارمه نفوساً فليس لها سوى نعم جوابُ
طعام حسامه مهجُ الأعادي وفيض دم الرقاب له شرابُ
وبين حسامه والدرع صلحٌ وبين البِيض والبيض اصطحابُ
وضربته كبيعته بخُمٍّ معاقدها من الناس الرقابُ
علي التبر والذهب المصفَّى وباقي الناس كلهم الترابُ[٣]
إذا لم تبر من أعداء علي فمالك في محبته ثوابُ
هو البكّاء في المحراب ليلاً هو الضحاك إن آن الضرابُ
هو النبأ العظيم وفلك نوح وباب الله وانقطع الخطابُ

(١) البدرة: كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار سميت ببدرة السخلة (تاج العروس).

(٢) الخبر والأبيات وردت في المقصد الحسن لابن حابس (خ)، وفي النصائح الكافية ١١٤ منسوبة لعمرو بن العاص. والمشهور أن الأبيات من شعر الناشئ الصغير (أنظر معجم الأدباء ٥/ ٢٣٥ مرآة الجنان ٢/ ٢٣٥ الغدير ٤/ ٢٤ ـ ٣٣.

(٣) عند غير المؤلف: وباقي الناس كلهم تراب.

قال: فأعطاه البدرة وهي عشرة آلاف درهم، وقال: خذها لا بارك الله لك فيها، فقال بعضهم:

ومناقب شهد العدو بفضلها والفضل ما شهدت به الأعداءُ

وقلت أنا:

أجرى الإله على لسان عدوه ما لا يريد من الثناء ويقصدُ
لولا الشقاوة أقعدته بذنبه لكفاه هذا قربة تتأبدُ
فعلى ابن حرب والملازم حربه غضب الإله وحربه يتجددُ

ونكتفي في هذا المختصر بهذه النبذة اليسيرة من فضائله عليه السلام، ولنرجع إلى شرح بقية أبيات الدامغة.

[إمامة الإمام علي (ع) والنصوص الصريحة عليها]

فقولنا: «**هو الخليفة بالنص الجلي**» إلى آخره.

اعلم أن النص على إمامته جلي عندنا غير خفي، كما يدعي من يحب المشايخ،
أو يتأوّل لهم، وقد قدمنا حديث غدير خم وغيره.

[آية الولاية]

وسنذكر هنا ما نحتج به من الآيات فمنها قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾ [المائدة:٥٥] وقوله تعالى: ﴿ **يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ**

تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة:٦٧].

أما الآية الأولى: فقد أجمع المفسرون أنه الذي أعطى خاتمه السائل راكعاً تزكى به، وإن قال بعضهم: أن الآية عامة، فلنا بها الحجة دونه قال أبو ذر الغفاري: سمعت رسول الله ص بأذناي وإلا فصمّتا، ورأيته بهاتين وإلا فعميتا، يقول: « علي سيد البررة[1]، وقاتل الكفرة، منصور من نصره، مخذول من خذله » أما أني صليت يوماً من الأيام مع رسول الله ص فسأل سائل في المسجد فلم يُعْط شيئاً، وكان علي عليه السلام راكعاً، فأومأ إليه بخنصره، فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم من خنصره، فنزل: **﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾** فلما فرغ النبي ص من صلاته قال: « يا رب إن موسى عليه السلام قال: **﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾** [طه: ٢٥] الآية، وأنا محمد رسولك وصفيك فاشرح لي صدري، ويسر لي أمري، واجعل لي وزيراً من أهلي علياً، اشدد به أزري»، فنزل جبريل عليه السلام بالآية.

[خبر الغدير وبلوغه حد التواتر]

و**أما الآية الأخرى** فإنها لما نزلت قام رسول الله ص بغدير خم، وأخذ بيد عليّ فرفعها، حتى رأى بعضهم بياض إبطه، ثم قال: « ألست أولى بكم من أنفسكم »؟ فقالوا: اللهم نعم، فقال: « من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم

---

(1) في سائر المصادر: علي قائد البررة.

وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله» فقام عمر فقال: بخ بخ يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة.

وروى الإمام المنصور بالله عليه السلام عن «مسند الإمام أحمد بن حنبل» هذا الحديث المذكور من طرق كثيرة، وحكاه أيضاً عن «جامع رزين» وعن «مناقب ابن المغازلي» الشافعي. وذكر أنه رفع الحديث المذكور إلى مائة من أصحاب رسول الله ص، قال: وقد ذكر محمد بن جرير الطبري صاحب التاريخ خبر يوم الغدير وطرقه، من خمسة وسبعين طريقاً، وأفرد له كتاباً سماه كتاب «الولاية»؛ وذكر أبو العباس أحمد بن محمد بن عقدة خبر يوم الغدير، وأفرد له كتاباً وطرقه من مائة طريق وخمس طرق، قال: ولا شك في بلوغه حد التواتر، وحصول العلم به،
ولم يعلم خلاف ممن يعتد به من الأمة، وهم بين محتج به، ومتأول له، إلا من يركب طريقة البهت والمكابرة، تم كلامه عليه السلام.

قال في «أنوار اليقين»: وخبر غدير خم هذا رواه جماعة من الصحابة، وتواتر النقل به حتى دخل في حد التواتر، فرواه: زيد بن أرقم، وأبو سعيد الخدري،
وأبو أيوب الأنصاري، وجابر بن عبد الله، واختلف ألفاظهم، وزاد بعض

ونقص بعض، ففي حديث جابر وغيره أن النبي ص [لما] انصرف من حجة الوداع ووافى الجحفة، أمر بسمرات فقُمِّمْنَ أو دوحات، وكان يوم حار ما أتى علينا يوم أشد منه، وإن أحدنا ليستظل بثوبه، ويبل الخرقة فيضعها على رأسه من شدة الحر، وأمر فوضع له شيء عال، فقام عليه هو وعلي عليه السلام ثم قال: « من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله » يقولها ثلاثاً. فقام عمر فقال: اللهم هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن. قال جابر: وكنا اثنا عشر ألف رجل.

ولما رواه زيد بن أرقم قال له أبو الطفيل: أسمعت أنت من رسول الله ص؟ فقال: ما كان بالدوحات أحد إلا وقد رآه بعينه، وسمعه بأذنه. وفي رواية ابن عباس والبراء بن عازب فقال عمر: هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة.

قلت: وإلى ذلك أشار الإمام الداعي يحيى بن المُحَسِّن عليه السلام حيث قال:

لم يسمعوا وما همُ بالصُّم ولايةً من النَّبيّ الأمي
لصنوه يوم غدير خم أَوْجَبها عليهمُ بالرغم
فكان صرفُ الأمر عين الظلم
وخاف لو ناصبهُمْ أبو الحسن أن تفسد الملة عبّاد الوثن

ولم يكن في أمره بالممتهن فأغمض الجفن على مضّ الغَبَن

وهو الوصي دونهم والمؤتمن

وقد تقدم خبر الغدير بطوله من رواية الحاكم.

[خبر المنزلة]

ومن النص الجلي قوله ص: « أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي » وليس هذا موضع تفسير الألفاظ والمراد بالحجة منها، والرد على من تأولها، فموضع ذلك أصول الدين.

[خبر الطائر وطرقه]

ومنها: **خبر الطائر المشوي**، وهو ما رواه أنس بن مالك قال: أهدي لرسول الله ص طائر مشوي، فقال: « اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطائر»، فجاء علي عليه السلام فدق الباب، فقلت: من هذا؟ فقال: أنا علي، فقلت: إن النبي ص على حاجة، حتى فعل ذلك ثلاثاً، فجاء الرابعة فضرب الباب برجله فدخل، فقال له النبي ص: ما حبسك؟ فقال: قد جئت ثلاث مرات، فقال ص لأنس: ما حملك على ذلك؟ قال: كنت أحب أن يكون رجلاً من قومي. وفي رواية أن النبي ص لما سمع صوت علي قال: «وإلي» أي: وكما أنه أحب خلق الله إليه فهو أحبهم إلي.

وهذا الخبر من أجل الفضائل وأبلغها وأدلها على فضل علي عليه السلام، ولقد صنف الحافظ العلامة محمد بن جرير الطبري كتاباً في طرق حديث

الطير في فضائل علي عليه السلام لما سمع رجلاً يقول إنه ضعيف. قال الذهبي: وقفت على هذا الكتاب، فاندهشت لكثرة ما فيه من الطرق.

[خبر النجم وأخبار نبوية أخرى]

ومن النص الجلي: **خبر النجم**، وهو ما روي عنه ص أنه لما انقض كوكب ذات ليلة فقال: «انظروا إلى هذا الكوكب فمن انقض في داره فهو الخليفة من بعدي»، فنظروا فإذا هو قد انقض في منزل علي عليه السلام، رواه في «أنوار اليقين» وغيره، وهو مما يعزى إلى أنس، وسيأتي ذكره برواية أبسط من هذه قريباً.

ومن ذلك الخبر المروي في تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**﴾ [الشعراء: ٢١٤] وهو ما رواه الحاكم رحمه الله تعالى في «التهذيب» عن البراء بن عازب قال: لما نزل قوله تعالى: ﴿ **وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**﴾ جمع النبي ص بني عبد المطلب وهم يومئذ أربعون رجلاً، الرجل منهم يأكل المسنة، ويشرب العُسّ[1]، فأمر النبي ص علياً فأتاه برجل شاة ثم قال: ادنوا باسم الله، فدنا القوم عشرة عشرة، فأكلوا وشبعوا، ثم دعا بقعب من لبن فشرب منه، ثم قال: اشربوا باسم الله[2]، فشربوا حتى رووا، فبدرهم أبو لهب وقال: هذا ما سحركم به الرجل. فسكت يومئذ ولم يتكلم، ثم دعاهم من الغد على مثل ذلك الطعام والشراب، ثم أنذرهم ودعاهم إلى الإيمان، وقال: من

(١) العس: القدح العظيم الضخم يروي الثلاثة والأربعة (لسان العرب).

(٢) في الأصل: «بسم الله».

يوازرني ويواخيني، ويكون وليي ووصيي بعدي، وخليفتي في أهلي؟ فسكت القوم، فأعادها ثلاثاً والقوم سكوت، وعلي يقول في كل مرة: أنا، فقال في المرة الثالثة: أنت فقاموا يقولون لأبي طالب: أطع ابنك فقد أَمّره عليك.

ولفظ «التقريب المنتزع من التهذيب»[1]: وخليفتي في أهلي؛ ثلاثاً فلا يجبه كل مرة غير علي عليه السلام.

وروى الثعلبي في تفسير قوله تعالى: ﴿ **فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**﴾ [المائدة: ٥٤] قال: علي بن أبي طالب عليه السلام.

وحدث شراحيل الأنصاري كاتب علي عليه السلام قال: سمعت علياً يقول: حدثني رسول الله ص وأنا مسنده إلى صدري، فقال: «يا علي أما تسمع قول الله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ**﴾ هم أنت وشيعتك، وموعدكم الحوض إذا أقيمت الأمم للحساب تدعون غراً محجلين». وهذا الخبر رواه: ابن عباس، وجابر بن عبد الله، وابن برزة، وبريدة عن أبيه، ومحمد ابن علي عليه السلام، ومعاذ بن جبل، قال: إنها في علي عليه السلام لن يختلف فيها أحد، وكلهم رواها عن رسول الله ص. وفي بعض رواياتهم زيادة لم يذكرها الآخر، وكلهم اتفقوا أن النبي ص فسرها بأن علياً خير البرية أو هو وأهل بيته.

وفي رواية جابر بن عبد الله قال: كنا جلوساً عند رسول الله ص إذ أقبل

---

(1) مؤلفه هو العلامة محمد بن علي المذاهبي، وسيأتي ذكره في نص الكتاب.

علي بن أبي طالب فلما نظر إليه النبي ص قال: «أتاكم أخي» ثم التفت إلى الكعبة، فقال:
« ورب هذه البنية إن هذا وشيعته الفائزون يوم القيامة» ثم أقبل علينا بوجهه فقال: «أما والله إنه أولكم إيماناً بالله، وأقومكم بأمر الله، وأوفاكم بعهد الله، وأقضاكم بحكم الله، وأقسمكم بالسوية، وأعدلكم في الرعية، وأعظمكم عند الله مزية» قال جابر: فأنزل الله: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ**﴾ [البينة: ٧] فكان علي عليه السلام إذا أقبل قال أصحاب محمد: قد أتاكم خير البرية بعد رسول الله ص.

وعن سلمان عن النبي ص: « خير من أترك بعدي علي بن أبي طالب». وعن ابن مسعود عنه ص «علي خير البشر فمن أبى فقد كفر». وعن أبي سعيد الخدري عنه ص « محمد وعلي خير البشر». وعن النبي ص أنه قال: « إنما مثل علي في هذه الأمة مثل قل هو الله أحد في القرآن».

وعن أبي هريرة عنه ص « مثلك يا علي في القرآن كمثل قل هو الله أحد، من قرأها مرة فقد قرأ ثلث القرآن، ومن قرأها مرتين فقد قرأ ثلثي القرآن ومن قرأها ثلاث مرات كمن قرأ القرآن، يا علي من أحبك بلسانه فقد أحبك ثلث محبتك، ومن أحبك بلسانه وقلبه فقد أحبك ثلثي محبتك، ومن أحبك بلسانه ويده وقلبه فقد أحبك محبتك كلها، يا علي لو أحبك أهل الأرض كمحبة أهل السماء ما عذب الله أحداً بنار».

وفي «مناقب ابن المغازلي» عن النعمان بن بشير أنه قال: قال رسول الله

ص: «إنما مثل علي في هذه الأمة مثل قل هو الله».

ومنها: قوله تعالى ﴿ **وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ**﴾ [الأعراف:٤٦] الآية؛ الأعراف: موضع عال على الصراط عليه العباس وحمزة وعلي وجعفر رضي الله عنهم، ومتى قيل: لم تأخر دخولهم الجنة؟ قلنا: ليتعجلوا اللذة بالشماتة على أعدائهم، إذا رأوهم يجرون إلى النار وهم الذين جرعوهم الغصص في دار الدنيا، فينظرون ما أعد الله لهم من العذاب، انتصافاً لهم. وقوله تعالى: ﴿**لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ**﴾ [الأعراف: ٤٦] أي أقامهم الله على الأعراف قبل دخولهم الجنة، فهم بين لذتين الشماتة بأعدائهم والفرح بالمعاجلة إلى الجنة ﴿**وَهُمْ يَطْمَعُونَ**﴾ فيها طمع يقين، كقول إبراهيم عليه السلام: ﴿ **وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ**﴾ [الشعراء:٨٢].

ومنها: ما رواه الحاكم بإسناده إلى عبد الله بن العباس أنه قال: ما أنزل الله في القرآن ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ إلا وعلي أميرها وشريفها، ولقد عاتب الله تعالى أصحاب محمد في أكثر من آية من كتابه، وما ذكر علياً إلا بخير.

ومنها: قوله تعالى ﴿ **هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ**﴾ [الحج: ١٩] نزلت في الذين برزوا يوم بدر علي وحمزة وعبيدة، والخصم الثاني عتبة وشيبة والوليد.

ومنها: آية النجوى؛ ذكر علماء التفسير أن الصحابة كانوا قد أكثروا السؤال لرسول الله ص، فكان الأغنياء ربما يتولون ذلك دون الفقراء، فأراد

الله أن يخفف على نبيه، ويرفع منزلة الفقراء، فنزلت: ﴿ **فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً**﴾ [المجادلة: ١٢] فبخل الأغنياء بمالهم، فما ناجاه إلا علي عليه السلام قدم ديناراً ثم ناجاه، فما عمل بهذه الآية سواه بإجماع المحصلين من الرواة؛ ولهذا قال عليه السلام: إن في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي، ولا يعمل بها أحد بعدي، إذ نسخ حكمها وبقيت تلاوتها، فلم يعمل بها بعد نسخها، وهي نسخ فعل.

ومنها: قوله تعالى ﴿ **الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً**﴾ [البقرة: ٢٧٤] نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام، لم يملك من المال إلا أربعة دراهم، تصدق بدرهم ليلاً وبدرهم نهاراً، وبدرهم سراً وبدرهم علانية، فقال رسول الله ص : «ما حملك على هذا»؟ فقال: حملني عليه أن أستوجب على الله ما وعدني، فقال ص: «ألا إن ذلك لك»، فأنزل الله هذه الآية.

ومنها: قوله تعالى ﴿ **أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [البقرة٥] هو علي عليه السلام.

ومنها: ما ذكره محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**﴾ [الرعد:٧] وأومأ بيده ص إلى علي فقال: « أنت الهادي يا علي، بك يهتدي المهتدون من بعدي».

ومنها: ما رويناه عن أبي خالد عن زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي

عليهم السلام أن رسول الله ص قال: في قول الله تعالى ﴿ **وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا**﴾ [مريم: ٥٠] قال: « أنت اللسان يا علي بولايتك يهتدي المهتدون».

ومنها: ما رويناه عن الإمام الناصر للحق بإسناده إلى علي عليه السلام أنه قال: في قوله تعالى ﴿ **أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ**﴾ [هود:١٧] قال علي: بينة من ربه رسول الله، ويتلوه شاهد منه أنا، وفيّ نزلت.

ومنها: ما رواه أيضاً بإسناده أن قول الله تعالى: ﴿ **أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ**﴾ إلى قوله تعالى:﴿ **كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ**﴾ [التوبة:١٩] نزلت في علي عليه السلام.

ومنها: قوله تعالى ﴿ **وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ**﴾ [الحاقة:١٢] روينا عن رسول الله ص أنه قال: «سألت الله أن يجعل ذلك الأذن علياً ففعل».

ومنها: ما روى الحاكم بإسناده عن أنس في قوله تعالى: ﴿ **أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ**﴾ [الزمر:٩] قال: نزلت في علي بن أبي طالب.

ومنها: قوله تعالى ﴿ **أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لاَ يَسْتَوُونَ**﴾ [السجدة:١٨] نزلت في علي بن أبي طالب والوليد بن عقبة لما باهاه، رواه الحاكم أيضاً.

ومنها: قوله تعالى ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ**

احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾[1] [الأحزاب: ٥٧] يعني: أولياء الله؛ نزلت في علي بن أبي طالب.

ومنها: قوله تعالى ﴿ **يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾** [المائدة:٦٧] نزلت في علي بن أبي طالب، كما تقدم الذكر ذكره[2].

ومنها: قوله تعالى ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾** [مريم: ٩٦] فإنها نزلت في علي بن أبي طالب، فما من مؤمن ولا مؤمنة إلا وفي قلبه محبة لعلي بن أبي طالب عليه السلام، وأضاف الله المحبة إلى نفسه تعالى من حيث أمر بها، ولطف فيها، وقيل: من حيث وهب لعلي عليه السلام من الخصال ما يحب لأجلها.

ومنها: ما روى الثعلبي في تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَتَمَنَّوْن الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾** [آل عمران:١٤٣] قال: نزلت في يوم أحد، قال: قَتَل علي بن أبي طالب طلحة وهو يحمل لواء قريش، وأنزل الله تعالى نصره على المؤمنين، قال الزبير بن العوام: فرأيت هنداً وصواحباتها هاربات مصعدات في الجبل، باديات خُدَامهن[3]، فكانوا يتمنّون

---

[1] وردت الآية في الأصل هكذا: «إن الذين يؤذون الله ورسوله والذين آمنوا» ولا توجد آية على هذه الصيغة وما صوبناه عن أنوار اليقين: مصدر نقل المؤلف.

[2] كذا الأصل.

[3] الخدام: موضع الخلخال من الساق.

الموت من قبل أن يلقوا علي بن أبي طالب عليه السلام.

ومنها: قوله تعالى ﴿ **الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**﴾[١] [آل عمران:١٧٣] نزلت في علي بن أبي طالب، جاء في التفسير الذي جمعه أبو سفيان[٢]، والذين زادهم إيماناً: علي بن أبي طالب عليه السلام.

ومنها: قوله تعالى ﴿ **فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ**﴾ [الزخرف:٤١] روى ابن المغازلي في مناقبه، ورفعه إلى الباقر عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قال رسول الله ص وإني لأدناهم إليه في حجة الوداع بمنى، حين قال:« لا ألفينّكم ترجعون بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، وأيم الله لئن فعلتموها لتعرفنّي في الكتيبة التي تضاربكم، ثم التفت إلى خلفه فقال: أو علي أو علي ثلاثاً، فرأينا أن جبريل غمزه وأنزل الله تعالى على أثر ذلك: ﴿ **فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ**﴾ بعلي بن أبي طالب ﴿ **أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ**﴾ [الزخرف:٤٢] ثم نزلت: ﴿**قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ، رَبِّ فَلاَ تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾ [المؤمنون:٩٣-٩٤] ثم نزلت: ﴿ **فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ**﴾ من أمر علي ﴿ **إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ [الزخرف:٤٣]

---

(١) سورة آل عمران، آية ١٧٣.

(٢) أبو سفيان: هو وكيع بن الجراح الرؤاسي، أحد محدثي الشيعة الثقاة، ذكره السيد صارم الدين الوزير في الفلك الدوار، توفي عام ١٩٧هـ.

وإن علياً لعلم للساعة( ) ﴿ **وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ**﴾ [الزخرف: ٤٤] عن علي بن أبي طالب.. إلى غير ما ذكرنا من الآيات مما أضربت عن نقله في هذه [النبذة] لأن من لم ينفعه ما ذكرنا، ولم ينجع فيه، لم تنفعه الزيادة.

ومن ذلك: ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ**﴾ [البقرة:٢٠٧] قال في «التقريب» و«التهذيب» وغيرهما: هو علي
عليه السلام بات على فراش النبي ص ليلة خروجه إلى الغار، فقام جبريل عند رأسه، وميكائيل عند رجليه، وجبريل ينادي: بخٍ بخٍ من مثلك يا ابن أبي طالب يباهي الله تعالى بك الملائكة.

ومن ذلك قوله ص «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا، وأبوهما خير منهما». ففيه نص على إمامتهما، وتصريح بإمامة أبيهما، وقد ادعى بعضهم الإجماع على صحته، والإجماع على صحته يقوم مقام تواتره في القطع بأن النبي ص قاله. قال الفقيه حُمَيْد: وإجماع العترة على صحته. ولنكتف في هذا المختصر بهذه النصوص دع أخبار الفضائل فهي لا تنحصر أبداً، وقد روى في «شمس الأخبار» وفي «الشفاء» أيضاً عنه ص أنه قال: « من ناصب علياً الخلافة بعدي فهو كافر، وقد حارب الله ورسوله، ومن شك في علي

( ) كذا في مناقب ابن المغازلي. وفي الأصل: «لعلم الساعة لك ولقومك وسوف تسألون».

فهو كافر».

وفي «مجموع الإمام الولي زيد بن علي» عليه السلام ما لفظه: وعن علي
عليه السلام قال: قال لي رسول الله ص: قال لي ربي عز وجل ليلة أسري بي: من خلفت على أمتك يا محمد، قال: قلت يا رب أنت أعلم، قال: يا محمد إني انتجبتك لرسالتي، واصطفيتك لنفسي، فأنت نبيي وخيرتي من خلقي، ثم الصديق الأكبر الطاهر المطهر الذي خلقته من طينتك، وجعلته وزيرك، وأبا سبطيك السيدين الشهيدين الطاهرين سيدي شباب أهل الجنة، وزوجته خير نساء العالمين، أنت شجرة وعلي أغصانها، وفاطمة ورقها، والحسن والحسين ثمارها، خلقتهما(١) من طينة عليين، وخلقت شيعتك منكم، إنهم لو ضربوا على أعناقهم بالسيوف
لم يزدادوا لكم إلا حباً، قلت: يا رب ومن الصديق الأكبر؟ قال: أخوك علي بن
أبي طالب، قال: بشرني رسول الله ص بها، وابناي الحسن والحسين منها، وذلك قبل الهجرة بثلاثة أحوال.

وفي هذا أيضاً نص صريح على خلافته، واختصاصه بها من الله تعالى، حيث أخبر نبيه ص أنه الخليفة بعده على أمته في غيبة قليلة، فأولى وأحرى بعد

---

(١) في مجموع الإمام زيد: خلقتكم.

موته ص.

ونرجع إلى أبيات الدامغة فقولنا «**هو الإمام فما تيم وإن ظلموا**» البيت؛ وقولنا: «**بل جرعاه وبنت المصطفى**» إلى آخره.

اعلم كما علمت وجميع من يعي ويقول الحق وله يبتغي أن الإمام بعد رسول الله ص علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، كما ثبتناه أولاً، وقد عدا على إمامته، وابتز خلافته وأخذ حلته أبو بكر التيمي، وصاحبه عمر بن الخطاب العدوي، وعثمان بن عفان الأموي، ومعاوية بن أبي سفيان الشقي؛ وقد أشار إلى ذلك الأمير أبو فراس في «شافيته»، حيث قال مشيراً إلى إمامته عليه السلام:

حتى إذا أصبحت في غير باتت تَنَازَعُها الذؤبان والرَخَمُ
تالله ما جهل الأقوامُ موضعها لكنهم ستروا وجه الذي علموا

وقال بعض السادة المتأخرين[1]:

آهٍ عذيري من أبي بكـ ـر ومن عمر عذيري
سلبا علياً ما كسا ه محمد يوم الغدير

وقال الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة عليه السلام في أرجوزته[2]:

---

[1] هو السيد أحمد بن محمد الآنسي (من هامش الأصل) **قلت**: توفي سنة ١٠٧٩هـ واسم قصيدته التي منها هذان البيتان «قصب السكر وقضب الجوهر».

[2] وهي الموسومة: بالرسالة الناصحة بالأدلة الواضحة.

ثم الإمام مذ مضى النبي بغير فصلٍ فاعلمنْ علي
والنص فيه ظاهر جلي يوم الغدير ساعة الإحفال

وقال الإمام الداعي يحيى بن المُحَسِّن عليه السلام في أرجوزته:

أصل الخلاف كان في السقيفه إذ قام من في قلبه حسيفه
للعترة الطاهرة الشريفه ليصرف الأمر عن الخليفه
بعد كلامٍ أظهروا تحريفه
لم يسمعوا وما همُ بالصُّم ولايةً من النبيِّ الأمي
لصنوه يوم غدير خم أوجبها عليهم بالرغم
فكان صرف الأمر عين الظلم

وما أحسن قول خزيمة بن ثابت الأنصاري ذي الشهادتين الذي جعل النبي ص شهادته عن شاهدين حيث قال:

إذا نحن بايعنا علياً فحسبنا أبو حسن مما نخاف من الفِتنْ
وجدناه أولى الناس بالناس عن(1) أطبّ قريش بالكتاب وبالسننْ
وإنَّ قريشاً ما تشق غباره إذا ما جرى يوماً على الضُّمَّر البُدُنْ
وفيه الذي فيهم من الخير كله وليس بهم كل الذي فيه من حسن(2)

وقال أيضاً:

ويلكم إنه الدليل على اللـ ـه وداعيه للهدى وأمينُه

---

(1) في سائر المصادر: وجدناه أولى الناس بالناس إنه.

(2) في الحدائق ١/٥٩: وما فيهم كل الذي فيه من حسن.

وابن عم النبي قد علم النا ... س جميعاً وصهره[1] وخدينه

كل خير يزينهم[2] فهو فيه ... وله دونهم خصال تزينه

ويل أم الذي[3] يبارزه في الرَّوْ ... ع إذا ضمت الحسام يمينه

ثم نادى أنا أبو حسن القَرْ ... م فلا بد أن يطيح قرينه

فيا لها من مصيبة نازلة، وفجيعة هائلة، تقدم أبي بكر وعمر، على أمير المؤمنين حيدر، صلوات الله وسلامه على محمد وآله.

فصـــل
نذكر فيه شيئاً مما جرى بعد موت النبي ص من الخلاف وتقدم المشايخ، ومدة خلافة كل واحد منهم

قال في «شرح الزحيف»: اعلم أن الخلاف وقع بين الأمة يوم السقيفة.

قال ابن إسحاق: ولما قبض ص انحاز هذا الحي من الأنصار إلى سعد بن أبي عبادة في سقيفة بني ساعدة، فوقع الخلاف بين المهاجرين والأنصار.

قال الشيخ أبو القاسم البلخي[4]: فهو أول خلاف وقع بين الأمة. ثم اختلافهم في الشورى، ثم خلاف أهل الجمل، ثم حدث خلاف الخوارج، ثم

---

(1) كذا في الأصل. وفي الحدائق ولوامع الأنوار: وصنوه وخدينه.

(2) في الأصل: «كل خير يرى فيهم» والتصحيح عن الحدائق.

(3) في الأصل: «فويل لمن» والتصويب عن شرح الرسالة الناصحة ٢١٧.

(4) هو عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبي، أبو القاسم البلخي: أحد علماء المعتزلة الكبار، عداده في الطبقة الثامنة، ولد عام ٢٧٣ وتوفي ببلخ ٣١٩هـ. الأعلام ٤/ ٦٥، طبقات المعتزلة ٩٩.

ما زالت الحوادث والبدع تحدث شيئاً فشيئاً.

[مبايعة أبي بكر]

قال أهل السير: فبويع لأبي بكر بعد قول بعض الأنصار للمهاجرين: منّا أمير ومنكم أمير، يوم ثاني موت رسول الله ص نهار الثلاثاء لثلاث عشرة خلت من ربيع الأول سنة إحدى عشرة للهجرة، وهي السنة التي توفي فيها رسول الله ص. وقد اعتزلهم أمير المؤمنين قيل: لاشتغاله بموت النبي ص ودفنه، وهو الصحيح، وانحاز معه جماعة من الصحابة.

ولما بلغه عليه السلام احتجاج المهاجرين على الأنصار، قال: احتجوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة، وروي أنه قال: واعجباه! أتكون الخلافة بالصحابة، ولا تكون بالقرابة والصحابة. وقال في ذلك:

لئن كنتَ بالشورى ملكت رقابهم   فكيف بهذا والمشيرون غيّبُ؟

وإن كنت بالقربى حججت خصيمهم   فغيّرك أولى بالنبي وأقربُ

ولما وليها أبو بكر جرت أمور عجيبة لا يتسع هذا المختصر لنقلها، واعتزل

عليه السلام في أهل بيته وجماعة من الصحابة، وكان ما كان من شهادة الإثني عشر الصحابي، وتكلمهم على أبي بكر، وأراد الاعتزال والترك، فنهاه عمر وغيره، فاستمر فيها.

وأحسن ما سمعته في وصف تلك الحادثة ما قاله الإمام الداعي إلى الله يحيى بن المُحَسِّن عليه السلام في أرجوزته المشهورة: (أصل الخلاف كان في السقيفة) البيت السابق والذي بعده ثم قال بعد قوله: فكان صرف الأمر عين الظلم:

فقام فيها ابن أبي قحافه بالأمر غيرَ جامعٍ أوصافه

ولم يكن من معدن الخلافه وكان فيه رحمة ورأفه

وسيرة تشهد بالمخافه

لكنه قد أغضب الوصيّا ولم يكن بأمره حفيا

وحين لاقى القدر المقضيّا قلّدها من بعده عديا

كأنه لا يرتضي عليا

فأغلق الفاروق عنهم بابه معتزلاً في جملة الصحابه

وكفَّ عنهم ظفره ونابه منتظراً للفتح والإجابه

وانقشعت عن نصره السحابه

أكان من أطلق رجم الحبلى أولى بها أم الوصي أولى

كلا ومن سوّى السماء كلا لقد أبان أمره وجلّى

محمد من العلي الأعلى

وظُلِمت ميراثها البتول وغضبت فغضب الجليل

وشاهد جاءت به مقبول والسنة البيضاء والتنزيل

إذ أوجبت ميراثها الأصول

[فدك والعوالي وخطبة الزهراء في مرضها]

ثم لما ولي أبو بكر ونزا على إمامة علي عليه السلام لم يقنع بذلك حتى أخرج وكيل الزهراء من فدك، وقبضه عليها، وكانت فدك والعوالي سبع قريات[1] متصلات، أُجلى عنها أهلها بلا إيجاف، فصارت ملكاً للنبي ص بنص القرآن الكريم في سورة الحشر. قيل: وكانت غلتها في كل سنة ثلاثمائة ألف دينار، وروي أنه كان فيها مما غرسه النبي ص بيده الطاهرة إحدى عشرة نخلة، فكان ثمر هذه النخلات يستشفى بها من الآلام.

وروى أبو العباس الحسني بإسناده إلى أبي سعيد الخدري قال: لما نزل قوله تعالى:﴿**وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ**﴾ [الإسراء: ٢٦] دعا رسول الله ص فاطمة وأعطاها فدكاً.

وروى أيضاً بإسناده إلى جعفر بن محمد عن أبيه أنه ص أعطاها فاطمة قبل أن يُقبض بأربع سنين، وكانت في يدها تحتمل غلاتها، وعبد[2] يسمى جُبَيراً وكيلها، فلما قبض رسول الله ص أنفذ أبو بكر رجلاً من قريش بعد

---

(1) في المصابيح ٢٤٩: تسع قريات.

(2) في الأصل: «وعبدا».

خمسة عشر يوماً من وفاته ص، فأخرج وكيل فاطمة عليها السلام منها.

قال الفقيه حميد الشهيد: وروى صاحب «المحيط بالإمامة»: أن أبا بكر أخرج وكيل فاطمة من فدك، وطالبها بالبينة، بعد شهر من موت رسول الله ص، فجاءها وكيلها، فقال: أخرجني أبو بكر، فصارت فاطمة إلى أبي بكر ومعها أم أيمن ونسوة من قومها، فقالت: فدك بيدي، أعطانيه رسول الله ص، وتعرض صاحبك لوكيلي، فقال: يا بنت محمد، أنت عندنا مصدقة إلا أن عليك البينة، فقالت: يشهد لي علي بن أبي طالب وأم أيمن، فقال: هات، فشهدا، فكتب لها صحيفة بردها وختمها، فأخذتها فاطمة، فاستقبلها عمر وقال: يا بنت محمد هات الصحيفة، فأخذها ونظر فيها، فتفل فيها وخرقها، فاستقبلها علي عليه السلام فقال: ما بك يا ابنة محمد غضبانة، فذكرت له ما صنع عمر، فقال: ما ركبوا من أبيك ومني أعظم من هذا. قال: فمرضت، فجاءها الشيخان يعودانها، فلم تأذن لهما، فجاءا من الغد فأقسم عليّ عليها فأذنت لهما، فدخلا وسلما، فردت عليهما سلاماً ضعيفاً، ثم قالت: سألتكما بالله الذي لا إله إلا هو هل سمعتما من رسول الله ص يقول: «من آذى فاطمة فقد آذاني» فقالا: اللهم نعم، فقالت: فأشهد أنكم قد آذيتماني.

قال الفقيه حميد: وقد تقرر في الأخبار أن الله سبحانه وتعالى يغضب لغضب فاطمة، ويرضى لرضاها، وقال ص: « فاطمة بضعة مني، من آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله » قال: ومن أخذ مالها فقد آذاها. وفي «البخاري» بسنده عن عائشة أن فاطمة أرسلت إلى أبي بكر تسأله

ميراثها من رسول الله ص مما أفاء الله عليه بالمدينة، وفدك وما بقي من خمس خيبر، إلى أن قال: فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منه شيئاً، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك، وهجرته، ولم تكلمه حتى توفيت. وقد عاشت بعد النبي ص ستة أشهر، فلما ماتت دفنها علي عليه السلام ليلاً، وصلى عليها ولم يؤذن بها أبا بكر.

قال الفقيه حميد: وعلى الجملة فالحال ظاهر عند العترة أن فاطمة ماتت وهي غاضبة على الشيخين أبي بكر وعمر. قال: وقد سئل الإمام ترجمان الدين القاسم بن إبراهيم عليه السلام عن الشيخين، فقال: كانت لنا أم صديقة ماتت وهي غضبانة عليهما ونحن نغضب لغضبها. فقال الأمير عُلَيّ بن عيسى بن حمزة الحسني(1) وهو أحد شيوخ القاضي جعفر بن أحمد، وكان جده حمزة أمير مكة:

أتموت البتول غضبى ونرضى ... ما كذا يفعل البنون الكرامُ

يا أبا حفص الهوينا فما كنت ... ملياً بذاك لولا الحمامُ

قلت: ولي قصيدة(2) سأذكرها فيما بعد منها خطاباً للنبي ص:

---

(1) علي بن عيسى بن حمزة بن وهاس: عالم زيدي من أمراء مكة وأشرافها، وهو الذي حث العلامة الزمخشري على تصنيف تفسير الكشاف، توفي بمكة عام ٥٥٦هـ راجع مطلع البدور: ٢٩٣/٣، الطبقات ٢/ ٧٧٤.

(2) هنا المؤلف يتكلم عن نفسه.

وسل بنتك الزهراء ماذا جرى لها   أهل ورّثُوها منك أم هم تعصبوا
وعنها زووا ما كنتَ أنحلتها ولم   يُبَقّوا عليها وهي أولى وأقربُ
وكان لهم مندوحة لو جبوا لها   جميع خراج الأرض طراً وقرّبوا
وما هي إلا في النفوس ضغائن   خبوها فلما غِبْت عنهم تعيّبوا
وصنوك كم قد نال منهم   خلافتَهُ وهو الوصيُّ المهذبُ (1)
ففيَّ كلَّ قلب من فعالهم شجًى   وفي كل جفن عبرة تتصببُ

وهذا معنى قولنا في الدامغة: «**وماتت الطهر حقاً وهي غاضبة**».

فاعجب لأبي بكر وعمر ما ركبا من الخطر، هي معصومة شهد لها معصوم، مع أم أيمن، فهل هما إلا متعصبان عليها، ومؤذيان لرسول الله ص فيها، وغاصبان للخلافة على ربها، ووضعاها في غير منصبها. قال الإمام المتوكل على الله عز وجل أحمد بن سليمان عليه السلام في «حقائق المعرفة»: ومِنْ ظلم أبي بكر الظاهر أنه منع فاطمة عليها السلام حقها من ميراث أبيها من فدك والعوالي وغير ذلك، ولم يرض بظلمه لها حتى زاد نسب ذلك إلى رسول الله ص، ولم يكن رسول الله ص ليحُرِّم على ابنته وسائر ورثته الميراث منه، وهو يعلم أن الصدقة محرمة عليهم، والنذور والكفارات، وإذا منعوا آل رسول الله ص الميراث - وقد أيضاً منعوهم الأخماس - فهل هذا إلا أكبر الظلم؟

(1) نسخة: وهو الوصي المقرب. (مؤلف).

وقوله عليه السلام: النذور أراد الواجبة، وفيها الخلاف، وعندنا أنها تحل لهم، فأما النذر عليهم والصدقة لهم فمن أقرب القرب المقربة إلى الله تعالى بإجماع الأمة، وكلامه عليه السلام في الميراث على فرض بطلان النِحْلة من النبي ص لفاطمة فدك والعوالي.

نعم ولما أجرى أبو بكر يده عليها استمر غصبها، فلم يزل الأمراء يتداولونها حتى أن معاوية بعد موت الحسن عليه السلام أقطع مروان بن الحكم ثلث فدك، فلم تزل على ذلك حتى خلصت لمروان أيام خلافته، فوهبها لابنه عبد العزيز، فوهبها عبد العزيز لابنه عمر، فلما ولي عمر الخلافة كانت أول ظُلامة ردها، فإنه دعا الحسن بن الحسن المثنى عليه السلام فدفعها إليه، فكانت بيد أولاد فاطمة مدة خلافته، ثم لما ولي يزيد بن عاتكة قبضها منهم، فصارت بأيدي بني مروان حتى انتقلت الخلافة إلى بني العباس، فلما ولي السفاح ردها على عبد الله بن الحسن عليه السلام، ثم قبضها أخوه أبو جعفر الدوانيقي، ثم ردها ابنه المهدي على ولد فاطمة، ثم قبضها ابنه موسى، ثم أخوه هارون الرشيد، ثم ردها المأمون على الفاطميين؛ قالوا[1] إنه جلس يوماً للمظالم فأول رقعة وقعت في يده نظر فيها وبكى، وقال للذي على رأسه: ناد وكيل فاطمة، فقام شيخ عليه درّاعة وعمامة وخف فتقدم وجعل يناظره في فدك، والمأمون يرد عليه ويحتج،

---

(1) الخبر في شرح نهج البلاغة ١٦/ ٢١٧.

وهو يحتج على المأمون، ثم أمر المأمون أن يسجل لهم بها، فقرئ السجل على المأمون فأنفذه، فقام دُعْبل بن علي الخزاعي، وأنشده الأبيات التي أولها:

أصبحَ وجهُ الزمانِ قد ضَحِكا   بردّ مأمون هاشمٍ فَدَكا

فلم تزل في أيدي الفاطميين إلى أن ولي المتوكل، فأقطعها بعض عماله(1)، فصرم نخلها بأمر ذلك العامل رجل يقال له بشر بن أبي أمية الثقفي، فلما صرمها، عاد إلى البصرة فَفُلِج، فكانت هذه آية وعقوبة لبشر معجلة على ذلك، ثم انتقم الله تعالى أولئك الخلفاء جميعاً فله الحمد، ولله القائل:

تحكّموا واستطالوا في تحكمهم   وعن قليلٍ كأنّ الحكم لم يكنِ

لو أنصفوا أَنصفوا لكن بغوا فبغَى   عليهم الدهر بالآفات والمحنِ

فأصبحوا ولسان الحال يندبهم   هذا بذاك ولا عيب على الزمنِ

ونرجع إلى تمام ذكر غصب أبي بكر لمال فاطمة عليها السلام، وذكر بعض وصيتها وكلامها عند موتها سلام الله عليها.

وقال الإمام الحسن في «أنوار اليقين»: هذه أمنا فاطمة بضعة النبوة، وسيدة نساء أهل الجنة تقول: ما رواه السيد أبو العباس الحسني قال: حدثنا محمد بن نهار الكوفي، عن عبد الرحيم، عن محمد بن علي الهاشمي، عن

(1) وهو عبد الله بن عمر البازيار.

عيسى بن عبد الله، عن أبيه، عن جده، عن علي عليه السلام قال:

لما حضرت فاطمة الوفاة فقالت لعلي عليه السلام: أتنفذ وصيتي وعهدي، أو والله لأعهدن إلى غيرك، ثم سرد حديث الوصية، وهي معلومة عند الذرية الزكية، منها: أنه لا يحضر دفنها أبو بكر وعمر، فدفنت ليلاً بالبقيع. قال: فلما اشتدت عليها علتها اجتمع إليها نساء المهاجرين والأنصار ذا صباح فقلن: كيف أصبحت يا ابنة رسول الله ص من علتك؟ فقالت: أصبحت والله عائفة[1] لدنياكم، وقالية لرجالكم، شنئتهم[2] بعد إذ سَبَرْتهم، ولفظتُهم بعد إذ عجمتهم[3]، فقبحاً لفُلول الحد، وخَور القناة، وخطل الرأي، وبئس ما قدمت لهم أنفسهم أنْ سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون، ويحهم لقد زحزحوها عن رواسي الرسالة، وقواعد النبوة، ومهبط الروح الأمين، والطيبين لأهل الدنيا والدين، ألا ذلك هو الخسران المبين، وما نقموا والله من أبي حسن! نقموا والله نكير سيفه[4]، ونكال وقعته، وشدة وطأته، وتَنَمُّره في ذات الله، والله لو تكافأوا[5] على زمام نبذه إليه رسول الله ص لاعتقله، ولسار بهم سيراً سجحاً، لا يكْلم خشاشه، ولا يتتعتع راكبه، ولأوردهم مورداً نميراً، تمِير ضفتاه، ولأصْدَرهم

---

(1) عائفة لدنياكم: أي قالية لها كارهة.

(2) شنئتهم: أبغضهم، وسبرتهم: علمت أمورهم.

(3) عجمتهم: بلوتهم وخبرتهم.

(4) في الأصل: «سبقه».

(5) التكافؤ: التساوي، والزمام الذي نبذه إليه رسول الله ـ أي ألقاه إليه ـ إنما هو زمام الأمة.

بِطاناً، قد تحيّر بهم الرِّي، غير متحلٍ منه بطائل، إلا بغمرة الناهل(١)، وردعة سورة الساغب(٢)، ولفتحت عليهم بركاتٌ من السماء والأرض، ولكن كذبوا فسيعذبهم الله بما كانوا يكسبون. ألا هلمنّ فاسمعنّ وما عِشْتُنَّ أراكنّ الدهر عجباً، إلى أي ركن لجئوا؟ وبأي عروة تمسكوا؟ ﴿**لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ**﴾ [الحج: ١٣] وئبس للظالمين بدلاً، استبدلوا والله الذناب بالقوادم، والعجز بالكاهل، فبعداً وسحقاً لقوم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، ﴿ **أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لاَ يَشْعُرُونَ**﴾ [البقرة: ١٢].

قال عليه السلام: فهذا قول فاطمة الذي لقيت الله عليه.

ومن «أنوار اليقين» أيضاً ما لفظه: روى زيد بن أسلم أنه لما بويع أبو بكر بعد النبي ص فكان علي والزبير والمقداد يدخلون على فاطمة بنت رسول الله ص ويتشاورون في أمرهم، فلما بلغ ذلك عمر بن الخطاب خرج حتى دخل عليها، قال: يا بنت رسول الله صلى الله عليه وعليك ما من الخلق أحب إلينا منك، والله ما ذلك بمانعي إن اجتمع هؤلاء النفر عندك أن آمر أن يحرق عليك البيت الخبر. وفي بعض الأخبار: أن أهدم. فلما خرج جاءوها فقالت: تعلمون أن عمر قد جاءني وحلف بالله لئن عدتم ليحرقن عليكم البيت، وأيم الله ليمضين على ما حلف عليه، فانصرفوا وراءكم، ولا حول ولا قوة

---

(١) في الأصل: «الناهر». وأرادت بغمزة الناهل: أي ري الظمآن.

(٢) أي كسر شدة الجوع.

إلا بالله العلي العظيم.

[حديث الخضر مع أبي بكر وعمر]

ومن أعظم ما وقع مع أبي بكر وعمر ولم ينجع فيهما حديث الخضر عليه السلام، روى محمد بن علي بن العباس عن جده عبد الله بن العباس قال:

كنت جالساً عند أبي بكر بن أبي قحافة ذات ليلة نسمر في حديث بيننا، إذ برجل قد هجم علينا، عليه إزار صنعاني، مستتر بحمرة، متردٍ برداء عدني، متختم في يمينه أحسن من رأيت، فسلم علينا فرددنا عليه السلام، فقال له أبو بكر: ارتفع هاهنا يرحمك الله، فتوكأ على العصا ووقف على قدميه، ثم قال: أيها الشيخ إني أريد الحج، ورأيت جارية أتتني وقالت: إنك ستلقى هذا الرجل الذي يزعم أنه خليفة رسول الله ص فإن رأيت أن تبلغه عني رسالة، فافعل مأجوراً، فقلت: هلم رسالتك أبلغها الرجل. فقالت: أبلغه أني امرأة ضعيفة، وعلي عيال، وكان أبي يعينني على دهري، وكانت له أريضة فجعلها لي ولولدي، فكنت أعتزّ بها أنا وزوجي وولدي أيام حياته، فتوفي والدي، فوثب علي أمير البلد فانتزعها مني واختص بها، وصيّر فيها وكيله، فيأخذ غلتها وما يخرج منها، فيأكله ويطعم من شاء، ولا يرزقنا ثمرة ولا وترة، ثم أطرق للجواب. فقال أبو بكر: ما له ذلك ولا كرامة له، ولأكفين إليه ثم لأعزلنه، ثم لأفضحنه، الفاجر العاصي الجائر الغشوم. ثم إن عمر استرجع وقال لأبي بكر: يا خليفة رسول الله وجّه إلى هذا الفاسق الخبيث من

يأتيك به من غد، ولا تمهله طرفة عين حتى تعزله وتحسن أدبه، ثم يؤتى به مكتوفاً، فقد جار واعتدى. فقال أبو بكر: يا هذا الرجل من هذا الوالي الذي ذكرت، ومن أي بلد هو؟ وما اسم المرأة المغصوب عليها؟

قال ابن عباس رضي الله عنه: فقال الرجل: نعوذ بالله من سخط الله، نعوذ بالله من غضب الله، نعوذ بالله من مقت الله، نعوذ بالله من نقم الله، فمن يكون أخون وأجور وأعتى وأظلم وأفجر ممن ظلم ابنة رسول الله ص، ثم خرج الرجل. فقال أبو بكر: ردّوا الرجل. فقالوا: ما رأيناه لما دخل ولا رأيناه لما خرج، والباب مغلق ما فتح، فنظر إلى عمر فقال: أما سمعت؟ فقال عمر: الذي رأيتَ وسمعتَ فلا يهولنك، فربما تحيّل إبليس الملعون لحكام المسلمين ليفتنهم، فقال أبو بكر: يا ابن عباس أعيذك بالله أن يسمع أحد مما سمعت شيئاً. قال: فما تم كلامه إلا وهاتف يقول في الهوى ولا يرى شخصه:

يا من تسمّى باسم لا يليق به أعدل على آل ياسين الميامينِ

أتجعل الخضر إبليساً لقد ذهبت بك المذاهب عن رأي المصلين

فتب إلى الله عما قد أتيت به إلى النبي ودع ظلم الوليين

والله يشهد أن الحق حقهم لا حق تيم ولا حق العديين

وقد شهدت أخا تيم وصيته للأنزع العالم القوّام بالدين

دون الصحابة حقاً غير منكتم (.......)[1] خير

لا تغصبن أخا تيم أبا حسن ما خصه الله من إرث النبيين

خص النبي علياً حين فارقه بالعلم والحكم والقرآن والدين

لن يغفر الله ما دبرت حينئذ من ظلم فاطمة مع كل مفتون

قال ابن عباس رضي الله عنه: فأجابه هاتف آخر يقول:

عدلت أخا تيم على كل ملحد وجُرْت على آل النبي محمَّدِ

وأغنيت تيماً مع عدي وزهرة وأفقرت غرًّا من سلالة أحمدِ

لأسرع ما بدلتموا ونقضتموا عهودكم يا قوم بعد تأكدِ

أفي فدكٍ شك بأن محمداً حبى ابنته فيها بأعظم مشهدِ

علي ومقداد وسلمان بعده وجندب مع عمار في وسط مسجدِ

وأشهدنا والإنس أن تراثه لفاطمة دون البعيد المبعدِ

ونحن شهود يوم نلقى محمداً بظلمكم آل النبي المسَدَّدِ

قال ابن عباس: فلما انقطع الصوت التفت أبو بكر إلي، وقال لي: يا ابن عباس المجالس بالأمانة، فأعيذك بالله أن يسمع أحد مما سمعت شيئاً، فقلت: أفعل. فما ذكرته لأحد؛ وما شعرت إلا برسول علي بن أبي طالب عليه السلام قد أتاني، فقال: أجب ابن عمك، فمضيت إليه، فلما وقع بصره علي ضحك، ثم قال: يا ابن عم رسول الله أسألك بالرحم هل تحفظ من أبيات الجن شيئاً؟ فقلت: ما أقل ما فاتني منها، فقال عليه السلام: أنشد منها، فقلت: جعلت

---

(1) بياض في الأصل.

فداك يا أبا الحسن إني قد رهنت لساني، وقد استكتمني أن لا يظهر عليه( ) أحد، فإن رأيت أن تعفيني فافعل، فقال عليه السلام: لا بأس عليك يا ابن عباس، أنا أنشدها حتى لا يذهب عليك شيء منها، وأقصص عليك الحديث، حتى كأني شاهد معكم.

فقلت له: جعلت فداك ما كنا عنده إلا ستة نفر أنا، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وعمر بن الخطاب، وسعد بن أبي وقاص. فقال: يا ابن عباس هل تدري من كان الرجل الوارد عليكم؟ قلت: لا لعمري ما أدري من كان، فقال عليه السلام: هو الخضر عليه السلام أتاني وأخبرني ما كان بينه وبين أبي بكر، وأنشدني شعر الجن.

قال ابن عباس: فقلت: جعلت فداك أبحق عليك أن تحدثني بما سمعت منه، وأنشدني الأبيات فقال عليه السلام: نعم لو لم تسألني لفعلت. قال ابن عباس: فقص عليّ قوله حتى لم يدع منه حرفاً، ثم أنشدني الشعر من أوله إلى آخره، وكتم علي

عليه السلام وكتمت، فما ذكرنا ذلك لأحدٍ حتى قتل عثمان بن عفان، وفشا الخبر في الحي من بني هاشم فقط. قال: فلما أصبحنا أنفذ أبو بكر إلى فاطمة عليها السلام ابنه محمد بن أبي بكر أن تُقْدِم عليه، فلما دخلت عليه رحب بها، وقرب مجلسها، وأمر أن يكتب لها بفدك، فكُتِب لها، فأخذته، وخرجت من عنده، فتلقاها عمر بن الخطاب، والكتاب بيدها، فقال: ما هذا الكتاب يا ابنة

() في الأصل: «وقد استكتمني إلا يظهر على أحد».

محمد؟ قالت: كتاب كتبه أبو بكر لي برد فدك وتسليمها إلي، فقال: هات الكتاب. فناولته إياه فجعل ينظره فيه، ثم تفل فيه ومحاه ومزقه، فقالت له فاطمة عليها السلام: ما لك يا ابن الخطاب سلط الله عليك من هو أظلم منك فيمزق بطنك، ولا أقالك العثرة يوم تلقاه. قال ابن عباس: فو الله ما مضت عليه سنوات حتى عدا عليه أبو لؤلؤة فمزق بطنه انتهى.

قال السيد العالم شرف الدين الحسين [1] بن حمزة بن أبي هاشم الحسن بن عبد الرحمن الحسني الرسي رحمه الله تعالى: إن أبا بكر حضر مجلسه ذات يوم العباس ابن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما يتنازعان في ميراث رسول الله ص فقال العباس: هذا ابن أخي، ورسول الله ص ابن أخي، وسيف ابن أخي معه، وأنه أخذ ميراثه وأنا عمه، وهذه بغلة رسول الله ص وسيفه معه دوني، فقال أبو بكر: هيهات هيهات يا عباس أين أنت يوم نزل ﴿ **وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ**﴾ [الشعراء: ٢١٤] فرطت يا عباس، فقال العباس: إذا كان هذا هكذا فما أجلسك هذا المجلس؟ فقال أبو بكر: أعدواناً يا بني هاشم.

وقال الحسين بن حمزة سلام الله عليه إن أبا بكر قال لخالد بن الوليد: إذا أتى علي وأنا على المنبر ومسحت رأسي فاضرب علياً بالسيف، فسمعت ذلك أسماء بنت عميس فأمرت جاريتها أن تعدو إلى بيت علي عليه السلام

---

[1] راجع عن الحسين بن حمزة المذكور مطلع البدور ٢/ ١٦٦.

وتقول فيه: ﴿ إِنَّ الْمَلاَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ..﴾ الآية [القصص:٢٠] فسمعها علي عليه السلام فقال: ومن يقتل الناكثين والقاسطين والمارقين؟ فلما دخل علي عليه السلام المسجد واستوى فيه قال أبو بكر: يا خالد لا تفعل الذي قلت لك، فالتفت إليه علي عليه السلام فقال: أو كنت فاعلاً، قال: إي والله، لو أمرني صاحب المنبر لضربت أكثرك شعراً، فقال علي عليه السلام: أنت يا وريح وأخذه وقبض عليه بيده، فرغا خالد كرغاء البكر وبوله قد ملأ المسجد، فانقض إليه خلق بالمسجد ليفكوه من يده، فما قدروا عليه، فصاح أبو بكر من فوق المنبر وقال: والله لو اجتمع أهل منى ما قدروا أن يفكوه من يده اسألوه بصاحب القبر، فرمى به كأنه الفرخ الممصوع.

[وفاة أبي بكر ومبايعة عمر ووفاته]

ومع هذا الاغتصاب للخلافة من أبي بكر بن أبي قحافة لم يبق فيها إلا سنتان وثلاثة أشهر، ومات ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة للهجرة، ولم يرض باغتصابها في حياته حتى أدلى بها إلى عمر بعد وفاته، فقام بها عمر عشر سنين وستة أشهر يخبط عشواء في الأحكام، وأما الجهاد فبلغ فيه غاية المرام. وقد علم الناس جميعاً قضاياه في الأحكام، وتدارك علي عليه السلام لما كان يصدر منه من المزالق العظام، وكان يقول: وقعت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرها، فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه.

[وقال: تقدمني ظالماً وخرج إلي منها آثماً، أصل الخبر] [1] فيما رواه شريك بن عبد الله عن عبد الله بن سلمة عن أبي موسى الأشعري قال: خرجت أريد عمر ونحن بمكة فلقيت المغيرة بن شعبة، فقال: أين تريد؟ فأعلمته فمضينا معاً، فدخلنا على عمر، فذكرنا أبا بكر، فقال عمر: كان والله أعتى وأظلم، كان والله أعتى وأظلم، وكان والله أحسد قريش كلها، ثم قال: والهفتاه على ضئيل بني تيم بن مرة لقد تقدمني ظالماً وخرج إليَّ منها آثماً. فقيل: قولك: لقد تقدمك ظالماً قد عرفناه، فكيف خرج إليك منها آثماً؟ فقال: إنه لم يخرج إلي منها إلا بعد يأس، أما والله لو كنت أطعت زيد بن الخطاب، لما كان تلمظ[2] من حلاوتها أبداً، ولكني قدمت وأخرت، وصعدت وقوّمت، ونقضت وأبرمت، فلم أجد بداً على ما شئت فيه منها، فلم تجبني نفسي على ذلك، وأملت إثابته ورجعته، فوالله ما فعل حتى فغر [3] بها بشماً، فقال له المغيرة: فما منعك عنها وقد عرضها لك يوم السقيفة؟ لِمْ أنت الآن متعقب بالتأسف عليه؟ فقال له عمر: ثكلتك أمك إن الرجل ماكرني فماكرته، وألفاني أحذر من قطاه، إنه لما رأى شغف الناس به وإقبالهم عليه، أيقن أنهم لا يريدون به بدلاً، فأحب مع ما رأى من حرص الناس عليه، وشغفهم به أن يعلم ما عندي، وهل تنازعني نفسي إليها، بإطماعي فيها، والتعرض لها، وقد علم

(1) ما بين الحاصرتين إضافة من عندنا، وعبارة الأصل: «وقال فيما رواه شريك بن عبد الله».

(2) في الأصل: «تلمض» والتلمظ: تتبع بقية الطعام بين الأسنان باللسان لحلاوة فيه.

(3) فغر: فتح فاه، وعند ابن أبي الحديد ٢/ ٣٢: نغر أي أمتلأ، والبشم: التخمة.

وعلمت أني لو قبلت ما عرض علي لم يجب الناس إلى ذلك، وكان أشد الناس الذين كرهوا رده إياها إلي عند موته، وألفاني قائماً على أخمصي حذراً، ولو أجبته إلى قبولها لم يسلم الناس، ولاحتشاها عليّ ضغناً في قلبه، ثم لم آمن أتباعه ولو بعد حين، مع ما بدا له ولي من كراهة الناس لما عرضها عليّ، وسمعت نداءهم وهم يقولون من كل ناحية حين عرضها علي: لا نريد سواك يا أبا بكر أنت لها، فرددتها عند ذلك، فلقد رأيته التمع وجهه عند ذلك سروراً؛ روى ذلك السيد شرف الدين الحسين بن حمزة المقدم ذكره سلام الله عليه.

ثم لم يزل عمر في خلافته حتى عدا عليه أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة بالمدينة، مصدر الحاج لأربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين للهجرة، فمزق بطنه، واستجاب الله دعوة فاطمة عليها السلام، فأوصى بالإمامة شورى بين ستة أنفار أحدهم علي عليه السلام كما قال أبو فراس:

وصُيّرت بينهم شورى كأنهم لا يعلمون ولاة الحق أين همُ
تالله ما جهل الأقوام موضعها لكنهم ستروا وجه الذي علموا

وقال الإمام الداعي المعتضد بالله يحيى بن المُحَسِّن عليه السلام في أرجوزته:

وكان ما كان بأمر الشورى فقام عثمان لهم أميرا
ولبس العقيان والحريرا فنحروه خاسياً محسورا
كأنما قد نحروا جزورا

[مبايعة عثمان ومقتله]

ولما أفضى الأمر إلى عثمان بن عفان بعد أن نصبه عبد الرحمن بن عوف أحد الستة أهل الشورى، غلب عليه جماعة من أهل بيته، ومن يتعلق به، لا خير فيهم كمروان ابن الحكم طريد رسول الله ص، وابن طريده، والوليد بن عقبة بن أبي معيط الذي سماه الله فاسقاً في قوله: ﴿ **إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ**﴾ [الحجرات:٦] وفي قوله: ﴿ **أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لاَ يَسْتَوُونَ**﴾ [السجدة:١٨] وكعبد الله بن أبي سرح الذي ارتد عن الإسلام فأهدر دمه رسول الله ص يوم فتح مكة، وأمثالهم ممن لاحظ له في الدين، فولاهم عثمان الولايات، وأقطعهم الإقطاعات، ولم تزل تصدر منهم الأفاعيل المنكرات، وما زال الصحابة يعاتبون عثمان في شأنهم، فلما ضاقت الصدور بتلك الحوادث، كما قال القحطاني:

أتى ابن عفان أحداثاً جلبن له حتفاً فأصبح تحت الترب مدفونا

تداعى عليه جماعة من العراق ومن مصر وغيرهما ومحمد بن أبي بكر رضي الله عنه، فحاصروه في داره بالمدينة، ثم تسور عليه جماعة منهم فقتلوه يوم الجمعة، ثامن عشر شهر محرم الحرام، غرة سنة خمس وثلاثين للهجرة، فكانت مدة خلافته اثنتي عشرة سنة ينقص اثنا عشر يوماً، وكان نصبه للخلافة أول شهر محرم سنة أربع وعشرين سنة للهجرة. ولما قُتِل أقبل الناس من كل جانب على أمير المؤمنين، وانثالوا عليه كما قال في خطبته الشقشقية الآتي ذكرها، فبايعوه مكرهاً، ولم يعذروه عن القيام

بالخلافة، وحملها على أنه متحمل لأعبائها من قبل ذلك، وإنما سكت متجرماً، وتجرع الغيظ متكتماً، لعلمه بما هنالك ابتداءً وانتهاء كما سنبين ذلك قريباً إن شاء الله تعالى.

وقد أشار الإمام الداعي يحيى بن المُحَسِّن إلى ذلك حيث قال بعد قوله: كما نحروا جزورا.

فبايع الناس وصي المصطفى   طوعاً وظلوا صاغرين عكفا
فنكث البعض وبعض قد وفى   كأنهم لا يقرأون المصحفا
إذ جعلوه رابعاً للخلفا
فحاق ما حاق بأصحاب الجمل   وأمهم ثابتة بين الوَهَلْ
وطلحة أمسى صريعاً بالأسل   أَحْبط سبقاً وصلاحاً في العمل
أما الزبير فارْعَوى عما أمل

[حوامل الإمام علي (ع) على لزوم الصبر مدة المشايخ]

وهاهنا مقدمة أبين فيها علمه عليه السلام بما قد وقع قبل وقوعه، وأنه مأمور بالصبر على تقدم الثلاثة المشايخ عليه، من غير استحقاق لها، ولا أنهم من أهلها، وأنه لو أراد حربهم لفعل كما حارب الناكثين والقاسطين والمارقين، إلا أنه كما قال الإمام الداعي عليه السلام آنفاً:

وخاف لو ناصبهم أبو الحسن   أن يفسد الملة عبّاد الوثن

البيت وقد تقدم. فمن ذلك أنه قد علِم ذلك عليه السلام من قول النبي ص: «سألت الله أن تجتمع عليك أمتي فأبى علي..» الحديث وقد تقدم في أول الباب.

ومنها ما رواه ابن أبي الحديد في «شرح نهج البلاغة»[1] عن النبي ص أنه قال: «إن الله عهد إليّ في علي عهداً، فقلت: ربي بينه لي، قال: اسمع، إن علياً راية الهدى، وإمام أوليائي، ونور من أطاعني، وهي الكلمة التي ألزمتها المتقين، من أحبه فقد أحبني، ومن أطاعه أطاعني، فبشره بذلك. فقلت: قد بشرته يا رب فقال: أنا عبد الله وفي قبضته، إن يعذبني فبذنوبي[2]، وإن يتم لي ما وعدني فهو أولى بذلك، وقد دعوت له فقلت: اللهم اهد قلبه واجعل ربيعه الإيمان بك. قال قد فعلت، غير أني مختصه بشيء من البلاء لم أختص به أحداً من أوليائي، فقلت: رب أخي وصاحبي، قال: قد سبق في علمي أنه لمبتلى ومبتلى به ».

ذكره أبو نعيم الحافظ في « حلية الأولياء» عن أبي برزة [ثم رواه بإسناد آخر عن أنس بن مالك][3]: « إن رب العالمين عهد في علي عهداً: أنه[4] راية الهدى، ومنار الإيمان، وإمام أوليائي، ونور جميع من أطاعني،

(1) راجع شرح نهج البلاغة ٩/ ١٧٦- ١٧٩.

(2) زيد في شرح النهج: لم يظلم شيئا.

(3) إضافة عن شرح النهج.

(4) صدر الحديث في الأصل هكذا: «عهد إلي في علي عهداً لأنه» وما أثبتناه عن شرح النهج.

إن علياً أميني غداً في[1] القيامة، وصاحب رايتي، بيد علي مفاتيح خزائن رحمة ربي».

وقال في «الشرح المذكور» ما لفظه: وعن علي عليه السلام أن رسول الله ص قال: قال له: إن الله قد كتب عليك جهاد المفتونين، كما كتب عليّ جهاد المشركين، قال: فقلت: يا رسول الله، وما هذه الفتنة التي كتب عليّ فيها الجهاد؟ قال: قوم يشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، وهم مخالفون للسنة. فقلت: يا رسول الله، وعلام أقاتلهم وهم يشهدون كما أشهد؟ قال: على الإحداث في الدين، ومخالفة الأمر، فقلت: يا رسول الله إنك [كنت] وعدتني الشهادة، فأسأل الله أن يعجلها لي بين يديك، قال: فمن يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين! أما أني[2] وعدتك الشهادة وستستشهد[3]، تضرب على هذه [فتخضب هذه] [4]، فكيف صبرك إذاً؟ فقلت: يا رسول الله، ليس هذا بموطن صبر، هذا موطن شكر، قال: أجل أصبت فأعد للخصومة فإنك مخاصم، فقلت: يا رسول الله لو بينت لي قليلاً، قال: إن أمتي ستفتن بعدي، فتتأول القرآن وتعمل بالرأي، وتستحل الخمر بالنبيذ، والسحت بالهدية، والربا بالبيع، وتحرّف الكتاب عن مواضعه، وتغلب كلمة الضلال، فكن

---

(1) في الأصل: «غدا أي في يوم القيامة».

(2) في الأصل: «إنما أنا وعدتك».

(3) جاءت الكلمة في الأصل غير واضحة.

(4) إضافة من شرح النهج.

جليس بيتك حتى تقلدها، فإذا قلدتها جاشت عليك الصدور، وقلبت لك الأمور، تقاتل[1] حينئذ على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله، فليست[2] حالهم الثانية بدون حالهم الأولى. فقلت: يا رسول الله، فبأي المنازل أنزل هؤلاء المفتونين من بعدك؟ أبمنزلة فتنة أم بمنزلة ردّة؟ فقال: بمنزلة فتنة يعمهون فيها إلى أن يدركهم العدل، فقلت: يا رسول الله، أيدركهم العدل منا أم من غيرنا؟ فقال: بل منا، بنا فتح ربنا وبنا يختم ربنا، بنا ألف الله بين القلوب بعد الشرك، وبنا يؤلف بين القلوب بعد الفتنة، فقلت: الحمد لله على ما وهب لنا من فضله انتهى.

قلت: فقد دخلت أيام المشايخ في قوله «فكن جليس بيتك حتى تقلدها» فقد فعل حتى تقلدها، وقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين، وهذا كلام الله وكلام رسوله كما ترى. وروينا عن علي عليه السلام أنه قال على المنبر: والله ما نزلت آية في ليل أو نهار، ولا سهل ولا جبل، ولا سفر ولا حضر، إلا عرفت متى نزلت، وفيمن نزلت، وعرفت ناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، ومجملها ومفصلها.

وروينا عن أبي الطفيل قال: خطب علي عليه السلام ثم قال: سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء يكون إلى يوم القيامة إلا حدثتكم به، وسلوني عن كتاب

---

(1) في الأصل: «فتقاتل».

(2) في الأصل: «فليس».

الله،

ما منه آية إلا وأنا أعلم بليل نزلت أم بنهار، أم بسهل نزلت أم بجبل إلى آخر ما قال. ومنه جوابه على ابن الكوى حين قال من جملة سؤالات منها قوله: فمن الذين بدلوا نعمة الله كفراً؟ قال: قريش كفيتهم يوم بدر. وفي رواية: فقال هم الأفجران من قريش: بنو المغيرة وبنو أمية، فأما بنو المغيرة فأهلكهم الله يوم بدر، وأما بنو أمية فمتعوا إلى حين. ذكر ذلك في «التبيان» وغيره في تفسير قوله تعالى: **﴿ أَلَمْ تَرَى إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾** [إبراهيم:٢٨]. وروينا أنه قال عليه السلام ما معناه: ما من فتنة تكون إلى يوم القيامة إلا وأنا أعلم قائدها وسائقها وناعقها».

إذا عرفت هذه المقدمة فاعلم أن سكوته عليه السلام أيام تقدم المشايخ عليه سكوت صبر على المحنة والبلية، لا سكوت رضاً، وأنه مأمور بذلك، لما قد سبق في علم الله من كونه، وأن النبي ص قد أخبره بذلك مع أن أمورهم لا سيما أبو بكر وعمر كانت أقرب إلى الصلاح، وكانا يرجعان إليه في جميع ما أشكل، وأجاب على أهل الكتاب عن جميع ما سألوا عنه، كحديث علماء اليهود، والبطريق، والجاثليق، وغيرهم.

وكان عمر يقول: لا أبقاني الله لمعضلة ليس فيها أبو الحسن.

[الخطبة الشقشقية]

فكان علي عليه السلام يتألم ويتظلم ويتجرم وسأذكر ذلك مجملاً ومفصلاً؛

فأول شيء يدل على ما قلته خطبته التي عرفت بالشقشقية وهي في «نهج البلاغة». عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: كنا جلوساً عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فتذاكرنا الخلافة، وكان متكئاً فاستوى جالساً، وقال: أما والله لقد تَقَمَّصَها ابن أبي قحافة، أو قال فلان، وهو يعلم أن مَحَلِّي منها محل القطب من الرَّحَى، يَنْحدر عنِّي السَّيل، ولا يرقى إليَّ الطير. فسدلت دونها ثوباً، وطويت عنها كشحاً، وطَفِقْت[1] أرتئي بين أن أصول بيد جذَّاء، أو أصبر على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه؛ فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي الحلق شَجاً، وفي العين قذًى. أرى تراثي نهباً، حتى إذا مضى الأول لسبيله، أدلى بها إلى فلان بعده، ثم تمثل بهذا البيت[2]:

شتَّان ما يَوْمِي على كُورِها ويومُ حيَّانَ أَخِي جابر

فيا عجباه لابن أبي قحافة! بينا هو يستقيلها في حياته، إذ عقدها لآخر بعد وفاته، لَشَدَّ ما تشطّرا[3] ضَرْعيها! فصيّرها في حوزة خشناء[4]، يغلظ كَلْمُها، ويخشن مسها، ويكثر العثار فيها، والاعتذار منها، فراكبها[5] كراكب

---

(1) في الأصل: «فطفقت».

(2) وهو للأعشى.

(3) في الأصل: «فسيان ما شاطر» وكتب المؤلف في الهامش: وفي الزحيف: لشد ما تشطرا ضرعيها.

(4) كنى بالحوزة عن غلظ عمر وكثرة الاعتذار عما يغلظ فيه. (مؤلف).

(5) في نهج البلاغة: فصاحبها.

الصَّعْبة، إن أشنق لها خَرَم، وإن أسلس لها تقحم، فَمُنِيَ الناس لعمر الله بخبط وشِماس، وتَلَوُّن واعتراض، فصبرت على طول المدة، وشدة المحنة، حتى إذا مضى الآخر لسبيله، جعلها في جماعة [1] زعم أني كأحدهم، فيا لله وللشورى متى اعترض الرَّيْب فيّ مع الأول منهم حتى صرت أُقْرَن إلى هذه النظائر، ولكني أسففت إذ أسَفُّوا[2]، وطرت إذ طاروا، فصغا رجل منهم لضغنه ، ومال آخر منهم لصهره، مع هَنٍ وَهَنٍ، إلى أن قام الثالث من القوم[3] نافجاً حِضْنيه، بين نَثِيْله ومعتلفه[4]، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله تعالى خضم الإبل نِبْتَة الربيع؛ إلى أن انتكث عليه فَتْلُهُ، وأجهز عليه عمله، وكبت به مطيته[5]، فما راعني إلا والناس يهرعون إلي كعرف الضَّبُع، ينثالون عليَّ من كل جانب، حتى لقد وُطِئ الحسنان، وشُقَّ عِطْفاي، مجتمعين علي[6] كربيضة الغنم. فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة، ومرقت أخرى، وفسق آخرون؛ كأنهم لم يسمعوا [كلام] الله إذ يقول: ﴿ **تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [القصص:٨٣]؛ بلى والله لقد سمعوها ووعوها، ولكنهم حليت الدنيا في أعينهم،

---

(1) جعلها في ستة. وفي نسخة: جعلها شورى في جماعة. (مؤلف).

(2) في الأصل: «أسففوا».

(3) في نهج البلاغة: ثالث القوم.

(4) في الأصل: «معطنه». والعطن: مناخ الإبل ومبركها حول الماء.

(5) في نهج البلاغة: بطنته.

(6) في نهج البلاغة: مجتمعين حولي.

وراقهم زبرجها. أما والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، لولا حضور الحاضر، وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء ألا يُقَارُّوا على كِظَّة ظالم، ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها، ولسقيت آخرها بكأس أولها، ولألفيتم دنياكم هذه عندي أزهد من عَفْطة عنز[1].

قال ابن عباس: ثم أتاه رجل من السَّوَاد بكتاب مختوم ففضه وقرأه، ثم طوى الكتاب، فقلت: يا أمير المؤمنين لو اطَّردت[2] علينا مقالتك من حيث أفضيت! فقال: يا ابن عباس هيهات تلك شِقْشِقَة هدرت ثم قَرَّت. قال ابن عباس: فوالله ما تأسفت على كلام كأسفي على كلام أمير المؤمنين أن لم يكن أتمه انتهى.

تفسير بعض ألفاظ هذه الخطبة: قوله: أرتئي: أي أدبر وأجيل رأيي، وقوله: واليد الجذاء: المقطوعة. والطخية: الظلمة المظلمة، وقال: عمياء للمبالغة أي لا يبصر فيها شيء، وقوله: تشطّرا ضرعيها: شطر الشيء بعضه، يقال في المثل: احلب حلباً لك شطره. والحوزة: الناحية. والصعبة: الناقة إن أشنق أي شدد عليها في جذب زمامها خرم أنفها، وإن أرخى لها تقحمت به فلم يملكها. وقوله: فَمُنِي الناس: أي ابتلي. والخبط: السير على غير جَادّة، والشِّماس: من شمس الفرس إذا منع ظهره، والاعتراض: العدول عن الجادة والذهاب في

---

[1] العفطة: ما يسقط من أنف العنز- بالطاء المهملة-.

[2] في الأصل: «أظهرت».

عَرْض الطريق، وقوله: أسففت: من قولهم: أسف الطائر إذا دنا من الأرض في طيرانه. وقوله: صغا: أي مال، يعني صغا سعد بن أبي وقاص لحقده، ومال عبد الرحمن إلى عثمان لمصاهرة بينهما. وهنٍ: كلمة كناية معناه شيء، وأصله هنو، وقوله: نافِجاً حِضْنيه، يقال: نفج ثدي المرأة قميصها أي رفعه، والحضن: ما دون الإبط إلى الكشح، والنثيل: الروث. والخضم: الأكل بجميع الفم، وقوله: انتكث عليه أي انتقض. وأجهز عليه: يقال: أجهز على الجريح أي أسرع قتله، وقوله: ينثالون: أي ينصبون، والعِطاف: الرداء، والربيضة: مأوى الغنم. حليت: أي زينت، وراقهم: أعجبهم. وحضور الحاضر: وجود الأنصار، والكِظّة: التخمة من كثرة الأكل.

ومن «نهج البلاغة» ما كتبه عليه السلام من كتاب إلى أهل مصر وبعث به الأشتر: أما بعد؛ فإن الله سبحانه وتعالى بعث محمداً ص نذيراً للعالمين، ومهيمناً على المرسلين؛ فلما مضى ص تنازع المسلمون الأمر بعده ص عن أهل بيته[1]، فو الله ما كان يلقى في رُوعِي[2]، ولا يخطر على بالي أن العرب تزغ هذا الأمر بعده ص عن أهل بيته، ولا أنهم يمنحوه[3] غيري من بعده، فما راعني إلا انثيال الناس على فلانٍ يبايعونه، فأمسكت بيدي حتى رأيت راجعة الناس

[1] في نهج البلاغة: تنازع المسلمون الأمر من بعده؛ بدون قوله: عن أهل بيته.

[2] الروع: الخَلَد.

[3] في نهج البلاغة: ولا أنهم منحوه عني من بعده.

قد رجعت عن الإسلام، يَدْعُون إلى مَحْق دين محمد ص، فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيهم ثلماً أو هدماً، تكون المصيبة به عليَّ أعظم من فوت ولايتكم، التي إنما هي متاع أيام قلائل، يزول منها ما كان كما يزول السراب[1]، أو كما يتقشع السحاب، فنهضت في تلك الأحداث، حتى زاح الباطل وزَهَق، واطمأن الدين وتَنَهْنه.

[خطبة ذات البيان]

وروى النوفلي عن محمد بن سنان اليماني المعروف عن منذر بن زيد، ثم ذكر إسناداً طويلاً إلى أن قال: قام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فخطبنا عندما عقدت له البيعة، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي ص ثم قال:

إنا أهل بيت شيد الله فوق بناء قريش بناءنا، وأعلى فوق رؤوسهم رؤوسنا، اختارنا دونهم واصطفانا عليهم، فنقموا على الله أن اختارنا واصطفانا عليهم، وسخطوا ما رضيه، وأحبوا ما كرهه، ولما اختارنا عليهم أشركناهم في حرمتنا، فانتحلوا الفضل على من سواهم بنا لا بغيرنا، فجحدوا حقنا، وأنكروا فضلنا، اللهم إني أستعديك على قريش، فخذ لي بحقي منها، ولا تضيع مظلمتي لديها، فإنك الحكم العدل، إن قريشاً صغرت عظيم حقي، وجليل قدري، فاستحلت المحارم مني، واستخفت بعرضي، وقهرتني على ميراثي، وجحدوا ما عهده فيّ إليهم النبي الأمي، حسداً وظلماً، وعداوةً

---

(1) في الأصل: «السحاب».

وكبراً، وسلبوني ما مهدت لنفسي من لدن صبايَ إلى بلوغ غايتي، وأنكروا فضلي وسابقتي، أليس بي سموا على من سواهم، أليس أخلصتهم من نار الغضا، وكثر العنا، أليس رغبت بهم عن الحيف، وضننتهم عن القتل، أما أني لو تركتهم لما عاشوا لظلمي، ولا بقوا لهضمي، ﴿**رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ**﴾ [الأعراف: ٨٩] فإني مهدت مهاد نبوة محمد ص، ورفعت أعلام دينه، وأعليت شعار رسولك، فوثبوا علي، وغالبوني.

قال: فقام إليه أبو حازم الأنصاري، فقال: يا أمير المؤمنين، أرأيت أبا بكر وعمر ظلماك حقك، أم ابتزاك إمرتك؟ أم غصباك إمامتك؟ أم على باطل مضيا، أم على الحق كانا؟ أفهمنا لنعرف حقهما من حقك، ونفرق بين باطلهما وحقك، وإنصافك، فلا تكتم عنا من أمرك شيئاً، فإن الناس يقولون: إنهما على حق لا على باطل.

فقال علي عليه السلام: يا أخا اليمن، ما بحق أخذا، ولا على إصابة كانا، ولا على دين مضيا، يرحمك الله هل بلغك خبر أولاد يعقوب عليه السلام حين باعوا أخاهم وعقوا أباهم، أعلى حق كانوا، أم بأي حجة فعلوا بأخيهم ما فعلوا، أليس خانوا خالقهم، وظلموا أنفسهم؟ هل كان ذلك إلا حسداً وعداوة؛ فهل قبل عذرهم وارتضاهم بعد غدرهم إلا باستغفار وتوبة واعتذار، فلو تابت إليّ قريش واستغفرت خالقها، لقبلت منهم العذر واستغفرت لهم من الذنب. قال أبو حازم: صدقت يا أمير المؤمنين.

ثم قال: ألا إنني افتتحت الإسلام ونصرته، وأعززت الدين، وثبت أركان الإسلام، وأظهرت آثاره، وأعليت مناره، وصفيت صفوه، على أني المستأثر بصفوه دون كدره، وبأوله قبل آخره، فاقتطع المسلمون ثمر سيفي، واقتطعوني دون حقي، التيمي منهم والعدوي، احتيالاً واغتيالاً. ما زلت أنتظر منكم يا معاشر قريش، وشرائر المكر، من عهد رسول الله ص إلى اليوم والليلة، فاليوم أنطق لكم الخرساء ذات البيان، وأفصح لكم العجماء ذات البرهان، وأحتج عليكم بما تعرفونه ولا تنكرونه، وتعلمونه ولا تجهلونه، فإن رسول الله ص صافحني وشارطني على النصرة لله ولرسوله، وإظهار دينه، وأن أحارب لله بجهدي وكدحي، وأحمي [عن] حريم الإسلام على ما قامت عليه حجة الله، وثبتت عليه دعوة رسول الله ص، وقررت به المصاحف، وعبد به الرحمن. فنقضوا عهد رسول الله، وخالفوا إلى غير فعله، في أخذهم فدكاً من يد بنته، وتناولا ما لم يعرفا حكمه، وأنا فغير مرتاب في إمامتي، وما أخذ الله عليه عهدي وأخذ على أنبيائه ميثاقي، وأنا وصي رسول الله ص وأخوه، وخازن علمه، وولي عهده، والخليفة في أمته من بعده، وأنا الصديق الأكبر، وأنا الفاروق الذي يفرق بين الحق والمنكر، وأنا أولى بخلافة ابن عمي ممن سواي، والمأذون له في القتل والقتال من بعد رسول الله ص، والداعي إلى الله أنا ومن اتبعني،

وسبحان الله وما أنا من المشركين، فأيقنت بمثل ما أيقن به أخي موسى[1] من غلبة الجهال، ودول الضلال، وغلبة الباطل على الحق، وتأسيس الظلم على منار الصدق، فاليوم أكشف الستر، وأبين السريرة في جميع أمري.

يا معشر المهاجرين والأنصار: أين كان سبق تيم وعدي إلى سقيفة بني ساعدة، مكتمة بغدرها، غير مشاركة لنا في شيء من أمرها؟ بل أين كانا يوم الأبواء إذ تكاثفت الصفوف، وتكاثرت الحتوف، وتقارعت السيوف؟ ألا أبديا صاحباكم في ذلك اليوم الصفحة، أم بذلا في نصرة الدين المهجة؟ ...[2] وأين كانا يوم الخندق وابن عبد ود ينفخ بشدقه، ويشمخ بأنفه، ويطمح بطرفه، وهما ينظران وينتظران الصولة من غيرهما، ويتوقعان كشف الحرب عنهما من سواهما؟ ولِمْ لم يشفقا على الدين يوم بواط[3] إذ أسوّد لون الأفق، وأعوج عظم العنق؟ ولِمْ لم يشفقا على الدين مع الرسول ص كما أشفقا عليه بعده يوم رضوى[4] إذ السهام تطير، والمثايا تدور، والدماء تثور؟ أم هل بادرا يوم العشيرة إذ الأسنة تصطك، والرماح تشتبك، والدروع

---

(١) عند المجلسي: وإنما أشفق أخو موسى من غلبة الجهال (بحار الأنوار ٢٩: ٥٦١).

(٢) هنا كلام نحو جاء في عرض الصفحة، فألغاه سوء التصوير للمخطوط، ولم أهتد في المصادر إلى ما أثبته.

(٣) بواط: جبال جهينة على أبراد من المدينة، ومنه غزوة بواط غزوة اعترض فيها رسول الله صلى الله وآله لعير قريش.

(٤) كذا الأصل: يوم رضوى.

تهتك؟ أم لم تأخرا يوم بدر؟ أم أين كانا تلافيهما للدين وإيثارهما لرضى رب العالمين إذ الصناديد تزدهي، والأرض من الدماء ترتوي، والسعيد من بادر، والشقي من حاذر؟ ولِمْ لم يشفقا على الدين وسبقا غيرهما ليكون الفخر والنجدة لهما يوم بدر الثانية والأوداج تشخب، والصدور بالدماء تخضب؟ أم هل بادرا يوم ذات الليوث وقد إدْلهم الكوكب، وضاق المذهب، وعز المطلب؟ ولِمْ لم ينصرا الدين ويكشفا الكرب عن وجه رسول الله ص يوم كديد والعين تدمع، والمنية تلمع، والصفائح ترفع؟ ولِمْ لم يسبقا في يوم السويق وأنا للخصم ناهش، وللشر نابش؟ فلو صدقا في يوم غطفان كان الشرف لهما، إذ وجداني للأبطال مصادماً، وللحتف مقدما، وللأبطال قتالاً، وفي الحرب صوالاً؟ أم أين كان سيفيهما مقدماً يوم أعييتهما القدرة، وادعيا الأسرة يوم عوان، يوم زعزعت الدور، وحمى الكور، وأدلهم الديجور؟ أفلا صبرا إخواني يوم الفزع يوم أحْوَّلت الأحداق، وأعوجت الأعناق، ونزلت الأبطال، واشتد القتال؟ أم أين كانا صاحباي يوم أحد وقد خضعت الرقاب، وأخضلت السحاب، وانقطع الخطاب؟ وأين كانا يوم حم وقد عز المهرب، واشتد الكرب، وامتلأت الجدب؟ وأين كانا يوم بني النضير وقد حانت الآجال، وتصاولت الأبطال، والتقت الرجال؟ وأين كانا يوم ذات الرقاع يوم هبت الرياح العواصف، والتقت الصفائح القواصف، وثارت الطير العواكف؟ وأين كانا يوم الخندق إذ استدارت عروقهما، وتلامعت بروقهما؟ وأين كانت نجدة عمر وضرار العميري الفهري ينفف رأسه بالرمح، ويقول: أخبرني من أنت، فإن كنت قرشياً نجوت وعرفت ما أنت، قال: أنا عمر بن

الخطاب، قال فاعرفها عندك لي
يا لكع؟ أم أين كانت نجدته وقد رجع من خيبر منهزماً، ترعد فرائصه مصفراً وجهه، وكان فتحها على يدي؟ وأين كانا أو كنتم يوم الجندل وقد قمت دونكم كالليث أمنعكم عن الهرب، وأجلي عنكم الكرب؟ أم أين كانت تيم وعدي يوم بني قريظة والأقران تجتلد، والأبطال تنتجد؟ ودونكم يوم حنين لبوساً عبوساً خعوساً يوم كثر الجلاد، وغدت الجياد وطاب الطراد؟ وأين كانا وكنتم يوم بني هذيل وقد وليتم فراراً، ... (١) قد جعلتم السماء بكم تمور، والمنية على قطبها تدور؟ أم أين كان أبو بكر وعمر حين تدكدك الفجاج، وثار العجاج؟ ما رأيت منكم يومئذ إلا مولياً فاراً، وهارباً مدبراً؟ وأين كانا يوم بني المصطلق يوم ارتعشت الأقدام، وهرب القمقام، وضربت الهام، وأدبر الهمام؟ وأين كانا يوم الخزاعية يوم نكصت الناكصة، وحاصت الحائصة؟ ولِمْ لم أر أخا تيم وعدي يوم الحديبية يوم شابت الظنون، ودارت المنون، وظن بالله غير الحق المنافقون؟ ولِمْ لم أراهما يوم حنين؟ وأين كانا يوم مرحب حين فكر في الأرض فتركته يكبو الغمة، وأرويت الأرض من دمه؟ أم كيف كنتم وكانا يوم العقبة وقد قعدتم لرسول الله ص ورصدتم له كل مرصد، فردكم الله بغيظكم لم تنالوا خيراً؟ ولِمْ لم أر تيماً وعدياً بادرا يوم تبوك يوم أدحي بهم في هول الصفاح، وقوي على نفوسهم وهج الفياح، وقعد البراح، وخوف النطاح؟ ولِمْ لم أراهم يوم

---

(١) كلمتان لم تقرأ من مخطوط الأصل.

مؤتة وقد أظلمت منكم الأبصار، وضاقت عليكم الأقطار، ومجتم كموج البحر التيار؟ أم أين كان تيم وعدي وأخوهما يوم الطائف، وأنا ألقى أحدكم كحجر جامد أو شجر واقد، أو كرماد هامد؟ هل أبدت مخبرتهما ونصرتهما للدين بزعمهما خلافاً لمن جاهدا، حتى بادرا إلى سقيفة بني ساعدة، فبأي نصرة منهما تقدمت، وبأي حق استحقت، أم أي فضيلة فضلت، أم أي سبق سبقت، أم أي حجة تبعت، أم أي عهدٍ وفّت، أم أي قول صدقت؟ أنا صاحب هذه المواقف، وأبو هذه المشاهد كلها، أمَنْ تقدم عليّ واستبد بالأمر دوني، واكتتم به عن رأي، وعزم أنه أحق به مني.

يا معشر المهاجرين والأنصار! إنني على بصيرة من ربي، وعلى ثقة من ديني، وعلى علم ويقين، ومعرفة أين أضع قدمي، اليوم أنطقت لكم الخرساء، وأعربت لكم العجماء، وهديتكم إلى الطريق البيضاء، هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم، قد تبين الرشد من الغي، وقد أخرجتكم من الشبهة إلى الواضحة، ومن الشك إلى اليقين، ومن الباطل إلى الحق، ومن الكذب إلى الصدق، ومن العمى إلى البصيرة، ومن الظلمات إلى النور، ومن الحيرة إلى البيان، فتبينوا رحمكم الله فيمن نكث البيعتين، وقاده الهوى إلى سبيل الردى، وآثر العمى على الهدى، فزاده إلى عماه عمى. واعلموا رحمكم الله تعالى أنه من أخفى الغدر، وطلب الحق من غير أهله، ارتطم في بحور الهلاك، وصار بخفض الرأي أقرب إلى الشك والإشراك، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلاَ تُوَلُّوهُمُ**

الأَدْبَارَ، وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الأنفال:١٦، ١٧] فاغضبوا رحمكم الله على من غضب الله عليه، إذ يقول رسول الله ص : «ترفع لي يوم القيامة ريح سوداء تخطف من دوني أقواماً صحبتهم وصحبوني من عظماء أصحابي من المهاجرين والأنصار، فأقول: يا ربي أصحابي أصحابي. فيقول: يا محمد إنك لا تدري ما أحدثوا من بعدك إنهم رجعوا القهقرى.

وإن قريشاً طلبت السعد فشقيت، وطلبت النجاة فهلكت، وطلبت الهدى فضلت.

واعلموا رحمكم الله أن ليس الإمام الذي يقول: اختاروني، وفضلوني على أنفسكم وعلى من سواكم، وسمّوني خليفة نبيكم، وأجلسوني في مجلسه الذي يجلس فيه نبيكم، وسموني إماماً، وأقيموني مقاماً، كذب المفترون، وضل الكاذبون على الله وعلى رسوله ضلالاً بعيداً، بل الله يخلق ما يشاء ويختار، لا معقب لحكمه، ولا راد لأمره، وقد اختار الله طالوت واصطفاه، ووله بأمره، فمن أطاعه ظفر، ومن عصاه كفر، فاعتبروا فلكم فيه معتبر، ولقد علمتم قول النبي ص«إن منكم لمن يقاتل الناكثين والمارقين والقاسطين» وأنا المأذون له في هذا المقام، فمن قال أن له مثله فليأت بعهد وحجة من الله ورسوله ألا تسمعون إلى قول إبراهيم صلى الله عليه إذ أخبره الله تعالى أنه قد جعله للناس إماماً، فقال: ومن ذريتي فاجعل أئمة

من بعدي، قال تعالى: ﴿ **لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ** ﴾، فأخبر أنه جعلها في المحسنين، ومنعها من الظالمين، وقد علم إبراهيم عليه السلام أن من ذريته من يظلم فلم يقل: وذريتي فاجعلها، بل قال: ومن ذريتي، يقول اجعل الصفوة فيمن شئت من ذريتي، فاصطفى الله من ذريته محمداً ص، ومن أحسن من أهل بيته فقد استجاب الله دعوته في المحسنين من المصطفين، إذ جنبهم عبادة الأصنام، إذ يقول: ﴿**اجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ**﴾ [إبراهيم:٣٥] فما عبدوا صنماً ولم يعبد رسول الله ص صنماً.

ثم قال: أتدرون بم استحق الأئمة مقامهم من الله تعالى؟ فقالوا: لا يا أمير المؤمنين، قال: استحقوا ذلك المقام بصبرهم واجتهادهم في طاعة ربهم، إذ يقول سبحانه وتعالى: ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ**﴾ [السجدة:٢٤] أفتعرفون من صبر مع رسول الله ص؟ وأيقن بالآيات والنور الذي أنزل الله حتى استحق نصيره من الله مثل ما استحق أولئك، قالوا: أنت يا أمير المؤمنين، قال: والذي نصب الكعبة، وفلق الحبة، وبرأ النسمة، وبين الحكمة، إني أنا هو، ولقد ضل من تخلف عني، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين. تمت الخطبة المعروفة بذات البيان، والحمد لله على ما من به علينا من الإحسان، وموالاة أوليائه، ومعاداة أعدائه.

***

قال ابن أبي الحديد في «شرح النهج» على قول علي عليه السلام: «اللهم

إني أستعديك على قريش ومن أعانهم، فإنهم قطعوا رحمي، وصغروا عظيم منزلتي، وأجمعوا على منازعتي أمراً هو لي، ثم قالوا: ألا إن في الحق أن نأخذه وفي الحق أن تتركه» أي: لم يقتصروا على أخذ حقي ساكتين عن الدعوى، ولكنهم أخذوه وادعوا أن الحق لهم، وأنه يجب عليّ أن أترك المنازعة فيه، فليتهم أخذوه معترفين بأنه حقي، فكانت المصيبة به أخف وأهون.

واعلم أنها قد تواترت الأخبار عنه عليه السلام بنحوٍ من هذا القول، نحو قوله: «ما زلت مظلوماً منذ قبض الله نبيه ص حتّى يوم الناس هذا».

وقوله: «اللهم اجز قريشاً فإنها منعتني حقي، وغصبتني أمري».

وقوله: «فجزت عني قريشاً الجوازي، فإنهم ظلموني حقي، واغتصبوني سلطان ابن أمي».

وقوله وقد سمع صارخاً ينادي: أنا مظلوم، فقال: «هلمّ فلنصرُخْ معاً، فإني
ما زلتُ مظلوماً».

وقوله: «أرى تراثي نَهْباً».

وقوله: «وإنه ليعلم أن محلِّي منها محلّ القطب من الرحى».

وقوله: «أصغيا بإنائنا، وحملا الناس على رقابنا».

وقوله: «إنّ لنا حقاً إن نُعْطَه نأخذه، وإن نُمْنَعه نركب أعجاز الإبل، وإن طال

السُّرَى».

وقوله: «ما زلت مستَأثَراً عليّ، مدفوعاً عما أستحقه وأستوجبه» انتهى.

فإذا عرفت هذا، فاعلم أن تحكيمه أيام صفين، وصبره على المشايخ وظلمهم له ولزوجته الزهراء، وصلح الحسن لمعاوية هو الصواب، وأنه عن علم ويقين، وسيأتي بسط القول عند ذكر صلح الحسن لمعاوية إن شاء الله تعالى.

***

فلنرجع إلى ما نحن بصدده.

ذكر خلافة أمير المؤمنين وكيفية وفاته وموضع قبره

فأما الخلافة فإنه بقي فيها اسماً منذ توفى ص إلى أن استشهد نحو تسع وعشرين؛ لأن النبي ص توفى سنة إحدى عشرة للهجرة، وأما الخلافة التي تحملها وقاتل فيها الناكثين والقاسطين والمارقين فهي قدر خمس سنين، لأنه استشهد في سنة أربعين للهجرة، وبايعه الناس جميعاً سنة قتل عثمان، وهي غرة سنة خمس وثلاثين للهجرة.

فأما الناكثون فهم: طلحة، والزبير، وعائشة وغيرهم، فإنهم نكثوا بيعته، وخرجوا بعائشة إلى البصرة، فقتل طلحة، وقبض علي عليه السلام على عائشة وردّها إلى المدينة كما سبق.

وأما القاسطون: فهم معاوية وأصحابه أهل صفين، وليالي الهرير، وقد عُرف ذلك وصفة التحكيم. ومن ذلك تفرّع خروج الخوارج على علي عليه السلام؛ وهم أهل حرورا وأهل النهروان. ولما قصدهم علي عليه السلام بعد اجتماعهم سألوه فأجابهم، وراجعوه فراجعهم، فتاب منهم ثمانية آلاف رجل، وبقي على حربه أربعة آلاف رجل، فقاتلهم حتى قتلهم جميعاً لم ينج منهم إلا تسعة نفر، رجلان هربا إلى سجستان ففيها نسلهما، ورجلان صارا إلى بلاد عمان فيها نسلهما إلى الآن ويقال لهم الأباضية، ورجلان صارا إلى بلاد الجزيرة وإلى شاطئ الفرات فهناك نسلهما، ورجل إلى تل مورون[1]، وتفرق باقي التسعة ذهب عني أين استقروا. وأقبل علي عليه السلام إلى الكوفة، فسبقه عبد الرحمن بن ملجم يبشر الناس بهلاك الخوارج، فمرّ بدار من دور الكوفة، فسمع فيها صوت زمر وصوت طبل يضرب، فأنكر ذلك فقيل له: هذه دار فيها وليمة فنهى عن صوت الزمر والطبل. قال: وخرج النساء من تلك الدار وفيهم امرأة يقال لها: قطام بنت الأصبغ التميمي وكان بها مسحة من جمال، فنظر إليها عبد الرحمن فأعجبته، فتبعها وقال: يا جارية أأيم أنت أم ذات بعل؟ قالت: بل أيم، قال: فهل لك في بعل يتزوجك؟ فقالت: أشاور أوليائي، فدخلت على أوليائها ثم خرجت إليه فقالت: إن أوليائي منعوني أن تنكحني إلا على ثلاثة آلاف

---

[1] الصواب: تل موزن؛ كما في المسالك والممالك.

درهم، وعبد وقينة. فقال: لك ذلك، قالت: وشرط آخر قال: وما هو؟ قالت: قتل علي بن أبي طالب.

قالوا: ومن الاتفاق أن نفراً من الخوارج اجتمعوا فتذاكروا أن علياً ومعاوية قد أفسدا أمر هذه الأمة، ولو قتلناهما لعاد الأمر إلى أهله. فقال رجل من أشجع: والله ما عمرو بريء وإنه لأصل هذا الفساد. فقال عبد الرحمن بن مُلْجم: أنا أقتل علياً قالوا: كيف لك به؟ قال: اغتاله. وقال الحجاج بن عبد الله الصريمي ويعرف بالبُرَك[1]: أنا أقتل معاوية، وقال زاذويه[2] مولى بني العنبر: أنا أقتل عمراً؛ فاجتمع رأيهم على أن يكون قتلهم في ليلة واحدة، فجعلوا تلك الليلة ليلة إحدى وعشرين من رمضان، فخرج كل واحد منهم إلى ناحية، فعبد الرحمن بن ملجم قتل علياً تلك الليلة على ما سنبينه إن شاء الله، وأما صاحب عمرو فقصده في تلك الليلة وقد استناب للصلاة خارجة أحد رهط عمرو بن العاص المذكور فقتله، فقبضوه وأدخلوه على عمرو فقال: أو ما قتلت عمراً! فقالوا: إنما قتلت خارجة فقال: أردت عمراً وأراد الله خارجة، وأما معاوية فلم يتهيأ قتله لعنه الله تعالى.

وعن أبي الأسود الدؤلي قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: أتاني عبد الله

---

(1) في الأصل: «بالترك» وهو تحريف.

(2) في الأصل بغير نقاط مولى بني المغيرة، والتصويب عن الكامل ومروج الذهب. واسم زاذويه: عمرو بن بكر.

بن سلام وقد أدخلت رجلي في الغرز، فقال: أين تريد؟ قلت: العراق، قال: أما إنك إن جئتها ليصيبنك منها[1] ذباب السيف، ثم قال علي عليه السلام: وأيم الله لقد سمعت رسول الله ص يقول ذلك قبله. قال أبو الأسود: فتعجبتُ من رجل يحارب يتحدث بمثل هذا عن نفسه! وكان علي عليه السلام متى رأى عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله تعالى أنشأ بيت عمرو بن معدي كرب في قيس بن مكشوح[2] المرادي:

أريد حياته ويريد موتي[3] عذيرك من خليلك من مرادِ

وكان يقال لعلي عليه السلام: كأنك قد عرفت ما يريد أفلا تقتله؟ قال: كيف أقتل قاتلي.

وزاد في بعض الكتب أن ابن ملجم لما سمع علياً عليه السلام تمثل بهذا البيت قال: أعيذك بالله يا أمير المؤمنين من هذا، هذه يميني ثم شمالي بين يديك فاقطعهما أو اقتلني، فقال: كيف أقتلك ولا ذنب لك عندي، إني لم أردك بهذا المثل، ولكن خبرني النبي ص أن قاتلي رجل من مراد، ولو أعلم أنك قاتلي لقتلتك، ولكن هل كانت لك حاضنة يهودية فقالت لك يوماً: يا شقيق عاقر ناقة ثمود؟ قال: قد كان ذلك فسكت علي عليه السلام.

---

(1) في الحدائق: بها ذباب السيف.

(2) في الأصل: «مكسور» وهو تحريف.

(3) نسخة: ويريد قتلي. (مؤلف).

قالوا: فكان علي عليه السلام يفطر في رمضان عند الحسن بن علي عليهم السلام، فلا يزيد على ثلاث لقام، فيقول له: يا أبةِ لو زدت فيقول: ألقى الله خميصاً[1]. قال عثمان بن المغيرة: لما دخل رمضان جعل علي يتعشّى ليلة عند الحسن، وليلة عند الحسين، وليلة عند عبد الله بن جعفر، لا يزيد على ثلاث لقام يقول: يأتيني أمر الله تعالى وأنا خميص، إنما هي ليلة أو ليلتان. ورأى[2] أمير المؤمنين رسول الله ص في المنام، قال علي: فشكوت عليه ما لقيت من أهل العراق، فوعدني الراحة عن قريب، فما لبث بعد ذلك إلا جمعة أو جمعتين.

وعن أبي صالح الحنفي عبد الرحمن بن قيس قال: رأيت علياً عليه السلام واضعاً المصحف على رأسه حتى أن الريح تقعقع ورقه، وهو يقول: اللهم اعطني ما فيه، اللهم إني قد مللتهم وملوني، اللهم وجعلوا فيّ غير خلقي، وأخلاقاً لم تكن تعرف بي، اللهم أبدلني بهم من هو خير لي منهم، وأبدلهم بي من هو شر عليهم مني، اللهم لا ترضهم عن أمير، ولا ترضه عنهم، اللهم أمت قلوبهم ميتة الملح في الماء.

وعن أم كلثوم بنت علي قالت: قال لي أبي: يا بنية ما أراني إلا أسرع ما أفارقكم. قلت: ولم يا أبتاه؟ قال: إني رأيت رسول الله ص البارحة في المنام

---

(1) في الحدائق ١/ ٩١: أحب أن ألقى الله خميصا.

(2) في الأصل: «فرأى».

وهو يقول ويمسح الغبار عن وجهي: يا علي لا عليك فقد قضيت ما عليك.

وروي أنه عليه السلام لما أراد الخروج من الباب في الليلة التي ضرب فيها تعلق مئزره بالباب فأنشد:

اشدد حيازيمك للمو ت فإن الموت لاقيك

ولا تجزع من المو ت إذا حل بواديك

ثم مضى إلى المسجد، وبيده درة يوقظ الناس بها، فجعل يقول:

خلوا سبيل المؤمن المجاهد في الله لا يعبد غير الواحد

ويوقظ الناس إلى المساجد

وذكر أن علياً عليه السلام لم ينم في الليلة التي قتل فيها، وأنه لم يزل يمشي بين باب المسجد والحجرة، ويقول: والله ما كَذَبت ولا كُذِّبت، وإنها لليلة التي وعدت. ولما خرج من داره صرخ بط كان للصبيان، فصاح به بعض من في الدار، فقال: ويحك دعهنّ فإنهن نوائح. وسمع هاتفاً يقول: **﴿أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾** [فصلت:٤٠] فأجابه آخر **﴿ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾**. وسمع هاتفاً يقول: توفي رسول الله ص وتوفي أبو بكر، وقتل عمر وعثمان، وقتل علي، الآن تضعضع ركن الإسلام.

قالوا: فخرج علي عليه السلام ليلة إحدى وعشرين من رمضان وقد كمن

له عدو الله عبد الرحمن بن ملجم، ومعه شبيب الأشجعي، وقد كان وطاءه على قتله، فوقفا على الباب الذي يدخل منه إلى المسجد، وكان يخرج مُغَلِّساً فيوقظ الناس إلى الصلاة. **ففي رواية:** أنه ضربه قبل دخوله في الصلاة، وفي رواية أنه دخل في الصلاة فقرأ وركع ثم سجد، فضربه ابن ملجم لعنه الله على وسط رأسه ضربة أفرق بها بين الحنك والجمجمة، فقال علي عليه السلام: فزت ورب الكعبة. وفي رواية: أن ابن ملجم كان في منزل قطام، وكانت من الخوارج، قد قتل علي عليه السلام أباها وأخاها يوم النهروان، فلما سمعت أذان الإمام قالت: أخا مرادٍ هذا أذان علي، قم فاقض حاجتنا وأرجع قرير العين مسروراً، فقال: اقْتُلْ عليا وأرجع قرير العين مسروراً، بل أرجع والله سخين العين مثبوراً، فإني سمعت علياً يقول: قال رسول الله ص: « إن أشقى الأولين قدار بن سالف عاقر ناقة ثمود، وأشقى الآخرين قاتل علي بن أبي طالب» فما أخوفني أن أكون ذلك الرجل.

قال: ثم خرج حتى دخل المسجد ورمى نفسه بين النيام، ودخل علي إلى المسجد، فجعل ينبه النوام، ثم صار إلى محرابه، فوقف فيه فاستفتح وقرأ، ثم ركع وسجد سجدة، فاستوى جالساً، وأراد أن يسجد ثانية فضربه ابن ملجم لعنه الله ضربة فرق بين الحنك والجمجمة [و] في أكحله موضع ضربة عمرو بن ود العامري يوم الخندق، ثم بادر فخرج من المسجد هارباً، وسقط علي صلوات الله عليه لما به، وتسامع الناس بذلك قالوا: قُتل أمير المؤمنين. فقام الحسن عليه السلام، وأقام الصلاة وصلى بالناس ركعتين خفيفتين، ثم

احتمل علي عليه السلام إلى صحن المسجد، وأحدق الناس به، وقالوا: من فعل بك هذا يا أمير المؤمنين؟ فقال:
لا تعجلوا فإن الذي فعل بي هذا سيدخل عليكم الساعة من هذا الباب، وأومأ بيده إلى بعض الأبواب. قال: فخرج رجل من عبد القيس من ذلك الباب، فإذا هو
بعبد الرحمن بن ملجم قد سدت عليه المذاهب، لا يدري إلى أين يذهب، فضرب العبدي بيده إليه، ثم قال: ويلك أظنك ضارب أمير المؤمنين فأراد أن يقول: لا، فقال: نعم، فكبله وأدخله المسجد، وجعل الناس يلطمونه من كل ناحية، حتى أقعدوه بين يدي أمير المؤمنين علي عليه السلام، فنظر إليه وقال له: ويحك ما حملك على ما فعلت، وأيتمت ولدي من بعدي. قال: فسكت ولم يتكلم بشيء فقال علي عليه السلام **﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾** [الأحزاب: ٣٨].

وروينا عن جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام قال: لما ضُرِب أمير المؤمنين الضربة التي توفي منها، استند إلى اسطوانة في المسجد، والدماء تسيل على شيبته، وضجّ الناس في المسجد كهيئة اليوم الذي قبض فيه رسول الله ص، فابتدأ خطيباً وقال بعد الثناء على الله والصلاة على النبي ص: كل امرءٍ يلاقي(١) ما فرَّ منه، والأجل تُساق إليه النفس، والهرب منه

---

(١) في الحدائق وأمالي أبي طالب: ملاق ما يفر منه.

موافاته[1]، كم أطردت الأيام أبحثها عن مكنون هذا الأمر فأبى الله إلا ستره وإخفاءه علماً مكنوناً. أما وصيتي بالله عز وجل: فلا تشركوا به شيئاً، وبمحمد ص فلا تضيعوا سنته، أقيموا هذين العمودين، حَمَّل الله كل منكم مجهوده[2]، وخَفَّف عن العَجَزة. ربٌّ كريم، ودين قويم، وإمام عليم، كنتم[3] في إعصار وذَرْوِ ريح[4]، تحت ظل غمامة إضئمحل راكدها، ليعظكم خُفُوتي وسكون أطرافي، ألا وإنه لأوْعظ لكم من نطقٍ بليغ، ودَّعتكم وداع امرءٍ مرصد للتلاق، غداً ترون أيامي، وتُكْشَف لكم عن سرائري، فعليكم السلام إلى يوم اللزام، كنت بالأمس صاحبكم، وأنا اليوم عظة لكم، وغداً أفارقكم، فإن أبق فأنا ولي دمي، وإن أفْن فالقيامة ميعادي، عفا الله عني وعنكم.

ثم أقبل عليه السلام على ابن ملجم لعنه الله لعناً وبيلاً، وهو مكتوف، وقال: أرأيتك إن سألتك عن ثلاث خصال أتصدقني؟ قال: سلني، قال: سألتك بالله هل كنت تُدْعَى وأنت صغير ابن راعية الكلاب؟ فقال: اللهم نعم، قال: فأنشدك الله أمرَّ بك رجل وقد تحركت فقال: أنت شقيق عاقر ناقة ثمود[5]؟ قال: اللهم نعم. قال: فإني سائلك عن الثالثة، وهي أشدهن عليك هل حدثتك

---

(1) في الأصل: «من آفاته».

(2) في الحدائق والأمالي: حمل كل امرء منكم مجهوده.

(3) في الأصل: «كنت».

(4) في الحدائق والأمالي: وذورو رياح.

(5) اسم عاقر ناقة ثمود: قدار بن سالف.

أمك أنها حملت بك في حيضها؟ قال: اللهم نعم، ولو كنت كاتماً شيئاً لكتمته. فقال عليه السلام: النفس بالنفس إن هلكت فاقتلوه، وإن بقيت رأيت فيه رأيي. ثم أمر به إلى السجن، وقال: اطعموه واسقوه، وكفوا عنه، وأحسنوا إساره.

وروينا أنه لما ضُرِب عليه السلام جمع له أطباء الكوفة، فلم يكن فيهم أعلم بجرحه من أثير بن عمرو بن هاني السكوني، وكان متطبِّباً صاحب كرسي يعالج الجراحات، وكان من الأربعين غلاماً[1] الذين أصابهم خالد بن الوليد في بعثة عين التمر فسباهم، وأن أثيراً لما نظر إلى جرح أمير المؤمنين دعا برئة شاة حارة، فاستخرج عرقاً منها، وأدخله الجرح، ثم استخرجه وإذا عليه بياض الدماغ، فقال له: يا أمير المؤمنين، إعهد عهدك فإن عدو الله قد بلغت ضربته إلى أم رأسك. فلما اشتدت بأمير المؤمنين علته، وأحس بالموت، دعا ببنيه، وقرّب الحسن والحسين عليهما السلام، فأقعدهما بين يديه، ثم أقبل عليهما بوجهه عليه السلام وقال لهم: يا بني إني موصيكم بتقوى الله وطاعته، ولا تبتغوا هذه الدنيا وإن أقبلت، ولا تتأسفا عليها إن أدبرت عنكم، وقولوا الحق ولو على أنفسكم، وارحموا اليتامى والمساكين، وأشبعوا الجائع، وأكثروا الصنايع، وكونوا لكل ظالم خصماً، وللمظلوم عوناً، ولا تأخذكم في الله لومة لائم. ثم التفت إلى ولده محمد بن الحنفية وقال له:

---

[1] في الأصل: «الغلام».

يا بني، أفهمت ما أوصيت به أخويك وغيرهم من وصيتي؟ فقال: نعم يا أمير المؤمنين. فقال علي عليه السلام: إني أوصيك بتوقير أخويك الحسن والحسين،

ولا تقطع أمراً دونهما. ثم أقبل عليهما وقال: يا حسن ويا حسين إني قد أوصيت أخاكما بكما، وأوصيكما به، وسائر أخوتكما، وعليكم بتقوى الله ربكم، ولا تموتن
إلا وأنتم مسلمون ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا**﴾ [آل عمران:١٠٣] فإني سمعت حبيبي محمداً ص يقول: إن إصلاح ذات البين أفضل من الصلاة والصيام. ألا وانصروا ذوي القربى، وصلوا أرحامكم، وفضلوهم يهون الله عليكم الحساب، وواسوا الأرامل والأيتام بما استطعتم فإنها وصية النبي ص، والله الله في القرآن والعمل به، والله الله في الصلاة فإنها عمود الدين، ثم الزكاة فإنها تطفئ غضب الله تعالى، وصيام رمضان فإن صيامه جنة لكم، ثم الحج إلى بيت الله الحرام فهو الشريعة، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان. ثم قال: حفظكم الله يا أهل بيتي وحفظ فيكم نبيه محمداً ص، وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين.

فلما كان اليوم السابع والعشرون من رمضان خرجت أم كلثوم من عند أبيها علي عليه السلام فقال لها: يا بنية اجنفي الباب على أبيك، ففعلت ذلك،

ثم قالت أم كلثوم بنت علي رضي الله عنها: سمعت هاتفاً.. ([1]). قال الحسن بن علي

١

عليهما السلام فسمعت هاتفاً يقول: ﴿ **أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾ قال: وسمعت هاتفاً آخر وهو يقول: توفي النبي ص، وتوفي أبو بكر وعمر قتلاً([2]) وقتل عثمان، والآن مات علي مقتولاً، الآن تضعضع ركن الإسلام. قال الحسن: فلم ألبث أن اقتحمت البيت، فإذا أبي قد فارق الدنيا صلوات الله عليه. قيل: ليلة إحدى وعشرين من رمضان، وكان ضربه على هذا القول ليلة سبع عشرة، وقيل: ضُرِبَ ليلة حادي وعشرين، وتوفي ليلة سابع وعشرين من رمضان سنة أربعين من الهجرة، وتوفي وهو ابن ثمان وخمسين سنة، وقيل: ثلاث وستين وقيل خمس وستين، وقيل: تسع وخمسين. ولما سمع ابن ملجم الرنة في الدار، فقال له من حضره: أي عدو الله إنه لا بأس على أمير المؤمنين، فقال: على من تبكي أم كلثوم أعلَّي تبكي؟ أمَا والله لقد اشتريت سيفي بألف دينار، وما زلت أعرضه فما يعيبه أحد إلا أصلحت ذلك العيب، ولقد سقيته السم حتى لفظه، ولقد ضربته ضربة لو قسمت على من بالمشرق لأتت عليهم.

قال الحسن عليه السلام: فلما قضى أحضرنا أكفانه، وكان عندنا من

([1]) كلام يقارب السطر انقطع عنه البياض فلم يتضح.

([2]) كذا الأصل.

حنوط النبي ص، ثم ولي غسله الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية يصب عليهما الماء. وفي رواية ومعهم عبد الله بن العباس، وكفن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص، وصلى عليه الحسن وكبر خمساً، ودفن عند صلاة الصبح أولاً في الرحبة مما يلي باب بني كندة، ثم نقل ليلاً إلى الغري.

ومن الناس من قال: حمل إلى المدينة، ودفن عند قبر فاطمة عليها السلام، وروي عن علي بن الحسين عليه السلام أنه قال: حملناه ليلاً ودفناه في الغري. وروي أن جعفر بن محمد حضر الموضع وزاره، وقال لابنه إسماعيل: هذا قبر جدك أمير المؤمنين. وروي أن زيد بن علي عليه السلام قال لأصحابه، وهم يسلكون معه طريق الغري: أتدرون أين نحن؟ نحن في رياض الجنة، في طريق قبر أمير المؤمنين عليه السلام.

وعن الصادق عليه السلام: إذا بعدت الشقة بأحدكم، ونَأَتْ به الدار فلْيُصَلِّ ركعتين، وليؤم بالسلام إلى قبورنا، فإن ذلك يصل إلينا. وعن الرضا عليه السلام: من زار قبر أمير المؤمنين فليصل عند رأسه ست ركعات، فإن في قبره عظام آدم، وجسد نوح وأمير المؤمنين، فمن زار أمير المؤمنين فقد زار آدم، ونوحاً[1] وأمير المؤمنين عليهم السلام. وهذان الخبران في فضل الزيارة[2]، وليس هذا موضعهما إلا أني وجدتهما في الأم حال التأليف فلم أنتبه إلا وقد نقلتهما

---

(1) في الأصل: «ونوح».

(2) أي أنه كان حقهما التأخير.

هنا.

فإن قلت: فمن أين وقع للنواصب وجه التلبيس في خفاء قبره عليه السلام؟ وما سبب الاختلاف فيه؟

قلت: إنه لما قتل عليه السلام قصد الحسنان ومن إليهما إخفاء قبره، خوفاً من بني أمية أن يحدثوا فيه حدثاً، فأوهموا الناس في موضع قبره أوهاماً مختلفة، فشدوا على جمل تابوتاً موثقاً بالحبال، تفوح منه روائح الكافور، وأخرجوه من الكوفة في سواد الليل، تصحبه ثقاتهم، ليوهمون أنهم سيحملونه إلى المدينة، ويدفنونه عند فاطمة عليها السلام، وأخرجوا بغلاً وعليه جنازة مغطاة، يوهمون أنهم يدفنونه بالحيرة، وحفروا حفائر عدة، منها بالمسجد، ومنها برحبة القصر قصر الإمارة، ومنها في حجرة من دور آل جعدة بن هبيرة المخزومي، ومنها في أصل دار عبد الله بن يزيد القسري[1] نحو باب الوراقين مما يلي قبلة المسجد، فعمي على الناس موضع قبره، ولم يعلم به على الحقيقة إلا بنوه والخواص من أصحابه، فإنهم خرجوا به وقت السحر ليلة حادي وعشرين، فدفنوه بالنجف بالموضع المعروف بالغري، بوصاة منه عليه السلام، وعهدٍ كان قد عهده إليهم، فهو معلوم عند العترة وكافة الشيعة. قال الصاحب إسماعيل بن عباد رضي الله عنه:

---

(1) في الأصل: «القشيري» وهو تحريف.

يا سائراً زائراً إلى الكوفة نفسي بأهل الغري[1] مشغوفهْ
أغرى بأهل الغري من زمن والنفس عما تريد مصروفهْ

ومع ذلك الإيهام أكثر النواصب الأراجيف، فزعم قوم أن جماعة من طي وقعوا على جمل في تلك الليلة، وقد ضل عن أصحابه ليلاً إلى بلادهم، فوجدوا عليه صندوقاً، فظنوه مالاً، فلما رأوا ما فيه خافوا أن يطلبوا به، فدفنوا الصندوق بما فيه، ونحروا البعير وأكلوه، وشاع ذلك في بني أمية، فاعتقدوه حقاً، كما قال الفاسق الوليد بن عقبة بن أبي معيط:

فإن يك قد ضلَّ البعير بحمله فما كان مهدياً وما كان هاديا

وقصد بذلك أن يرد الحديث الذي لفقه النواصب ومن تقدم عليه في الإمامة حيث قالوا: إن النبي ص قال: وإن وليتم علياً تجدوه هادياً مهدياً، بعد قوله: إن وليتم أبا بكر.. إلى آخر الثلاثة، وهو عندنا لا أصل له في الحديث، ولا صحة لروايته.

فأما الوليد فقد قصد رد قول رسول الله ص ؛ فيكون كافراً؛ مع أن الله عز وجل قد سمّاه فاسقاً في آيتين من كتابه الأولى: ﴿ **أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا**﴾ علي ﴿**كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا**﴾ الوليد. والآية الأخرى قوله تعالى: ﴿ **إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ**﴾ الآية. فلا يلتفت إلى ما يقولون، ولا يعول على ما به يهذون.

---

(1) نسخة: نفسي بأهل الكساء مشغوفة. (مؤلف).

فائـــدة:

سمعت بعض فضلاء الشيعة العارفين يسلم على النبي ص في الزيارة، فلما أتمّ سلامه عليه سمعته يقول: السلام عليك يا أمير المؤمنين، وسيد الوصيين، السلام عليك يا علي بن أبي طالب. فقلت له: أليس علي في النجف من الكوفة؟

فقال: ورد في هذا أثر، وهو أنه لم يمت نبي في المشرق ووصيه في المغرب إلا جمع الله بينهما في لحد واحد، فاستغربت ذلك وعجبت منه، ولم أزل برهة من عمري أطلب الأثر الذي ذكره، وأسأل عنه من بدا ومن حضر، حتى وقفت على ذلك في كتاب بخط بعض السادة الفضلاء العارفين، فنقلته كما وجدته، وألحقته في هذا الموضع من شرحي الصغير[1] على الدامغة لما فيه من صفة موته عليه السلام، وقبره، وكيفية ذلك، وكانت هذه محققة لدفنه بالغري[2]، وتضمنت فضائل جمّة، ومناقب غريبة عجيبة، تخفى على كثير من الناس مع ظهور مكارمه وحكمه ووصاياه، وأحكامه صلوات الله عليه وسلامه، وهذا لفظه:

روى الإمام الشهيد السبط السعيد أمير المؤمنين أبو عبد الله الحسين بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهم السلام قال: لما حضرت أمير

---

(1) كذا، ولعله سبق قلم وأراد: الشرح الكبير.

(2) ينظر في مصدر هذه الرواية، فليس من حاجة لتحقيق موضع دفنه (ع) بمثلها.

المؤمنين الوفاة دعاني ودعا أخي الحسن، فأجلسنا عنده ثم قال: إني أوصيكما بوصية فلا تظهرا أمري على أحد، إذا أنا مت فاستخرجا من زاوية اليمن لوحاً مدفوناً عليه كتابة، وأومأ بيده إلى زاوية البيت، ولا تستعينا بأحد، فإنكما تعانا، وكفّناني في الكفن الذي تجدانه[1] في هذه الدار، وغسلاني وحنطاني، واعلما أنه لما هبط جبريل عليه السلام بصرة حنوط من الجنة، فقال للنبي ص: ثلثها لك، وثلثها لعلي، وثلثها لفاطمة. فدعاني رسول الله ص وأخبرني بما قال جبريل، فحنطت رسول الله ص بالثلث، وحنطت أمكما فاطمة بثلثه، وبقي هذا الثلث فحنطاني به، فإذا أتممتما أمري فضعاني على ذلك اللوح، وقفا إلى الوقت المعلوم، فإذا رأيتما اللوح يشال بمقدمه فشلا أنتما بمؤخره، واتبعا حتى تأتيا قبراً محفوراً ولبن موضوع ولحد قد فرغ منه، وصليا علي، ولتصل أنت

يا حسن مرة، وأنت يا حسين مرة، ولتكن صلاتكما صلاة الأئمة، فإذا صليتما فضعاني هنالك، ووليا عني، ولا يشعرن بكم أحد. ثم إنه أوصى بما يحتاج إليه، ثم إنه قبض صلوات الله عليه ورضوانه. قال الحسين بن علي عليه السلام: فجئنا إلى الزاوية التي أشار إليها، فاستخرجنا اللوح، فإذا هو بطول أمير المؤمنين عليه السلام، وإذا عليه مكتوب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما ادّخره نبي الله نوح لمحمد خاتم النبيين، وسيد المرسلين، وقائد الغر المحجلين، وابن عمه باب مدينة علمه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. فلما نزلنا

---

(1) بخط المؤلف: «تجدونه».

موضع اللوح، وثبنا لطلب الكفن، فأصبنا في دهليز الدار كفناً موضوعاً قد أضاء نوره، فأتينا أمير المؤمنين فوضعناه على المغتسل، فغسلناه، فوجدنا فيه خفة كخفة الطفل، فقلت لأخي الحسن: يا أبا محمد أما ترى خفة أمير المؤمنين؟ فقال: يا أبا عبد الله إن معنا من يعيننا أليس قد قال: وإنكم لتعانون. فلما غسلناه وحنطناه وضعناه على اللوح، وحضرت صلاة المغرب، فصلينا، فلما فرغنا من صلاتنا شل بمقدم اللوح وشللنا بمؤخره، فلم نزل نتبعه إلى أن وردنا الغري، وإذا قبر كما وصفه لنا أمير المؤمنين عليه السلام، وكنا نسمع خفق أجنحة وضجة وجلبة، فنزلنا فصلينا عليه كما أمرنا أمير المؤمنين، ونزلناه قبره وأصلحنا عليه اللبن، والحسن عند قدميه وأنا عند رأسه أصلح لبنه، ثم نظرنا إلى اللحد فإذا هو خال عن أمير المؤمنين عليه السلام، فتبسم الحسن وجلس، وقال: يا أبا عبد الله هل سمعت في هذا شيئاً؟ قلت: لا. فهل سمعت أنت من أمير المؤمنين شيئاً في هذا؟ قال: نعم سمعته يقول: لو أن نبياً مات في المشرق ومات وصيه في المغرب لجمع الله بين ذلك النبي والوصي حتى يكونا في لحد واحد، فاستره فإن أباك وجدك قد جمع الله بينهما.

انتهى وجادةً والله أعلم بما كان وما يكون، والحمد لله رب العالمين.

***

ولنرجع إلى الرواية الأولى قال: فلما دفن عليه السلام صعد الحسن المنبر، وخطب الناس، ثم قال:

لقد فارقكم في هذه الليلة رجل ما سبقه الأولون ولا يدركه الآخرون، ولقد كان رسول الله ص يبعثه في سرية فيقاتل جبريل عن يمينه، وميكائيل عن شماله، وملك الموت أمامه، لا يشير إلى أحد بسيفه إلا بادر ملك الموت إلى قبض روحه، ولقد قبض في الليلة التي قبض فيها يوشع بن نون، والليلة التي أنزل فيها القرآن، والله ما ترك ذهباً ولا فضة، ولا ترك في بيت المال إلا سبعمائة درهم فضلت من عطائه أراد أن يشتري بها خادماً لأختي أم كلثوم، وقد أمرني أن أردها إلى بيت مال المسلمين. ثم قال: أيها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمد النبي ص، ثم قال: قول يوسف: ﴿ **وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ**﴾ [يوسف:٣٨] الآية، ثم قال: أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، أنا ابن الداعي إلى الله تعالى، أنا ابن السراج المنير، أنا ابن الذي أرسل رحمة للعالمين، أنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، وأنا من أهل البيت الذي افترض الله تعالى مودتهم وولايتهم، فقال: ﴿ **قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾ [الشورى:٢٣].

ثم نزل عليه السلام عن المنبر، وأمر بابن ملجم لعنه الله تعالى فأتي به، فمَثُل بين يديه، وقد شهر الحسن سيفه، فقال: إن لي بك سراً. فقال الحسن: أتدرون ما يريد؟ يريد أن يقرب من وجهي فيعض أذني فيقطعها. فقال عدو الله: والله لو أمكنتني منها لأقطعتها من أصلها،، فضربه على رأسه. وفي رواية: فأمر بضرب عنقه، وبادرت إليه الشيعة من كل ناحية، فقطعوه إرباً إرباً، لا رحمه الله تعالى، على أنه قد اختلف في قتله، فقيل: كحل بميلين بعد أن أحمي، وقيل: قطعت يده ورجلاه ثم لسانه، ثم قتل لعنه الله تعالى، فاستوهبت أم الهيثم بنت

الأسود اللخمية[1] جثته من الحسن فوهبها لها، فأحرقتها بالنار.

قال الراوي: ولما دفن عليه السلام قام صعصعة بن صوحان، فأخذ التراب ووضعه على رأسه، وهو يقول:

ألا من لي بسرك يا أَخيّا ومن لي أن أبثك ما لديّا

طوتك منون دهرك بعد نشرٍ كذلك دأبُهُ نشراً وطيّا

فلو نشرت طواك لي المنايا شكرت إليك ما صنعت إليّا

كفى حزناً بفقدك ثم إني نفضت تراب قبرك من يديّا

بكيتك يا علي بملء عيني فلم يغن البكاء عليك شيّا

وكانت في حياتك لي عظاة فأنت اليوم أوعظ منك حيا

وقالت أروى بنت الحارث بن عبد المطلب ترثي علياً عليه السلام:

ألا يا عين ويحك أسعدينا ألا تبكي أمير المؤمنين

رُزِئنا خير من ركب المطايا وفارسها ومن ركب السفينا

ومن لبس النعال ومن حذاها ومن قرأ المثاني والمئينا

إذا استقبلت وجه أبي حسين رأيت البدر راع الناظرينا

فلا والله لا أنسَى علياً وحُسْنَ صلاته في الراكعينا

يقيم الحد لا يرتاب فيه ويقضي بالفرائض مستبينا

أفي شهر الصيام فجعتمونا بخير الناس طُراً أجمعينا

---

(1) في الحدائق ١/ ٩٩: النخعية.

كأنَّ الناس إذ فقدوا علياً نَعَامٌ حال في بلد سنينا
وكُنّا قبل مهلكه بخير نرى فينا وصي المسلمينا
أشاب ذؤابتي وأطال جُهْدي أَمَامَةُ حين فارقتِ القرينا
وعَبْرة أمِّ كلثوم بحزن تجرعها وقد رأتَ اليقينا
فلا تَشْمَت معاويةُ بن صخر فإن بقية الخلفاء فينا

أما عمران بن حطان الخارجي فإنه قال في صاحبه عبد الرحمن بن ملجم حين ضرب علياً عليه السلام:

يا ضربة من تقيّ ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
إني لأذكره يوماً فأحسبه أوفى البرية عند الله ميزانا
أخْلِق بقوم بطونُ الطير أقبرهم لم يخلطوا دينهم كفراً وعدوانا

فأجابه القاضي أبو الطيب طاهر بن عبد الله بن طاهر الفقيه الشافعي بهذه الأبيات:

إني لأبرءُ مما أنت قائله عن ابن مُلْجَمٍ الملعون بهتانا
يا ضربة من شقي ما أراد بها إلا ليهدم للإسلام أركانا
إني لأذكره يوماً فألعنه ديناً وألعن عمراناً وحطانا
عليهما (١) وعليه الدهر متصلاً لعائن الله إسراراً وإعلانا
فأنتما من كلاب النار جاء به نص الشريعة برهاناً وتبيانا

(١) صدر البيت في (نسخة): عليك ثم عليه الدهر متصلاً..

وروى صاحب «كتاب الاستيعاب» الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد النميري لبكر بن حماد التاهرتي يخاطب ابن ملجم ويجيب على عمران:

قُل لابن مُلْجمَ والأقدارُ غالبةٌ   هدَّمتَ ويلك للإسلام أركانا

قتلتَ أفضلَ من يمشي على قدمٍ   وأوَّلَ النَّاسِ إسلاماً وإيمانا

وأعلمُ النَّاس بالقرآن ثم بما   سَنَّ الرسول لنا شرعاً وتبيانا

صهرَ النَّبيِّ ومولاهُ وناصره   أضحتْ مناقبه نوراً وبرهانا

وكان منه على رَغم الحسود له   مكانَ هارونَ من موسى بن عمرانا

وكان في الحرب سيفاً قاطعاً ذكراً   ليثاً إذا لقيَ الأقران أقرانا

ذكرتُ قاتله والدَّمعُ منحدرٌ   فقلتُ: سبحان ربِّ الناس سبحانا

إني لأحسبه ما كان من بَشَرٍ   يخشى الإله[1] ولكن كان شيطانا

أشقى مرادٍ إذا عُدَّت قبائلُها   وأخسرُ النَّاس عند الله ميزانا

كعاقرِ الناقة الأولى التي جلبتْ   على ثمودٍ بأرض الحِجْر خُسرانا

قد كان يخبرهم أن سوف يخضبها   قبل المنيَّة أزماناً فأزمانا

فلا عفا الله عنه ما تحمّله   ولا سقى قبر عمران بن حطّانا

لقوله في شقيٍّ ظل مجترماً   ونال ما ناله ظلماً وعدوانا

يا ضربة من تقيّ ما أراد بها   إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا

---

[1] في (نسخة): يخشى المعاد ولكن كان شيطانا.

بل ضربة من شقيٍّ أوردته لظى مخلداً قد أتى الرحمن غضبانا
كأنه لم يرد قصداً بضربته إلا ليصلى عذاب الخلد نيرانا

وروي أيضاً[1]:

وهزَّ عليٌّ بالعراقين لحيةً مصيبتُها جلّت على كلِّ مسلمِ
وقال سيأتيها من الله حادثٌ ويخضبُها أشقى البريَّة بالدَّمِ
فباكرُه بالسَّيفِ شُلّت يمينه لشؤمِ قطامٍ[2] عند ذاك ابن مُلْجِمِ
فيا ضربة من خاسرٍ ضلَّ سعيه تبوّأ منها مقعداً في جهنمِ
فصار أمير المؤمنين بحظّه وإن طرقت منه الليالي بمعظم[3]
ألا إنما الدنيا بلاء وفتنة حلاوتها شِيْبَت بصابٍ وعلقمِ

وابن ملجم هو أشقى الآخرين، قال النبي ص: « ياعلي أشقاها الذي يخضب هذه من هذه» وأشار إلى لحية علي عليه السلام ورأسه.

وعنه ص: « يا علي ألا أخبرك بأشد الناس عذاباً يوم القيامة، عاقر ناقة ثمود، وخاضب لحيتك بدم رأسك » ويروى أن أشقى الأولين قدار بن سالف وهو الذي يقال: قدار بن قدرة، وقدرة اسم أمه، وسالف اسم أبيه، وهو عاقر ناقة صالح

عليه السلام، وأشقى الآخرين عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله تعالى.

(١) منسوبة لبكر بن حماد في الاستيعاب.
(٢) في الأصل: «دعاه».
(٣) في الأصل: «بمعضم».

وقد روى عمار عن النبي ص أنه قال له ولعلي: ألا أحدثكما بأشقى الرجلين قلنا: بلى يا رسول الله، قال: أحيمر ثمود الذي عقر الناقة، والذي يضربك يا علي على هذا - يعني قرنه - حتى تبل من الدم هذه - يعني لحيته.

وعن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ص قال لعلي عليه السلام: «أما إنك ستلقى بعدي جهداً قال: في سلامة من ديني؟ قال: في سلامة من دينك».

وروينا عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه، قال: قال علي عليه السلام وقد اشتكى شكوى فلما أفاق قالوا: لقد خفنا عليك، قال: ما خفتم علي؟ قالوا: لم نكن نأمن عليك الموت، قال: لا لعمري ما من الموت أمان، ولكن حدثني الصادق الصدوق البار ص إني لن أموت حتى تخضب لحيتي هذه من دم رأسي بضربة أشقى هذه الأمة، كما عقر ناقة الله أشقى ثمود.

وروى الحاكم رضي الله عنه عن عبد الله بن سنيع[1] قال خطبنا علي عليه السلام فقال: فيم عهد إلي رسول الله ص لتُخْضَبنَّ هذه من دم هذا، قالوا: ألا تخبرنا به لننزعنه، فقال: أنشد الله رجلاً قتل غير قاتله.

وعن زيد بن وهب قال: قدم وفد البصرة على علي عليه السلام فلاموه في لباسه، فقال: ما أنتم ولباسي! هذا أبعد من الكبر، وأجدر أن يقتدي بي المؤمنون. قالوا: اتق الله فإنك ميت، فقال: لا والله ولكن مقتول؛ قتلاً من ضربة، عهداً معهوداً، وقضاءاً مقضياً، وقد خاب من افترى.

---

(1) في الحدائق: عبد الله بن سبع.

وروى في «كفاية الطالب في مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب» عليه السلام لأبي عبد الله محمد بن يوسف الكرخي الشافعي، عن بعضهم قال:

كنت أجول في بعض الفلوات إذ أبصرت دِيْراً فيه صومعة فيها راهب، فأشرف عليّ، فقلت له: من أين يأتيك الميرة؟ فقال: من مسيرة شهر، فقلت له: حدثني بأعجب ما رأيت في هذا الموضع. فقال: نعم، بينما أنا ذات يوم أدير نظري في هذه البرية، وأفكر في عظمة الله تعالى وقدرته، إذ رأيت طائراً أبيض مثل النعامة قد وقع على تلك الصخرة، وأومأ إلى صخرة بيضاء، فتقيأ رأساً ثم رجلاً ثم ساقاً، فإذا هو كلما تقيأ عضواً من تلك الأعضاء التأم بعضها إلى بعض أسرع من البرق الخاطف، بقدرة الله سبحانه، حتى إذا استوى رجلاً جالساً وهمّ بالنهوض، نقره الطائر نقرة فقطّعه أعضاءً، ثم رجع يبتلعه. ولم يزل على ذلك أياماً؛ فكثر والله تعجبي منه، وازددت يقيناً أن لهذه الأجساد حياة بعد الموت. فلم يزل على ذلك أياماً، فالتفت إليه يوماً فقلت له: أيها الطائر، سألتك بالذي خلقك إلا أمسكت عنه حتى أسأله فيخبرني بقصته. فأجابني الطائر بصوت عربي طليق: لربي الملك والبقاء، الذي يفني كل شيء ويبقى، أنا ملك من ملائكة الله تعالى موكل بهذا الجسد لما أجرم، وأمرني الله عز وجل أن آتي هذا المكان لتسأله وتخاطبه، فيخبرك بما كان منه. فقلت: يا هذا الرجل المسيء إلى نفسه ما قصتك؟ ومن أنت؟ فقال: أنا عبد الرحمن بن ملجم قاتل علي بن أبي طالب،

وإني لما قتلته وصارت روحي بين يدي الله عز وجل، ناولني صحيفة فيها مكتوب ما عملت من الخير والشر منذ ولدت إلى أن قتلت علياً، فأمر الله هذا الملك يعذبني إلى يوم القيامة، فهو يفعل بي ما قد رأيت. ثم سكت فنقره الطائر فتفرقت أعضاؤه، ثم ابتلعه عضواً عضواً. فلما فرغ منه قال: يا آدمي إني ماضٍ عنك بهذا الجسد إلى جزيرة في البحر الأسود التي يخرج منها هوام أهل النار إلى يوم القيامة انتهى.

فالحمد لله القوي العزيز، وسبحان القدير.

فصل [في كلام أوليائه فيه واعتراف خصومه بفضله]

نذكر فيه شيئاً من عجائب الأقوال وغرائب الأفعال، مما يقضي بتفضيله والقطع بإمامته، وكلام صديقه لخصومه، واعتراف خصومه بفضله.

فمن [ذلك] قوله عليه السلام: والله ما معاوية بأدهى مني، لكنه يغدر ويفجر

إلى آخر ما قال.

وروينا أن المغيرة بن شعبة قال له عليه السلام عقيب قتل عثمان: أرى أن تهادن[1] معاوية بتوليته الشام، وتبقيه على عمله حتى ينتظم لك الأمر، ثم افعل فيه بعد ما أردت. فقال عليه السلام: ما كنت لأداهن في الدين، وما

---

(1) في الأصل: «تهدن».

كنت متخذ المضلين عضدا، فقال المغيرة:

نصحت علياً في ابن هند نصيحةً   فردّ فما مني له الدهر ثانيه
وقلت له أرسل إليه بعهده   على الشام حتى يستقرّ معاويه
فتأخذ منه ما تريد فإنه   لداهية فارفق به أي داهيه
ويعلم أهل الشام أن قد ملكته   وأمّ ابن هندٍ بعد ذلك هاويه
فلم يقبل النّصح الذي قد محضته   وكانت له تلك النصيحة كافيه

وكان المغيرة من الدهاء والكيد والمكر والفسق والفساد بمكان، وكان يقال له الشيخ الزاني. وهو صاحب القصة التي وجب عليه فيها الحد بكتاب الله تعالى، وشهادة الأربعة، فدرأ عنه الحد عمر بن الخطاب بتلكأ الرابع عن حيلة في سقوط الحد عنه، وجُلِد الثلاثة المؤمنين، وكان الرابع زياد. وكان عمر بعد ذلك يقول للمغيرة: ما رأيتك إلا خفت أن أرمى بالحجارة من السماء. وكان علي عليه السلام يقول بعد ذلك: إن ظفرت بالمغيرة لاتبعته الحجارة. قال المدائني: أن المغيرة بن شعبة كان أزنا الناس في الجاهلية، فلما دخل في الإسلام بقيت منه بقية ظهرت في أيام ولايته.

قال المغيرة: أنا أول من صرف هذا الأمر عن أهل هذا البيت، وذلك أني أتيت يوم وفاة رسول الله ص وأبو بكر لازم للباب، فقلت: ما وقفتك هاهنا؟ فقال: أنتظر علي بن أبي طالب يخرج فنبايعه، فقد سمعنا فيه من رسول الله ص ما سمعنا، فقلت: أنشدك الله تعالى في الإسلام وأهله، والله لئن فعلتم ذلك لتكونن قيصرية وكسروية، ولينتظرن بها الجنين في بطن أمه. فلم يقبل

قولي، فذهبت إلى عمر فقلت: الله الله في الإسلام فإني لقيت أبا بكر وهو ينتظر علي، وقال: كذا وقلت: كذا، والله لئن فعلتم لينتظرن بها الجنين في بطن المرأة، ولتكونن قيصرية وكسروية، قال: فخف معي عمر، وكان أبو بكر لا يخالفه فقال لأبي بكر: ما دعاك إلى ما يقول المغيرة؟ انظر يا أبا بكر لا تُطْمِع في هذا الأمر بني هاشم، فإنا إن فعلنا ذلك ذهبت الإمرة من قريش آخر أيام الدنيا، فلم يزل يفتل منه في الذروة والغارب، حتى ذهبا إلى سقيفة بني ساعدة، وكان ما قد علمه الناس.

وقيل لمعاوية بن أبي سفيان: بم كثر سوادك على علي بن أبي طالب؟ وكيف حتى كنت أنت الغالب؟ قال: ما أساء إلي أحد فأسأت إليه، ولا أذنب إلي رجل ذنباً فعاتبته عليه، وكنت بعامة الناس أبرّ من الوالدة بولدها، وأحفى من الكف بعضدها، وكان علي يقول الحق ويعمل به، فسلك بالناس مضيقاً، فلم يدع له الحق صديقاً.

ولما قدم والده أبو سفيان بن حرب المدينة بعد وفاة رسول الله ص لقي رجلاً في طريقه مقبلاً من المدينة، فقال له: مات محمد، قال: نعم، قال: فمن قام مقامه؟ قال: أبو بكر، قال: وما فعل المستضعفان علي والعباس، قال: باقيان، قال: والله لئن بقيت لهما لأرفعن من أعقابهما، قال: إني لأرى غبرة لا يطفئها إلا دم، فلما قدم المدينة جعل يقول:

بني هاشم ما يصنع الناس فيكم ... ولا سيما تيم بن مرة أو عدي
فما الأمر إلا فيكم وإليكم ... وليس لها إلا أبو حسن علي

فقال عمر لأبي بكر: إن هذا قد قدم وهو فاعل شراً، وقد كان النبي ص يتألفه، فدع له ما بيده من الصدقة، ففعل فرضي وبايعه.

وروي أن عائشة بعثت إلى معاوية وهو بالمدينة تذكر حاجةً من آل أبي بكر، فأرسل إليها بثلاثين ألف درهم صلة، وبمثلها لآل أبي بكر، وبعث إلى أخته أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان بعشرين ألف درهم، فقالت: أتفضل علي وأنا أختك، وحقي ما تعلم؟ فقال: إني آثرت هوى رسول الله ص واقتديت به فيكما، فقالت: إن كنت صادقاً فاعتزل ما أنت فيه، وخل بينه وبين من أدخلك في الإسلام، فو الله لهوى رسول الله ص [فيه كان] [1] فوق هواه فيك. فقال معاوية: لله در الحق ما أقمعه.

وكان هو وعمرو بن العاص معترفان بخطأ نفوسهما وظلمهما لها، ومعرفتها لخطأ الثلاثة المشايخ أبلغ، ولكنها الدنيا.

[قصيدة عمرو بن العاص الجلجلية]

قال في «الترجمان» ما معناه: لما غضب عمرو على معاوية في توليته مصر غيره قال هذه القصيدة [2] يخاطب بها معاوية:

معاويةُ الفضلَ لا تنسَ لي　　وعن منهج الحقّ لا تعدِلِ

---

(1) إضافة عن التذكرة الحمدونية.

(2) في الأصل: «قال ما لفظه هذه القصيدة خاطب».

نسيتَ احتياليَ في جِلّقٍ   على أهلها يوم جمع الخلي( )

وقد أقبلوا زُمَراً يُهْرَعون   مهاليعَ( ) كالبقرِ الجُفَّلِ

وقولي لهم إنَّ فرضَ الصلاة   بغير حضوركَ لم تُقبلِ

فولّوا ولم يعبأوا بالصلاة   وقد كان جامعهم ممتلي( )

وقلتَ بمن( ) أتقى بأسه   وفي جيشه كلُّ مُستفحلِ

أَبالْبَقر البُكْم أهل الشآم   لأهل الحجا( ) والتقى أَبتلي؟

فقلتُ نعم قُمْ فإني أرى   قتالَ المُفضَّل بالأجهلِ

وجهّزتُ أهل نفاق العراق   يسيرون قصداً إلى الموصلِ

وقلتُ لهم أن يشيلوا الرِّماح   عليها المصاحف في القسطلِ

فلولا موازرتي لم تُطَعْ   ولولا وجوديَ لم تُحفلِ

ولولايَ كنتَ كمثل النساء   تهاب الخروجَ من المنزلِ

نسيتَ محاورةَ الأشعريِّ   ونحن على دَوْمة الجَنْدلِ

ألعقُه عسلاً بارداً   وأمزجه بجنا الحنظلِ

أَلينُ فيطمعُ في جانبي   وقد غاب سمّي في المفصلِ( )

---

(١) في عيون المختار ١٤٠ والغدير ٢/ ١٧٣: يوم لبس الحُلي. وجلق: دمشق.

(٢) في الأصل: «مهاريع».

(٣) في عيون المختار والغدير: ورمت النفار إلى القسطل.

(٤) في الأصل: «لمن».

(٥) في الأصل: «بأهل الحجا».

(٦) نسخة: وسهمي قد غاب في المفصل (مؤلف).

كأن قد نسيتَ ليالي الهرير بصفين من هَوْلها الأهولِ
وقد بتَّ تذرقُ ذَرقَ الطيور حذاراً من البطل المُقبلِ
فقمتُ على عَجْلَتي( ) رافعاً أَكَشّفُ عن عورتي أَذْيُلي
فستّر عن وجهه وانثنى حياءً وروعُكَ لم يقبلِ( )
فلمّا ملكت ومات الحسام ونالتْ عصاك يدَ الأطولِ
سمحتَ لغيري بوزن الجبال وأعطيتني زِنةَ الخردلِ
وأمنحت مصراً لعبد المليك( ) فأصبح عقلك مستغْفَلِ
فإن لم تسامحْ إلى ردِّها فإني لحربك بالمُصْطلي
خلعتُ الخلافةَ من حيدرٍ كخَلعِ النعال من الأرجلِ
وألبستُها فيك بعد الإياس كَلُبس الخواتم في الأنملِ( )
وأرقيتُكَ المنبرَ المُشْمَخِرَّ بلا حدِّ سيفٍ ولا منصلِ
نصرناك من جهلنا يا ابن هندٍ على السيِّد البطل الأكملِ
فحيث تركناك فوقَ الرؤوس فانزلتنا( ) أسفل الأسفلِ
وكم قد سمِعْنا من المصطفى وصايا مخصّصةً في علي

(1) في الأصل: «فقمت بمنجلي».
(2) في الغدير: لم يعقل.
(3) يقصد به عبد الملك بن مروان.
(4) في الغدير: الخواتيم بالأنمل.
(5) كذا في الأصل. وفي الغدير: وحيث رفعناك فوق الرؤوس، نزلنا أسفل الأسفل.

وفي يومِ خُمٍّ رقى منبراً ... يوَدِّع والركبُ لم يرحلِ

وفي كفِّه كفُّهُ معلناً ... يقول بأمر العزيز العلي

فمن كنت مولاً له سيدا ... علي له الآن نعمَ الولي

فقالَ وليُّكُم فاحفظوه ... كحفظي فمدخله مدخلي

فإنّا وما كان من فعلِنا ... من النار في الدرَكِ الأسفلِ

وما دَمُ عثمانَ مُنْجٍ لنا ... وليس على الحقّ من مدخل[1]

وإنَّ عليّاً غداً خصمُنا ... ويعتزُّ بالله والمرُسلِ

فما عُذْرُنا عند كشف الغطا ... لكَ الويل منه غداً ثمّ لي

فإن قلتَ بينكما نِسْبة ... فأينَ الحسامُ من المِنجلِ

وأين الثريّا وأين الثرى ... وأين معاويةٌ من علي

فإنَّك من إمرةِ المؤمنين ... وتدعى الخليفة في الجحفلِ[2]

فما لك فيها ولا ذرّةٌ ... ولا لِجدُودك في الأوّلِ

ولكّنني ملتُ ميل الفجُور ... لعظم شقائي عن الأمثلِ

عدلتُ الخلافةَ عن حيدرٍ ... فحسبي في ذاك من معدلِ

تمت القصيدة الفريدة، الشاهدة لقائلها بخبث السيرة، ودَغَل السريرة، قال الله تعالى: ﴿ **بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ**﴾ [القيامة:١٤].

---

(1) عند الأميني: من الله في الموقف المخجل.

(2) كذا في الأصل. وفي الغدير: ودعوى الخلافة في معزل.

[خبر دحيل بن الجحاف]

وروى محمد بن عقيل عن كثير بن عبد الله اللخمي قال:

خرج معاوية بن أبي سفيان يوماً وتحته بغلة شهباء، بسرج أرجوان[1]، وعليه حلة صفراء، وقميص أبيض، وعن يمينه سعيد بن العاص، وعن يساره المغيرة بن شعبة، ومن ورائهم يزيد بن معاوية - من دمشق يطوفون حدائقها، فبينما هم يطوفون إذ بأعرابي قد صعد على نشز[2] من الأرض، يستريح من ألم المشي ولأواء[3] السفر. فقال معاوية لسعيد والمغيرة: هذا أعرابي أتى من نحو العراق، عوجوا عليه حتّى نسأله عن أمره، وعن خبر أبي تراب، فأقبلوا نحوه، فقال له معاوية: حييت يا أعرابي. فنظر إليه وصمت، فقال له: لم لا تجيبني؟ فقال: إن الله عز وجل جعل تحية المؤمن غير هذا. فقال له معاوية: صدقت، من أين أقبلت؟ فقال: من الأرض العراقية أريد الأرض المقدسة، فقال له ما اسمك؟ قال: دحيل، قال: ابن من؟ قال: ابن الجحاف، قال: فمن أي العرب؟ قال: من عبد القيس. قال: فكيف خلفت أبا تراب، قال: من تعني؟ قال: علياً. قال: بخير كثير، وفضل جزيل، وعافية

---

(1) الأرجوان: الشديد الحمرة.

(2) النشز بفتحتين: المرتفع من الأرض.

(3) اللأواء: الجهد والمشقة .

في دينه ودنياه وولده، يقر لربه بنعمه عليه، ويشكره ويطيعه فيما خوله من ذلك وآتاه.

قال: يا أعرابي، كيف الرعية له؟ قال: يحبه المؤمن التقي، ويبغضه المنافق الشقي، فقال: لم أسألك عن بغضهم إياه ومحبتهم له، كيف سيرته؟ قال: يقدم المظلوم على الإنصاف بعدله، ويرد الظالم عن ظلمه، قال: كيف لباسه فيكم؟ قال: لباس أدنى الرعية، قال: كيف رفقه فيكم؟ قال: أب لليتيم، وخلف على الأيم، ووالد للصغير، وولد للشيخ الكبير. قال: فما طعامه؟ قال: النهار جائع عطشان، فإذا أفطر نال من الطعام كما ينال المسكين، قال: فما يصنع في ليله؟ قال: جزّأه أربعة أجزاء، جزء يحرس فيه المسلمين، وجزء ينام فيه بين أهله، وجزء يناجي فيه ربه، وجزء يراقب فيه صلاة الفجر، قال: فما يصنع في نهاره؟ قال: يطوف على الناس، فمن قضية محكمة، وسنة مبينة، وأمر بمعروف، ونهي عن منكر، حتّى تجب الصلاة فيصلي بالناس على قدرةٍ من الحال، قال: فكيف أخذه الخراج والزكاة منكم؟ قال: لا يدع حقاً لله، ولا يستأثره دون أهله، قال: فما له من الخيل؟ قال: فرس وبغلة رسول الله ص وبعيره، قال: فكيف قوته؟ قال: كأنك والله إذا لمسته لمست حجراً من الصم الصلاب، لا تعمل فيه الحِرَاب، قال: فكيف خُلْقه فيكم؟ قال: يضحك تبسماً
أو تخلقاً، قليل النظر فيما لا يعنيه، مبادر إلى تعليم الجاهل. قال: فأي الناس أحبهم إليه؟ قال: أطوعهم لله وإن لم يكن أصيلاً. قال: فالعرب أشدّ محبة أم

الفرس

أم الأنباط من أهل السَّوَاد؟ قال: من كل أمة أرشدها طريقة، وأوضحها محجّة، وأبعدها من الغي، وأقربها من الإيمان، قال: فكم يكون جيشه إذا أراد أن يلقى عدواً؟ قال: قليل من الناس، وكثير من الملائكة، مع وافر من النصر.

قال: فمن ولى على الكوفة؟ قال ابنه الحسن، قال: فمن ولى على القضاء؟ قال: رجل يقال له شريح بن الحارث، قال: فمن يحرس داره؟ قال: أتعقل ما تقول! من ذا يحرس الأسد في أجمته. قال: فكيف ولده وأزواجه وعبيده على خشونة الملبس وقلة المطعم؟ قال: ما أعجب أمرك أيها الرجل، ألم تسمع الله سبحانه وتعالى يقول في قصة نبي أطاعه: ﴿ **وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ**﴾ [الأنبياء: ٩٠]. قال: يا أعرابي ما أشد محبتك له قال: بذلك أُمرت وأنا من المسلمين، ما أساء من أحب من أحب الله ابتغاء رضائه، وطلب ثوابه، وخوفاً من عقابه. قال: يا أعرابي قد كنت تجالسه؟ قال: قد كنت ربما آتيه جاهلاً فيعلمني، وسائلاً فيعطيني، وعرياناً فيكسوني، ومستحملاً فيحملني من عطاء كاف لا بإقتار ولا بإسراف، قال: فإن مات ما تصنع؟ قال: أطيل الحزن على فقده، ولا أتهم ربي في حكمه، حاشا لوجه ربي الكريم أن يخترمه قبلي حتى لا أجد في الأرض مستنداً، ولا لضغطةٍ مخرجاً حتّى يخلف ولداً، ولولده ولدا، ويجعل لهم ربي أمداً ومدداً، ولا يعدل بهم ربي أحداً.

قال: فضحك معاوية وقال: لقد خالطت محبة علي دماء قوم، فوالله لو مات لكان كما قال الأعرابي. قال المغيرة: قد بدى لك منه ما عنده من غير استعداد ولا معرفة منه لك. قال معاوية: فاصطفني يا أعرابي قال: إني دخلت بلداً قليل خير أهله، كثير شرهم، أشد خلق الله بغياً وجوراً، وأعون الناس لظالم، وقد آليت على نفسي أن لا أنزل فيها على أحد حتّى أعرفه، فمن أنت؟ قال: فسكت معاوية، وأقبل المغيرة فقال: يا أعرابي، وهل يخفى البدر في الليالي السود! هذا معاوية الحليم إذا غضب الناس، والشامخ إذا انتسبوا، والمتكلم إذا أنصتوا، والمعطي إذا أجدبوا، خصب البلاد، وغوث العباد، عطاؤه جزيل ليس بالحقير. فقال الأعرابي: امصص لسانك يا ناقص العقل، كذبت في مقالتك، وبهت(١) في كلامك، وكفرت في مدحك، وبخست أهل الحق حقوقهم، وتفوّهت بالمحال، وشهدت بالزور، وتكلمت بالعدوان، وعصيت الرحمن، ما صاحبك إلا باغٍ على الإمام، مخالف على النبي عليه السلام، مبدل للأحكام، خارج على أهل الإسلام، متّبع سبيل الشيطان، مترد عن الحق والبرهان، يغصب الأموال ويعطيها مثلك يا مختال، تركب بها المراكب السِّمان، وتلبس بها الحُمُر من الحلل والأرجوان.

فقال معاوية لحرسي له من أهل الشام: خذ هذا العراقي إليك حتى تأتيني به، ومضى حتى دخل داره ومن معه، ثم أمر لرجل من كندة يقال له:

---

(١) في الأصل: «ونهتّ».

صمصم بن السباق الكندي وكان متكلّماً شاعراً، عارفاً بأيام العرب وأنسابهم، ثم أمر بالطعام فَقُدِّم إليهم، ودعا بالأعرابي، فقال له معاوية: أدن فَكُلْ. قال: أفيأذن صاحبه، قال معاوية: أنا صاحبه، قال: إن يكن من مال أخذ من حقٍ وجب في مال مسلم أو معاهد فقد أخذه من لا يستحقه، ووضعه في غير من يستوجبه، وإن كان مالاً أخذ من غير من وجب عليه فهو أبعد إلي من أن لا آكل منه، ثم قال: كلوا سؤالاً وأعدّوا جواباً يا أعوان الظلمة، فإني صائم ومعي بقية من مال، أخذه الإمام باستحقاق، أخذه بحكم وصيّره في حق، آكل منه قوت القانع، وأرِد الماء الذي يخرج من الأرض ينابيع، فأشرب منه بكفي ما يقيم رمقي، وأتقوى به على فرض خالقي، حتى أؤوب إلى ربي. فأقبلوا يأكلون، حتّى إذا فرغوا نهض دحيل على قدميه، وصيّر أصبعيه في أذنيه، ونادى بأعلى صوته: أين أنتم يا معاشر المسلمين مِن الفريق الطاهرين، الذين اتخذوا منهج نبيهم، وجعلوا البصائر بين أعينهم، فاتّبعوا القرآن، وجانبوا حزب الشيطان، ولم يستكبروا على الله ولا على رسوله، وحفظوا دينهم بالبقاء، وآثروا الآخرة على الدنيا، وسلكوا مظان الطريق، والتخشع لربهم، وأخمصوا بطونهم، وندموا على ذنوبهم، أولئك حزب الله وأولياؤه، وخزّان علمه، ومعدن حكمته، وأحباؤه من خلقه، والله أعلم حيث يجعل رسالاته، أين أنتم من رجل لم يتخذ الخِوان[1]، ولم يأكل

(1) الخوان بالكسر: ما يؤكل عليه وهو معرب (المصباح المنير ١٨٤).

الألوان، ولم يستهوه الشيطان، كرّاراً على الأبطال، مائلاً عن الآثام، خائفاً من يوم الانتقام، ذلك الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

فقال له سعيد بن العاص: اجلس أيها الشيخ البدوي الغليظ الطبع، الجافي الخلق، المنكوس إلى أرذل العمر. فابتدره الحرس فأجلسوه، ثم أقبلوا على صمصم وقالوا: شأنك وإياه! فقال: يا أعرابي، هل شهدت الدار؟ قال: وما الدار؟ قال: يوم قتل علي ابن عفان، وسبى حرمه في حرم رسول الله ص، قال: قد كنت حاضر المدينة ولو فعل علي ذلك فعلناه، وما قعدنا عن أمر دخل فيه؛ لأنه مع الحق أينما كان، ولكنكم ادعيتم ذلك عليه، فهو أضر عليكم. قال: فهل شهدت الجمل؟ قال: ما غبت ولا شنت أن ترى علياً راكباً إلا وجدتني عند صدر فرسه، بحجَفَة[1] وسيف وسهام كثيرة، وقوس شديدة، ورأي رشيد، لا يسقط لي سهم إلا كسر عظماً، أو بضع لحماً. قال: فهل رميت هودج أم المؤمنين؟ قال: ولم تقتل النساء في الحرب يا جاهل! قال فهل شهدت صفين؟ قال: فهل غبت عنها ما رضيتُ أن أرمي حتّى أنفدت، وأضرب بالسيف إلا فريت، وأحرِّض إذا أعييت، قال: فهل رأيت بها عماراً مجدّلاً؟ قال: والله بها نورنا استبان، إذ قال رسول الله ص: تقتل عمار الفئة الباغية؛ وذلك تصديق ما قال به جبريل عليه السلام، قاتلنا بحق، ونصرنا الإمام بصدق، خلاف من قاتل رجماً بظن بغير بصيرة، ولم نقاتل بالحميّة حمية الجاهلية، وإخوان العصبية، وفرسان الكبر والجاهلية، والذي عقدوا له

---

[1] الحجفة: الترس الصغير.

البيعة، وأطلقوا عقال الفتنة، وأحلوا قومهم دار البوار، فقتلنا كباركم، ودفعنا باطلكم، وعلونا هاماتكم، ووطئنا بخيلنا دياركم، وأيتمنا أولادكم، فأصبحتم للطير مأكلاً، وللسباع مطعماً، تسفي عليكم الرياح، وتعتليكم الرماح، ويختلف عليكم سواد الليل وبياض النهار، هذا في طاعة الشيطان، بعد أن أنذركم القرآن فقال: ﴿ **يَابَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ**﴾ [الأعراف: ٢٧] استزل أقدامكم فهدهدها، وعقولكم فدلهها، فكيف رأيتم جند الله وأعوان دينه، وأنصار الحق، هذا كله مبلغ مكر كبرائكم، فأقحموكم ورَطات الذل، وأحلوكم مصارع القتل، وأوردوكم إلى حز الجراح، فكانوا وأنتم كما قال الله سبحانه وتعالى في مثل أمثالكم في الآخرة حين قالوا: ﴿**رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ**﴾ [الأحزاب: ٦٧].

ثم أقبل على معاوية فقال: يا معاوية، لا تغتر بما خُوّلته من جنات وأنهار، وأشجار ذات ثمار، وقصور مشيدة البنيان، وبساتين متصلة، وبرة حمراء، وروضة خضراء، وأرياف محدقة، وجنات مغدقة، وزروع ناضرة، وطرق عامرة، فإن ذلك إلى نفاد سريع، وحساب طويل، وسؤال عظيم، فو الله لو كان ما في يديك لك، جمعته من حله، لكنت تغط في واجب شكره، مفرطاً في كثير من حمده، فكيف وأنت تأخذه من أموال المسلمين، ورقاب المعاهدين، وحق المساكين وابن السبيل، تأكل به الألوان، وتلبس به الثياب، وتنام به على الفرش، لكن الله ابتلى محمداً فيكم ابتلاءً عظيماً، وخطباً جسيماً إذ دعاكم فكذبتموه، وتظاهرتم عليه فأخرجتموه، واستنجدتم الأمم لتنصركم عليه،

وتحالفتم عليه حتى أخرجتموه من حرم الله وطردتموه، فوجدتموه صابراً محتسباً فيكم، حتى صدع بالأمر، وبيّن الحق، ومحق الباطل، وأدى الرسالة، ومنح النصيحة، حتى ظهر أمر الله وهم كارهون، وقضى بالحق وخسر هنالك المبطلون. ثم ابتلى الله أمير المؤمنين وسيد الوصيين علياً عليه السلام ببلاء عظيم، واختبار كثير، وامتحان شديد، وتمحيص بليغ، جعله الله تعالى سبباً لرحمته، ووسيلة إلى جنته، وغايةً لمغفرته حتى يكمل له الثواب، ويعتلي الدرجات العلى ﴿ **جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى**﴾ [طه: ٧٦].

فعجز القوم فلم يجب أحد، وأمر معاوية بتسييره إلى بلاد الأردن وقال: لا أرى هذا في بلادي أبداً. انتهى باللفظ من خط غير صحيح، فمن أصلح ما وجد من خلل في ذلك عن أم صحيحة فأجره على الله سبحانه وتعالى، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

[خبر الطِّرمَّاح]

ومن ذلك خبر الطرماح بن عدي بن حاتم الطائي: فَرُوي أن أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام كان جالساً ذات يوم في مسجد الكوفة بين نفر من أصحابه، فبينما هو إذ أقبل رجل على ناقة له، فعقلها على باب المسجد، ودخل وهو معتقل لسيفه، يسحب أذياله، وهو يقول: أيكم علي بن أبي طالب؟ فقال له الناس: يا أجلف الشام ويا شبيه الأنعام، ألا تقول

أيكم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب! فتبسم علي من قوله، وقال: مرحباً بك يا أخا العرب، من أين أقبلت؟ قال: أقبلت من عند معاوية بن أبي سفيان قال: فبماذا أتيت من عنده؟ قال: بكتاب قال: فهاته، فدفعه إلى أمير المؤمنين، فإذا فيه مكتوب: من معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب أما بعد: يا علي، فقد أقبلت على مالا يعنيك، وتركت ما يعنيك، وقد بلغني فعالك بأصحاب رسول الله ص يوم الجمل، وإباحتك لدم المسلمين، وبعائشة أم المؤمنين، وبالله لأرمينك بشهاب من نار، لا يطفئه الماء، ولا تدحيه الرياح، إذا اهتز زاد، وإذا زاد قطع، وإذا قطع كسر، ومن بعد ذلك فإني خارج إليك بجيش أوله في العراق وآخره في الشام، وأجدّلك صريعاً، وأيتم عيالك، حتى ترجع[1] إلى الحقيقة، وإلى طريق الاستواء، وتعود إلى ما أنت فيه، فإذا قرأت كتابي هذا فرد الجواب، ولا تعدل عن الصواب.

قال: فقرأ علي عليه السلام ذلك الكتاب، فغضب غضباً شديداً، ودعا بدواة وقرطاس، وكتب كتاباً فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، من أمير المؤمنين ابن عم رسول رب العالمين علي بن أبي طالب إلى معاوية بن أبي سفيان، أما بعد: يا معاوية، فقد وصلني كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه من إبراقك وإرعادك، وإيعادك وتهددك، وما كنت بالذي أهابك، لأني ما حللت درع

---

(١) نسخة: أو ترجع. (مؤلف).

الإسلام مُذْ لبسته، ولا سيف الانتقام مذ حملته فأعتقله، ومن بعد ذلك فإن السيف الذي قتلتُ به في يوم بدر أخاك وعمك وخالك وجدك باقٍ يحمله ذلك الساعد القوي، وأنا أرجو أن ألحقك بهم إن شاء الله تعالى، أنت وجندك أهل النفاق. ثم طوى الكتاب وختمه، ودعا برجل من أصحابه يقال له: الطرماح، فقال له: يا طرماح، اذهب بكتابي هذا فأي وقت وصلت دمشق لم تزل قائماً على قدميك حتّى تدفع الكتاب من يدك إلى يد معاوية، واسأله الجواب، فإن رد لك الجواب وإلا انصرفت راجعاً.

قال: فعمد الطرماح إلى جمل له مهيل، فشدَّ عليه رحله وحجفته، وجعل يطوي المراحل والقفار، ويسير الليل والنهار، حتى وصل إلى دمشق على سبعة أيام، فلما وصل وقد أفضى عليه حلةً يمانية، وتعمم بعمامة حرير أحمر[1]، وأرسل لها ذؤابتين، وجعل الكتاب في إحدى الذؤابتين، وصار أهل المدينة ينظرون إليه، وجعل يقطع شوارع المدينة وهو يقول: يا أهل دمشق، أين يكون منزل شعبة بن المغيرة، والعباس ابن مرداس[2]، وأبي الأعور السُّلَمِي، وعمرو بن العاص، ومروان بن الحكم، والوليد بن سعيد السُّلَمِي؟ فقالوا: يا أخا العرب، إنك لا تجد هؤلاء إلا على باب أمير المؤمنين معاوية. قال: وأراد رجل من القوم الذين سألهم أن يخجله بكلمة فقال له: يا أخا

---

(1) أظنه حمراء ولا أصل لقوله: حرير والله أعلم، وإن كان يجوز لبسه للإرهاب، ولا سيما في مثل تلك الحال والله أعلم. (مؤلف).

(2) لعل في السياق تحريف، فالعباس بن مرداس توفي قبل ذلك.

العرب هل معك خبر من السماء؟ وذلك لطوله، فقال: نعم، أمر الله النازل بكم، وملك الموت في الهوى، وعلي بن أبي طالب في القفا، يأتي لقبض أرواحكم إن شاء الله تعالى. فخجل القوم منه ومن كلامه، وهابوه وقالوا: مرحباً بك يا أخا العرب، فمن أين أقبلت؟ قال: من عند الأنزع البطين، الأنزع من الشرك، البطين من العلم، مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة، أمير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين، علي بن أبي طالب عليه السلام، فقالوا له: فأين تريد؟ قال: إلى هذا الطاغي الباغي معاوية بن أبي سفيان، بكتاب أمرني مولاي أن لا أزال قائماً على قدمي حتى أدفعه إليه من يدي إلى يده.

قال: فعند ذلك كتبوا كتاباً إلى معاوية أن بباب الدار رجل سريع الجواب، فصيح اللسان، ينطق بالبيان، معه كتاب من عند أبي تراب، زعم أنه لا يسلمه إلا إليك. قال: فأمر معاوية بالرجال أن يصفوا من باب القصر إلى باب الطاق، بأيديهم الصفائح الفرعونية، بأعمدة الذهب والفضة، قال: فلما نظر إليهم الطرماح قياماً بين يدي معاوية وحوله قال: إن هؤلاء زبانية جهنم بين يدي مالك، فقالوا: بل هؤلاء أعوان أمير المؤمنين. قال الطرماح: أتحفظونه من أمر الله، إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم. قال: لقيه(١) يزيد بن معاوية بباب القصر، فبدأه بالسلام فقال: من هذا المشئوم الموسوم على الخرطوم، ابن المشئوم البلعوم؟ فقالوا: هذا يزيد بن معاوية، فقال: لا زاد الله

(١) في الأصل: «وقد لقيه».

في رزقه، ولا أنسأه في أجله، وخذله وأرداه، هذا شقيق عاقر ناقة ثمود، هذا قاتل الحسين بن علي لا محالة، بذلك أخبرنا رسول الله ص.

قال: فلما قدم باب المجلس قال: السلام عليك يا معاوية. فقال عمرو بن العاص: قاتلك الله يا أخا العرب ما أساء أدبك ما تقول السلام عليك يا أمير المؤمنين. فقال: والله أنت يا ابن العاص أساء مني أدباً، إن أمير المؤمنين خلفته بالكوفة صحيحاً في جسمه، سالماً في دينه، لا تأخذه في الله لومة لائم، خليفة رسول الله استخلفه في أمته من بعده، كاشف الظلم الحنادس، فيا ليت شعري من استخلف صاحبكم هذا. فقال معاوية: دع الرجل فليسأل عما شاء، وليتكلم كيف شاء، مرحباً بك يا أخا العرب من أين أقبلت؟ قال: أقبلت من عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، قال معاوية: كيف خلفته؟ قال: خلفته كالبدر رابع عشر صحيحاً في جسمه، سالماً في دينه، صائماً نهاره لا يفطر، قائماً ليله لا يفتر. قال: كيف خلفت ولديه الحسن والحسين؟ قال: خلفتهما شابين أديبين، عالمين عاملين، يصلحان للدنيا والآخرة، سبطي رسول الله ص، قال: كيف خلفت أصحابه؟ قال: خلفتهم كالكواكب الدرية، يأمرهم فيأتمرون، وينهاهم فينتهون، قال: فبماذا أتيت من عنده يا أخا العرب؟ قال: أتيت بكتاب، قال: هاته. قال: لم أكن أطأ بساط الظلمة، قال: فادفعه إلى الوزير، قال: كذب الوزير، وخاب الأمير، وإلى الله المصير، قال: فادفعه إلى الغلام، قال: غلام اشتري بحرام، واستعمل في غير طاعة

ذي الجلال والإكرام، قال: فكيف يكون السبيل إلى أخذ كتابك، قال: تقوم يا معاوية على أم رأسك، إجلالاً لله ولصاحب الكتاب.

قال: فقام معاوية يتعثر في ثيابه حتى أخذ الكتاب، وفضه وقرأه [إلى] أن وصل ذكر السيف، وذكر قتل أخيه وجده وعمه وخاله، فغضب معاوية، ورمى بالكتاب من يده، قال: فلما رآه الطرماح قال: سألتك بالله يا معاوية هل نزل فيك قرآن كما نزل في علي عليه السلام قوله تعالى:﴿ **الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾ [المائدة:٥٥] هل نزلت فيك أم في علي؟ قال: بل في علي. قال: فقوله تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا**﴾ [الفرقان:٥٤] أنت الصهر أم علي؟ قال: بل علي. قال: فقوله تعالى:﴿ **أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَاحَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ**﴾ [الزمر: ٥٦] أنزلت فيك أم في علي؟ قال: بل في علي. قال الطرماح: فمن قبل ومن بعد فإن الله قد فضله عليك يا معاوية، وهو خير منك، وهو سيد المسلمين بعد رسول الله ص، والإمامة فيه، فمثلك يا معاوية من يرمي بكتاب أمير المؤمنين، فأخذ معاوية الكتاب وقبله، ورمى به إلى مروان بن الحكم وقال: أجب عليه على قدر كتابه، قال: فدعا بدواة وقرطاس، وكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم من أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب أما بعد: فقد وصلني كتابك وفهمت ما فيه، وما ذكرت فيه من قولك: إن السيف الذي قتلتَ به في يوم بدر أخي وجدي وعمي وخالي باق معك، فصدقت في قولك، وقد كان ذلك بنصر الله تعالى لنبيه محمد ص، وأنت اليوم لا ناصر لك، ومن بعد ذلك فإن عندي وقر أربعين جمل خردل تحت كل خردلة

ألف فارس، وألف راجل.

قال: وكان الطرماح ينظر إلى ما يجري به القلم، فضحك ضحكاً عالياً خجل القوم كلهم منه، قال معاوية: ما يضحكك يا أخا العرب؟ قال الطرماح: والله ما أدري أتعجب من كذب الوزير أم كذب الأمير! قال: وماذا رأيت؟ قال: كتابك هذا يزعم أن عندك وقر أربعين جمل خردل تحت كل خردلة ألف فارس وألف راجل. قال: والله كُتِب بغير إذني، قال: ذلك أقبح لرأيك، وأسمج لعذرك، أيكتب الوزير من غير أمرك! ولكن أنا أجيبك، والله إن عند مولاي ديك أفرق[1] يأخذ حب خردلكم، خردلة خردلة، فيلقيها في حوصلته[2] فيطحنها طحناً فيذرقها في لحيتك يا معاوية. قال معاوية: ومن هو ذلك؟ قال: مالك الأشتر بن الحارث، قال معاوية: صدقت، والله إنه لفارس شجاع.

ثم التفت معاوية إلى أصحابه ثم قال: إني لو أرسلت منكم رجلاً ما ودعني كلمة مثلما ودع هذا الرجل صاحبه. قال الطرماح: أجل هذا يا معاوية، إن أصحاب علي يتكلمون على قدره، وأصحابك يتكلمون على قدرك. فقال له عمرو بن العاص: لأمك الويل يا أخا العرب، ما أساء أدبك. قال الطرماح: بل طوبى لها، والويل لأمك أنت يا عمرو حين أتت بك منافقاً كافراً، ولم تلدك مثلي مؤمناً مسلماً، والويل لها حين أتت بك لخمسة من قريش واختصموا فيك، والكل يزعم أنك له ولد، فسئلت عن ذلك فقالت: والله

---

[1] ديك أفرق: الذي له عُرفان.

[2] الحوصلة: من الطير الحوصل، ومن الإنسان وغيره: من أسفل البطن إلى العانة (المعجم الوسيط).

كلهم قد أتوني في طهر واحد، ولكن احكموا به لمن غلب عليه ظني. فحكمت بك للعاص بن وائل، جزار قريش، أذلهم حسبهم، وأدناهم نسباً، وأنت لأبي سفيان لا محالة.

فقال له معاوية: والله يا أخا العرب لولا أنك رسول، ومن سيماء الملوك أنهم
لا يقتلون الرسل لأقتلتك، قال الطرماح: والله إني لأحب ذلك، قال معاوية: يا أخا العرب إني أريد أن تنزل معنا، وتكون في دار كرامتنا، قال: هيهات، أمرني مولاي أن لا أزال قائماً على قدمي حتى تردّ لي الجواب، فإن رددت الجواب وإلا انصرفت راجعاً، قال: رح يا أخا العرب، فإنه لا جواب لكتابك.

قال: فعند ذلك أمر له ببدرة فيها ثلاثة آلاف درهم، وقال: ما تقول يا أعرابي؟ قال: الحمد لله والمنة له، قال: فأمر له ببدرة أخرى فيها ثلاثة آلاف درهم، قال:
ما تقول في الزيادة؟ قال: زيادة الخير خير، قال: فأمر له ببدرة أخرى فيها ثلاثة آلاف درهم، وقال: ما تقول يا أعرابي؟ قال: أقول: الحمد لله والمنة له، هذا من مال الله لا من مال أبيك سفيان جمعته، ولا من مال أمك هند ورثته، هذا من مال المسلمين ظلمتهم وأخذته، وآخذه وأفرقه على المهاجرين والأنصار، ونستعين به على حربك إن شاء الله تعالى، تم كما وجد من خط من يوثق به.

[خبر بكارة الهلالية]

ونقلت من «العباب»[1] ما لفظه: قال الشعبيّ: استأذنت بكارة الهلالية على معاوية فأذن لها، وقد كبرت، فدخلت بين جاريتين، فوقفت ولم تسلم، فقال: اجلسي يا عمتاه، فقالت: الجلوس أردت لا أذنك. وكانت دفنت سيفاً قبل قبض النبي ص فلما كان من أمر علي ما كان أخرجته، وخرجت هي وأخوها زيد، وحضرت الجمل وصفين، وحسن عناؤها؛ فقال عمرو بن العاص لمعاوية: هذه بكارة عاقدة النطاق، ودافنة السيف، ومحاربتك مع علي. قال معاوية: مرحباً يا عمتاه كيف حالك؟ قالت: بخير، قال: غَيّركِ الزمان، قالت: هو ذو غِيَر، من عاش كبر، ومن مات قبر. فقال عمرو: هي والله القائلة لأخيها زيد:

يا زيد دونك فاحْتَفر من دارنا   سيفاً حساماً في التراب دفينا
قد كنتُ أذخره ليوم كريهة   فاليوم أبرزه الزمان مصونا

قال سعيد بن العاص: هي والله القائلة:

قد كنت أطمع أن أموتَ ولا أرى   فوقَ المنابر من أَميّةَ خاطبا
فالله أخّرَ مدتي فتطاولت   حتى رأيتُ من الزمان عجائبا

قال مروان بن الحكم: هي والله يا أمير المؤمنين القائلة:

أترى ابن هندٍ في الخلافة طامعاً   هيهات ذاك وإن أراد بعيدُ

---

[1] مؤلف العباب هو: الحسن بن علي بن صالح العدوي (مطلع البدور ٢: ٨٧) وخبر بكارة الهلالية في العقد الفريد ١/ ١٢٥، جمهرة خطب العرب ٢/ ٣٧٩، بلاغات النساء.

منّتك نفسك ضُلَةً وغواية أغراك[1] عمرو للشقا وسعيد
فارجع بأنحس طائر وألجه لاقت علياً أنعمٌ وسعود

فقالت: يا معاوية تنبحني كلابك أن عشي[2] بصري، وضعفت حجّتي، أما والله لو أن صخراً يجمعني وإياهم لتركتهم يروغون روغان الثعالب، أنا والله القائلة ما قالوه، وما خفي عليك وعليهم أعظم. فقال: ليس ذلك مما يمنعنا من برك يا عمتاه، فاذكري حاجتك، قالت: أما الآن فلا، وخرجت وهي تسبّهم.

[خبر أم سنان المذحجية]

وروى أيضاً خبر أم سنان المذحجية فيه قال: حبس مروان بن الحكم غلاماً من بني ليث في جناية جناها بالمدينة، فأتت جدته أمُّ أبيه وهي أم سنان المذحجية، فكلمته فأغلظ لها مروان في الكلام، فخرجت إلى الشام، فاستأذنت على معاوية، فأذن لها، فدخلت وانتسبت له، فقال: مرحباً بك يا ابنة خيثمة[3]، ما أقدمك أرضنا؟ وّقد عهدتك تشنين قربي، وتحضين عليّ عدوي، فقالت: إن لبني عبد مناف أخلاقاً طاهرة[4]، لا يجهلون بعد علم، ولا يسفهون بعد حلم، ولا يعاقبون بعد عفو، وإن أولى الناس باتباع سير آبائه لأنت، قال: صدقت فكيف قولك:

عزب الرقاد فمقلتي لا ترقد والليل يصدر في الأمور ويورد

---

(1) في الأصل: «غراك».

(2) في الأصل: «أعشى» وما أثبت تصويب.

(3) في الأصل: «خثيمة».

(4) زاد في جمهرة خطب العرب ٢/ ٣٧٨: وأعلاماً ظاهرة.

يا آل مذحج لا مقام فشمّروا إن العدو لآل أحمد يقصد
هذا علي كالهلال تحفّه[1] وسط السماء من الكواكب أسعد
خير الخلائق وابن عم محمد وكفى بذاك لمن شناه تهدّد
ما زال مذ عرف الحروب مظفراً والنصر فوق لوائه ما يفقد[2]

قالت: قد كان ذلك وإنا لنطمع فيك خلفاً، فقال رجل من جلسائه: كيف وهي القائلة:

إما هلكت[3] أبا الحسين فلم تزل بالحق تعرف هادياً مهديا
فاذهب عليك صلاة ربك ما دعت فوق الغصون حمامة قمريا
قد كنت بعد محمد خلفاً لنا أوصى إليك بنا فكنت وفيا
فاليوم لا خلف يؤمل بعده هيهات نمدح[4] بعده إنسيّا

قالت: يا أمير المؤمنين، لسان نطق، وقول صدق، ولئن تحقق فيك ما ظننا، والله ما أورثك الشناءة في قلوب المؤمنين إلا هؤلاء، فاخفض[5] مقالتهم، وأبعد منزلتهم، فإنك إن فعلت ازددت من الله قرباً، ومن المسلمين حباً، قال: فممن تشكين؟ قالت: من مروان بن الحكم، وسعيد بن العاص، فإن

---

(1) في الأصل: «ونوره» والتصويب عن العقد الفريد وغيره.
(2) في الأصل: «قد يعقد».
(3) في الأصل: «وإذا هلكت».
(4) في الأصل: «ما أمدح».
(5) في سائر المصادر: فادحض مقالتهم.

مروان حبس ابن ابني، فانظر في أمري قال: لا أسأل عن ذنب ابن ابنك اكتبوا لها بحاجتها وبإخراجه فقالت: قد نفد زادي، وكلَّت مطيتي فأمر لها براحلة وخمسة آلاف درهم، فانصرفت.

[خبر حماسية بنت أبي الأسود الدؤلي]

وقال في «سفينة الحاكم» رضي الله عنه: قدم أبو الأسود الدؤلي على معاوية ومعه بنته حماسية، فبعث إليه معاوية بهدايا وحلاوى فقالت: ما هذا يا أبه؟ فقال: هدايا معاوية، وكان في فمها لقمة فأخرجتها وقالت:

أبالشَّهْد المُزَعفر يا ابن هندٍ نبيع إليك أحساباً ودينا
معاذ الله كيف يكون هذا ومولانا أمير المؤمنينا

[خبر الزرقاء بنت عدي الهمدانية]

قال في «الترجمان»: وممن حضر صفين من النساء الزرقاء بنت عدي(١) بن قيس الهمدانية من أهل الكوفة، فسمر معاوية ليلة(٢)، ومعه عمرو بن العاص، ومروان، وعتبة(٣)، والوليد بن عقبة، فقال: أيكم يحفظ كلام الزرقاء؟ فقالوا: كلنا نحفظه، فقال: ما تشيرون؟ قالوا: نشير بقتلها، قال: فبئس الرأي أن يتحدث الناس عنا بقتلها. فدعا كاتبه وقال: اكتب إلى عامل

---

(١) في العقد الفريد: الزرقاء بنت عدي بن غالب بن قيس.
(٢) في الأصل: «ليلا».
(٣) هو عتبة بن أبي سفيان، أخو معاوية.

الكوفة أن أوفد عليّ الزرقاء مع ثقة من عشيرتها، وعدة من فرسان قومها، ومهد لها وطاءً ليناً.

فلما ورد عليه الكتاب، حملها على هودج جعل غشاءه خزاً، فلما قدمت على معاوية قال لها: مرحباً وأهلاً يا خالة، قدمت خير مقدم، كيف حالك؟ وكيف مسيرك؟ قالت: خير مسير، كأني ربيبة بيت، أو طفلاً ممهداً[1]، قال: بذلك أمرتهم، فهل تعلمين لما بعثت إليك؟ قالت: لا يعلم الغيب إلا الله تعالى؛ قال: ألست الراكبة للجمل الأحمر يوم صفين وأنت بين الصفين تحرضين على القتال؟ قالت: يا أمير المؤمنين، قد مات الرأس وانكسر[2] الذنب، والدهر ذو غِيَر. قال: فهل تحفظين كلامك؟ قالت: لا والله ما أحفظه، قال: ولكني والله[3] أحفظه، لله أبوك لقد سمعتك تقولين: أيها الناس إنكم لفي فتنة غشيتكم بجلابيب الظلم[4]، وجاوزت بكم عن المحجّة، فيا لها من فتنة عمياء صماء، لا يسمع لقائلها، ولا ينقاد لسائقها، أيها الناس إن المصباح لا يضيء في الشمس، والكواكب لا تنير في القمر، والبغل لا يسبق الفرس، ألا من استرشد أرشدناه، ومن سألنا أجبناه، فصبراً يا معاشر المهاجرين والأنصار، فكأن قد ظهرت كلمة العدل، ألا إن خضاب النساء الحياء، وخضاب الرجال الدماء، والصبر خير الأمور عواقباً. ثم قال

---

(1) في الأصل: «أو طفلاً في مهد» والتصويب عن بلاغات النساء.

(2) في العقد وبلاغات النساء: وبتر الذنب.

(3) في الأصل: «والله لكني».

(4) كذا، وفي سائر المصادر: إنكم في فتنة، غشيتكم جلابيب الظلم.

معاوية: يا زرقاء لقد شاركت علياً في كل دم سفكه، قالت: أحسن الله بشارتك يا أمير المؤمنين، وأدام سلامتك، فمثلك بشّر بخير، قال لها: فقد سرك ذلك؟ قالت: نعم سرني قولك، فأنّى لي بتصديقه(١)، فقال: لَوَفاؤكم لعلي بعد موته أعجب إلي من حبكم له في حياته، ثم قال: اذكري حاجتك قالت: إني آليت على نفسي أن لا أسأل أحداً، ومثلك أعطى بغير مسألة، فأقطعها ضيعة جاءت غلتها أول سنة عشرة آلاف.

[خبر سودة بنت عمارة]

وعن الشعبي: استأذنت سودة بنت عمارة(٢) على معاوية، فقال: ألست القائلة [لأخيك]:

شمّر كمثل أبيك يا ابن عمارة يوم الطعان وملتقى الأقرانِ
وانصر علياً والحسين ورهطه واقصد لهند وابنها بهوانِ
إن الإمام أخا(٣) النبي محمد علم الهدى ومنارة الإيمانِ
فَقُدِ الجيوش وسِرْ أمام لوائه قدْماً بأبيض صارمٍ وسنانِ

فقالت: بلى يا أمير المؤمنين، وما مثلي يرغب عن الحق، قال: فما حملك على ذلك؟ قالت: إتباع الحق(٤)، قال: ما مثل مقام أخيك ينسى، ما لقيت من

---

(١) في العقد: فإنى لي بتصديق الفعل.

(٢) هي سودة بنت عمارة بن الأسد وقيل الأشتر الهمدانية؛ وخبر وفودها على معاوية في العقد الفريد ١/ ٣٣٤، وبلاغات النساء، وجهمرة خطب العرب ٢/ ٣٥٧ وغيرها من المصادر.

(٣) في العقد وبلاغات النساء: أخو النبي.

(٤) في الجمهرة وتاريخ دمشق: حب علي وإتباع الحق.

أحدٍ مثل ما لقيت من أخيك وقومك، قالت: صدقت؛ قال: فما حاجتك؟ قالت: إن ابن أرطأة قتل رجالي وأخذ مالي، ولولا الطاعة لكان فينا عز ومنعة. قال: أفبقومك تهدديني! لأردَّنك إليه ينفذ حكمه فيك، فأطرقت وبكت وأنشأت:

صلى الإله على روح تضمنه قبر فأصبح فيه الحق[1] مدفونا

قد حالف الحق لا يبغي به بدلاً فصار بالحق والإيمان مقرونا

قال: ومن ذلك؟ قالت: علي بن أبي طالب، شكوت عليه من رجل ولاه علينا، فكتب إليه معي بعزله، فقال معاوية: اكتبوا لها كتاباً يردوا مالها والعدل عليها، فقالت: وقومي. فقال: وما أنت وقومك، فقالت: إن كان عدلاً شاملاً وإلا فأنا كسائر قومي، قال: هيهات! قد علمكم علي الجرأة على السلطان، اكتبوا لها ولقومها انتهى.

فاعرف أيها المنصف شهادة النساء وكلامهن على معاوية، وأعجب من حلمه الذي دخل معه النار.

[حديث رد الشمس]

وقولنا في الدامغة: **«من ردّت الشمس من بعد الغروب له»**.

اعلم أن حديث رد الشمس لعلي عليه السلام[2] لما فاتته صلاة العصر حتى

---

(1) سائر المصادر: فيه العدل مدفونا.

(2) راجع بخصوص خبر رد الشمس للإمام علي: الغدير ١٨٤/٣- ٢٠٣، مناقب محمد بن سليمان الكوفي ٢/ ٥١٨، مناقب ابن المغازلي ٩٨ وغيرها من كتب الحديث. وللحاكم الحسكاني رسالة في تصحيح ردّ الشمس وترغيم النواصب الشُّمش. قال الأميني: ذكر شطرا منها ابن كثير في البداية والنهاية ٨٠/٦ وذكرها الذهبي في

صلى ثم غربت، رواه جماعة من الأئمة، وعدول الأمة، ولفظه في «شرح القصص الحق» لابن بهران رحمه الله تعالى: وروي عن أسماء بنت عميس قالت: كان رسول الله ص يوحى إليه ورأسه في حجر علي عليه السلام، فلم يصل العصر حتى غربت الشمس، فقال رسول الله ص: «اللهم إن كان علياً في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس، فرأيتها غربت، ثم رأيتها طلعت بعدما غربت» وفي رواية أخرى: فقام علي عليه السلام فصلى العصر، فلما قضى صلاته غابت الشمس، فإذا النجوم مشتبكة انتهى.

قلت: وإلى ذلك وسرعته قلت: «**وحين صلى جرت كالسهم في عجل**»[1].

وفي بعض «خطب ابن نباته» الخطيب المشهور، وهو من المخالفين ما لفظه في صفة علي عليه السلام: الطاعن برمحين، الضارب بسيفين، من ردت له الشمس بعد الغروب مرتين.

قلت: فهذه مرة، والثانية لعلها ما رواه جابر: أن النبي ص أمر الشمس أن تتأخر ساعةً من نهار، فتأخرت ساعة من نهار، وذلك بسبب قتال كان قد اشتغل به علي عليه السلام. وروي أن الله تعالى رد الشمس لعلي عليه السلام حتى صلى العصر في وقته[2].

تذكرته ٣٦٨/٣.

(١) صوبها المؤلف بقلمه: وحين صلى تدانى الليل في عجل. فهي على هذا نسخة.

(٢) قوله: «في وقته». يريد بذلك في أيام خلافته في أرض بابل؛ أخرج الحديث نصر بن مزاحم في كتاب أخبار صفين ١٥٢ طبعة مصر.

واختلفوا متى كان ذلك؛ فمنهم من قال: يوم الخندق لقوله ص في الكفار: «شغلونا عن الصلاة الوسطى[1] أضرم الله قبورهم ناراً». **قلت:** وليس ذلك بالوجه، لأن الكلام في ردّ الشمس لعلي عليه السلام وحده، ومنهم من قال: ذلك يوم خيبر لشغله بفتح الحصن، ومنهم من قال: كان ذلك يوم حنين، وقد بقي في الصف وحوله أربعة وعشرون ألفاً من هوازن حتى أنزل الله الملائكة، ورجع إلى رسول الله ص هو والزبير والله أعلم.

***

له الإمامة عن لفظ الرسول وقد … أجاب للضرب والأقوام كالحجل

فما استجاب أبو بكر وصاحبه … ولا الزبير ولا عثمان مثل علي

فهل ثناه أبو بكر ببيعته … عن رتبة هو عنها غير معتزلي

إن الخلافة للهادي وعترته … بالحصر في الذكر في نص عليه ولي

دليل على ما قلت طالعه … كطالع الشمس إذ غطى على زحل

فما اعتذارهُمُ عند النبي إذا … ما قال خالفتمُ أمري على عجل

جرعتمُ بنتي الزهراء وحيدرة … بكأس قهركم علاً على نهل

فأبشروا شيعة الهادي بفوزكم … لنصركم عترة الهادي على السَّفَل

خذوا الأحاديث في تفضيل سعيكم … عن الرسول بنص غير محتمل

قوله: «**له الإمامة عن لفظ الرسول**» إشارة إلى قوله ص في قصة أسد

---

(1) الوسطى: صلاة العصر. (مؤلف).

بن غويلم: «من خرج إلى هذا المشرك فقتله فله على الله الجنة، والإمامة بعدي» وذلك من النصوص الجلية.

[طائفة أخرى من الأحاديث النبوية الدالة على إمامته (ع)]

قال الأمير الكبير الخطير صلاح بن أمير المؤمنين المهدي لدين الله إبراهيم بن تاج الدين( ) في كتاب «الكواكب الدرية في النصوص على إمامة خير البرية» ما لفظه: ومن ذلك ما روى الإمام الناصر للحق عليه السلام بإسناده إلى عبد الله بن أنيس( ) قال: برز يوم الصوح أسد بن غويلم قاتل العرب( )، يجيل فرسه ويدير رمحه وهو يقول:

وجُرْدٍ سعال وزغفٍ مُذال وسُمْرٍ عوال بأيدي رجالْ

كآسادِ ديس( ) وأشبال خِيْس غداة الخميس ببيضٍ صقالْ

نجيد الضِّراب وحزَّ الرقاب أمام( ) العقاب غداة النزالْ

نكيد الكروب ونجري الهبوب ونروي الكعوب دماً غير آلْ

ثم سأل البراز فأحجم الناس معاً، فقال رسول الله ص: « من خرج إلى

---

(1) عن ترجمة الأمير صلاح بن الإمام إبراهيم بن تاج الدين راجع مطلع البدور ٤٣٨/٢ ، الطبقات ٤٠٥/١ .

(2) كذا في الأصل والكواكب الدرية. والصواب: عبد الله بن أبي أنيس راجع لوامع الأنوار ١٤١/١.

(3) في اللوامع وتنبيه الغافلين: فاتك العرب.

(4) كتب المؤلف أعلى الكلمة: بيس (ظ) وما أثبت من الدِّيسة أي شجاع شديد يدوس كل من نازله. والخيس: بيت الأسد.

(5) في الأصل: «إذا ما». وهو تحريف، والعقاب: هو اللواء.

هذا المشرك فقتله فله على الله الجنة، والإمامة بعدي» فأحجم الناس وقام علي

عليه السلام تهزه العروا[1]، فقال رسول الله ص: مالك؟ قال: ظمآن إلى البراز، سغب إلى القتال. فقال رسول الله ص: «نحن بنو هاشم جود مجد لا نجبن

ولا نغدر، أنا وعلي من شجرة واحدة لا يخلق[2] ورقها، أخرج إليه ولك الإمامة من بعدي» فخرج فضربه في مفرق رأسه والناس ينظرون، فبلغ سيفه إلى السَّرْج، وخر نصفين، وانهزم المشركون، وآب علي عليه السلام وهو يهز سيفه ويقول:

ضربتُه بالسيفِ وسطَ الهامه   بشفرةٍ صارمةٍ خذّامه

فبتّكت من جسمه عظامَه   وبينت من أَنْفِه إرغامَه

أنا عليٌّ صاحبُ الصِّمصامه   وصاحبُ الحوض لدى القيامه

أَخُو نبيّ الله ذي العلامه   قد قال إذ عَمَّمَنِي العِمامه

أنتَ الذي بعدي له الإمامه

وروى الثعلبي وهو من المخالفين في تفسير قوله تعالى: ﴿ **سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ**﴾ [المعارج: ١] بإسناده قال: سئل سفيان بن عيينة عن قوله تعالى: ﴿**سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ**﴾ فيمن نزلت؟ فقال: لقد سألتني عن مسألة ما سألني

---

(١) الكلمة لم تقرأ، فرسمناها كما جاءت في الأصل.

(٢) في اللوامع: لا تختلف ورقها.

عنها أحد قبلك؛ حدثني جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام، قال: لما كان رسول الله ص بغدير خم نادى الناس فاجتمعوا، وأخذ بيد علي صلى الله عليهما، فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه» فشاع ذلك في البلاد وطار، فبلغ ذلك الحارث بن النعمان الفِهْري، فأتى رسول الله ص وهو في ملأ من أصحابه، فقال: يا محمد، أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسوله، فقبلناه منك، وأمرتنا أن نصلّي خمساً فقبلناه منك، وأمرتنا أن نصوم شهراً فقبلناه منك، وأمرتنا أن نحجَّ البيت فقبلناه منك، ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضبع ابن عمك ففضلته علينا وقلت: «من كنت مولاه فعلي مولاه» فهذا شيء منك أم من الله تعالى؟ فقال رسول الله ص: «والذي لا إله إلا هو أنه من أمر الله». فولى الحارث بن النعمان يريد راحلته وهو يقول: اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم. فما وصل إليها حتى رماه الله بحجر، فسقط على هامته وخرج من دبره فقتله، وأنزل الله تعالى: ﴿**سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ، لِلْكَافِرينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ**﴾.

وروى الثعلبي أيضاً [1] في تفسير قوله تعالى: ﴿ **إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ**﴾ قال: لما نزل ﴿ **إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ**﴾ بعد انصرافه ص من حُنَيْن، جعل يكثر من قول: «سبحان الله، وأستغفر الله» ثم قال: «يا علي إنه قد حل ما وعدت به، جاء الفتح، ودخل الناس في دين الله أفواجا، وإنه ليس أحد أحق منك بمقامي، لقِدَمك في الإسلام وقربك مني، وصهرك وعندك سيدة نساء

---

(1) هذا من غير الكواكب إلا أني أدخلته إتباعاً لكلام الثعلبي في تفسير الآية الأولى. (مؤلف).

العالمين، وقبل ذلك ما كان من بلاء أبي طالب عندي حين نزل القرآن، وأنا حريص على أن أُراعي ذلك لولده».

ومن ذلك في تفسير[1] قوله تعالى: ﴿ **عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ، عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ**﴾ وهو ما روي مسنداً إلى أمير المؤمنين عليه السلام قال: أقبل صخر بن حرب حتى جلس إلى رسول الله ص فقال: الأمر مِنْ بعدك لمن؟ قال: «لمن هو مني بمنزلة هارون من موسى» فأنزل الله تعالى: ﴿ **عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ**﴾ يعني سألك أهل مكة عن خلافة علي ﴿**عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ، الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ**﴾ [النبأ: ٢-٣] فمنهم المصدق ومنهم المكذب بولايته: ﴿ **كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ،ثُمَّ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ**﴾ [النبأ:٤-٥] وهو رد عليهم، أي سيعرفون خلافته أنها حق، إذ يُسألون عنها في قبورهم، فلا يبقى ميت لا في غرب ولا شرق، ولا في بر ولا بحر إلا ومنكر ونكير يسألانه فيقولان للميت: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ ومن إمامك؟ فكان علي عليه السلام يقول لأصحابه: أنا والله النبأ العظيم الذي اختلف فيه جميع الأمم، والله ما لله نبأ أعظم مني.

ومصداق ذلك ما روي في تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ**﴾ [الصافات:٢٤] قال: عن ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام.

قلت: ويحتمل في تفسير قوله تعالى: ﴿ **الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ**﴾ أي سيختلفون، وتصديقه الواقع في ذلك بعد، فيكون إعلاماً بما سيكون والله

---

[1] في الأصل: «ومن كتاب في قوله تعالى».

أعلم.

ومن ذلك **حديث المؤاخاة** المجمع عليه الموالف والمخالف، وهو ما روي أن رسول الله ص لما آخى بين أصحابه، قال علي: يا رسول الله، لقد ذهب روحي، وانقطع ظهري حين رأيتك فعلتَ بأصحابك ما فعلت غيري، فإن كان من سخط عليّ فلك العُتْبى والكرامة. فقال ص: «والذي بعثني بالحق نبياً ما أخّرتك إلا لنفسي، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، وأنت أخي ووارثي()، وأنت معي في قصري في الجنة، مع فاطمة ابنتي، وأنت أخي ورفيقي، ثم تلا ﴿ **إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ**﴾ [الحجر:٤٧].

ومن ذلك اختياره ص له **يوم المباهلة** في قصة وفد نجران، فإنه لما نزل: ﴿**فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ**﴾ [آل عمران:٦١] خرج ص محتضناً للحسن، آخذاً بيد الحسين، وفاطمة تمشي خلفه، وعلي خلفهما، وهو يقول: «إذا دعوت فأمنوا» فقال أُسْقُف نجران: إني لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله، فلا تبتهلوا فلا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة، فصالحوا رسول الله

() زاد في تنبيه الغافلين ٦٤: قال: وما أورث منك؟ قال: ما ورثه الأنبياء قبلي. قال: وما هو؟ قال: كتاب ربهم وسنة نبيهم. راجع المعجم الكبير للطبراني ٥/ ٢٢٠.

ص. فقال رسول الله ص: «والذي نفسي بيده لو لاعنتهم بمن تحت الكساء لاضطرام عليهم الوادي ناراً، ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على الشجر» ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى هلكوا، فقال الله تعالى: **﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾**[1].

فأخبر تعالى بأن المراد بالأبناء الحسن والحسين، والنساء فاطمة، والأنفس نفسه ونفس علي صلوات الله عليهم أجمعين، ولا خلاف في ذلك بين الأمة، وأن رسول الله ص لم يُخْرِج معهم غيرهم من أهله وأقاربه، فإذا كان علي عليه السلام نفس الرسول ص أي كنفسه، فكيف يسوغ لمسلم أن يقدّم أحداً على نفس رسول الله ص، وسيأتي ذكر المباهلة وتفسيرها في آخر الكتاب، برواية مستوفاة.

قال الأمير صلاح بن الإمام المهدي إبراهيم بن تاج الدين: ومما يعضد ما ذهبنا إليه من أن نفس أمير المؤمنين كنفس رسول الله ص، ما رويناه مسنداً إلى النبي ص أنه قال: «إن الله خلق الأنبياء من أشجار شتى، وخُلِقت أنا وعلي من شجرة واحدة، فأنا أصلها وفاطمة فرعها، وعلي لقاحها، والحسن والحسين ثمارها، وشيعتنا ورقها، فمن تعلق نجا، ومن زاغ هوى، ولو أن عبداً عبد الله بين الصفا والمروة ألف ألف عام حتى يصير كالشن البالي، ثم لم يدرك محبتنا أكبه الله على منخريه في النار، ثم قرأ: **﴿قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا**

---

(1) آل عمران، آية ٦٢.

إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى: ٢٣] ومن شرط المحبة الإتباع، قال الله تعالى: **﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ الله﴾** [آل عمران: ٣١] فمن خالف منهاج آل محمد عليهم السلام وولى عليهم غيرهم فلم يَودّهم، ومن لم يودّهم فقد ظلم رسول الله ص أجره، وقد قال ص: «يقول ربكم ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة، ومن كنت خصمه خصمته، أحدهم رجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يوفه أجره» فكيف بمن ظلم إجارة رسول الله ص.

ومما يؤيد ذلك قوله ص: « يا علي، خلق الله نوراً فجزأه، خلق العرش من جزء، والكرسي من جزء، والجنة من جزء، والكواكب من جزء، والملائكة من جزء، وسدرة المنتهى من جزء، والشمس والقمر من جزء، وأمسك جزءا تحت بُطْنان العرش حتى خلق آدم، فأفرغه الله في جبينه[1]، فكان ينقل ذلك من أب إلى أب إلى عبد المطلب، ثم صار نصفين، فنقل جزءا[2] إلى عبد الله، ونصفاً إلى أبي طالب، خلقت أنا من جزء، وأنت من جزء، والأنوار كلها من نوري ونورك يا علي» وهذا المعنى قد رواه أهل الحديث مستفيضاً بينهم.

ومن ذلك **حديث الأبواب** وهو: ما روي مسنداً من طرق شتى، ولم يختلف فيه أحد من أهل الحديث، وهو أن رسول الله ص قال: «إن الله أوحى إلى موسى بن عمران أن ابن لي مسجداً طاهراً، لا يسكنه إلا أنت وهارون،

---

(١) في الأصل: «جثته» وما أثبت تصويب.

(٢) في الهامش بخط المؤلف: نصفاً (ظ).

وأبناء هارون شبير وشبر، وإن الله أوحى إلي أن ابن لي مسجداً طاهراً لا يسكنه إلا أنا وعلي وأبناء علي سدوا هذه الأبواب». فلما أمر إلى أبي بكر: سدّ بابك، قال: هل فُعل هذا بأحدٍ قبلي؟ قيل: لا. قال: سمعاً وطاعة، فجاء الرسول إلى عمر فقال: إن النبي ص يقول: سدّ بابك فقال: هل فُعل هذا بأحد قبلي؟ قال: بأبي بكر، قال: بأبي بكر أسوة، ولكني أرغب إلى رسول الله ص في مثل خويخة أنظر منها إلى المسجد، فقال رسول الله ص: «لا والله ولا مثل رأس إبرة». فلما جاء حمزة رضي الله عنه قال: أخرجت عمك وأسكنت ابن عمك، فقال: «والله ما أنا أخرجتك ولا أنا أسكنته».

وروى أبو ذر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ص يقول لسلمان حين سأله: من وصيك؟ فقال: «وصيي وأعلمَ من أُخلف بعدي علي بن أبي طالب». وسمعته يقول حين أخرج الناس من المسجد وأسكن علياً عليه السلام: «إن علياً مني بمنزلة هارون من موسى»، ثم قال رسول الله ص: «إن رجالاً وجدوا من إسكاني علياً وإخراجهم، بل الله أسكنه وأخرجهم».

وروي أنه لما سد الأبواب نفِس[1] ذلك رجال على علي عليه السلام فوجدوا في أنفسهم، وتبين فضله عليهم وعلى غيرهم، فبلغ ذلك النبي ص فقام خطيباً، فقال: «إنَّ رجالاً يجدون في أنفسهم في أن أُسكن علياً في المسجد. والله ما أخرجتهم

(1) نفس بالضم نفاسة: أي صار مرغوباً فيه، ونفِست عليه الشيء نفاسة: إذا لم تره له أهلا. النهاية ٥/ ٩٥.

ولا أسكنته: إنّ الله عز وجل أوحى إلى موسى وأخيه **﴿أَنْ تَبَوَّأَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾** [يونس: ٨٧] وأمره أن لا يسكن مسجده ولا ينكح فيه ولا يدخل فيه إلا هارون وذريته، وإن علياً مني بمنزلة هارون من موسى، وهو أخي دون أهلي، ولا يحلُّ مسجدي لأحدٍ ينكح فيه النساء إلا علي وذريته، فمن ساءه(١) فها هُنا» وأومأ بيده نحو الشام، وهذا رواه البخاري(٢).

وعنه ص أنه قال: « ليس في القيامة راكب غيرنا ونحن أربعة، فقام رجل من الأنصار فقال: فداك أبي وأمي أنت ومن؟ قال ص: «أنا على دابَّة الله البراق، وأخي صالح على ناقة الله التي عقرت، وعمي حمزة على ناقتي العضباء، وأخي علي على ناقة من نوق الجنة بيده لواء الحمد [واقف] بين يدي العرش ينادي: لا إله إلا الله محمد رسول الله، قال: فيقول الآدميون: ما هذا إلا ملك مقرب، أو نبي مرسل، أو حامل عرش رب العالمين، فيجيبهم ملك من تحت بُطْنان العرش: معاشر الآدميين! ما هذا ملكاً مقرباً، ولا نبياً مرسلاً، ولا حاملاً لعرش، هذا الصديق الأكبر هذا علي بن أبي طالب».

وعنه ص أنه قال: «اللواء عمودة من زبرجدة خلقها الله من قبل أن يخلق

(١) في الأصل: «شاء مر ها هنا». والتصويب عن مناقب ابن المغازلي ١٦٨، واللوامع ١/ ١١٩.

(٢) كذا في الأصل؛ وفي مصدر المؤلف: رواه المخالفون بدلا عن: وهذا رواه البخاري، وهو الأصح.

السموات بألفي سنة مكتوب على رداء ذلك اللواء: لا إله إلا الله محمد رسول الله آل محمد خير البرية، صاحب اللواء إمام القوم». فقال علي عليه السلام: الحمد لله الذي هدانا بك، وشرفنا وكرمنا، فقال النبي ص: أما علمت أن من أحبنا وانتحل محبتنا أسكنه الله معنا، وتلا قوله تعالى: ﴿ **فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ**﴾ [القمر: ٥٥].

وما روينا عن رسول الله ص أنه قال: «إذا كان يوم القيامة صف الله عز وجل لي عن يمين العرش قبة من ذهب حمراء، وصفَّ الله لإبراهيم قبة من ذهب حمراء، وصف لعلي بينهما قبة من ذهب حمراء، فما ظنك بحبيب بين خليلين».

ومن ذلك: ما روي مشهوراً عن النبي ص أنه قال: «إذا كان يوم القيامة وحشر الناس، فوضع منبر من نور عن يمين العرش، وآخر من يسار العرش، الأول لي والثاني لإبراهيم عليه السلام، ويوضع كرسي من نور بينهما لك يا علي، فما ظنك بحبيب بين حبيبين».

ومن ذلك ما رويناه بالإسناد إلى النبي ص أنه قال: «إذا كان يوم القيامة أمر الله جبريل أن يجلس على باب الجنة فلا يدخلها إلا من معه براءة من علي بن أبي طالب».

ومن ذلك ما رويناه بالإسناد إلى النبي ص أنه قال: «علي يوم القيامة على الحوض لا يدخل الجنة إلا من جاء بجواز من علي بن أبي طالب».

ومن ذلك **حديث براءة** وهو: ما روي أن رسول الله ص لما نزلت سورة براءة في سنة تسع أمر رسول الله ص أبا بكر إلى مكة يحجَّ بالناس ودفعها إليه ليقرأها، فلما مضى أبو بكر وبلغ ذي الحليفة، نزل جبريل عليه السلام إلى النبي ص وأمره بدفع براءة إلى علي عليه السلام ليقرأها على الناس، فخرج علي عليه السلام على ناقة رسول الله ص العضباء حتّى أدرك أبا بكر بذي الحليفة فأخذها منه، فرجع أبو بكر وقال: يا رسول الله، هل نزل فيّ شيء؟ قال: «لا ولكن لا يبلغ عني غيري أو رجل مني».

وهذا الحديث قد رواه كافة أهل الكتب المشهورة في الحديث، ولا يعلم فيه خلاف. فهل ترى أيها الطالب من عزله الله تعالى ولم يقمه مقام أمير المؤمنين في تبليغ آياته، أيكون أولى بالإمامة باختيار خمسةٍ عوضاً عمن اختاره الله تعالى ورسوله، معاذ الله! ما كان لهم أن يختاروا غير من اختاره الله تعالى؛ فيؤخروا من قدّم الله، ويقدموا من أخر الله وهو يقول عز من قائل: **﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾** [القصص: ٦٨] لكنهم بدلوا، وغيّروا وفعلوا غير ما به أمروا.

ومن النصوص الجلية على إمامته عليه السلام حديث النجم؛ وهو ما روي أن النبي ص سئل عن الإمام بعده، فقال: «من ينزل الكوكب في داره منذ الليلة» فانتظر الناس، فلما قرب وقت الصبح وإذا بكوكب نزل في

حجرة فاطمة

عليها السلام، فقال أهل النفاق: ولى ابن عمه رقاب الناس، لقد شغف محمد بهذا الإنسان وبهواه؛ فأنزل الله تعالى:﴿ **وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى، مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى، وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى**﴾ [النجم: ١-٤].

وروي عنه ص أنه قال: «إذا هبط نجم من السماء في دار رجل من أصحابي فانظروا من هو فهو خليفتي عليكم بعدي، والقائم فيكم بأمري» فلما كان من الغد انقضَّ نجم من السماء قد غلب ضوؤه على ضوء الدنيا حتى وقع في حجرة علي بن أبي طالب عليه السلام، فهاج القوم وقالوا: والله لقد ضلَّ هذا الرجل وغوى، فأنزل الله تعالى: ﴿ **وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى، مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى، وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى**﴾.

وهذا نص جلي على إمامته عليه السلام، فهل بقي لمعتلٍ علة، لولا كثرة الحسد لأهل هذا البيت الشريف، وقد قال تعالى: ﴿ **أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا**﴾ [النساء: ٥٤].

[ومن ذلك **حديث بيعة العشيرة**؛ وهو أنه لما نزله قوله تعالى: ﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾ [1] جمع رسول الله ص عشيرته، وكانوا أربعين رجلاً. والقصة طويلة ذكرنا منها موضع الحاجة؛ وهو قوله: فمن منكم يبايعني

---

(1) الشعراء، آية: ٢١٤.

على أن يكون أخي في الدنيا والآخرة، وله الخلافة من بعدي. فما تحرك أحد، فقام علي عليه السلام وهو أصغرهم سناً، ومد يده، فقال له رسول الله ص: أجلس. فأعاد القول فلم يقم سواه، فقال له: أجلس فجلس، وقال: ثالثاً، فقام علي ومد يده، فمد رسول الله ص يده فبايعه، فله الأخوة والخلافة][1].

قال الأمير صلاح الدين صلاح بن أمير المؤمنين قدس الله روحه: ويشهد لذلك ما روي أنه لما تحاكم علي والعباس عليهما السلام إلى أبي بكر في ميراث النبي ص، فقال العباس: فبماذا أوجبتم وراثة النبي ص لعلي وأنا عمه، وهو ابن عمه؟ فقال أبو بكر: على الخبير هجمتم، تذكر يا عباس يوم كنا في شعب أبي طالب أربعين رجلاً لم يكن فيكم من غيركم غيري، فقال رسول الله ص: إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان له وصي وخليفة فمن يكن منكم وصيي وخليفتي ووارث أمري، يقضي ديوني، وينجز وعدي، ويبرئ ذمتي [ثلاثاً] قال: فسكتوا فلم يجبه أحد فقلتَ أنت يا عباس: ومن يقدر على ذلك وأنت أسخى من الريح. قال: فقام ص في الثالثة فقال: يا معشر بني هاشم، كونوا في الإسلام رؤوساً ولا تكونوا أذناباً، إن كان فيكم وإلا ففي غيركم، قال: فقام أحمشكم[2] ساقاً، وأعظمكم بطناً،

---

(1) ما بين الحاصرتين أضفناه من الكواكب الدرية مصدر نقل المؤلف، ولا يتم السياق إلا به.

(2) أحمش الساق: أي دقيقهما.

وهو هذا وأشار إلى علي عليه السلام، فقال: أنا أكون وصيك وخليفتك ووارث أمرك أقضي ديونك، وأنجز مواعيدك، وأبرئ ذمتك. أتعرف هذا يا عباس من رسول الله ص؟ فقال: نعم يا أبا بكر. قال: فلأي شيء تخاصمه، وأنت تعرفه له من رسول الله ص! فقال العباس: وأنت يا أبا بكر لماذا توثبت عليه في حقه وأنت تعرف هذا له من رسول الله ص؟! فقال أبو بكر: أخرجوهما عني.

قلت: وقد تقدم هذا الحديث وحديث النجم برواية مختصرة من غير كتاب الأمير، ولا شبهة أن أبا بكر قصد بقوله: أحمشكم ساقا، وأعظمكم بطنا شيئاً مما يخفيه من الحقد على علي عليه السلام، إذ كان مستغنياً عن ذكر ذلك والله أعلم.

ثم قال الأمير: وروينا عن عبد الله بن بريدة قال: جمع رسول الله ص سبعة رهط وأنا ثامنهم، فقال: أنتم شهداء الله في الأرض، أبديتم[١] أم كتمتم، ثم قال: يا أبا بكر قم فسلم على علي بإمرة المؤمنين. فقال أبو بكر: من أمر الله تعالى وأمر رسوله، قال: نعم، هو الذي أمرني. قال علي: اللهم اشهد، ثم أمر عمر بن الخطاب فقال: هذا رأي رأيته أو وحي نزل؟ قال: بل وحي نزل، فقال: سمعاً وطاعة، فقال علي: اللهم اشهد. ثم قال للمقداد بن الأسود فقام ولم يقل مثل مقالة الأولين، فأتاه فسلم عليه، ثم قال لأبي ذر: قم فسلم عليه، [ثم قال

(١) في الكامل المنير ٩٢: أدّيتم.

لسلمان فقام فسلم عليه] (1) ثم قال لحذيفة فقام فسلم عليه، ثم أمرني فسلمت عليه، وأنا أصغر القوم سناً، وأنا ثامنهم(2). فلما قبض النبي ص وأنا غائب، فلما قدمت وجدت أبا بكر قد استُخْلف، فدخلت عليه فقلت: يا أبا بكر، أما تحفظ تسليمنا على علي بن أبي طالب بأمر رسول الله ص بإمرة المؤمنين؟ فقال: بلى. فقلت: مالك فعلت الذي فعلت؟ فقال: إن الله تعالى يحدث الأمر بعد الأمر، ولم يكن الله ليجمع الخلافة والنبوة في أهل بيت.

قال الأمير قدس الله روحه: فانظر إلى هذا الكلام الفاضح، إذ جعل كون آل محمد بيت النبوة سبباً لتأخرهم عن الخلافة، إن في هذا وأمثاله لبلاغاً لمن آثر الآخرة، واطّرح الحاضرة، ولم يكن من أرباب الصفقة الخاسرة.

ومن جملة ذلك **حديث الأسماء** وهو: ما روي أن النبي ص قال: «إن الله تعالى كتب على ساق العرش قبل أن يخلق آدم: محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين، فلما خلق آدم عليه السلام رأى تلك الأسماء تتلألأ فقال: يا رب من هؤلاء؟ قال: هم من ذريتك، آخر نبي من أولادك، أكرم الخلق عليّ، فلما وقع منه ما وقع قال: بحق الخمسة إلا ما عفوت عني».

وقد روينا عن النبي ص أنه قال: «رأيت ليلة أسري بي على ساق العرش مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله، أيدته بعلي ونصرته به».

ومنها: **حديث السفرجلة** وهو ما روى ابن عباس قال: نزل جبريل في

---

(1) ما بين الحاصرتين أضفناه من الكامل المنير.

(2) ولم يذكر في الأم المنقول عنها إلا ما ترى ولعله ساقط غلطاً، والله أعلم. (مؤلف).

بعض الحروب فناول علياً سفرجلة، ففتقها فإذا في وسطها خزيرة[1] خضراء مكتوب عليها: تحية الغالب الطالب على علي بن أبي طالب.

ومنها: **حديث اللوزة** وهو: ما روينا عن أنس بن مالك أن النبي ص جاع جوعاً شديداً، فهبط عليه جبريل عليه السلام بلوزة خضراء من الجنة، فقال: افككها، ففكها، فإذا فيها مكتوب: بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله محمد رسول الله أيدته بعلي ونصرته به.

ومنها: **حديث التفاح** وهو ما روى سادات آل محمد أن رسول الله ص ناول علياً تفاحاً فسقط من يده وصار نصفين، وخرج من وسطه مكتوب: تحية من الطالب الغالب لعلي بن أبي طالب.

ومنها: **حديث الرمانة** وهو ما روى ابن عباس قال: بينما رسول الله ص يطوف بالكعبة إذ بدت رمانة منها، فاخضر المسجد لحسن خضرتها، فمدّ رسول الله ص يده فيها، فتناولها ومضى رسول الله ص في طوافه، فلما تقضى طوافه صلى في المقام ركعتين، ثم فلق الرمانة قسمين كأنها قدت، فأكل النصف وأطعم علياً النصف فزنخت أشداقهما[2] لعذوبتها، ثم التفت رسول الله ص إلى أصحابه، فقال: «إن هذا قطف من قطوف الجنة ولا

---

(1) الخزيرة: دقيق يخلط بلحم أو شح يقطع قطعاً صغارا ثم يغلى بالماء ثم إذا نضج ذر عليه الدقيق، وعصد به ثم أدم بإدم ما. القاموس المحيط ١/ ٤٨١.

(2) الشدق: جانب الفم.

يأكله في الدنيا إلا نبي أو وصي، ولولا ذلك لأطعمناكم».

ومن «أنوار اليقين» ما لفظه: وروينا عن أبي سعيد الخدري عن النبي ص أنه قال: «دخلت الجنة فإذا أنا على درنوك من درانيك الجنة، فناولني جبريل
عليه السلام تفاحة فانفلقت نصفين فخرجت منها حوراء فقلت: من أنتِ حياك الله؟ فقالت: أنا الرضية المرضية، خلقت من ثلاث وعجنت بماء الحيوان، أعلاي من المسك، ووسطي من العنبر، وأسفلي من الكافور، فقال لي الجبار: كوني فكنت لوليك وصفيك علي بن أبي طالب».

ومن كتاب «الكامل المنير» ما رواه عن عبد الرزاق بإسناده إلى قنبر مولى علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: كان علي عليه السلام لا ينام حتى يأكل خزيرة أو رمانة، ومشى ذات يوم فطلبَ في المنزل فلم يقدر على شيء، فأرسل إليّ فقال: يا قنبر اكسر فكسرت واحدة فوجدتها مُرّة فقلت: هذه مُرّة، قال: فألقها في النار. ثم كسرت الثانية فقلت: هذه حلوة طيبة؛ فأكل وأطعمني، وكان لا يأكل حتى يأكل جليسه، فأكلت وأطعمته، فقلت له: لقد سمعت منك كلاماً ما سمعته منك قط! قال: وما ذاك يا قنبر؟ قال: قلت: ألقها في النار، قال: نعم؛ إن الله تعالى ألقى ولايتنا على الشجر، فما كان منه حلواً طيباً فهو مما قَبِل ولايتنا، وكل ما كان منه متغيراً فهو مما أنكر ولايتنا يا قنبر، ولكن أكرموا النخلة فإنها أول شيء قبِل ولايتنا، وهي أول شجرة نبتت

على ظهر الأرض، وهي عمَّتكم، قال: قلت: كيف تكون عمّتنا؟ قال: إن الله عز وجل لما خلق آدم عليه السلام فَضُل من التراب فَضْلة، فخلق منها النخلة [فهي] عمتكم، سمّاها رسول الله ص: عمَّة بني آدم.

ومنها **حديث القنابر**: عن أنس عن النبي ص أنه قال: «إن الله خلق خلقاً ليس من ولد آدم ولا من ولد إبليس يلعنون مبغض علي بن أبي طالب» قالوا: يا رسول الله من هم؟ قال: هم القنابر ينادون في السحر على رؤوس الشجر، ألا لعنة الله على مبغضي علي بن أبي طالب» وقد روى ابن المغازلي مثله في مناقبه. قال الإمام الحسن ابن بدر الدين: ونحن نرويه عنه.

ونرجع إلى كلام الأمير في «الكواكب»؛ قال قدس الله روحه: ومنها **حديث البساط** وهو ما رويناه بالإسناد الموثوق به إلى أنس بن مالك قال: أهدي إلى رسول الله ص بساط من خندف( )، فقال لي: يا أنس ابسطه فبسطته فقال: ادع لي العشرة فدعوتهم، فلما دخلوا أمرهم بالجلوس على البساط ثمِّ دعا علياً فناجاه طويلاً، ثم رجع فجلس على البساط ثم قال: يا ريح احملينا! فحملتنا الرِّيح، فإذا البساط يدفُّ بنا دقّاً ثم قال: يا ريح ضعينا، ثم قال عليه السلام: أتدرون في أي مكان أنتم؟ قلنا: لا، قال: هذا موضع أصحاب الكهف والرقيم، قوموا فسلّموا على إخوانكم، فقمنا رجل رجل فسلّمنا عليهم، فلم يردُّوا علينا، فقام علي بن أبي

() كذا الأصل: خندف. وفي رواية ابن المغازلي ١٥٦: من بهندف.

طالب عليه السلام فقال: السلام عليكم معاشر الصديقين والشهداء، فقالوا: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، قال: فقلت: ما بالهم ردُّوا عليك ولم يردوا علينا؟ فقال لهم: ما بالكم لا تردون[1] على إخوانكم؟ فقالوا: إنا معاشر الصديقين لا نكلم بعد الموت إلا نبياً أو وصياً. ثم قال: يا ريح احملينا فحملتنا تدفُّ بنا دفّاً، ثم قال: يا ريح ضعينا فوضعتنا فإذا نحن بالحرَّة، فقال علي عليه السلام: ندرك النبي ص في آخر ركعة، فطوينا وأتينا فإذا النبي ص يقرأ في آخر ركعة: ﴿ **أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا**﴾ [الكهف:٩].

ومنها: **حديث مَلَكَيْ علي عليه السلام** وهو ما روي أن علي بن أبي طالب عليه السلام أقبل إلى النبي ص وعنده جبريل عليه السلام، فقال جبريل: يا محمد، هذا علي قد جاء يمشي الهوينا، وهو إمام الهدى، وقائد البررة، وقاتل الفجرة، والمتكلم بالعدل، والنافي عن الله الجور، يا محمد: إن ملائكة علي يفتخرون على سائر الملائكة أنهم ما كتبوا على علي كذباً قط. وفي رواية أخرى: أن حافظي علي يفتخران على سائر الحفظة وذلك أنهما لم يصعدا إلى الله تعالى بشيء يسخطه.

انتهى كلام الأمير الخطير صلاح الدين صلاح بن أمير المؤمنين قدس الله روحه، ولم نخلطه إلا حديث ﴿ **إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ**﴾ فألحقته إتباعاً لكلام الثعلبي لمَّا كان في تفسيره، وما في الورقة الخضراء من أنوار اليقين

---

(1) في المجموع المنصوري: لا تروا على أصحابي. وفي مناقب ابن المغازلي: ما بالكم لم تردوا على إخواني.

ملحقاً.

***

ولنرجع إلى تفسير الدامغة وقولنا: «**فهل ثناه أبو بكر**» البيت وقولنا: «**جرعتم بنتي الزهراء وحيدرة**».

اعلم أنه لن يتعامى عن الحق إلا عمِي عن الدين، وأن علياً هو الإمام بعد رسول الله ص بلا فصل، وإن قهروه وظلموه، فهو إمام المتقين، وأمير المؤمنين، وبه يعرف الفرق بين المؤمنين والفاسقين، وعلى ذلك إجماع العترة الطاهرين، وأخيار الصحابة، وأحبار التابعين، وصفوة الشيعة، والجارودية، والإمامية، والباطنية والإسماعيلية، وكثير من الفرق الإسلامية.

[نفي إجماع الصحابة على بيعة أبي بكر]

قال مولانا أمير المؤمنين الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين سلام الله عليه في كتاب «تثبيت الإمامة لعلي عليه السلام» جواباً على من زعم إجماع الناس على إمامة أبي بكر بن أبي قحافة ما لفظه:

فيا للعجب! وأين الإجماع وقد طلع أبو بكر المنبر بعد ما عُقِد له، فوثب اثنا عشر رجلاً من خيار أصحاب محمد ص منهم عمار بن ياسر، والمقداد بن الأسود الكندي، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، وأبو الهيثم بن التَّيِّهان، وسهل بن حُنيف، وأخواه الأنصاريان، ومعهم غيرهم ممن اختلف

في اسمه، رضي الله عنهم وأرضاهم؛ فقالوا لأبي بكر: الله الله في سلطان محمد، لا تخرجه من بيته إلى بيوتكم، ولا تأخذ ما ليس لك، ولا تقعد في غير موضعك، فإن أهل بيت النبوة أحق بهذا الأمر منك، ولم تأخذه من أيدي العرب الذين هم أشد عناء في الإسلام إلا بقربك من محمد ص، وهم أقرب منك، مع كلام كثير من كل واحد منهم، يُعَنِّفونه ويوبخونه، فعند فراغهم من كلامهم أرسل نفسه من المنبر، ولزم بيته يومه ذلك، ولم يأمر ولم ينه. فلما كان من الغد غدا إليه عمر وسعد وعبد الرحمن وطلحة، وغيرهم من قريش، كل رجل منهم في أهل بيته في السلاح الشاكي[1]، وأخرجوه حتى أقعدوه على المنبر، ثم قالوا: قل ما بدا لك! ثم سلوا السيوف، وقعدوا تحت المنبر، ثم قالوا: والله لئن عاد أحد يتكلم بشيء مما تكلم به رعاع[2] بالأمس لنضعنّ أسيافنا فيه، فأحجم الناس، وكرهوا الموت فلم يتكلم أحد.

وأين الإجماع وبنو هاشم يرجع إليهم الشرف والذكر، والقول في الجاهلية والإسلام، ولم يبايع منهم أحد، ولم يشهدوا ولم يشاوروا، وأمير المؤمنين علي
عليه السلام لازم بيته قد أبى أن يخرج معهم وأبى أن يحضر، وقد أرسلوا

---

(1) السلاح الشاكي: أي في السلاح التام.

(2) في الأصل: «رغاغ».

إليه ثلاثة رسل، رسولاً بعد رسول أن اخرج فبايع خليفة رسول الله ص، فردَّ عليهم: ما كان أسرع ما كذبتم على رسول الله ص، ثم عاد الرسول ثانية، فقال: أجب
أمير المؤمنين فقال عليه السلام: يا سبحان الله ما أجرأ من تسمّى بما ليس له، ثم رجع إليه ثالثة، فقال: أجب أبا بكر، فقد أجمع عليه المسلمون فبايعوه، فبايعه أنت وادخل فيما دخل فيه الناس. فقال أبو بكر لعمر: انهض في جماعة، واكسر باب هذا الرجل، وجئنا به يدخل فيما دخل فيه الناس[1]. فنهض عمر ومن معه إلى باب علي، فدق الباب عمر، فدافعته فاطمة صلوات الله عليها، فدفعها وطرحها، فصاحت:
يا عمر أحرجك الله بحرج[2] أن لا تدخل عليّ بيتي، فإني مكشوفة الشعر مبتذلة، فقال لها: خذي ثوبك فإني داخل، فأعادت عليه القول، فدفعها ودخل هو وأصحابه، فحالت بينهم وبين البيت الذي فيه علي عليه السلام، وهي ترى أنها أوجب عليهم حقاً من علي عليه السلام، لضعفها وقرابتها من رسول الله ص، فوثب إليها خالد ابن الوليد، فضربها بالسوط على عضدها حتى كان أثره في عضدها مثل الدملج، وصاحت عند ذلك، فخرج عليهم الزبير بالسيف، فصاح عمر: دونكم الليث، فدخل في صدره عبد الله بن أبي ربيعة فعانقه، وأخذ السيف من يده، وضرب به حتى كسره، فدخلوا البيت

---

(1) وليت شعري هل دخول الناس في أمر ما دليل أو حجة.

(2) في تثبيت الإمامة: أحرجك بحرج الله.

وأخرجوا علياً عليه السلام مكتوفاً[1] متعلق به جماعة منهم حتى انتهوا به إلى أبي بكر، فقال له أبو بكر: بايع. فقال علي عليه السلام: ما أفعل، قال عمر: ما تفارقنا أو تفعل، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: احلب حلباً لك شطره، شُدَّها له اليوم يردها لك غداً.

وأين الإجماع مع هذا الخبر، وأين الإجماع وكثير من أصحاب محمد ص قد أبوا البيعة منهم خالد بن سعيد[2]، كان ولاه رسول الله ص زبيداً حين ارتد عمرو بن معدي كرب، فأخرج رسول الله ص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لحربهم، فلما هزمهم وأمكن الله منهم ولى عليهم خالد بن سعيد رضي الله عنه وأرضاه، فلم يزل فيهم حتى قُبِض رسول الله ص، ثم قدم بزكواتهم فدفعها إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام، وأبى أن يسلمها إلى أبي بكر، فأرسل أبو بكر إلى علي عليه السلام يقبض منه الزكاة، ودعا أبو بكر خالد بن سعيد للبيعة، فأبى فأمره أن يلحق بأطراف الشام. ثم زعم أصحاب الحديث والأخبار أنه أمر بقتله فقُتِل، وزعم بعضهم أنه قتل في وقعة كانت هنالك، والصحيح أنه لم يكن ثَمَّ هناك وقعة.

وغيره ممن لم يبايع كثير، وكيف تنعقد بيعة لمن هو في بيعة غيره، ألم يكن رسول الله ص وجه أبا بكر وعمر وغيرهما في جيش أسامة بن زيد قبل وفاته ص، وأمرهم يسمعون له ويطيعون، يصلون بصلاته، ويأتمرون

---

(1) في تثبيت الإمامة: ملبوباً، وهو الأصح.

(2) هو خالد بن سعيد بن العاص بن أمية، قتل بمرج الصفر في المحرم عام ١٤هـ.

بأمره، وقال ص: أنفذوا جيش أسامة ولا يتخلف إلا من كان عاصياً لله ولرسوله ص، فلما صار أسامة بعسكره على أميال من المدينة بلغهم مرض رسول الله ص فرجع أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح، فلما دخلوا على رسول الله ص تغيّر لونه وقال: اللهم إني لا آذن لأحد أن يتخلف عن جيش أسامة، وهمّ أبو بكر بالرجوع إلى أسامة، واللحوق به فمنعه عمر، ولهما أخبار كثيرة موجودة في خبر جيش أسامة.

فلما قُبض رسول الله ص اشتغل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بجهازه، ودعاهم(1) إلى بيعة أبي بكر، ولم يلتفتوا إلى رسول الله ص حتى فرغوا من أمورهم، وقال عمر لأبي بكر: اكتب إلى أسامة بن زيد يقدم عليك، فإن في قدومه عليك قطع [الشنعة](2) عنا، فكتب إليه أبو بكر: بسم الله الرحمن الرحيم من عبدالله أبي بكر خليفة رسول الله ص إلى أسامة بن زيد، أما بعد: فانظر إذا أتاك كتابي هذا فأقبل إلي أنت ومن معك، فإن المسلمين قد اجتمعوا إلي، وولوني أمرهم، فلا تتخلف(3) فتعصيني ويأتيك ما تكره، والسلام.

فأجابه أسامة بن زيد وكتب إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله أسامة بن زيد عامل رسول الله ص

---

(1) في تثبيت الإمامة: ودعا عمر.

(2) إضافة من مصدر المؤلف.

(3) في تثبيت الإمامة: فلا تتخلفن.

على غزوة الشام إلى أبي بكر بن أبي قحافة، أما بعد: فقد أتاني كتابك ينقض آخره أوله، [ذكرت في أوله أنك خليفة ورسول الله ص، وذكرت فيه] ( ) أن الناس قد اجتمعوا وولوك أمرهم، ورضوا بك، واعلم أني ومن معي من المهاجرين والأنصار وجميع المسلمين ما رضيناك، ولا وليناك أمرنا. فاتق الله ربك، وإذا قرأت كتابي هذا فاقدم إلى ديوانك الذي بعثك( ) فيه النبي ص ٢ ولا تعصه، وانظر أن تدفع الحق إلى أهله، فإنهم أحق به منك، وقد علمت ما قال رسول الله ص في علي عليه السلام يوم الغدير، وما طال العهد فتنسى، فانظر أن تلحق بمركزك ولا تتخلف فتعصي الله سبحانه وتعالى ورسوله ص، وتعصي من استخلفه رسول الله ص [عليك وعلى صاحبك؛ فإن رسول الله ص استخلفني عليكم ولم يعزلني، وقد علمت كراهة رسول الله ص] ( ) لرجوعكم مني إلى المدينة، وقد قال ص: لا يتخلفن أحد عن جيش أسامة إلا كان عاصياً لله ولرسوله ص، فيالك الويل يا ابن أبي قحافة! تعدل نفسك بعلي بن أبي طالب وهو وارث رسول الله ص ووصيه، وابن عمه وأبو ولديه، فاتق الله أنت وصاحبك فإنه لكما بالمرصاد، وأنتما منه في غرور، والذي بعث محمداً ص بالحق نبياً ما تركت أمةً وصي رسولها، ولا نقضوا عهده إلا استوجبوا من الله اللعنة والسخط.

فلما وصل الكتاب إلى أبي بكر هَمَّ أن يخلعها من عنقه، فقال له عمر: لا

(١) إضافة من مصدر المؤلف.

(٢) في الأصل: «بايعك» والتصويب عن تثبيت الإمامة.

(٣) إضافة من مصدر المؤلف.

تفعل، تخلع قميصاً قمصك الله تعالى، لا تخلعه فتندم فقال له: يا عمر أكفر بعد إسلام! فألح عليه عمر وقال: اكتب إليه، وأمر فلاناً وفلاناً وفلاناً جماعة من أصحاب رسول الله ص يكتبوا إليه أن أقدم ولا تفرق جماعة المسلمين، فلما وصلته كتبهم قدم المدينة، ووصل إلى علي عليه السلام فعزّاه عن رسول الله ص وبكى بكاءً شديداً، وضمّ الحسن والحسين عليهما السلام إلى صدره وقال: يا علي ما هذا؟ قال علي عليه السلام: هو ما أنت ترى. قال: فما تأمرني؟ فأخبره بما عهد إليه رسول الله ص من تركهم حتى يجد أعواناً، ثم أتى أبو بكر إلى أسامة وسأله البيعة، فقال له أسامة: إن رسول الله ص أمَّرني عليك فمن أمّرك علي؟ والله لا أطيعك أبداً، ولا أحللت لك عهدي، فلا صلاة لك إلا بصلاتي.

أفلا يرى من عَقَل أن أسامة أمير على أبي بكر، وهو أحق بهذا الأمر وأولى منه، لأن رسول الله ص مات وهو عليه أمير، لم يعزله عن إمرته، فأين الإجماع والرضا مع هذه الأخبار؟ ولقد قال أبو قحافة حين ذكر علياً عليه السلام فقالوا له: ابنك أسنّ من علي. فقال: أنا أسن من ابني فبايعوني ودعوه.

قال الهادي عليه السلام: ثم رجع القول إلى الفرقة التي أثبتت إمامة أبي بكر من جهة الصلاة، فسألناهم البينة من غير أهل مقالتهم على أن النبي ص أمر أبا بكر بالصلاة بالناس، فلم يأتوا بالبينة على ذلك. وأجمعت الفِرق التي خالفتهم أن عائشة هي التي أمرت بلالاً عندما آذَن رسول الله ص بالصلاة،

فقالت: مُرْ أبا بكر أن يصلي بالناس، [فبطلت حجة من زعم أن رسول الله ص أمر أبا بكر بالصلاة، ولم تجد أحد يشهد لها على هذا الإدعاء][1]. ثم أجمع جميع أصحاب النبي ص أنه لما أفاق من غشيته، وسأل من المتولي للصلاة، فقالوا: أبو بكر، فنهض ص متوكئاً على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بالإجماع، والرجل الآخر مختلف فيه، فقيل: الفضل بن العباس، وقيل: غيره، تخط الأرض قدماه ص حتى جرّ أبا بكر من المحراب، فأخّره وتقدم ص فصلى بالناس قاعداً والناس وراءه قيام، ثم قال: ألا إن [هذه] الصلاة لا تحل لأحد من بعدي قاعداً[2].

فزعمت هذه الفرقة أن رسول الله ص كان إماماً لأبي بكر، وأبو بكر إماماً للناس؛ فقلنا لهم: أخبرونا هل أحد من الناس يحتاج إلى إمامة أحد مع رسول الله ص؟ أو هل كان بإمامة رسول الله ص نقص أو تقصير حتى يضم معه أبا بكر؟

أو هل سمعتم فيما مضى أو يصلح فيما يستأنف إمامان في صلاة واحدة؟ قالوا: لا. قلنا: فما معنى ذكركم أنه كان مع رسول الله ص إمام غيره؟ قالوا: لأنه قد كان أمَّ الناس كلهم. قلنا: فإذا لم يصلح أن يكون إماماً فإنما منزلته في ذلك المكان منزلة أول صف. قالوا: كانت له فضيلة؛ لأنه كان يُسْمِع الناس بالتكبير عند ركوع رسول الله ص وسجوده، لضعف رسول الله ص. قلنا: يا سبحان الله ما أقبح ما تسندون إلى أبي بكر، تزعمون أنه كان يرفع صوته

---

[1] إضافة من مصدر المؤلف.

[2] كلمة قاعدا غير موجود في كتاب تثبيت الإمامة، وقد وضع المؤلف أعلاها (ظ) علامة الظن.

فوق صوت النبي ص، والله عز وجل يقول: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢] فإن كان أبو بكر فعل ما ذكرتم عنه فهي خطيئة لا فضيلة، يجب أن يُسْتَغْفر له منها، ورسول الله ص في حال ضعفه أقوى من أبي بكر في حال قوته، وقد مرض ص مراراً منها حين صرعه فرسه فاعتل من ذلك عليه وآله الصلاة والتسليم علة شديدة، فلم يحتج إلى مسمع، كان يُسْمَع من أقصى المسجد وأدناه، لأنه كان لطيفاً حدوده اليوم معروفة.

ثم قلنا لهم: أخبرونا عن تأخير رسول الله ص لأبي بكر، هل أخره بوحي أم لا؟ لا يخلو ذلك عندكم من أحد وجهين: إما أن يكون الله أمره بتأخيره في ذلك المقام بوحي أنزل عليه في تلك الساعة، فأزعجه ذلك وأخرجه مع شدة الحال والعلة وضعفه الذي كان فيه، أو يكون رأياً رآه رسول الله ص في أبي بكر حين أُخبر بتوليه الصلاة، فأخّره لعلمه أنه لا يصلح لذلك المقام، فيا لها من فضيحة على أبي بكر وعلى من قال بهذه المقالة، بتأخير رسول الله ص له عن ذلك المقام على أي الوجهين كان. فكيف يجوز عندكم أن يؤخره رسول الله ص عن الصلاة، وتقدمونه أنتم للإمامة؟ والإمامة تجمع الصلاة وغيرها من شرائع الإسلام، والإمامة ملاك قوام دين رب العالمين، والحجة لله تعالى ولرسوله على جميع المسلمين.

قال الهادي عليه السلام: وكان رسول الله ص أول من قُصِد بالأذى في نفسه وأقاربه، وأول من شهد عليه بالزور، وأول من أخذ ماله، وأول من رُوِّع أهله واستخف بحقهم، فَرُوِّعوا وأوذوا، وهم يروون أن رسول الله ص

قال: « من رَوَّع مسلماً فقد برئت منه الذمة، وخرج من ربقة الإسلام» وقال الله تعالى: ﴿ **قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾ [الشورى: ٢٣] وقد فُعِل بفاطمة عليها السلام ما ذكرناه من أخذ مالها، ورسول الله ص يقول: «فاطمة بضعة مني، يؤذيني ما يؤذيها، ويؤذيها ما يؤذيني» فآذوها أشد الأذى، فكانت حرمة رسول الله ص أول حرمة انتهكت بعده في الإسلام، فإن فاطمة عليها السلام جاءت بعلي والحسن والحسين وأم أيمن، شهوداً لها على ما أنحلها رسول الله ص من أمر فدك والعوالي، فقال أبو بكر: لا أقبل شهادتهم لأنهم يجرون بها المال إلى أنفسهم، وأم أيمن امرأة لا أقبلها وحدها، إلى آخر ما ذكره عليه السلام في كتاب تثبيت الإمامة.

وقد بينا نحن فيما مضى ما فيه كفاية في عمل أبي بكر وعمر، وأخذهما مال فاطمة الذي هو لها بالنحلة أو الإرث، فلا التفات لما اعتلّ به أبو بكر، وهل ذلك إلا الظلم والعدوان والعداوة؟ فإنه لو صرف ذلك إلى فاطمة مع صحة دعواه لما كان عليه ملامة من أحد! كيف وقد صرفها إلى من يحب هو وعمر من أهلهما وأقاربهما، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

[خبر الإثني عشر من الصحابة حول خلافة أبي بكر]

وقد ذكر الهادي عليه السلام خبر الإثني عشر من الصحابة مجملاً، ونحن[1] سنأتي به حسبما ذكرا الإمام المتوكل على الله عز وجل أحمد بن سليمان عليه السلام في كتابه «حقائق المعرفة» ولفظه:

---

[1] في الأصل: «مجملا فذكر الإمام المتوكل» وما أضفناه لاستقامة السياق.

وروي أنه لما قُبض رسول الله ص وولي أبو بكر الأمر، واجتمع الناس حول منبر رسول الله ص، وكان ممن أبى بيعته اثني عشر رجلاً: ستة من المهاجرين، وستة من الأنصار. فكان من المهاجرين: خالد بن سعيد، وأبو ذر، وعمار، والمقداد، وسلمان، وأبي بن كعب، وكان من الأنصار: قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي، وأبو الهيثم بن التيهان، وسهل بن حنيف، وأبو بريدة[1] الأسلمي، وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، وأبو أيوب الأنصاري.

وفي بعض الأخبار: فكان من المهاجرين: عمر بن سعيد بن العاص، والمقداد بن الأسود، وعمار بن ياسر، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، وبريدة الأسلمي، وكان من الأنصار: خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، وسهل بن حنيف، وعثمان بن حنيف، وأبو أيوب الأنصاري، وأُبَيّ بن كعب، فقال بعضهم لبعض: قوموا إلى هذا الرجل فانزلوه عن منبر رسول الله ص. فقال بعضهم: إن هذا الرجل اتفقت عليه هذه الأمة، ولكن انطلقوا بنا إلى صاحب هذا الأمر حتى نشاوره، ونستطلع رأيه. فانطلق القوم حتى أتوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقالوا له: يا أمير المؤمنين، كنا في مسجد رسول الله ص ورأينا هذا الرجل قد صعد المنبر، فأردنا أن ننزله عن منبر رسول الله ص، وكرهنا أن ننزله دونك، ونحن نعلم أن الحق لك. فقال لهم علي عليه السلام: أما إنكم لو فعلتم ما كنتم إلا حرباً لهم، وما كنتم إلا كالكحل

---

(1) في حقائق المعرفة ٤٥٣، وفي الإيضاح شرح المصباح: أبو بردة الأسلمي.

في العين، أو كالملح في الزاد، وقد اتفقت هذه الأمة التاركة قول نبيها ص الذين باعوا آخرتهم بدنياهم، وقد شاورت في ذلك أهل بيتي فأبوا إلا السكوت، لما يعلمون من وَغَر صدور القوم، وبغضهم لأهل بيت محمد ص. ولكن انطلقوا إليه فأخبروه بما سمعتم من قول نبيكم محمد ص، ولا تتركوه في شبهة من أمره، ليكون ذلك أوكد في الحجة، وأبلغ في العقوبة إذا لقي الله وقد عصاه، وخالف أمر نبيه ص.

فانطلق القوم في يوم الجمعة في وقت صلاة الظهر حتى جثوا حول منبر رسول الله ص، فأقبل أبو بكر فصعد المنبر، فقال المهاجرون للأنصار: قوموا فتكلّموا بما سمعتم من قول نبيكم ص، فقال الأنصار للمهاجرين: بل أنتم قوموا، فإن الله قد قدّمكم علينا في كتابه فقال: ﴿ **لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ** ﴾ [التوبة: ١١٧] فكان أول من تكلم خالد بن سعيد، فقام قائماً على قدميه فقال: معاشر المسلمين، أنشدكم بالله تعالى وبحقِّ رسول الله ص تشهدون بأن رسول الله ص قال لي: «هذا خالد صديق قومه» قالوا: بلى والله نشهد بذلك. قال: يا معاشر الناس، فأنا أشهد أني سمعت رسول الله ص وهو يقول: «علي قائد البررة، وقاتل الكفرة، وهو أحق بالأمر من بعدي».

وقام من بعده أبو ذر الغفاري، فقال: يا معاشر الناس، أنشدكم بالله( )

( ) في الأصل: «ناشدتكم الله».

وبحق رسول الله ص تشهدون بأن رسول الله ص قال: «رحمك الله يا أبا ذر، تموت وحدك، وتدفن وحدك، وتحشر وحدك، وتحاسب وحدك، وتدخل الجنة وحدك، يُكرم الله بك سبعة نفر يَلُونَ غسلك ودفنك» قالوا: نشهد والله بذلك. قال: فأنا أشهد أني سمعت رسول الله ص يقول: «علي أخي وابن عمي، وأبو سبطي والحجة من بعدي» ثم جلس.

وقام من بعده سلمان الفارسي، وقال: يا معاشر المسلمين، ناشدتكم بالله وبحق رسول الله ص تشهدون بأن رسول الله ص قال: « سلمان منا أهل البيت» قالوا: بلى والله نشهد بذلك، قال: فأنا أشهد أني سمعت رسول الله ص وهو يقول: «علي إمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، وهو الأمير من بعدي» ثم جلس.

ثم قام بعده المقداد بن الأسود الكندي، فقال: معشر المسلمين، أشهد أني سمعت رسول الله ص يقول: «علي مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، الفائز من تولاه، والكافر من عاداه» ثم جلس.

وقام من بعده عمار بن ياسر فقال: يا معاشر المسلمين، ناشدتكم بالله وبحق رسوله ص تشهدون أن رسول الله ص قال: « يا آل ياسر أبشروا [فإن] موعدكم الجنة» وقال: «عمار مع الحق والحق مع عمار، حيث ما دار() عمار دار الحق معه» وقال: « يا عمار تقتلك الفئة الباغية، يكون آخر زادك [من

() في الأصل: «ما دار عمار».

الدنيا] قعب من لبن» قالوا: بلى والله نشهد بذلك. ثم أقبل بوجهه إلى أبي بكر وقال: يا أبا بكر، ارجع عن ظلعك[١] واقبر شرك، والزم منزلك، وابك على خطيئتك، ورُدَّ الأمر على من جعله الله له ورسوله. لا تركنن إلى الدنيا، ولا يغرنك من قريش أوغادها، فعن قليل ترحل عن دنياك ثم تصير إلى ربك فيسألك عما جنت يداك وما ربك بظلام للعبيد. ثم جلس.

وقام من بعده أبي بن كعب فقال: يا معاشر المهاجرين والأنصار، ألستم تشهدون بأن النبي ص رقى المنبر يوم غدير خُمٍّ، وقام علي إلى جانبه وحط يده اليمنى وشالا أيديهما حتى رؤي [بياض] إبطيهما، ثم قال: « يا معاشر الناس من كنت نبيه فهذا علي وليه، ألا من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله» ثم جلس.

وقام من بعده قيس بن سعد بن عبادة، فقال: يا أبا بكر ألست تشهد بأن النبي ص يوم كنا بين يديه فأقبل علينا بوجهه، فقال: « يا أبا بكر من أحب علياً فقد أحبني، ومن أحبني فقد أحب الله، ومن أبغض علياً فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله، ومن أبغض الله كان حقيقاً[٢] على الله أن يكبه على منخريه في نار جهنم» فقال: بلى أشهد بذلك. ثم قال: يا معشر

---

(١) في الأصل: «ضلعك».

(٢) في الأصل: «حقا».

المسلمين، أشهد أني سمعت رسول الله ص يقول: «أنا حرب لمن حارب علياً، وسلم لمن سالم علياً» ثم جلس.

وقام من بعده أبو الهيثم بن التيهان فقال: يا معشر المسلمين، ألستم تشهدون بأن رسول الله ص قال: « هذا ابن التيهان ما كذبني منذ آمن بي، ولا نافقني منذ صدقني» قالوا: بلى نشهد بذلك. قال: فأنا أشهد أني سمعت رسول الله ص وهو يقول:« علي سفينة من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق» أو قال: « في النار هوى» ثم جلس.

وقام من بعده سهل بن حنيف فقال: معاشر المسلمين، إني سمعت رسول الله ص يقول: « علي باب حطة من دخله كان آمناً » ثم جلس.

وقام من بعده أبو بريدة(١) الأسلمي فقال: معاشر المسلمين، أشهد أني سمعت رسول الله ص وهو يقول: « علي أخي وابن عمي ووارث علمي، وحامل رايتي يوم القيامة، والخليفة من بعدي، المؤمن من تابعه والكافر من خالفه» ثم جلس.

وقام من بعده خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين وقال: يا معشر المسلمين، ألستم تشهدون بأن النبي ص قَبِل شهادتي وحدي ولم يزد معي غيري؟ قالوا: بلى نشهد بذلك. قال: أشهد أني سمعت رسول الله ص وهو يقول: «ألا إن الله ربكم ومحمداً نبيكم، والإسلام دينكم، والقرآن إمامكم، وعليا هاديكم،

---

(١) في حقائق المعرفة والإيضاح: أبو بردة.

فوالى الله من ولاه وعادي من[1] عاداه» ثم جلس.

وقام من بعده أبو أيوب الأنصاري فقال: يا أبا بكر، ألست تذكر هذه الآية يوم أنزلت: ﴿ **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾ [المائدة: ٥٥] فقمتَ أنت وصاحبك فقبلتما بين كتفيه، وقلتما: أصبحت والله مولانا ومولى كل مؤمن ومؤمنة؟ قال: بلى قد كان ذلك. قال: أشهد أني سمعت رسول الله ص وهو يقول: «علي عين الله في خلقه، وولايته الصراط المستقيم، والحجة على الأمة من بعدي» ثم جلس.

فلما سمع أبو بكر ذلك نزل عن المنبر ودخل منزله، فمكث لا يخرج إلى الناس ثلاثة أيام، فلما كان في اليوم الرابع أتاه عمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف، وسالم مولى أبي حذيفة، والأشعث بن قيس، وأبو موسى الأشعري، وقنفذ مولى عمر، مع كل رجل منهم عشرة رجال شاهرين أسيافهم حتى أخرجوه من منزله، وعلا المنبر فخطب، وجعلوا يدورون في المدينة[2] وهم يقولون: والله لئنْ عاد أحد إلى مثل ما تكلم به بالأمس لنعلونّه بأسيافنا. فأمسك القوم عند ذلك، ولم يردوا جواباً.

فأين الإجماع؟ انتهى كلامه عليه السلام.

---

(1) قوله: وعادى من عاداه، أضفناه عن حقائق المعرفة.

(2) هذه الكيفية التي دخل بها الناس بيعة أبي بكر.

[خبر المناشـــدة يوم الشورى]

ومن «أمالي الإمام المؤيد بالله أحمد بن الحسين الهاروني» سلام الله عليه:

لما دخل علي عليه السلام على أهل الشورى وقد اجتمعوا على عثمان فقال لهم علي: أنشدكم الله هل تعلمون فيكم من أحد أحق برسول الله ص مني؟ فقالوا: اللهم لا. ثم لم يزل يناشدهم هكذا، وهم يقولون: اللهم لا نعلمه؛ ومما ناشدهم به: هل فيكم من له عم كعمي، أو أخ مثل أخي جعفر الطيار، أو زوجة مثل زوجتي فاطمة، أو سبطان مثل سبطي؟ أو أحد وحَّد الله قبلي؟ أو صلى إلى القبلتين غيري؟ أو سددت أبواب المسجد غير بابي؟ أو نصر أبوه وهو مشرك رسول الله ص؟ أو هل فيكم من أذهب الله عنه الرجس وطهره تطهيرا وأمر بمودته حيث قال: ﴿ **قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾. أو أعطاه الراية يوم خيبر، أو نصبه للناس ولكم يوم الغدير، أو آخى أحداً ووقف في الملائكة يوم حنين حين ذهب الناس غيري؟ أو بذل مهجته وفداه بنفسه، أو من له سهمان سهم في الخاصة وسهم في العامة، أو ولي غسله وتجهيزه مع الملائكة غيري؟ أو أقتل لمشركي قريش، أو بارزه عمرو بن ود وقتله واشتاقت الجنة لرؤيته بقول نبيكم، أو أوصى إليه ص، أو آخر عهد برسول الله ص ووضعه في حفرته غيري؟ ثم قال: اللهم إني أشهدك وكفى بك شهيداً بيني وبينهم، وأصبر[1] حتى يأتي الله بالفتح أو أمر من عنده، شأنكم فاصنعوا ما بدا

---

[1] زاد في الإيضاح والمعراج: أسمع وأطيع وأصبر.

لكم، ثم قال:

محمدٌ النبيُّ أخي وصهري   وحمزة سيد الشهدآء عمي
وجعفرٌ الذي يُضحي ويُمسي   يطير مع الملائكة ابنُ أمي
وبنت محمد سكني وعرسي   مسوط لحمها بدمي ولحمي
وسبطا أحمد ابناي منها   فمن هذا له سهم كسهمي
سبقتكمُ إلى الإسلام طراً   صغيراً ما بلغت أوان حُلْمي
وأوجبني الإمامة لي عليكم   رسول الله يوم غدير خُمِّ

وفي «أنوار اليقين» ما لفظه:

ونحن نذكر حديث الشورى وكلام أمير المؤمنين عليه السلام يومئذ ليزداد الحق وضوحاً لطالبه، وهو ما ذكروا أن علياً عليه السلام وعثمان والزبير، وطلحة، وسعد ابن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، دخلوا بيتاً. قال علي عليه السلام: فدخلت معهم البيت، وقد كان عمر بن الخطاب أمرهم يدخلوا بيتاً ويغلقوا عليهم باباً، وأجّل لهم ثلاثة أيام، فإن اتفق خمسة نفر على قول وخالف رجل قتل ذلك الرجل، وإن اتفق أربعة وخالف اثنان قتل الإثنان.

فلما اتفقوا جميعاً قال لهم علي بن أبي طالب عليه السلام: إني أحب أن تسمعوا مني ما أقول لكم، فإن يك ما أقول لكم حقاً فاقبلوه، وإن يك باطلاً فاتركوه ما كان باطلاً: فأنشدكم الله الذي يعلم صدقكم إن صدقتم، ويعلم كذبكم إن كذبتم، هل فيكم أحد صلى القبلتين كليهما مع رسول الله ص

غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد بايع البيعتين كليهما بيعة الفتح وبيعة الرضوان غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد أخوه يطير بجناحين في الجنة غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد نصر أبوه رسول الله ص وهو مشرك غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد عمه سيد الشهداء غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد زوجته سيدة نساء الجنة غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد أعرف بالناسخ والمنسوخ مني؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد أذهب الله عنه الرجس وعن أهل بيته وطهرهم تطهيراً غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد عاين جبريل بمثل صورة دحية الكلبي غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد أدى الزكاة وهو راكع غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد مسح رسول الله ص عينيه يوم خيبر وأعطاه الراية فلم يجد حراً ولا برداً غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد ضمه رسول الله ص يوم غدير خم بإذن الله فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد بارزه عمرو بن عبد ود فقتله يوم الخندق غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد صاحب رسول الله ص في المواطن كلها غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله ص: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد أقر بابه رسول الله ص في المسجد حين سد أبواب المهاجرين بأمر الله غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد سماه الله في عشر آيات من القرآن مؤمناً غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل

فيكم أحد أخو رسول الله ص في السفر والحضر ورفيقه غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد ناوله رسول الله ص قبضة من تراب فرمى بها وجوه المشركين فانهزموا غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد وقفت معه الملائكة يوم حنين حين ذهب عنه ص الناس غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد وصي رسول الله ص غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد ورث سلاح رسول الله ص ورايته غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد أقرب عهداً برسول الله ص مني؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد أمره رسول الله ص أن يغسله غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد قضى دين رسول الله ص غيري؟ قالوا: اللهم لا.

قال: فهل فيكم أحد اشتاقت إليه الجنة وإلى رؤيته غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد شهد وفاة رسول الله ص غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد جعل رسول الله ص أمر نسائه في يده غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد كفن رسول الله ص ونزل في قبره غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد حمله رسول الله ص على ظهره حتى كسر الصنم الذي كان على الكعبة غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد نام هو ورسول الله ص في لحاف واحد غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد نودي يوم بدر: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد أكل من الطير الذي أهدي لرسول الله ص غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله ص: «أنت صاحب رايتي في الدنيا

وصاحب لوائي في الآخرة» غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد قدم بين يدي نجواه صدقة غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله ص: « أنا أخوك وأنت أخي» غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد قال له رسول ص : «اللهم ادخل علي أحب خلقك كلهم إليك وأقومهم بالحق» غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد كان يخصف لرسول الله ص غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد استقى مائة دلو بمائة تمرة كل دلو بتمرة ثم جاء بالتمر حتى أطعمه رسول الله ص وهو جائع غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد سلم عليه جبريل وميكائيل وإسرافيل في ثلاثة آلاف من الملائكة صلوات الله عليهم يوم بدر غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد وحَّد الله قبلي؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد أول داخل وآخر خارج على رسول الله ص غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد خلفه رسول الله ص ليتعاهد أهله ويحملهم غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد أنزل الله تعالى فيه هذه الآية: ﴿ **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾ [المائدة: ٥٥] غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد أنزل الله فيه وفي ولده: ﴿**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا، إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لاَ نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُورًا**﴾ [الإنسان:٨-٩] غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد نزلت فيه هذه الآية: ﴿**أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ**﴾

[التوبة: ١٩] غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد علمه رسول الله ص ألف كلمة مفتاح كل كلمة ألف كلمة غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد انتخبه رسول الله ص يوم الطائف، فقال أبو بكر وعمر: انتخبت علياً دوننا فقال: ما انتخبته ولكن الله انتخبه غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد سقى رسول الله ص من ماء مهراس غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله ص: «اللهم إني أقول كما قال عبدك موسى: رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واجعل لي وزيراً من أهلي علياً أخي» غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد أدنى الخلائق من رسول الله ص غيري؟ قالوا: اللهم لا.

قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله ص: «أنت وشيعتك الفائزون يوم القيامة» غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله ص:«يدخل الله بشفاعتك الجنة مثل ربيعة ومضر» غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله ص: « تكسى حين أكسى يوم القيامة» غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد ردت له الشمس حتى صليت فرائضي ونوافلي غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد هو خير البشر بعد رسول الله ص غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله ص: «كذب الذين يزعمون أنهم يحبوني ويبغضونك» غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله ص: « من أحب شعراتي هذه فقد أحبني، ومن أحبني فقد أحب الله» فقيل له: وما شعراتك يا رسول الله؟

قال: «علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام» غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله ص: «أنت الفاروق تفرق بين الحق والباطل» غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله ص: « أنت أفضل الخلائق عملاً يوم القيامة» غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد طرح رسول الله ص كساه عليه وعلى أهل بيته ثم قال: «اللهم إليك أنا وأهل بيتي لا إلى النار» غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله ص: « من مات منكم فلا يمت يهودياً ولا نصرانياً » غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد بعث إلى رسول الله ص بطعام وهو في الغار ويخبر بخبر القوم غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد أملى عليه رسول الله ص الوحي الذي كان ينزل به جبريل صلوات الله عليه غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد قال له سول الله ص: « من أطاعك فقد أطاعني ومن أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاك فقد عصاني ومن عصاني فقد عصا الله» غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله ص: « لا سِرّ دونك» غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله ص: « أنت أقدمهم سلماً، وأعظمهم حلماً، وأكثرهم علماً» غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد قتل مرحباً فارس اليهود غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل منكم أحد عرض عليه رسول الله ص الإسلام فقال: أنظرني ليلة حتى ألقى أبي، فقال له النبي ص: إنها عندك أمانة، فقال له علي: إن كانت عندي أمانة فقد أسلمت، غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل

فيكم أحد احتمل باب خيبر يوم فُتح ثم سار به ساعة، ثم عالجه بعد ذلك أربعون رجلاً فلم يطيقوه غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله ص: « منزلي مواجه لمنزلك في الجنة» غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله ص: « قاتل الله من قاتلك، وعادى من عاداك» غيري؟ قالوا اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد اضطجع على فراش رسول الله ص حين أراد أن يسير من مكة فوقاه بنفسه حين أرادوا قتله غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله ص: «أنت أولى الناس بأمتي بعدي» غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد صلى قبل الناس بسبع سنين غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله ص: «أنت يوم القيامة على يمين العرش وإن الله سيكسوك بردين أحدهما أخضر والآخر وردي» غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله ص: « أنت ممسك بحجزتي وأهل بيتي ممسكون بحجزتك» غيري؟ قالوا: اللهم لا.

قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله ص: «اللهم اجعله لي عضداً وناصراً[1] وعصيباً» غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد أطعمه رسول الله ص نصف رمانة، وقال: «هذه من ثمار الجنة لا ينبغي أن يأكلها أحد إلا نبي أو وصي نبي» غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد كان يجعل

(1) في أنوار اليقين: عضدا وعضبا وناصرا.

الليل ثلاثة أثلاث، ثلث يمرض فيه رسول الله ص، وثلث يصلي لربه، وثلث يدعو فيه، غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله ص: « أنت أقومهم بأمر الله، وأوفاهم بعهد الله، وأعلمهم بالقضية، وأقسمهم بالسوية، وأعظمهم عند الله منزلة» غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله ص: «فضلك على هذه الأمة كفضل الشمس على القمر، وكفضل القمر على الكواكب» غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد رضي الله عنه في آيتين من القرآن غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله ص: « أنا سيد ولد آدم وأنت سيد العرب» غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله ص ولأهل بيته: «اللهم إني أحبهم فأحبهم اللهم إني أستودعكهم» غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله ص: «بك يتحاج الناس بحججهم بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقام الحدود والقسم بالسوية» غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله ص: « أنت ولي الحوض والذاب عنه من جانبك يوم القيامة» غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد وجد ديناراً فاشترى به طعاماً فرد عليه صاحب الطعام الدينار، فقال له رسول الله ص: أما الدينار فليس من دنانير هذه الدنيا، وأما الرجل فليس من أهل الأرض، غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد افتتح الحصن فسبى بنت حيي بن أخطب غيري فأهداها إلى رسول الله ص غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله ص: « أنت قسيم النار تخرج منها من زكى،

وتذر فيها من كفر» غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أخذ بيده رسول الله ص يوم بدر فرفعها حتى نظر الناس إلى بياض إبطه، ثم قال: « ألا إن هذا ابن عمي ووزيري، فوازروه وناصحوه وصدقوه فإنه وليكم من بعدي» غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد بارز شيبة والوليد فقتلهما غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد عنده علم الكتاب غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد نزل في فضله تفسير القرابة في القرآن غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد تصدق بماله ليلاً ونهاراً سراً وعلانية غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد قال للعين: انفجري فانفجرت فشرب وشرب خيله، وسقوا دوابهم غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد أعطاه رسول الله ص حنوطاً من حنوط الجنة ثم قال: اقسمه ثلاثة أثلاث، ثلث حنطني به إذا أنا مت، وثلث لابنتي، وثلث لك، غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله ص: «أنا أفخر بك يوم القيامة إذا تفاخر الأنبياء بالأوصياء» غيري؟ قالوا: اللهم لا.

قال علي صلوات الله عليه: أما إذا أقررتم باستئثارٍ منكم[1] على آل نبيكم ص، فعليكم بتقوى الله وحده لا شريك له، إنه نهاكم عن سخطه فلا تعصوا أمره، وردُّوا الحق إلى أهله، واتبعوا سنة نبيكم ص، فإنكم إن خالفتموني خالفتم نبيكم، فادفعوها إلى من هو أهل لها وهي أهل له. فتآمروا فيما بينهم وتشاوروا

---

[1] في أنوار اليقين: إذاً أقررتم واستأثرتم على آل نبيكم.

وقالوا: قد فضّله رسول الله ص، وعرفنا أنه أحق الناس بها، ولكن عليٌّ رجلٌ لا يفضّل أحداً ولا أخاه،
ولا يجعلكم إن وليتموها إياه وأقصى الناس إلا سواء، ولكن ولُّوها عثمان فإنه أيسر بكم، ويهوى الذي تهوون وتستهوون، فدفعوها إلى عثمان، والله المنتقم ممن ظلم، وكفى به حسيباً. وكان من قول عثمان لعلي عليه السلام هنالك: ما ذنبي إن كانت قريش
لا تحبكم، وقد قتلتم منهم ثمانين كأنهم سيوف الذهب، تشرب أنوفهم قبل شفاتهم.

ومن تأمل ما أورده عليه السلام على القوم في هذا الحديث علم أن أمرهم مبني على محبة الدنيا، وعلى حقدٍ كامن، وبغض لعلي عليه السلام لا يقدر قدره، حملهم مع محبة الأمر والنهي على سلوك سبيل الضلالة، وارتكاب جامح الجهالة، فإنَّ علياً عليه السلام قال حينئذ: وليس هذا أول يوم- يعني يوم عثمان- تظاهرتم فيه علينا، فصبر جميل، والله المستعان على ما تصفون.

ومن كلامه عليه السلام في كتاب رأس اليهود في ذكر عمر أن قال:

فكان من فعله أنه ختم أمره أن سمّى قوماً أنا سادسهم، لم يستوي بي وبهم حال قط، ولم يكن لرجل منهم أثر في وراثة الرسول ولا قرباه، ولا صهره ولا نسبه،
ولا لواحد منهم مثل سابقة من سوابقي، ولا أثر من آثاري، ولا حق من

استحقاقي، وصيرها شورى بيننا، وصير ابنه فيها حاكماً علينا، وأمره أن يضرب أعناق الستة النفر الذين صير الأمر فيهم إن لم ينفذوا أمره، إلى أن قال عليه السلام: فمكث القوم أيامهم كلها حتى أن كلاً ليخطبها لنفسه وأنا ممسك، فإذا سألوني عن أمري وناظرتهم في أيامي وأيامهم، وأوضحت لهم ما لم يجهلوه من وجوه استحقاقي لها دونهم، وذكرتهم عهد رسول الله ص وتأكيده ما أكد لي من البيعة في أعناقهم، دعاهم حب الإمارة وبسط الأيدي والألسن، والأمر والنهي، والركون إلى الدنيا إلى الاقتداء بالماضين قبلهم، وتناول ما لم يجعل الله لهم، فإذا خلوت بالواحد منهم بعد الواحد فذكرته أيام الله، وحذرته ما هو قادم عليه وصائر إليه، التمس مني شرطاً بطائفة من الدنيا أصيرها له. فلما لم يجدوا مني إلا المحجة البيضاء، والحمل على كتاب الله وسنة رسوله ووصيه، وإعطاء كل امرء ما جعل الله له، ومنعه ما لم يجعل الله له؛ انتبذ من القوم منتبذ فأزالها إلى ابن عفان، طمعاً في التبجح معه فيها، حتى قال عليه السلام: ثم لم أعلم أمسوا [القوم] في يومهم ذلك حتى ظهرت ندامتهم، ونكصوا على أعقابهم، وأحال بعضهم على بعض يلوم نفسه ويلوم أصحابه، حتى قال عليه السلام: فوالله يا أخا يهود، ما منعني منها إلا الذي منعني من أختيها قبلها، ورأيت الإبقاء على من بقي من الطائفة أنهج لي، وآنس بقلبي من فنائها، وعلمت أني إذا حملتها على ركوب الموت ركبته إلى آخر كلامه عليه السلام.

وقال عليه السلام[1] يوم الشورى: لن يسرع أحد قبلي إلى دعوة حق في صلة رحم، أو عائدة كرم، فاسمعوا قولي، وعوا منطقي، عسى أن تروا هذا الأمر من بعد هذا اليوم ينتضى فيه السيوف، ويخان فيه العهود حتى يكون بعضهم أئمة لأهل الضلالة، وشيعة لأهل الجهالة.

قال الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة عليه السلام: فكان ذلك كله كما قال عليه السلام بغير زيادة ولا نقصان انتهى.

فإن قلت: إذا كان عليه السلام عالماً بأمرهم وأنه لا بدّ لهم مما قد فعلوه من التقدم عليه، ودحضه عن مقامه، فما فائدة حضوره الشورى معهم ومناشدتهم فيها بما تقدم، وإظهار التظلم منهم وقد أعلمه ص بما يصير إليه أمرهم وما يلقى منهم، وأمره بالصبر حتى يصير إليه، وأعلمه بما يلقى بعد مصيرها إليه، كما ذكرناه أولاً، ونذكره إن شاء الله تعالى فيما يأتي[2].

قلت: فائدته إظهار الحجة، وإيضاح المحجة، وتذكيراً لهم وموعظة لمن سمع منهم، وتعريفاً لهم ولمن سمع أنه غير راض بتقدمهم، ولا مشاركاً لهم في إثمهم، كما أرسل الله تعالى موسى إلى فرعون، وإبراهيم إلى النمرود، وسائر الأنبياء إلى أممهم وهو يعلم تعالى أنهم لا يسلمون ولا يقبلون، وأنهم إلى النار صائرون، وقال تعالى لنبيه محمد ص: ﴿ **وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ**

---

(1) في أنوار اليقين: قال الإمام المنصور بالله عليه السلام ما روينا عنه: قال عليه السلام يوم الشورى الخبر.

(2) في الجزء الرابع من الكتاب.

الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات:٥٥] ﴿ **إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاَغُ﴾** [الشورى:٤٨] ﴿ **وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ﴾** [النور:٥٤] ولئلا يتوهم عامة الجهال غير المتمردين أن أمر عمر بالشورى وتقدمه في نفسه هو وأبو بكر حق لهم، وأنهم مصيبون في فعلهم، غير مخطئين في تقدمهم، ومناشدته تلك إياهم يرفع ذلك المظنون قطعاً، فحسن منه عليه السلام بل وجب والله أعلم.

واعلم أنه عليه السلام ابتلي منهم بالبلاء العظيم، والداء العقيم، الذي كان سبباً لهتك حرمة رسول الله ص في أهل بيته من يومهم إلى يومنا هذا، فغصبوا خلافته قولاً وفعلاً. فالفعل ما قد ظهر وشاع، واشتهر وذاع. وأما القول فسمّاه الله تعالى ورسوله أمير المؤمنين كما أتى بذلك جبريل عن رب العالمين، وسماه الصديق الأكبر، وسمياه الفاروق وسماه خليفة وإماماً حسبما قد ذكرنا ذلك في الأحاديث السابقة عن زيد بن علي عليه السلام وغيره وفيما سيأتي، فسمّوا أنفسهم جميعاً بإمرة المؤمنين، أعني من قام منهم ونصب نفسه للخلافة إلى يومنا هذا، ثم سموا أبا بكر صديقاً، وحلوها بحلية علي عليه السلام، وسموا عمر الفاروق وهو اسم علي بالنص من الله ورسوله، وقد تقدم ما قاله ص، قلت: « يا رب ومن الصديق الأكبر؟ قال: أخوك علي بن أبي طالب». وفي كتاب علي بن موسى الرضا عليه السلام: فسموا أبا بكر صديقاً، والصديق لا يكون إلا معصوماً.

وفي «أنوار اليقين» عن النبي ص أنه قال لعلي عليه السلام: «أنت أول من آمن بي، وأنت أول من يصافحني يوم القيامة، وأنت الصديق الأكبر، وأنت الفاروق الذي يفرق بين الحق والباطل، وأنت يعسوب المؤمنين والمال

يعسوب الفجار». وفي بعض الأخبار: « والمال يعسوب الكافرين».

وعن النبي ص: «الصديقون ثلاثة: حبيب النجار مؤمن آل ياسين، الذي قال: ﴿ **اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ**﴾ [يس: ٢٠] وحزقيل مؤمن آل فرعون الذي قال: ﴿ **أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّي اللَّهُ**﴾ [غافر: ٢٨] وعلي بن أبي طالب وهو أفضلهم ».

وعن أنس بن مالك قال: دعا رسول الله ص ذات يوم بوضوء فتوضأ وصلى ثم قال: « يدخل علي: أمير المؤمنين، وخير الوصيين، وأولى الناس بالنبيين» قال: قلت: اللهم اجعله رجلاً من الأنصار، قال: إذ ضُرِب الباب إذ دخل علي بن أبي طالب، فقام النبي ص فجعل يمسح من وجهه، فيمسح به وجه علي عليه السلام ويمسح من وجه علي فيمسح به وجهه، فدمعت عين علي عليه السلام فقال: يا رسول الله هل ترى بي شيئاً؟ فقال: «ولم لا أفعل هذا وأنت تُسْمِع صوتي، وتؤدي عني، وتبين لهم ما اختلفوا فيه من بعدي».

وعن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ص يقول يوم الحديبية وهو آخذ بضبع علي بن أبي طالب عليه السلام: «هذا أمير البررة وقاتل الفجرة، منصور من نصره، مخذول من خذله».

وإلى هنا أكف وأقتصر عما لا أطيق حصره من مناقبه، وتعدي غيره؛ إلا أنه لما قال الهادي عليه السلام فيما مر: وقتل أبو بكر خالد بن سعيد على الخلاف الذي ذكر عليه السلام ثم قال: وغيره. فأقول: ذكر المهدي عليه السلام في «الغيث» صفة قتل سعد بن عبادة رضي الله عنه فقال: ويروى أن

سعد بن عبادة خرج إلى الشام، فسمع أهله هاتفاً يقول في داره شعراً:

قتلْنَا سَيِّد الخزْ رَجِ سعدَ بن عُبَادَهْ
رميناهُ بسهمين فلم نُخْطِىء فؤادهْ

ففزع أهله، وتعرّفوا خبره، فكان في تلك الليلة قد مات، فقيل جلس يبول في جُحْر فاستلقى ميتاً، وبعضهم زيّف هذه الحكاية ويدعي أن هلاكه بدسيسة من
أبي بكر لما أبى أن يبايعه وخرج إلى الشام مغاضباً. قال المهدي: وربما رووا عن علي
عليه السلام بيتين من الشعر وهما:

يقولونَ سعداً شقّت الجنُّ بطنه ألا ربما حققت فعلك بالغَدْرِ
وما ذنبُ سَعْدٍ أنه بال قائماً ولكنّ سعداً لم يبايع أبا بكرِ

قلت: وهو الحق، وأحفظ بيتاً بعدهما وهو:

وقد صبرَتْ من لذّة المال أنفسٌ وما صبرتْ عن لَذّة النهي والأمر [1]

وبعده:

فيا عجباً للجنِّ تقتل مسلماً على غير جُرْمٍ ثم ترثيه بالشعر

---

(1) انظر شرح نهج البلاغة ١٠/ ٢٩٢ ويروى البيت الأخير:
لئن زهدت عن فتنة المال أنفس فما زهدت عن فتنة النهي والأمر

[وإنا لله وإنا إليه راجعون ومنقلبون، والعاقبة للمتقين][1].

إلى هنا أنهي حديثي وأنتهي   فما شئت من خير لنفسك فاصنع!

وأقول كما قال تعالى: ﴿ **تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ إلا أنه من رضي بفعل قوم فقد شاركهم.

[أبيات ومقاطيع علوية للمؤلف]

اللهم إني أبرء إليك من كل من خالف أمرك، وأخذ ما ليس له، وتعدى على أولياء الله، ووالى أعداء الله، وأسألك حسن الخاتمة بجودك وكرمك، والنجاة من النار؛ وأقول:

بنفسي أفدي سيد الناس عن يد   علي الرضا صنو النبي محمَّدِ
له الحسن الداعي تولّى وحسبُه   ولايته عما يحاذر في غدِ

وأقول:

وقائلةٍ أبو بكر إماماً   فقلت لها كذا قال الشوافعْ
وطه المصطفى ولى علياً   على من كان من دانٍ وشاسِعْ
وفي يوم الغدير جليٌّ نص   وبخ بخ من قول المنازعْ[2]
وإجماع الأئمة من بنيه   وهمْ في الدِّين أنجمه الطوالعْ

---

(1) ما بين الحاصرتين إضافة من المحقق للفصل بين بيتيين مختلفين.

(2) كذا عجز البيت في الأصل.

وصي المصطفى الهادي إمامي زكيٌّ حين زكّى وهو راكعْ
بذا أقضي وألقى الله ربي وأهل النَّصْب قد جعلوه رابعْ
فحسبهم خلاف الحقِّ فيه مقالهم ونور الحق صادعْ
وهم بالجبر والتشبيه دانوا فخذ بالحق باب(١) الحق واسعْ
وحزب الله أهل البيت فالزم مناهجهم وجانب كل خادعْ
وأهل العدل والتوحيد قومي وشيعتنا المناصر والمشايعْ
أولئك بالهدى دانوا ونادوا ففيهم بدر هذا الدين طالعْ

وقال عفا الله عنه:

قلبي بحبِّ محمّـ ـدٍ ووصيُّه متعلِقُ
نوران من نور الإ له سناهما لا يمحقُ
هذا النبي وذا الخليـــ ـفة بعده المتصدِّقُ
والنص من طه عليـ ـه مقرر ومحققُ
أجلى من الشمس الجلـ ـيّة والمخالفُ أحمقُ
والخصم أحقر حجة من أن يقول ويصدقُ
لكن بحب المرتضى بين البرية نفرقُ
فمحبه البر التقي إلى المفاخر يسبقُ
وبغيضه أشقى الورى وهو الزنيم المُلْصقُ

---

(١) نسخة: فخذ بالحق إن الحق. (مؤلف).

وقال عفا الله عنه:

نفسي الفداء لحيدرٍ ... كم حاز من شرفٍ عليّ

فهو الوصي لصنوه ... وهو الرِّضا وهو الوليّ

وله الخلافة بعده ... والإرث بالنص الجلي

نادى بأَحدٍ جبرئيـ ... ـل الروح عن أمر العلي:

لا سيف إلا ذو الفقا ... ر، ولا فتى إلا علي

وقال عفا الله عنه:

قل للنواصب أقصروا ... ليس الخليفة حبترُ

ختم النبوةَ أحمد ... وبدا الخلافة حيدرُ

وبنو علي أهلها ... ودعوا الذين تجبروا

ويكون خاتمها الإما ... م المهدي المستنظرُ

والشمس يغمرها السحا ... ب ونورها لا يفتر

ما ضرَّ بدرُ الجو إن ... غطّى عليه كنهور[1]

وقال عفا الله عنه:

بحب علي إمام الهدى ... تميز عاصٍ عن الطائعِ

فأمّا المحب فكالمشتري ... وأما البغيض فكالبايعِ

---

[1] الكنهور: العظيم من السحاب، ذكره في الصحاح عن الكسائي. (مؤلف). ولو قال: ما ضر بدر الأفق، لكان أنسب.

وقال عفا الله عنه:

بحب علي إمام الورى عرفنا المنافق والمتقي
فمن حبَّه فهو خِدْن التقى ومن سبَّه فهو حقاً شقي

وقال عفا الله عنه:

ألا إن خير الناس بعد محمد عليٌّ ولا تيماً أعدّ ولا عدي
له الحسن الداعي تولّى وحسبُه ولايته عما يحاذر في غدِ

وقال عفا الله عنه:

ألا إن خير الناس بعد محمد عليٌّ وخير العالمين محمَّدُ
فقل لأبي بكر وثانيه اقصرا فكل بعلياه من الناس شُهّدُ
تقدمتما الهادي علياً تعمداً كأنكما للحق والفضل جحدُ
وذلك دأب الأمر والنهي إنه أضل وأطغى من له يتصيَّدُ

وقال عفا الله عنه:

علي وصي المصطفى وابن عمه وناصره والكفر فيه سِبابُ
فشيبه بالضرب في حومة الوغى وأفناه لما شاب فهو سراب[1]
ولكن أهل الجبر أحيوه ثانياً وليس لهم إلا الحِراب جوابُ

---

(1) يحقق البيت أكثر فمعناه منغلق.

لذا أنهم دانوا بتقديم غيره ... وأبدوا شقاقاً للوصي وعابوا

وقالوا بتصويب ابن حرب ... فهم عند كشف الخافيات كلابُ

ه حز به

جهادهم فرضٌ على كل مسلم ... وسبِّي لهم أجزى عليه ثوابُ[1]

وقال عفا الله عنه:

علي أمير المؤمنين وخير مَنْ ... تحمله بعد النبيِّ جوادُ

تحلى بكل المكرمات وصِباية ... وعلماً وفي باب الهِباة جوادُ

وقال عفا الله عنه:

بنفسي حيدراً وابنيه أفدي ... وفاطمة البتول الأبطحية

هم بيت المفاخر والمعالي ... ومنهم كانت النفس الزكية

وقال عفا الله عنه:

علو علي في البرية ظاهر ... وليس لمن ناواه حمدٌ ولا فخرُ

وصي رسول الله قاضي ديونه ... وناصره يوم الكريهة والصهرُ

وقال عفا الله عنه:

علي له نفسي الفداء إمامنا ... إذا كان شيخ الناصبين معاويه

فهذا وصي المصطفى وابن عمه ... وأم[2] ابن هند في جهنم هاويه

---

(١) نسخة: وسبهم يرجى عليه ثواب. (مؤلف).

(٢) صوب العجز العلامة الشامي استحسانا؛هكذا: ونفس ابن هند في جهنم هاوية.

وهذا هو المذكور بالفضل دائماً   وذاك هو الملعون في كل ناحيه

وقال عفا الله عنه:

علي على هام السِّماك محله   وأول من يُدعى لعقدٍ يحله

تقدّم بالفضل المبين فكلُّ من   تقدّمه في الأمر فالغصب فعلُه

وقال عفا الله عنه:

إني بحبي لطه وحب مولاي حيدر

أرجو النجاة إذا ما نار الجحيم تسعر

وقال عفا الله عنه:

علي ولي الله والله يشهد   فمن ذا لعلياه من الناس يجحدُ

محبته فرض على كل مؤمن   ولم يَقْلِه إلا كفور وملحدُ

انتهى ما قلته حال التأليف لرجاء الثواب من الخبير اللطيف، والجائزة يوم العرض الأكبر، بشربة من نهر الكوثر، بكف أمير المؤمنين حيدر، القائم به أبو شبير وشبّر، الذي سأل بعضهم فما حيّر:

رَبُّ هبْ لي من المعيشة سؤلي   وارض عني بحق آل الرسولِ

واسقني شربة بكف علي   سيد الأوصياء وزوج البتولِ

أعطاه الله ما سأل، وبلغني وإياه[1] غاية الأمل.

(1) في الأصل: «وذلك».

[قصيدة الهادي بن إبراهيم الوزير في جواب بعض الشافعية]

ولنذكر هاهنا ما افتراه بعض الشافعية، فإنه فعل قصيدة افترى على الله تعالى فيها الكذب وعلى وصي رسول الله ص بقوله في مستهلها:

علي تابع الخلفاء حقاً ونادوه ليغزو فاستجابا[1]

ثم ذكر مناقب المشايخ وأن علياً والاهم، وتولى منهم، وزَوَّج عمر بن الخطاب. فأجابه السيد الإمام العلامة جمال الدين الهادي بن إبراهيم الوزير رحمه الله تعالى بجواب هو المقصود بالنقل هنا، كسر به قناة ذلك الناصبي، وردَّ به أقوال من نصب نفسه لمعاداة آل النبي ص، وهو جدير أن يكتب بماء الذهب، ونقله وإشاعته فرض على جميع أهل الأدب، من السادة الأخيار، والشيعة الأبرار فقال رحمه الله:

علي خالف الخلفاء فيما زعمتم أنه فيه أجابا
ولو كان الذي فعلوه حقاً لما حضروا سقيفتهم وغابا
وما سبب التقاعد عن عتيق إذا كانت خلافته صوابا؟
ولو علم الخلافة في عتيق غداة دعاه ما قعد احتجابا
نقول كقولكم فيما روينا فنحن أحق بالحق اقترابا
أجيبونا على هذا بصدق أأخطأ في التقاعد أم أصابا؟
فإن أنكرتمُ ما كان هذا لعنّا فيه أكذبنا جوابا

---

[1] راجع عن أبيات الفقيه الشافعي هذا ـ كتاب الشافي.

***

فقل لي إن بليت بشافعي[1] أتى في شعره شيئاً عجابا
أراد بشعره لهم شعاراً فجرَّ به لمذهبه ذهابا
إليك مقالة مني أجبها فقد عارضت بالوشل العبابا[2]
إذا رضي الوصي لهم فعالاً ولِمْ يك عندكم سكت ارتيابا
فلِمْ غضب الوصي غداة جاءوا إليه ولِمْ أنالهم عِتابا؟
ولِمْ هدرت شقاشقه عليهم وكاد يفض مقوله[3] الصلابا؟
ولِمْ بالشقشقية قال إني سدلتُ عن الخلافة لي ثيابا؟
ولِمْ قادوه حتّى قال فيه معاوية أراد به سِبابا:
وكنتَ تقاد كالمخشوش يعني أبا حسنٍ فذَمّ له وعابا
ولِمْ هجر السقيفة حين كانت بها الأصوات تصطخب اصطخابا؟
وقلتم في الوصي لنا مقالاً ولم تخشوا من الله العقابا
وبايع لابن عفانٍ زعمتم ووالاه ولانَ له جنابا
فلِمْ في قتلِ عثمانٍ تأنّى وأغدفَ يوم مقتله النقابا؟
ولِمْ قتلته أقوام وكانوا لحيدرة وعترته صحابا؟
ولِمْ ردَّ القطائع من سَراة وكان لسافِكي دمه مآبا؟

---

(1) في الديوان: بلغت بشافعي.

(2) البيت والذي يليه أضفناه من ديوان الهادي بن إبراهيم، ولا يتم السياق إلا به.

(3) في الأصل: «بمفوده» وهو تحريف. والمقول: اللسان.

تولى قلتمُ هذا وهذا   وما في دينه والحق حابى

فكيف جواب ما قلناه هاتوا   لنا عن بعض ما قلنا جوابا

وإن لم تفصحوا عنه بقولٍ   فقد خسر الغبي به وخابا

إذا والى بزعمكم عتيقاً   ولم ير في خلافته اضطرابا

ووالى صاحبيه كما زعمتم   وكان يرى بقربهم ثوابا

فلِمْ دفَن البتول الطّهْر ليلاً   ولم يحثوا بحفراتها ترابا؟

ولِمْ غضبت على الأقوام حتّى   غدت فيهم مُجَرَّعة مصابا؟

ولِمْ أخذوا عطيتها عليها   وسوف يرون في غدٍ الحسابا

ولِمْ طلبوا عيادتها فقالت: أبينوا القوم حسبهم احتقابا

ولِمْ لعقائل الأنصار قالت   وقد جاءت تسائلها خطابا:

لقد أصبحت عائفة[1] وإني   لمن لم يرض فيّ أبي آبى

ولِمْ ماتت بغصتها ترى في   أكفِّ القوم نحلتها نهابا؟

وماتت وهي غاضبة روته   غطارفة بها شرفوا انتسابا

همُ غضبوا لفاطمة وإن الـ   ملائك في السماء لها غضابا

فكيف يقال والاهم علي   وهم سقّوا أبا الحسنين صابا

وهم وثبوا على (فدك) فقالت   سلالة أحمد حاشا الربابا

ولو والاهمُ والحال هذا   علي زاد فاطمة اكتئابا

(١) في الأصل: «غاضبة» والتصويب عن الديوان.

فمن زعم الوصي لهم موالٍ فقد عظمت خطيئته ارتكابا
ولكن بايع الأقوام كرهاً وصاحب بالمهادنة الصحابا
مخافة أن يرى في الدين ثلماً ويصبح ربعه العالي خرابا
وزَوَّج بنته عمراً بكره لأن الشيخ أزعجه طلابا
وكان العاقد العباس لما تلهب قلب حيدرة التهابا
وما كان الوصي يرى عديّاً يوازي فضل فاطمة نصابا
وكانت تلك مسألة اجتهادٍ متى وفّاه(١) مجتهد أصابا
وأما غزوه وجهاده في حروبهم فلم نر ذاك عابا
ولايته من الرحمن وهو الإ مام فما أتى إلا صوابا
ولم يك حربه معهم جزافاً ولم يك دأبه ذاك اقتضابا
أليس الله سمّاه ولياً وأنزل في ولايته كتابا
وأي القوم كان أشد بأساً وأعظم منه صبراً واحتسابا
وأي القوم آخاه الرسول الأ مين وكان أشرفهم جنابا
وأي القوم قُدِّم في المغازي وموج الموت يضطرب اضطرابا
وأي القوم زوَّجه بتولاً وألبسه عمامته السحابا
وأي القوم أقدمهم جهاداً وأعظم في سوابقه اكتسابا
وأي القوم معصوم سواه وأي القوم أطهرهم شبابا
وأي القوم أكثر منه زهداً وأظهر في ولايته وطابا

---

(١) في الأصل: «وافاه».

وأي القوم رد الله شمس الـ نهار له وقد لبست حجابا
وأي القوم شبّ على هداه وفي بحبوحة الإسلام شابا
وأي القوم سمّته البتول الـ ـمطهرة القوادم والذنابى
وأي القوم أول من تزكى وأي القوم أول من أجابا
وأهل الكهف أيهم أجابوا وكان هو المُكَلِّم والمجابا
وأي القوم أوسع منه علماً وأوجع في مقارعةٍ ضرابا
وروح القدس أي القوم كا ن الثناء عليه منه مستطابا
ومن بالقطف خُصّ على أناس وصاروا كالعتابى أو عتابا
ومن عَهِد النبي إليه أن لا يجهزه سواه إذا أنابا
ومن ولاهم بغدير خم ومن زكى بخاتمه النصابا
ومن سما إله العرش نفساً ومن في داره أهوى شهابا
ومن أردى أسود الكفر حتّى غدا للسيف هامهم قرابا
ومن أروى مهنده نجيعاً وحطم من مثقفه الكعابا
ومن حمل اللواء غداة بدر ومن في القوم أولج منه غابا
ومن ببراءة أضحى رسولاً وكان على تحمّلها مُثابا
ومن كان الفداء لخير روحٍ ولم يخف المناصل والحرابا
ومن أعطاه رايته اختياراً بخيبر إذ دحى للفتح بابا
ومن فيهم دعاه أبا تراب لرؤيته به يوماً ترابا
ومن سمى ابنه فيهم حسيناً وسمّى القاتلين له كلابا

ومن خص النبي بأكل طير ... ومن في عينه نفث الرضابا
ومن يكن اللواء غداً لديه ... ومن يسقي من الحوض الشرابا
ومن سمّاه هاروناً ولما ... نجد منه لمسجده اجتنابا
ومن خص النبي بفتح باب ... ومن سد النبي عليه بابا
ومن كانت خلافته معيناً ... ومن كانت خلافته سرابا
ومن كانت إمامته بوحي ... ومن كانت إمامته اغتصابا
على خير من ركب المطايا ... وأفضل من علا الجرد العِرابا
هو النبأ العظيم وفلك نوح ... إمام الحق أشمخهم قبابا
وإن يتقدموه بلا دليل ... فهاكم في تقدمهم جوابا
هم أخذوا خلافتهم برأي ... وكان الخبط للأقوام دأبا
وهل للرأي فيهم من مجال ... رأينا رأيهم نسخ الكتابا
أقال لهم نبيهم بهذا ... أم اتخذوا خواطرهم كتابا
وهل للعقد فيها من مجال ... فلِمْ يوم الغدير بهم أهابا
ولِمْ قالوا له: بخ وبخ ... إذا كان اختيارهم صوابا
ولِمْ أوصى النبي إلى علي ... ولم يجعل( ) لهم معه انتصابا

***

فقل للشافعية حيث كانت ... تحول في تعصبها العصابا( )

---

(٢) في الأصل: «يحول».
(٢) يحقق البيت أكثر.

وتصدع بالحقيقة في علي فإن الحق أجدر أن يجابا
فقد ظهرت فضائله ولكن لمن لم يتخذ عنها حجابا
ومن جحد الفضائل في عليٍ ولم يك بالغبي فقد تغابى
إذا كرهت أصولكم علياً وصار الحق عندكم ارتيابا
علمنا أن في الأنساب شيئاً وأن الشك[1] للأنساب شابا
ومن يكن ذا فم مرٍّ مريض يجد مراً به العسل الرضابا

تمت حسبما وجدت. قوله [في الأبيات السابقة]: وزوّج بنته عمراً بكرهٍ.

اعلم أن عمر لما خطب إلى علي أم كلثوم أبى علي أن يزوجه أشد الإباء، حتى غضب عمر غضباً شديداً وَرِمَتْ منه أنفه، ثم دخل على العباس وهو يقول: والله يا بني هاشم لا أبقيت لكم مأثرة إلا هدمتها، أو كما قال في حديث طويل، فقال العباس رضي الله عنه: وما يضرك من امتناع علي أنا أزوجكها، فزوجه العباس، ولم يكن من علي إلا الإجازة كرهاً، وذلك في حال الزواج جائز ولولا جاز لم يفعله لأنه معصوم. ذكر معنى ذلك الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة عليه السلام.

ومن ذلك أن عمر أصدق أم كلثوم أربعين ألفاً مع أنه كان ينهى أن يزاد

---

(1) في الأصل: «المسك» وهو تحريف.

في صداق النساء على خمسمائة درهم قفلة، وكان يعاقب من زاد على ذلك. انتهى بالمعنى من منقولٍ من أنوار اليقين.

وأقول: إن حرصه على ذلك لأمرين: إما لهتك الحرمة واستحلال المحرم بقوة سلطانه وقهره لأهل البيت عليهم السلام، كما جرى ذلك من غيره، بعده وقبله، كغصب نحلة فاطمة عليها السلام من أبيها، أو لجهله لمعاني كتاب الله، حيث لم يعلم بتحريم بنات فاطمة عليها السلام لغير فاطمي من قوله تعالى: ﴿**مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلاَ أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا**﴾ [الأحزاب: ٥٣]. فإن تحريم البنات اللواتي هن من لحمه ودمه أولى من تحريم فراشه من النساء الأجنبيات عنه، التي إنما حصل تحريمهن لأجل شرفه ص، ولأجل الغيرة أن يخلف على حريمه غيره بعده ص، ومن لازم ذلك أن بناته آكد في الحرمة وأبلغ في الغيرة والله أعلم.

***

تنبيه [في ذكر أولاد أمير المؤمنين (ع)]

قال في «طرفة الأحباب في معرفة الأنساب»:

وأولاد علي عليه السلام أربعة عشر ذكراً والإناث تسع عشرة: الحسن، والحسين، وزينب الكبرى، وأم كلثوم الكبرى[1] أمهم الزهراء عليها السلام.

---

[1] في الهامش بخط المؤلف: ومحسن مات صغير راجع الحدائق الوردية ١/ ٨٩.

ومحمد بن الحَنَفِيّة وهو الأكبر من أولاده[1] أمُّه خَوْلة بنت جعفر من بني حنيفة، وعبيد الله[2] قتله المختار بن أبي عُبيد - قال في مشجر السيد بدر الدين الأمير محمد بن عبد الله بن أبي علامة: قتله أصحاب المختار بن عبيد يوم الدار - وأبو بكر قُتل مع الحسين وأمهما ليلى بنت مسعود، والعبَّاس الأكبر الذي يقال له الشفاء، وعثمان وجعفر وعبد الله قُتلوا مع الحسين أمّهم أم البنين بنت حِزام بن خلف[3]، ومحمد الأصغر قُتل مع الحسين وأمه أم ولد، ويحيى وعَوْن أمُّهما أسماء بنت عميس، وعمر الأكبر ورُقَيَّة وأمّهما الصهباء سبِّية، ومحمد الأوسط أمَّه أُمامة بنت أبي العاص، وأم الحسن[4] ورَمْلة الكبرى أمهما أمّ بنت عُرْوَة[5]، وأمّ هانىء وميمونة[6]، وزينب الصغرى ورَمْلة الصغرى وأم كلثوم الصغرى وفاطمة وأُمامة وخديجة وأمّ الكِرام وأمّ سَلَمَة وأمّ جعفر وجُمانة ونفيسة، هؤلاء لأمهات شتَّى فهؤلاء أولاد علي عليه السلام.

قال في «شرح ابن أبي الحديد»[7] ما لفظه: أم محمد بنْ الحنفية خَوْلة

---

(1) العبارة في طرفة الأصحاب ٨٧: ومحمد الأكبر وهو الحنفية.

(2) في الأصل: «عبد الله» والتصويب عن طرفة الأصحاب ٨٧.

(3) كذا بالأصل. وفي الطرفة: حزام بن خالد، وهو الأصح.

(4) في الأصل: «والحسين» وهو تحريف.

(5) في الأصل: «وأمهما صيب بنت سعيد بن عروة» وهو خطأ صححناه عن الطرفة والحدائق.

(6) في الأصل: «أم هاني ميمونة» والصواب ما حررناه.

(7) شرح نهج البلاغة ١/ ١٨٤.

بنت جعفر ابن قيس بن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدُّؤل بن حنيفة بن لُجيم بن صَعْب بن عليّ بن بكر بن وائل، واختلفوا في أمرها. ثم ذكر أقوالاً ثم قال: وقال قوم وهم المحققون، وقولهم الأظهر: إنّ بني أسد أغارت على بني حَنِيفة في خلافة أبي بكر، فسبوا خولة، وقدِموا بها المدينة فباعوها من علي عليه السلام، وبلغ خبرها إلى قومها، فقدِموا على علي عليه السلام وأخبروه بموضعها منهم، فأعتقها ومهرها وتزوّجها، فولدت له محمداً، فكناه أبا القاسم. وهذا القول هو اختيار أحمد[1] بن يحيى البلاذري في كتابه المعروف بـ «تاريخ الأشراف».

قالت الأنصار: يا أمير المؤمنين، لولا ما خول الله لحسن وحسين على محمد من الفضل لما قدمنا على محمد أحداً من العرب. فقال علي عليه السلام: أين النّجم من الشمس والقمر! أما إنه قد أغنى وأبلى، وله فضله، ولا ينقص فضله فضل صاحبيه عليه، وبحسبكم صاحبكم ما انتهت به نعمة الله إليه، فقالوا: يا أمير المؤمنين، أمَا والله ما نجعله كالحسن والحسين، ولا نظلمهما له، ولا نظلمه - لفضلهما عليه - حقه، فقال علي عليه السلام: أين يقع ابني من ابني[2] رسول الله ص ؛ فقالَ خزيمة بن ثابت شعراً:

محمد مَا في عودك اليوم وَصْمَةٌ   وما كنتَ في الحرْبِ الضرُوس مُعَرّدا[3]

---

(1) في الأصل: «محمد بن أحمد» وهو خطأ صححناه فيما تقدم.

(2) عند ابن أبي الحديد: ابني بنت.

(3) في الأصل: «معربدا» وهو خطأ. والمعرّد: المنهزم في الحرب.

أبوك الذي لم يركب الخيلَ مثلُه   عليّ، وسمّاك النبيُّ محمدا
فلو كان حقك من أبيك خليفةً   لكنت، ولكن ذاك مالا يرى بدّا
وأنت بحمد الله أطولُ غالبٍ   لساناً، وأَنْداها بما ملكتْ يدا
وأقربُها من كلّ خَيْرٍ تريدُه   قريشٌ وأوفاها بما قال مَوْعدا
وأطعنُهم صدرَ الكميّ برمحه   وأكساهُمُ للهامِ عَضْباً مُهَنَّدا
سوى أخويْكَ السِّيدين كلاهما   إمام الورى والداعيان إلى الهدى
أبى اللهُ أن يعطي عدَّوك مقعداً   من الأرض أو في اللوح مَرْقىً

[خبر خولة الحنفيّة]

ومن خط بعض السادة العارفين[1] «**فائدة**»:

أخبرنا الشيخ العفيف أبو البقاء هبة بن نما، قال: حدثني الشيخ الإمام أبو عبدالله الحسين بن أحمد طال المقداد[2] رحمه الله تعالى، قال: حدثني شيخ الإسلام عبدالجبار ابن علي[3] المقري الرازي رحمه الله في مدرسته بالري تمام العشرين من شعبان سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة سنة، قال: حدثني الرئيس المخلص سعيد المعالي ذو الكفايتين بن الجوايز بن نادي النائب[4] رحمه الله في يوم الأحد عاشر ذي القعدة سنة ثمان وخمسين وأربعمائة سنة

(1) الخبر أورده السيد حميدان في مجموعه ٤٩٩ - ٥٠٢ نقلا عن كتاب إقرار الصحابة بفضل إمام الهدى تأليف محمد بن جعفر المشهدي الحائري. وهو أيضا في بحار الأنوار للمجلسي.

(2) عند السيد حميدان: طحال المقدادي.

(3) عند السيد حميدان: عبد الجبار بن عبد الله.

(4) كذا في الأصل، وفي المصدر السابق: سعد المعالي أبو الجوائز بن باري الكاتب.

بمشهد الإمام موسى بن جعفر عليه السلام بالنيل قال: أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن سعيد الوراق، عن أبي سعيد الميمون بن مصعب( ) المكي قال: كنا عند أبي العباس بن سابق( ) المكي، فحدثنا **بحديث٢ أهل الردة، وتذاكرنا أمر خَوْلة الحنفية ونكاح أمير المؤمنين علي عليه السلام لها،** فقال: أخبرني عبد الله بن الحسن النخعي( )، قال: عرفت أن ٣ محمد بن علي الباقر عليه السلام كان يوماً في مجلسه، إذ جاءه رجلان، فقالا له: يا أبا جعفر أليس زعمت أن جدك ما رضي بمن تقدمه؟ وهذه خولة نكحها وهي من سبيهم. فقال: من يأتيني بجابر بن عبد الله الأنصاري؟ فمضى من جاء به - وهو يومئذ محجوب لا يبصر بين يديه - فسلم عليه فأجابه، وحياه وقربه، وقال: يا جابر! أتدري ما أنا سائلك عنه؟ قال: لا. قال: إن عندي رجلين ذكرا أن أمير المؤمنين عليه السلام رضي بمن تقدم عليه، فأسألهما عن حجتهما في ذلك، فذكرا أمر خولة.

فبكى جابر حتى اخضلت لحيته وقال: والله لظننت أن أموت فأخرج من الدنيا ولا أسأل عن هذه، فأودّي ما شاهدته من الأمانة، أنا والله كنت بجنب أبي بكر وقد طلع سبي بني حنيفة من قبل خالد بن الوليد وفيهم خَوْلة،

---

(1) الأصل: «عن مصعب» وهو خطأ.

(2) في بحار الأنوار: سابور.

(3) عند المجلسي: عبد الله بن الخير الحسيني.

وكانت جارية مراهقة، فلما دخلت المسجد قالت: يا أيها الناس، ما فُعل بمحمد رسول الله؟ فقالوا: قبض. فقالت: بالله هل من بَنِيّة تفضل. قالوا: نعم هذا قبره. فنادت: السلام عليك يا أحمد، السلام عليك يا محمد رسول الله، إنا سُبِيْنا من بعدك وإنا نقول لا إله إلا الله محمد رسول الله. فوثب طلحة والزبير فطرحا ثوبيهما عليها فقالت: معاشر المسلمين، ما لكم تصونون حلائلكم وتهتكون حلائل المسلمين! فقالوا: لمخالفتهم حين يقولون نصلي ولا نزكي. فقال طلحة والزبير: إنا طرحنا ثيابنا عليك لنبالغ في ثمنك، فقالت: أقسم بالله ربي، وبمحمد نبيي، لا تملكا رقي[1] إلا بما رأت أمي في منامها وهي حامل، وما قالت لي عند ولادتها، وما العلامة التي بيني وبين أمي، وإلا بقرت بطني فيذهب مالي ونفسي، ويكون الله المطالب بحقي. فقالوا: يا جارية اذكري رؤياك حتى نذكر عبارتها، فقالت: الذي يريد أن يملك رقي هو الذي يقدر [أن يخبرني] بالرؤيا ويعبرها. فأخذا ثوبيهما عنها، وجلسا بإزائها يحجزان عنها.

فدخل أمير المؤمنين علي عليه السلام وهم في هرج، فقال: ما هذا الصوت في المسجد؟ فقالوا: امرأة من بني حنيفة حرّمت رقها على المسلمين وقالت: إلا[2] لمن يخبرني بالرؤيا التي أخبرتني أمي وهي حامل، وعباراتها بالعلامة التي بيني وبينها. فقال علي عليه السلام: ما دعت إلى باطل،

---

(1) عند السيد حميدان: لا يملك رقي إلا من يخبرني بما رأت أمي.

(2) عند السيد حميدان: إني لمن.

أخبروها تملكوها؛ فقالوا: من فينا يعلم الغيب، فقال أبو بكر: أخبرها يا علي أنت! فقال: إن أخبرتها ملكتها بلا اعتراض من أحد منكم على ما[1] فيها، قالوا: نعم. قال: يا جارية أخبرك! قالت: من أنت الذي تخبرني بما عجز عنه أصحابك؟ فقال: أنا علي بن أبي طالب. فقالت: لعلك الرجل الذي نصبك رسول الله ص صبيحة الجمعة بغدير خم علماً للناس؟ فقال: أنا ذلك. فقالت: إنا من أجلك غصبنا، ومن قبلك أوتينا، لأن رجالنا[2] قالوا: لا نسلم صدقات أموالنا ولا طاعة نفوسنا إلا إلى الذي نصبه محمد ص نبينا ونبيكم، فقال علي عليه السلام: إن أمركم ليس خاف على الله، وإنه لموفي كل نفس ما كسبت، ثم قال: يا حنيفية، حملت بك أمك في زمان قحط، وقد منعت السماء قطرها، والأرض نباتها، وغارت العيون، وبعدت على البهائم المراعي، وكانت تقول: إنك حمل مشؤوم في زمان غير مبارك، فلما كان بعد تسعة أشهر رأت في منامها كأنها قد وضعتك، وكأنها تقول لك: إنك ولد مشؤوم في زمان غير مبارك، وكأنك تقولين لها: لا تتشاءمين[3] بي فإني ولد مبارك، أنشأ منشأ حسناً، يملكني سيد، ويولد لي ولد يكون للحنفية[4] فخراً. فقالت: صدقتَ يا علي، أنّى لك هذا؟ قال: هو إخبار عن رسول الله ص. قالت: فما العلامة بيني وبين أمي؟ قال: إنها لما وضعتك كتبت كلامك

(١) عند السيد حميدان: منكم علي فيها.

(٢) عند السيد حميدان: ألا إن رجالنا.

(٣) عند السيد حميدان: لا تتشاءمي.

(٤) عند السيد حميدان: يكون لحنيفة فخرا.

ورؤياك في لوح من نحاس، وأودعته قائمة[1] الباب، فلما كان بعد عشرين سنة جمعت بينكِ وبين اللوح فقالت: يا بنية، إذا نزل بساحتكم من يسفك دماءكم، وينتهب أموالكم، ويسبي ذراريكم، وتُسبين فيمن يسبى، فخذي هذا اللوح معك واجتهدي أن لا يملكك إلا من يخبرك بالرؤيا وهذا اللوح. فقالت: صدقتَ، فأين اللوح؟ قال: في عقصتك[2]، فأخرجت اللوح من عقصتها بين الناس، وتملكها - يا أبا جعفر - دون غيره، لما ظهر من حجته، ونادى ببينته، ثم أنه عقد عليها عقد النكاح، ووطئها بالعقد لا بملك اليمين.

فولدت له محمداً وكناه أبا القاسم، فيقال: أنها رخصة من رسول الله ص وأنه قال لعلي عليه السلام: سيولد لك بعدي غلام وقد نحلته اسمي وكنيتي ولا يحل لأحد من أمتي بعد.

وكان محمد بن الحنفية كثير العلم والورع، وقد ذكره الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في طبقات الفقهاء، وكان شديد القوة، ومن قوته ما حكاه المبرد في «الكامل» أن أباه علياً رضي الله عنه استطال درعاً كانت له فقال: لينقص منها كذا وكذا حلقة، فقبض محمد بإحدى يديه على ذيلها، والأخرى على فضلها، ثم جذبها فقطع من الموضع الذي حده أبوه. وكان عبد الله بن الزبير يحسده على قوته، وكانت راية أبيه أمير المؤمنين يوم صفين بيده.

---

(1) عند المجلسي: عتبة الباب. وفي مجموع السيد حميدان: قمة الباب.

(2) عند المجلسي: عقيصتك. والعقيصة: الشعر المنسوج على الرأس عرضا.

وقيل لمحمد: [كيف] كان أبوك يقحمك المهالك، ويولجك المضايق دون أخويك الحسن والحسين، فقال: لأنهما كانا عيينه، وكنت يديه فكان يقي عينيه بيديه.

وكانت ولادة محمد بن الحنفية لسنتين بقيتا من خلافة عمر، وتوفي سنة إحدى وثمانين للهجرة، وقيل: سنة ثلاث وثمانين، وقيل: سنة اثنتين أو ثلاث وسبعين بالمدينة، وصلى عليه أبان بن عثمان بن عفان، وكان والي المدينة حينئذ، ودفن بالبقيع. وقيل: أنه خرج إلى الطائف هارباً من ابن الزبير أيام خلافته لما أبى أن يبايعه فمات هناك.

قلت: وقبره فيه مشهور مزور في القبة المعمورة على عبد الله بن العباس. وقيل: إنه مات ببلاد إيله. والفرقة الكيسانية تعتقد إمامته، وأنه حي مقيم بجبال رضوى، وإلى هذا أشار كُثَيِّر عزة بقوله من جملة أبيات وكان من أهل هذه المقالة:

ألا إن الأئمة من قريش ولاة الحق أربعة سواء
علي والثلاثة من بنيه هم الأسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط إيمان وبر وسبط غيبته كربلاء
وسبط لا يذوق الموت حتّى يقود الخيل يقدمها اللواء
يغيب فلا يُرى فيهم زماناً برضوى عنده عسلٌ وماء

وفي نسخة:

تراه مخيماً بجبال رضوى مقيماً عنده عسل وماء

وكان محمد بن الحنفية يخضب بالحناء والكتم، وكان يتختّم في اليسار، وله أخبار كثيرة مشهورة.

[نبذة من فضائل الشيعة]

وقولنا في الدامغة: «**فأبشروا شيعة الهادي بفوزكم**» البيت.

اعلم أن المراد بالشيعة: شيعة علي عليه السلام، وأنصاره، وأعوانه، وأهل محبته، وأتباع الأئمة من أولاده، ومن والاهم واعتقد حبهم فرضاً وديناً، وباع نفسه من الله بين أيديهم، وجاهد معهم في الله تعالى حق جهاده، وتابعهم في علمهم، وأخذ عنهم، وفيهم وردت الأحاديث عن النبي ص منها: ما تقدم في حديث طويل منه: «إنهم لو ضربوا على أعناقهم لم يزدادوا لكم إلا حباً».

وقوله ص: « يا علي نحن شجرة أنا أصلها وفاطمة فرعها، وأنت لقاحها، والحسن والحسين ثمرها، والشيعة ورقها، لو أن رجلاً صام حتى يكون كالوتر، وصلى حتى يكون كالحني، وكان في قلبه وزن ذرة من بغضك أكبَّه الله سبحانه وتعالى على وجهه في النار» وقد نظمه بعضهم( ) فقال:

يا حبذا شجراً في الخلد نابتة ما مثلها أبداً في الأرض من شجر

() نسبها في الحدائق ١/ ٢٥ إلى أبي يعقوب الطبراني.

المصطفى أصلها والفرع فاطمة   ثم اللقاح علي سيد البشر

والفاطميان سبطاها لها ثمر   والشيعةُ الوَرَق الملتف بالشجر

هذا مقال رسول الله جاء به   أهل الرواية في العالي من الخبر

إني بحبهمُ أرجو النجاة بهم   والفوز في زمرة من أفضل الزمر

وقولنا: « **خذوا الأحاديث في تفضيل سعيكم** » إشارة إلى أحاديث كثيرة يعرفونها، فمنها ما جاء في «السفينة» للحاكم رحمه الله تعالى: عن النبي ص: « إن في السماء لحرساً وهم الملائكة، وفي الأرض حراساً وهم شيعتك يا علي».

وعنه ص: «يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفاً بغير حساب» قال علي: من هم يا رسول الله؟ قال: «هم شيعتك وأنت إمامهم».

وعنه ص: « إنّ عن يمين العرش رجالاً وجوههم من نور عليهم ثياب من نور ما هم بنبيئين ولا شهداء، يغبطهم النبيئون والشهداء، فقلت: مَنْ هم؟ قال: أولئك أشياعنا وأنت إمامهم يا علي» ذكر ذلك كله في السفينة.

وعنه ص أنه قال: « يا علي إن شيعتنا يخرجون [من قبورهم] يوم القيامة - على ما بهم من العيوب والذنوب - ووجوههم كالقمر ليلة البدر، قد فُرِّجت عنهم الشدائد، وسهِّلت لهم الموارد، وأُعطوا الأمن والأمان، وارتفعت عنهم الأحزان، يخاف الناس ولا يخافون، ويحزن الناس ولا يحزنون».

قال الإمام المنصور بالله عليه السلام: والشيعة: هم من اعتقد فضل أهل البيت، وأخذ الدين عنهم بالأدلة، وأوجب على سائر الخلق متابعتهم.

قلت: وهم الفرقة الناجية إن شاء الله تعالى بجملتهم هم وأئمتهم، قال الإمام المعتضد بالله يحيى الداعي بن المُحَسّن عليه السلام:

فالفرقة الناجية الزيدية أكرم بها من فرقة رضية
حذت بحذو العترة الزكية سفينة الناجي من البرية
كما أتى في السنن المرضية
يؤم زيد وابنه في المذهب وكل ندبٍ من سلالات النبي
عذب السجيات كريم المنصب يروي العلوم من أبٍ إلى أب
إلى النبي الهاشمي المنتجب
أكان أهل البيت أصحاب الكسا أدرى بما في بيتهم قد دُرِسا
أم جارهم يوماً إذا تطيلسا وانتحل العلم وكان مبلسا
يا ليته كان أصماً أخرسا

وقال المنصور بالله عليه السلام عبد الله بن حمزة في أرجوزته المربوعة:

وكم لنا من ناصرٍ في الشيعه قد جعل الحب لنا ذريعه
إلى منازل الدرج الرفيعه يرى الفنا في حبنا صنيعه

ونقلت من خط الأمير جمال الدين علي بن أمير المؤمنين المعتضد بالله يحيى الداعي بن المُحَسِّن عليه السلام ما لفظه:

ومما قال رسول الله ص في خطبته: « يا أيها الناس، إني قد خلفت فيكم

الثقلين كتاب الله وعترتي وأرومتي، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض، ألا وإني أنتظرهما، ألا وإني سائلكم يوم القيامة في ذلك عند الحوض، ألا وإنه سيرد علي يوم القيامة ثلاث رايات من هذه الأمة: راية سوداء فتقف وأقول: من أنتم؟ فينسون ذكري ويقولون: نحن أهل التوحيد من العرب، فأقول: أنا محمد نبي العرب والعجم، فيقولون: نحن من أمتك، فأقول كيف خلفتموني في عترتي وكتاب ربي؟ فيقولون: أما الكتاب فضيعنا، وأما عترتك فعجزنا عن أن نبيدهم، فأُولي وجهي عنهم، فيصدرون عطاشاً قد اسّودت وجوههم. ثم ترد راية أخرى أشد سواداً من الأولى فأقول: من أنتم؟ فيقولون كالقول الأول: نحن من أهل التوحيد، فإذا ذكرت اسمي قالوا: نحن من أمتك فأقول: كيف خلفتموني في الثقلين كتاب ربي وعترتي؟ فيقولون: أما الكتاب فخالفنا، وأما العترة فخذلنا، ومزقناهم كل ممزق، فأقول لهم: إليكم عني، فيصدرون عطاشاً مسودة وجوههم. ثم ترد علي راية أخرى تلمع نوراً فأقول: من أنتم؟ فيقولون: نحن أهل كلمة التوحيد والتقوى، نحن أمة محمد، ونحن بقية أهل الحق، حملنا كتاب ربنا فأحللنا حلاله وحرمنا حرامه، وأحببنا ذرية محمد ص فنصرناهم من كل ما نصرنا به أنفسنا، وقاتلنا معهم، وقتلنا من ناوأهم، فأقول لهم: ابشروا فأنا نبيكم محمد، ولقد كنتم كما وصفتم، ثم أسقيهم من حوضي، فيصدرون رُوَاء».

قال الأمير رحمه الله تعالى: ومن نظر في هذا الخبر علم أن **الفرقة الأولى** الناصبية الضالة القاتلة للعترة، وأن **الفرقة الثانية** الرافضة التاركة للحق،

الخاذلة للعترة المبغضة لهم، وأن **الفرقة الثالثة** أهل الحق وأنصار الدين، وأتباع الأئمة الذين هم الزيدية. ويعرف من هذا الخبر قوله ص لأم أيمن: «يهلك فيه- يعني علياً عليه السلام – اثنان: محب غال، ومبغض قال»: فالأولى: الرافضة، والثانية: الناصبة[1] انتهى.

فالزيدية: هم أنصار الدين وحماة الحقائق. قال في «كاشفة الغمة» ومن المأثور: جنود السموات الملائكة وجنود الأرض الزيدية؛ وعن الصادق عليه السلام: لو نزلت راية حق من السماء ما ركزت إلا في الزيدية.

وعن بعضهم: سبرت علماء كل فرقة فما وجدت كعلماء الزيدية حتى قال: لو كان في الأرض ملائكة على صور الرجال ما ظننتها إلا علماء الزيدية.

---

(1) قوله: فالأولى الرافضة؛ كالخطابية يزعمون أن جعفر الصادق عليه السلام إله. والسبئية فرقة تزعم أن علياً إله، ومنهم من زعم أنه في السحاب وأن الرعد صوته، والبرق سوطه. ومنهم الكاملية أصحاب أبي كامل كفّروا الصحابة بتركهم بيعة علي عليه السلام، وكفروا علياً بتركه طلب حقه. ومنهم الغرابية زعم إمامهم غراب أن جبريل عليه السلام غلط في الرسالة وإنما كان مبعوثاً إلى علي عليه السلام، فهؤلاء هم الغلاة فيه عليه السلام لا من أحبه واتبعه وناصب أعداءه. وقد أشار من قال في مدح علي عليه السلام وذم من تقدمه بقوله: كم بين من شك في عدواته * وبين من قيل أنه الله. ونستغفر الله تعالى من حكاية شيء من الأقوال، فإنما أردنا الفرق بين أهل الحق والضلال. وقوله: والثاني الناصبة. قلت: ومن أكبر النواصب الخوارج والعثمانية الذين يفضلون عثمان على علي عليه السلام حتى قال شاعرهم: وقستم بعثمان عليا سفاهة * وعثمان أزكى من علي وأطيب. والنواصب أكثر الأمة فرقاً، ومنهم المجبرة والبكرية وغيرهما، وكل حزب بما لديهم فرحون، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون. (مؤلف).

فالزيدية هم: صفوة الشيعة، وبطانة أهل البيت الذين عناهم أبو جعفر الدوانيقي في وصيته لولده المهدي: يا بني إنه قد حضرني ما ترى، وقد بنيت لك هذه المدينة لم يبن في الشرك ولا في الإسلام مثلها- يعني بغداد- وقد جمعت لك من الأموال والأجناد ما لم يجمعه خليفة قبلي، وإني مخلفك في هذه الأمة؛ وهي خمس فرق: فرقة تعرف بالمرجئة، وهم أصحاب قضاء وشهادات، فارضخ لهم من دنياك، فليس عليك منهم مضرة. ومنهم فرقة تعرف بالمعتزلة، فإن اشتغلوا بالكلام والجدال فخلهم، وليس عليك منهم مضرة. ومنهم فرقة تعرف بالخوارج، ولهم مذهب ينفر منه جميع الأمة، فلا تهتم بهم. ومنهم فرقة تعرف بالإمامية، وينتظرون إماماً معه المعجز يتكلم السيف في يده، وذلك لا يكون. والفرقة الخامسة تعرف بالزيدية، يرون القيام مع كل من قام من الفاطميين، ويعتقدون ذلك ديناً وفرضاً عليهم، فلا يزال شغلك وهمك إلا هم، فليس آفة دولتك إلا منهم، فأنفق مالك وأجنادك في أمرهم.

وقال ابن ابنه هارون الرشيد: مالي عدو سوى الزيدية الذي كلما قام قائم من الفاطميين أخذ الواحد منهم سيفه، وكفنه وحنوطه، وتقدم يقاتل بين يديه حتى يقتل انتهى.

[رسالة الخوارزمي في تصبير شيعة طبرستان على البلاء والمحن]

وقد نال الشيعة ما نال أئمتهم من القتل والتشريد والخوف والتطريد بين

أيديهم سلام الله عليهم، قال أبو بكر الخوارزمي( ) رحمه الله تعالى في رسالة كتبها إلى أهل طبرستان، يكفي الناظر فيها والمطلع عليها معرفة ما جرى على الأئمة من بغاة الأمة، وعلى شيعتهم الأخيار من جميع الأشرار.

فقال رضي الله عنه: سمعتُ - أرشد الله سعيكم، وجمعَ على التّقوى أمركم - ما نكبكم به السلطان، الذي لا يتحامل إلا على أهل العدل، ولا يميلُ إلا على جانب الفضل، ولا يبالي إن مزّق دينه إن أرفا( ) بدنياه، ولا يفكر إن عَدِم( ) رضا الله إذا وجد رضّاه.

وأنتم ونحن - أصلحنا الله وإياكم - عصابةٌ لم يرض الله لنا بالدنيا، فادّخر لنا الأخرى، ورغِب بنا عن ثواب العاجل، فأعدّ لنا ثواب الآجل، وقسّمنا قسمين: قسماً مات شهيداً، وقسماً عاش سعيداً؛ فالحي يحسد الميت على ما صار إليه، ولا يرغب بنفسه عما جرى عليه، قال أمير المؤمنين عليه السلام: المِحن إلى شيعتنا أسرع من الماء إلى منحدره. وهذه مقالة أُسست على المِحن، وولَد أهلُها في طالع الهزاهز والفِتن، حياةُ أهلها كلها نغص، وقلوبهم كلها غصص، والأيام عليهم متحاملة، والدنيا عنهم مائلة، فإذا كنّا شيعة أئمتنا

(١) أبو بكر الخوارزمي هو: محمد بن العباس الخوارزمي: من أئمة الكتّاب وأحد الشعراء العلماء، وهو صاحب الرسائل المعروفة برسائل الخوارزمي، استوطن نيسابور واتصل بالصاحب بن عباد وتوفي بها سنة ٣٨٣هـ. راجع الأعلام ٦/ ١٨٣.

(٢) في الأصل: «أزرى».

(٣) في الأصل: «أعدم» وما أثبت تصويب.

عليهم السلام في الفرائض والسنن، فينبغي أن نتبع آثارهم في كل قبيح[١] وحسن.

غُصِبت فاطمة ميراث أبيها يوم السقيفة، وأُخّر أمير المؤمنين عن الخلافة، وسُمَّ الحسن سِراً، وقُتل الحسين جهراً، وصُلب زيد بن علي بالكناسة، وقُطع رأس يحيى ابن زيد في المعركة، وخُنِق عبد الله بن الحسن في حبس الدوانيقي، وقُتل ابناه محمد وإبراهيم على يد موسى بن عيسى العباسي، ومات موسى[٢] بن جعفر شهيداً في لسجن هارون، وسُمَّ علي بن موسى الرضا بيد المأمون، وهُزم إدريس بفخٍّ حتى وقع إلى الأندلس[٣] فريداً، ومات عيسى بن زيد في بلد الهند طريداً شريداً[٤]، وقُتل يحيى ابن عبد الله بعد الأمان والأيمان، وبعد تأكيد العهود والضمان. هذا غير ما فَعل يعقوب بن الليث بعلوية طبرستان، وغير قتل محمد بن زيد والحسن بن القاسم الداعي على يدي آل ساسان[٥]، وغير ما صنعه أبوْ الساج بعلوية المدينة، حملهم بلا غطاء ولا وطاء من الحجاز إلى سامراء[٦]، وهذا بعد قتل

(١) في بعض نسخ الرسالة: في كل أمر حسن.

(٢) في الأصل: «عيسى» وهو سبق قلم من المؤلف.

(٣) صوابه: إلى المغرب.

(٤) ذكر في شمس العلوم أن عيسى بن زيد مات بالكوفة مختفياً. قلت: وهو الصحيح كما سيأتي، وأما المنصور عبد الله بن حمزة فحذا حذو الخوارزمي في ذلك، وهو وهم. (مؤلف).

(٥) في مآثر الأبرار: آل سامان.

(٦) في الأصل: «سامران» والصواب ما أثبتناه.

قتيبة بن مسلم الباهلي لابن عمر بن علي[1] حين أخذه بأموية[2] وقد ستر نفسه، ووارى شخصه، ولا كما فعله الحسن بن إسماعيل المصعبي[3] في يحيى بن عمر الزيدي خاصة، وما فعله مزاحم[4] ابن خاقان بعلوية الكوفة. وحسبكم أنه ليس في بيضة الإسلام بلدة إلا وفيها لقتيل طالبي تربة، تشارك في قتلهم الأموي والعباسي، وأطبق عليهم العدناني والقحطاني، قال الشاعر:

فليس حيٌّ من الأحياءِ نعرفه   من ذي يَمانٍ ولا بكرٍ ولا مُضَرِ

إلا وَهُم شركاء في دمائِهُمُ   كما تشارك أَيْسارٌ على جُزُر

قادتهم الحميّة إلى المنية، وكرِهوا عيشَ الذّلة، فماتوا موت العزة، ووثقوا بما لهم[5] في الدار الباقية، فسخَت نفوسهم عن هذه الفانية.

ثم لم يشربوا كأساً من الموت إلا شربه شيعتهم وأولياؤهم، ولا قاسوا ألواناً

---

(1) في الأصل: «لابن عمر علي». وفي الدرة اليتيمة: عمر بن علي.

(2) في الأصل: «بامونه» بدون إنقاط النون فليحقق.

(3) الحسين بن إسماعيل المصعبي: أحد قواد بني العباس، وهو ابن عم محمد بن عبد الله بن طاهر الذي أرسله لقتال الإمام يحيى بن عمر.

(4) في الأصل: «أحمد بن خاقان» وهو خطأ صوابه ما أثبتناه وهو: مزاحم بن خاقان بن عرطوج، أو أرطوج: قائد تركي الأصل، من ولاة العباسيين، وكان شديداً صلباً، توفي بمصر سنة ٢٥٤ قال في الكامل لابن الأثير ٥/ ٣٣: وفي سنة ٢٥١هـ ظهر بالكوفة رجل من الطالبيين اسمه الحسين بن أحمد بن حمزة، فوجه إليه المستعين مزاحم بن خاقان، وكان العلوي بسواد الكوفة في جماعة من بني أسد ومن الزيدية، فسار مزاحم إلى الكوفة، وقتل كثيراً من العلويين.

(5) في الأصل: «بقوا ايمانهم».

من الشدائد إلا قاساه أنصارهم وأتباعهم: داس عثمان بن عفان بطنَ عمار بن ياسر بالمدينة، ونفَى أبا ذر الغفاري إلى الرَّبَذة، وأشخصَ عمار بن عبد قيس التميمي، وغرّبَ الأشتر النخعي وعدي بن حاتم الطائي، وسيّر عمرو بن زرارة إلى الشام، ونفى كميل بن زياد من العراق، وجفى أُبَيّ بن كعب وأقصاه، وعادى محمد بن أبي حذيفة وناواه، وعمل في ذم محمد بن أبي بكر فأعمل، وفعل مع كعب ذي الحكنة ما فعل.

واتّبعه في سيرته بنو أمية يقتلون من حاربهم، ويغدرون بمن سالمهم، لا يحفظون المهاجري، ولا يصونون الأنصاري، ولا يخافون الله، ولا يخشون الناس، قد اتخذوا عباد الله خولاً، ومال الله دولا، يهدمون الكعبة، ويستعبدون[1] الصحابة، ويعطِّلون الصلاة المؤقتة، ويسيرون في حرم المسلمين بسيرتهم في حرم الكفار، وإذا فسق الأموي فلم يأت بالضلالة عن كلالة؛ حتى قتل معاوية: حجر بن عدي الكندي، وعمرو بن الحمق الخزاعي بعد الأيمان المؤكدة، والمواثيق المغلظة، وحتّى قتلَ زياد بن سُميّة الألوف من شيعة البصرة والكوفة صبراً، وأوسعهم حبساً وأسراً، حتّى قتل الله معاوية على سوء أعماله، وختم عمره بشر أحواله، فاتّبعه ابنُه يُجْهز على جراحائه، ويقتل أبناء قتلائه، إلى أن قتل هانئ بن عروة المرادي، ومسلم بن عقيل الهاشمي أولاً، وعقَّب بالحر بن يزيد الرياحي، وبأبي موسى، وبعمر بن

---

(1) كذا، ولعل الصواب: ويستبعدون.

قرظة الأنصاري، وحرب بن مظهر الأسدي، وعبد الله بن عمير الكلبي، ومسلم بن عوسجة الأسدي، وسعيد بن عبد الله الحنفي، ونافع بن هلال البجلي[1]، وحنظلة بن أسعد الشاكري، وعاشر بن أبي شبيب الشاكري في نيف وعشرين من جماعة شيعته، وأُمِر بالحسين عليه السلام يوم كربلاء، ثم سلط عليهم الدعي بن الدعي عبيد الله بن زياد، فصلبهم على جذوع النخل، وقتلهم ألوان القتل، حتى اجتث الله دابره.

فانتبه لنصرة أهل البيت طائفة أراد الله أن يخرجهم من عِهْدة ما صنعوا، ويغسل عنهم وَضَر ما اجترحوا؛ فصمدوا ضد الفئة الباغية، وطلبوا بدم الشهيد الدَّعي بن الزانية، لا يزيدهم قلة عددهم وانقطاع مددهم، وكثرة سواد أهل الشام بإزائهم إلا إقداماً على القتل والقتال، وسخاءً بالنفوس والأموال، حتى قُتل سليمان بن صرد الخزاعي، والمسيب بن نجية الفزاري، وعبد الله بن كامل التميمي، في رجال من خيار المؤمنين، وعليّة التابعين، ومصابيح الأنام، وفرسان الإسلام.

ثم سُلِط آل الزبير على الحجاز والعراق، فقتلوا المختار بعد أن شفى غيظ آل محمد، واقتضى لهم الأوتار، وأدرك الثأر، وأقذى الأشرار، وطلب بدم المظلوم الغريب، فقتل قاتله، ونفى خاذله، واتبعوا أبا عمرة[2] بن كيسان،

(1) في الأصل: «الحملي» وهو خطأ.

(2) في الأصل: «أبا عمرو».

وأحمر[1] بن سميط، ورفاعة بن يزيد، والسائب بن مالك، وعبد الله بن كامل، وتلقط[2] بقايا الشيعة، يمثلون بهم كل مُثْلة، ويقتلونهم شَرَّ قِتْلة، حتّى طهر الله من عبد الله بن الزبير البلاد، وأراح من أخيه مصعب العباد، فقتلهما عبد الملك بن مروان **﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾** [الأنعام:١٢٩] بعدما حبس ابن الزبير محمد بن الحنفية وأراد إحراقه، ونفى عبد الله بن العباس وأَكْثَر إزهاقه.

فلما خلت البلاد لآل مروان سلطوا الحجّاج على الحجازيين، ثم على العراقين، فتلعب بالهاشميين، وأخاف الفاطميين، وقتلَ شيعة علي عليه السلام، ومحى آثار أهل بيت النبي ص، وجرى منه ما جرى على كميل بن زياد النخعي، واتصل البلاء مدة ملك المروانية إلى أيام العباسية، حتّى أراد الله أن يختم مدتهم بأكثر آثامهم، ويجعل عظيم ذنوبهم في آخر أيامهم، فبعث على بقية الحق المهمل، والدين المعطل زيد بن علي عليه السلام؛ فخذله منافقو أهل العراق، وقتله أحزاب أهل الشام، وقُتِل معه من شيعته نصر بن خزيمة الأسدي، ومعاوية بن إسحاق الأنصاري، وجماعة ممن شايعه وبايعه، حتّى من زوَّجَه وآواه، وحتّى من كلمه وماشاه.

فلما انتهكوا ذلك الحريم، واقترفوا ذلك الإثم العظيم، غضب الله عليهم،

---

(1) في الأصل: «أحمد» وهو تحريف.

(2) كتب المؤلف أعلى الكلمة: وتلقطوا (ظ).

وانتزع الملك منهم، فبعث عليهم أبا مجرم لا أبا مسلم، فنظر - لا نظر الله إليه - إلى صلابة العلوية، وإلى لين العباسية، فترك هداه، واتبع هواه، وباع آخرته بدنياه، وبايع لمحابية بني العباس، وسلّطهم على الناس؛ فافتتح أعماله لهم بقتل عبد الله بن معاوية بن عبد الله[1] بن جعفر بن أبي طالب، وسلط طواغية خراسان، وخوارج سجستان، وأكراد أصبهان على آل أبي طالب، فداوموا قتلهم في كل سهل وجبل، حتّى سلط عليه أحبَّ الناس إليه، فقتله كما قتل الناس في طاعته، وأخذه بما أخذ به الناس في بيعته، وما نفعه أن أسخط الله برضاه، وارتكب ما لا يهواه في هواه. وخلت للدوانيقي الدنيا، يخبط فيها عسفاً، ويقضي جوراً وحيفاً، إلى أن مات وقد امتلأت سجونه، بعد إتلاف من أتلف من بيت النبوة، ومعدن الطيب والطهارة، وقد تتبع غائبهم، وتلقط حاضرهم، حتى قتل عبد الله بن محمد بن عبد الله[2] وقد لحق بالسند علىٰ يدي هشام ابن عمرو التغلبي، وما ظنك بمن قرب متناوله عليه، ولان مسه على يديه. وهذا قليل في جنب ما فعله هارون بهم، وركبه موسى[3] بمن قتله منهم، فقد عرفتم بما توجه على الحسين بن علي [الفخي] من موسى بن عيسى العباسي، وما اتفق على ابن الأفطس الحسني من هارون، وما جرى على أحمد بن عيسى الزيدي، وعلى

---

(1) في الأصل: «عبد الله بن عبيد الله» والتصويب عن المآثر.

(2) هو الملقب بالأشتر انظر عنه مقاتل الطالبيين٣١٠-٣١٤.

(3) هو موسى بن محمد الملقب بالهادي العباسي.

١

القاسم بن علي من حبسه، وعلى أبي غسان حاضر الخزاعي، حتى( ) أُخِذَ مِن قَتْلِه.

وعلى الجملة إن هارون مات وقد حصد شجرة النبوة، واقتلع غرس الإمامة، ولستم - أصلحكم الله - أعظم نصيباً في الدين من الأعمش وقد سموه( )، ومن شريك وقد غرّبوه، ومن هشام بن الحكم وقد أخافوه، ومن الحكم بن عتيبة( ) وقد أخرجوه، ومن القضل بن سهل وقد اغتالوه، ومن علي بن يقطين وقد اتهموه. وأما في الصدر الأول فقد قُتل زيد بن صوحان العبدي، وعون بن عثمان بن حبيب الأنصاري، وجُفي حارثة بن قدامة السعدي، وضُرب زهير الأزدي( )، وشريح بن هانئ٤الحارثي، ومالك بن كعب الأرحبي، ومعقل بن قيس( ) الرياحي، والحارث٥الأعور الهمداني، وأبو الطفيل الكناني، وما منهم إلا من خر في معركته قتيلاً، أو عاش في أهل بيته ذليلاً، يسمع لعن الوصي فلا ينكر، ويرى قتلة الأئمة وأولادهم فلا يُغيّر. ولا يخفى عليكم جرح عامتهم وحشويتهم( ) لجابر الجعفي، ولرشيد الهجري، ولزرارة بن أعين، ولفلان، ولأبي فلان، ليس إلا لأنهم رحمهم الله كانوا

---

(١) في الأصل: «حين».

(٢) المآثر: شتموه.

(٣) في الأصل: «الحكم بن عيينة» وهو تصحيف.

(٤) في الأصل: «الأسدي» والصواب ما أثبت.

(٥) في الأصل: «سعيد» وهو تحريف.

(٦) في الأصل: «وخشونتهم».

يتولون أولياء الله، ويتبرأون من أعداء الله، وكفاك به جرماً عظيماً عندهم، وعيباً كبيراً بينهم.

وقُلْ في بني العباس فإنك ستجد بحمد الله مقالاً، وجُلْ في عجائبهم فإنك ترى ما شئت مجالاً، يجبى فَيُّهم فيفَرّق على الديلمي والتركي، ويحمل إلى الفرغاني[1] والمغربي، ويموت إمام من أئمة الهدى، وسيد من سادات أهل بيت المصطفى، فلا تتبع جنازته، ولا يُحضر[2] مقبرته، ويموت ضراط لهم أو لعاب، أو مسخرة أو ضرّاب، فتحضر جنازته العدول والقضاة، ويعمر مسجد التعزية عنده القواد والولاة، ويسلم عليهم[3] من يعرفونه دهرياً أو سفسطائياً، ولا يتعرضون لمن يدرس كتاباً فلسفياً أو مانوياً، ويقتلون من عرفوه شيعياً، ويسفكون دم من سمّى ابنه علياً.

ولو لم يقتل من شيعة أهل البيت غير المعلى بن حنين، قتله داود بن علي ، ولو لم يحبس منهم غير أبي تراب المروزي لكان ذلك جرحاً لا يبرى، وثائرة لا تطفى، وصدعاً لا يلتئم، وقرحاً لا يلتحم.

وكفاكم أن شعراء قيس قالوا في الجاهلية أشعاراً يهجون بها المؤمنين، ويعارضون فيها شعراء المسلمين، فحُملت أشعارهم، ورويت أخبارهم، رواها الرواة مثل الواقدي، ووهب بن منبه اليماني، وابن الكلبي، والشرقي

---

(1) في الأصل: «الفرغلي» وسيأتي قريبا للمؤلف: الفرغاني.

(2) في المآثر: ولا يجصص مقبرته.

(3) في بعض نسخ الرسالة: ويسلم منهم.

القطامي، والهيثم بن عدي، وابن دأب الكناني، وإن بعض شعراء الشيعة يتكلم في بعض مناقب الوصي، بل في معجزات النبي فيقطع لسانه، ويمزق ديوانه، كما فُعِل بعبد الله ابن عمار البرقي، وكما أريد بالكميت بن زيد الأسدي، وكما نبش قبر منصور بن الزبرقان النمري، وكما أريد من دُعْبل بن علي الخزاعي، مع رفعهم من مروان بن أبي حفصة الأموي، وعلي بن الجهم الشامي، ليس إلا لغلوهما في النصب، واستحسانهما موت الدين( )، حتى أن هارون [بنْ الخيزران] ( ) والمتوكل ٢ على الشيطان لا على الرحمن، كانا لا يعطيان مالاً، ولا يبذلان نوالاً إلا لمن شتم آل أبي طالب، ونصر مذهب النواصب، مثل عبد الله بن مصعب الزبيري، ووهب بن وهب البختري، ومن الشعراء مثل مروان بن أبي حفصة الأموي، ومن الأدباء مثل عبد الملك بن قريب الأصمعي. فأما في أيام جعفر( ) فمثل بكار بن عبد الله الزبيري، وأبي السمط بن أبي الجنوب الأموي، وابن أبي الشوارب العبشمي.

ونحن - أرشدكم الله - قد تمسكنا بالعروة الوثقى، وآثرنا الدين على الدنيا،

---

(١) في بعض نسخ الرسالة: مقت الرب، وهو الأنسب للسياق.

(٢) إضافة من نسخ الرسالة، والخيزان هي أمه.

(٣) المقصود بجعفر المتوكل العباسي.

فلن يزيدنا بصيرةً زيادة من زاد فينا، ولم يخل بنا عقيدة نقصان من نقص منا، فإنّ الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريبا، كلمة من الله، ووصية من رسوله، والعاقبة للمتقين، والأرض لله يورثها من يشاء من عباده الصالحين. ومع اليوم غد، ومع السبت أحد؛ و [قد] قال عمار بن ياسر يوم صفين: لو ضربونا حتى نبلغ سعفات هَجَر[1]، لعلمنا أنا على الحق وهم على الباطل. ولقد هُزِم عسكر رسول الله ص ثم هَزَم، ولقد تأخر الإسلام ثم تقدم: ﴿ **الم، أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ**﴾ [العنكبوت:٢] ولولا محنة المؤمنين وقلتهم، ودولة الكافرين وكثرتهم، لما امتلأت جهنم حتى تقول هل من مزيد، ولما قال الله: ﴿ **وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾ ولما تبيّن الجزوع من الصبور، ولا عرف الشكور من الكفور، ولما استحق المطيع الأجر، ولا احتقب العاصي الوزر. فإن أصابتنا نكبة فذلك ما قد تعودناه، وإن رجعت إلينا دولة فذلك ما قد انتظرناه، وعندنا لكل حالة آلة، ولكل مقام مقالة، فعند المحن الصبر، وعند النعم الشكر ، ولقد شُتم أمير المؤمنين على المنابر ألف شهر فما شككنا في وصيته، وكُذِّب بمحمد ص بضع عشرة سنة فما اتهمنا في نبوته، وعاش إبليس لعنه الله تعالى مدة تزيد على المدد مطيعاً فلم نرتب في لعنته، وابتلينا بفترة الحق ونحن مستقيمون بدولته، ودُفعنا إلى قتل الإمام بعد الإمام، والوصي بعد الوصي، فلا مرية عندنا في صحة إمامته ﴿ **وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا**﴾ [الأحزاب:٣٨] ﴿ **كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ، ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ**﴾ [التكاثر: ٣-٤] ﴿ **وَسَيَعْلَمُ**

---

(1) هجر بفتحتين: موضع في نجران.

الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء:٢٢٧].

واعلموا - رحمكم الله - أن بني أمية الشجرة الملعونة في القرآن، وأتباع الطاغوت والشيطان، جهدوا في دفن محاسن الوصي، واستأجروا من كذب في الأحاديث على النبي ص، وحوّلوا الجوار إلى بيت المقدس عن المدينة، والخلافة إلى دمشق عن الكوفة، وبذلوا في طمس الآثار الأموال، وقلدوا عليه الأعمال، واصطنعوا فيه الرجال، فما قدروا على دفن حديث من أحاديث النبي ص، ولا تحريف آية من كتاب الله تعالى، ولا على دس أحد من أعداء الله في أولياء الله؛ ولقد كان ينادى على رؤوسهم بفضائل العترة، ويكاتب بعضهم بعضاً بالدليل والحجة، لا ينفع في ذلك هيبة، ولا يمنع منه رغبة ولا رهبة، فالحق عزيز وإن استُذِل أهله، وكثير وإن قلّ حزبه، والباطل ذليل وإن رُصِّع بالشبهة، وقبيح وإن غطي وجهه بالحيلة، قال عبد الرحمن بن الحكم وهو من أنفس بني أمية:

سُمَيّة أمسى نَسْلُها عدَدَ الحصى   وبنتُ رسول الله ليس لها نَسْلُ

وقال كثير السهمي[1] وهو في مكة في ولاية بني أمية:

---

(1) هو كثير بن كثير بن المطلب بن أبي وادعة السهمي. قال المرزباني: ويقال إنه قالها لما كتب هشام بن عبد الملك إلى عاملة بالمدينة أن يأخذ الناس بسب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وبعد هذا البيت:

أيسب المطيبون جدودا والكريمي الأخوال والأعمام

يأمن الظبي والحمام ولا يأ من آل الرسول عند المقام

لَعن الله من يَسُبُّ علياً وحسيناً من سُوْقةٍ وإمامِ

وقال أبو دهبل( ) الجمحي في حمة سلطان بني مروان، وولاية آل أبي سفيان:

تبيتُ السكارى من أَمَيَّة نُوَّماً وبِالطفّ قتلى ما ينامُ حميمُها

وقال سليمان بن قتّه:

وإنّ قتيلَ الطف من آل هاشمٍ أذلَّ رقابَ المسلمين فَذَلّتِ

وقال الكميت وهو جار خالد بن عبد الله القسري بالعراق، وسيف خالد يقطر دماً من دماء الشيعة:

فقُلْ لبني أميَّةَ حيث كانوا وإن خِفْت المهنّدَ والقطِيعَا

أجاعَ الله من أشبَعتُموه وأَشبعَ من بجوركُمُ أَجيعا

وما هذا بأعجب من صياح شعراء بني العباس على رؤوسهم بالحق وإن

طبت بيتاً وطاب أهلك أهلا أهل بيت النبي والإسلام

رحمة الله والسلام عليكم كلما قام قائم بسلام

راجع البيان والتبين ٥٥١، الأمالي الخميسية ٢٩٩/١، معجم الشعراء للمرزباني.

(٢) في الأصل: «أبو الهذيل» وهو تحريف صوابه ما أثبتناه وهو أبو دهبل وهب بن زمعة من شعراء قريش، ينتهي نسبه إلى جمح بن لؤي بن غالب توفي ٦٣هـ، والبيت المذكور في ديوانه. وبعده قوله:

وما أفسد الإسلام إلا قبيلة تأمر نوكاها ودام نعيمها

فصارت قناة الدين في كف ظالم إذا اعوج منها جانب لا نقيمها

كرهوا، وبتفضيل من ينتقصوه وقتلوه، قال منصور بن الزبرقان النمري وهو على بساط هارون:

آلُ النبي ومَنْ يُحِبُّهُم يتطامنون مخافة القتلِ
أمِنَ النصارى واليهودُ وهم من أمة التوحيد في أَزْلِ(١)

وقال دعبل بن علي الخزاعي وهو من شيعة بني العباس وشاعرهم:

ألم ترَ أني مُذْ ثلاثون حِجّة أروحُ وأغدو دائم الحسراتِ
أرى فيئهُم في غيرهم مُتَقَسّماً وأيديُهم من فيئهم صِفَراتِ

وقال علي بن العباس الرومي وهو مولى المعتصم:

بآيةِ أن لا يبرح المرءُ منكُمُ يُتَلُّ على حُرِّ الجبين فيُعفَجُ
لذاك بني العباس يصبر مثلكُمُ ويصبر للموت الكميُّ المدجَّجُ
أكُلُّ أوانٍ للنبي محمدٍ قتيلٌ زكيٌ بالدماء مُضَرَّجُ

وقال إبراهيم بن العباس الصولي وهو كاتب القوم وعاملهم في الرضا(٢) لما قربه المأمون:

يمنٌّ عليكم بأموالِكُم وتُعطَون من مائةٍ واحدا

وكيف لا ينتقص قوم يقتلون بني عمهم جوعاً وسغباً، ويملؤون ديار

---

(١) في الأصل: «الأزل» وما أثبت بمعنى الضر والشدة.

(٢) يقصد الإمام علي بن موسى الرضا.

الترك والديالم فضة وذهباً، يقربون المغربي والفرغاني، ويخيفون المهاجري والأنصاري، ويولون أنباط السواد وزارتهم، [وقلف العجم] ( ) والطماطمة قيادتهم، ويمنعون آل أبي طالب ميراث أمهم، وفيء جدهم، يتمنى العلوي الأكلة فيحرمها، ويقترح على الأيام الشهوة فلا يطعمها، وخراج مصر والأهواز، وصدقات الحرمين والحجاز، تصرف إلى إبراهيم المدني، وإلى إبراهيم الموصلي، وإلى ابن جامع السهمي، وإلى زلزل الضارب، وبرصوم الزامر، وإقطاع ابن بختيشوعُ النصراني قوت أهل بلدٍ، وحادي جمال بغا التركي والأفشين الأشروسي كفاية أمةٍ ذات عدد، والمتوكل زعموا يتسرى باثنتي( ) عشرة ألف سرية، والسيد من سادات أهل البيت يتعفف بزنجية أو سندية، وصفوة مال الخراج مقصور على أرزاق الصفاعنة، وعلى موائد المخانثة، وعلى طعمة الكلابين، ورسوم القرادين، وعلى مخارق وعلوية، وعلى زرزر وعمر ابن مانة المهلبي، يبخلون على الفاطمي بأكلة أو شربة، ويضايقونه في دانق وحبة، ويشترون القَرَدة بالبُدَر، ويجرون لها ما يفي برزق عسكر، والقوم الذين أحل الله لهم الخمس، وحرم عليهم الصدقة، يتكففون ضراً، ويهلكون فقراً، يرهن أحدهم سيفه، ويبيع ثوبه، وينظر إلى فيّه بعين مريضة، ويتشدد على دهره بنفس ضعيفة، ليس له ذنب إلا أن جده النبي، وأباه الوصي، وأمه فاطمة، وجدته خديجة، ومذهبه الإيمان، وإمامه القرآن، وحقه مصروف إلى القهرمانة والمضراطة،

( ) ما بين الحاصرتين إضافة من مآثر الأبرار.

( ) في المآثر: والمتوكل زعموا أنه تسرى بإثني عشرة ألف سرية.

وخمسه مقسوم على نقار الديكة، وعلى نفقات الدببة والقردة، وعلى عرش اللعبة واللعبة.

وماذا أقول في قوم حملوا الوحش على النساء المسلمات، وأخروا العبادة، وخربوا تربة الحسين عليه السلام في ذلك المكان، ونفوا زائريه إلى البلدان، وما أصف من قوم هم نطف السكارى في أرحام القيان، وماذا يقال في أهل بيت منهم نبع البغاء، وفيهم راج التخنيث، وفيهم عُرِف اللواط، وكان إبراهيم المهدي مغنياً، وكان المتوكل مؤبناً، وكان المعتمد مخنثاً، وكان ابن زبيدة معتوهاً مفروكاً، وقتل المأمون أخاه، وقتل المنتصر[١] أباه، وسمَّ موسى بن المهدي أمه، وسم المعتضد عمه.

ولقد كانت في بني أمية مخازي تذكر، ومعائب تؤثر، كان معاوية قاتل الصحابة والتابعين، وأمه آكلة أكباد الشهداء الطاهرين، وابنه يزيد لعنه الله يزيد القرود ويزيد الفهود، وهادم الكعبة، ومنتهب المدينة، وقاتل العترة، وصاحب يوم الحرة، وكان مروان الوزغ بن الوزغة لعنه النبي ص وهو في صلبه، فلحقته لعنة ربه، وكان عبد الملك صاحب الخطيئة التي طبقت الأرض، وشملت الخلق، وهي تولية الحجّاج بن يوسف قاتل العباد، ومبيد الأبدال والأوتاد، ومخرب البلاد، وخبيث الأمة الذي جاءت به النذر، ووردت فيه الأثر، وكان الوليد من

(١) في مآثر الأبرار: المستنصر.

جبابرة بني أمية، وولّي الحجاج على المشرق، وقرة بن شريك على المغرب، وكان سليمان صاحب البطن الذي قتلته [كضة] [1]، ومات بشماً وتخمة. وكان يزيد [صاحب سلامة وحبابة] [2] الذي فتح الجهار بالخمر، وقصر أيام خلافته على العود والزمر، وأول من أغلى سعر المغنيات، وأعلن بالفاحشات. وماذا نقول فيمن أغرق فيه مروان من جانب، ويزيد بن معاوية من جانب، فهو ملعون بين ملعونين، وعريق في الكفر بين كافرين. وكان هشام قاتل زيد بن علي عليه السلام، وولي يوسف بن عمر الثقفي، وآسر يحيى بن زيد العلوي. وكان الوليد بن يزيد خليع بني مروان، الكافر بالرحمن، الممزق للقرآن، أول من قال الشعر في نفي الإيمان، وجاهر بالفسوق والعصيان، والذي غشي أمهات [أولاد] أبيه، وقذف بغشيان أخته. وهذه المثالب مع عظمها وكثرتها، ومع قبحها وشنعها، صغيرة وقليلة في جنب مثالب بني العباس، الذين بنوا مدينة الجبارين، وفرقوا في الملاهي والمعاصي أموال المسلمين.

فأئمتكم - رحمكم الله - الأئمة المهديون، الذين يقضون بالحق وبه يعدلون، بذلك يقوم خطيب جمعتهم، وبذلك تقوم صلاة جماعتهم. فإن كسد التشيع بخراسان، فقد نفق بالحجاز والحرمين، وبالشام والعراقين، والجزيرة والثغرين، وبالجيل والغورين، وإن تحامل علينا وزير وأمير، فإنا نتوكل

---

(١) إضافة من المآثر ونسخ الرسالة.

(٢) إضافة من المآثر.

على الأمير الذي
لا يعزل، وعلى القاضي الذي لا يزال ولم يزل، وعلى الحكم الذي لا يقبل رشوة، ولا يطلب سجلاً ولا شهادة، وإياه نحمد على طهارة المولد، وطيب المحتد، ونسأله أن لا يكلنا إلى أنفسنا، ولا يحاسبنا على مقتضى عملنا، وأن يعيذنا من رعونة الحشوية، ومن لجاج الحرورية، وشك الواقفية، وإرجاء الحنفية، وتخالف أقوال الشافعية، ومكابرة البكرية، وروايات الكيسانية، وحجد العثمانية، وتشبيه الحنبلية، وكذب الغلاة والخطابية، وأن لا يحشرنا على نصب أصبهاني، ولا على بغض لأهل البيت طوسي أو شاسي، ولا على إرجاء كوفي، ولا على تشبيه قمي، ولا على جهل شامي، ولا على تخيل بغدادي، ولا على قول أباضي مغربي، ولا عشق لأبي حنيفة بلخي، ولا على تناقض في القول حجازي، ولا على مروق سحرتي، ولا على غلو في التشيع كرخي. وأن يحشرنا في زمرة من أحببناه، ويرزقنا شفاعة من توليناه، إذا دعي كل أناس بإمامهم، وسار كل فريق تحت لوائهم، إنه سميع قريب، يسمع ويستجيب، وهو حسبنا ونعم الوكيل. انتهى كلام الخوارزمي رضي الله عنه.

[أخبار وأشعار متفرقة]

وقال في «كنز الأحبار في الأخبار» للسيد إدريس بن علي بن عبد الله الحمزي

رحمه الله تعالى: خطب عبد الملك بن مروان؛ فلما بلغ إلى العظة( ) قام إليه رجل من آل صوحان فقال: مهلاً مهلاً يا ابن مروان، تأمرون ولا تأتمرون، وتَنهون ولا تنتهون، وتَعظون ولا تتعظون؛ أفنقتدي بسيرتكم في أنفسكم، أم نطيع أمركم بألسنتكم؟ فإن قلتم: اقتدوا بسيرتنا، فأنّى وكيف، وما الحجة، وما النصر( ) من الله باقتداء سيرة الظلمة الفسقة الجورة الخونة الذين اتخذوا مال الله دولاً، وعباده خولاً؟ وإن قلتم: أقبلوا نصيحتنا، وأطيعوا أمرنا، فكيف ينصح لغيره من يغش نفسه؟ أم كيف تجب الطاعة لمن لم تثبت عند الله عدالته؟ وإن قلتم: خذوا الحكمة من حيث وجدتموها، واقبلوا العظة ممن سمعتموها، فعلام ولّيناكم أمرنا، وحكّمناكم في دمائنا وأموالنا. أما علمت أن فينا من هو أنطق منكم باللغات، وأفصح بالعظات، فتحلحلوا عنها، وأطلقوا عنانها( )، وخلّوا سبيلها، يبتدر٣ إليها آل رسول الله ص الذين شردتموهم في البلاد، ومزقتموهم في كلّ واد، بل ثبتت في أيديكم لإنقضاء( ) المدة، وبلوغ المهلة، وعظم المحنة؛ أن لكل قائم يوماً لا يخطوه، وكتاباً لا يعدوه ﴿ **لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا**﴾ [الكهف:٤٩] ﴿ **وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ**﴾ [الشعراء:٢٢٧] قال: ثم أملس الرجل( ) فطُلِب فلم يوجد.

---

(١) في جمهرة خطب العرب ٢/ ١٥٥: فلما بلغ الغلظة.

(٢) كذا في الأصل. وفي الجمهرة: وما المصير من الله أنقتدي. وفي البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي: وأين من النصر من الله في الإقتداء.

(٣) في المصدرين السابقين: عقالها.

(٤) في الأصل: «في انقضاء».

(٥) في الجمهرة: ثم ألتمس الرجل فلم يوجد.

انتهى من خط القاضي العلامة شمس الدين أحمد بن سعد الدين المسوري رحمه الله تعالى، وفي كتاب «عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب» وهو العمدة الصغرى ما لفظه:

وحكى الشيخ أبو الفرج الأصبهاني في كتاب «الأغاني الكبير»: أن إسحاق بن إبراهيم الموصلي المغني مات في شهر رمضان سنة خمس وثلاثين ومائتين، ونعي إلى المتوكل[1] فغمه وحزن عليه وقال: ذهب صدر من جمال الملك وبهائه وزينته، ثم نعي إليه بعده أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين عليهم السلام، فقال: تكافأت الحالتان، وقام الفتح بوفاة أحمد - وما كنت آمن من وثبته عليّ - مقام الفجيعة بإسحاق، فالحمد لله على ذلك. هذا كلامه، وأول ما طالعت هذه الحكاية في كتاب الأغاني كتبت على حاشية ذلك الكتاب بيتاً بدَهَني[2] في الحال وهو:

يرون فتحاً مصيبات الرسول ... تمون إن مات في الأقوام عوّاد
ه ىغـ

انتهى كلام صاحب العمدة.

قال القاضي العلامة شمس الدين أحمد بن سعد الدين المسوري رحمه الله تعالى: وقد تقرّبت إلى الله بإجازة هذا البيت فقلت:

---

(1) المتوكل هو: جعفر بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد، بويع عام ٢٣٢ واغتيل باغراء ابنه المنتصر في مدينة سامراء عام ٢٤٧هـ.

(2) أي جاءني على البديهة.

لأنهم لا يرون الدين غير هوًى وأنّهم لكتاب الله جحادُ
وإن همَّة أهل البيت شامخة إلى الهدى وأماني القوم إلحادُ
كم بين من شغله القرآن يدرسه وللورى منه تعليم وإرشادُ
وبين من بالملاهي كان مشتغلاً وسعيه في بلاد الله إفسادُ
شتّان كلّ له همٌّ يؤرقه وعنده فيه إغوار وإنجادُ

قلت: وقد أشرت في «الدامغة» إلى ما تدين به شيعتنا وأهل محبتنا حيث قلت فيها:

وكم لنا ناصر من شيعة صدقوا ما عاهدوا الله شيعي ومعتزلي

ودعوتُ لهم في قصيدتي التي ضمنتها البيت الذي ذكر لي بعض من أثق به أنه رآه مكتوباً في جدار مسجد النبي ص قبالة القبر الشريف، وهو:

ألم يرضك الرحمن في سورة لحاشاك أن ترضى وفينا معذّبُ

فقلت لما ذكر لي ذلك مخاطباً للنبي المصطفى صلى الله عليه وعلى آله الأصفياء الخلفاء:

ألا أيها الهادي إلى سبل الهدى ومن هو في يوم المعاد المقرّبُ
ومن ليس في يوم القيامة شافع سواه إذا الرحمن في الحشر
إذا جاءك النّصاب زُرْقاً عيونهم وأجسامهم فيها الجحيم تلهبُ
فسلْهم عن القرآن والآل إنهم أضاعوهما عمداً وللجبر نصبوا
وللذِّكر لم يرعوا وللآل شردوا وخلّوا وصاياك التي عنك تكتبُ
وسل بنتك الزهراء ماذا جرى لها أهل وَرّثُوها منك أم هم تعصبوا؟

وعنها زووا ما كنت أنحلتها ولم　　يبقّوا عليها وهي أولى وأقربُ

وكان لهم مندوحة لو جبوا لها　　جميع خراج الأرض طراً وقربّوا

وما هي إلا في النفوس ضغائن　　خبوها فلما غبت عنهم تعيّبوا

وصنوك ما قد نال منهم وغصبهم　　خلافته وهو الوصي المهذبُ

ففي كل قلب من فعالهم شجًى　　وفي كل جفن عبرة تتصببُ

وعن حسن السبط الشهيد وصنوه　　حسين الذي في حومة الحرب

فلا ترض عنهم واسأل الثأر منهم　　يجبك إله ما لهم عنه مهربُ

وسلهم عن النفس الزكية ما جرى　　عليها وعن فخٍّ ومن فيه غيبوا

وقد أمنت فيه الخلائق كلها　　وآل رسول الله فيه تضرّبُ

وعن زيد الداعي إلى الله سلهم　　وعن سبطه يحيى فللكل صلّبوا

وقمْ شافعاً للشيعة الغر إنهم　　مع الآل قد باعوا النفوس وغربوا

ولم يثنهم عن نصرة الآل ظالم　　ولا صدّهم عن نصرة الدين

ومذنبنا فاشفع له أنت جده　　فجاهك موفور وإن جاء مذنب

فقد قال من ظن الجميل مصدقاً　　بوعد الذي أعطاك ما أنت تطلبُ

«ألم يرضك الرحمن في سورة　　وحاشاك أن ترضى وفينا

وسيلتنا التوحيد والعدل والدعا　　إلى الله فاشفع تستجاب وتوهبُ

وقل حسن الداعي ووالده ومن　　ألم به مني وعندي يقرّبُ

عليك صلاة الله ثم سلامه　　مع الآل والأصحاب ما لاح

---

(١) نسخة: كذا الآل ما غنى على الأيك مطرب. (مؤلف).

واعلم أن جميع ما جرى على آل محمد عليهم السلام وشيعتهم سببُه تقدم أبي بكر على علي، وسطوته هو وصاحبه على حقهم، ودحضهم عن مقامهم، حتى لقد روينا أن زيد بن علي عليه السلام لما وقعت النّشابة في جبهته الكريمة قيل له: ممن يا أمير المؤمنين؟ فقال: من أبي بكر والله أعلم[1].

وقال الإمام الداعي عليه السلام: « أصل الخلاف كان في السقيفة » وقد مرّ ذلك. ويروى للصادق جعفر بن محمد الباقر عليهما السلام[2] ما لفظه:

يا سائلي مستخبرا[3] عن كل معضلة طريفه
إنّ الجوابَ لحاضرٌ لكنني أخفيه خِيْفه
فلأي شيء ألحدت في الليل فاطمة الشريفه
ولما حوي[4] شيخاكما عن وطىء حجرتها المنيفه
آهٍ لبنت محمد ماتت بغصتها لهيفه
وأريكمُ أن الحسيـ ـن أصيب في يوم السقيفه

---

(1) روى مثل ذلك بعض علماء الجيل والديلم من الزيدية.

(2) الأبيات بترتيب مخالف في نهاية التنويه في إزهاق التمويه ١٤٩، وفي بحار الأنوار للمجلسي ٤٣/ ١٩٠ ونسبها إلى القاضي أبي بكر بن أبي قريعة.

(3) أضفنا لفظة: مستخبرا، من نهاية التنويه.

(4) كذا في الأصل. وفي نهاية التنويه: ولما حوى شيخاكم. وفي بحار الأنوار: ولما حمت شيخيكم.

لا تكشفنّ[1] مغطياً فلربما فتشت جيفه
لولا اتقاء رعية خلاّ سياستها الخليفه
لنشرت من مكنون آ لِ محمَّدٍ جملاً ظريفه[2]
تغنيك عما قد روا ه مالك وأبو حنيفه

قلت: وإن لم يكن عن الصادق لما لا يخفى. على متعنتٍ أن يقول: أبو حنيفة ومالك من تلامذة جعفر الصادق، فكيف قال ما قال في آخر بيت؟ [قلت]: ما ذكره قائلُها حق لا يمتري فيه منصف، وإن لم يكن منه فمن غيره.

ولله القائل:

كُتمت أحقادُ بدرٍ وبدت يوم السقيفه
فلذا صار في القو مِ أبو بكر خليفه

والله حسبنا ونعم الوكيل، وقد انتهينا عن البسط فيما رمناه من شرح الأبيات المتقدمة، ونشر فضائل الإمام علي عليه السلام وشيعته، لأن ذلك لا يدخل تحت المقدور، إلا أنا قد أتينا بنبذٍ كافية، وعبارات شافية.

***

---

(1) في الأصل: «لا تفتحن».
(2) في الأصل: « علم محمد كمن صحيفه».

ثم نرجع إلى أبيات الدامغة فنقول:

ثم الإمام شبير السبط قدوتنا وشبّر والمثنى والإمام علي

اعلم أنا قد جمعنا في هذا البيت أربعة أئمة لا يقام بحقهم، ولا يحاط بقدرهم، لكنا نشير إلى شيء من فضائلهم، وما جرى عليهم ولهم في وفياتهم بقدر الإمكان.

[ذكر الإمام الحسن بن علي (ع)]

فشبير: اسم **الإمام السبط الحسن بن علي بن أبي طالب** عليهما السلام، وشبر: اسم صنوه الحسين عليه السلام، سمّاهما بذلك ربُّ العالمين.

فروى الأمير الكبير الخطير الشهير علي بن أمير المؤمنين الداعي إلى الله يحيى بن المُحَسِّن سلام الله عليهم ما لفظه - ونقلته من خطه عليه السلام - قال: لما ولد الحسن عليه السلام نزل جبريل عليه السلام إلى النبي ص فقال: سمّه باسم ابن هارون واسمه شبير، فقال ص: لساني عربي. قال: فسمّه الحسن، فسماه الحسن.

وفي الخبر: قال الله تعالى لجبريل: قد ولد لمحمد ولد فاهبط إليه، واقرئه السلام وهنئه وقل له: إن علياً منك بمنزلة هارون من موسى فسمِّه باسم ابن هارون..إلى آخره، قال: فلما ولد الحسين أوحى الله إلى جبريل أنه ولد لمحمد ولد، فاهبط إليه وهنئه وقل له: إن علياً منك بمنزلة هارون من

موسى، فسمّه باسم ابن هارون، فهبط جبريل فهنأه، فقال له: وما كان اسم ابن هارون؟ فقال: شبر فقال: لساني عربي، قال: فسمّه الحسين انتهى.

وفي « شرح الزحيف» ما لفظه: وروي أن فاطمة عليها السلام لما ولدت الحسن، قالت لعلي: سمِّه، قال علي عليه السلام: وكنت رجلاً أحب الحرب فأحببت أن أسميه حرباً، ثم قلت: ما كنت لأسبق رسول الله ص فأسميه، فجاء رسول الله ص فقلت له: سمِّه يا رسول الله، فقال: ما كنت لأسبق الله عز وجل، فأوحى الله إلى جبريل أنه ولد لمحمد ابن، فاهبط واقرئه السلام وهنئه، وقل له: إن علياً منك بمنزلة هارون من موسى، فسمِّه باسم ابن هارون، فهبط جبريل فهنأه عن الله تعالى، ثم قال: إن الله يأمرك أن تسميه باسم ابن هارون، فقال: وما كان اسمه؟ فقال: شبير، فقال: لساني عربي، قال: فسمِّه الحسن، فسماه الحسن، فلما ولد الحسين أوحى الله إلى جبريل أن قد ولد لمحمد ابن فاهبط وهنئه، وقل له: إن علياً منك بمنزلة هارون من موسى، فسمِّه باسم ابن هارون، فلما نزل وهنأه وبلغه الرسالة، قال: وما كان اسم ابن هارون؟ فقال: شبر، فقال: لساني عربي، قال: فسمِّه الحسين[1] انتهى.

قلت: وكان لفظ شبير وشبر بالعربية الحسن والحسين، لا يقال: لِمْ لم يمتثل ص ولم يراجع، فإنه أرفع وأجل من أن لا يمتثل أمر الله، ولذا لم يراجع جبريل ربه

---

(١) الحدائق ١/ ١٨٩، وبلفظ مقارب في أمالي أبي طالب ٩٠.

عز وعلا، بل أمره بما ذكر نقلاً للاسم عن العجمة إلى العربية والله أعلم.

وروي أن ذلك في التوراة فيما رواه الجالوت اليهودي ليزيد بن معاوية من كلام منه: فجعل يزيد بن معاوية لعنه الله ينكت ثنايا رأس الحسين وهو بين يديه بقضيبه، فقال الجالوت: والله إني لأرى طيراً ترمقه وترفرف بأجنحتها، ألا يكون نبي أو ابن بنت نبي، قال: بل خارجي خرج علينا، قال: فما اسمه قال: الحسين، قال: ابن من؟ قال: ابن فاطمة، قال: إنما يعرف الناس بآبائهم قال: ابن بنت محمد، قال: ألا يكون الذي بعث إليكم؟ قال: نعم، قال: فدعا ابن رأس() الجالوت بخادم له وقال: ائتني بالجزء الأعظم من التوراة، فانطلق الخادم فأتى به، فقرأ فيه حتى بلغ: آدم صفي الله، نوح خيرة الله، إبراهيم خليل الله، موسى كليم الله، عيسى روح الله، محمد حبيب الله، علي وصي رسول الله، شبير وشبر سبطا رسول الله، فصرخ اليهودي صرخة عظيمة حتى أفزع من حوله، فقال: ويلك يا يزيد بماذا أتيت، وعلى أي دين أنت، والله لو خلّف فينا موسى جرو كلب لحفظناه لحق نبينا، والله لقد أتيت بشيء ما أتى به أحد قبلك، إلى أن قال: يا يزيد بيني وبين داود عليه السلام ثمانية وعشرون جداً، واليهود يلتمسون أثري ويتبركون بي، وأنتم لم تبل عظام نبيكم في قبره إلا وقد قتلتم ولده، فأعِدوا للمسألة جواباً، فقال يزيد: اقتلوه، فقال: والله ما كنت لأبالي بعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن

() كذا الأصل.

محمداً رسول الله، ثم انكب على رأس الحسين يقبّله ويقول: أشهد لي عند جدك أني قتلت مظلوماً، فقتل رحمه الله تعالى. فإذا قد عرفت تسميتهما بذلك فلنرجع إلى ذكر شبير عليه السلام.

فلما ولد الحسن بن علي عليهما السلام جاء النبي ص فأذَّن في أذنه اليمنى، وأقام في أذنه اليسرى، ولبّاه بريقه فحنكه، وقال: اللهمَّ إني أعيذه بك وذريته من الشيطان الرجيم. وجاء علي عليه السلام فقال: ما سميتَه؟ قال: حرب يا رسول الله، فقال: هو حسن، ومن بعده حسين، وأنت أبو الحسن القرم. ثم جاءت به أمُّه تحمله بعد ذلك، فقالت: انحَلْ ابني، فقال ص: قد نحلتُه المهابة والحياء، ونحلتُ حسيناً الشجاعة والجود، وهما سيدا شباب أهل الجنة، ومن أحبهما فبحبي أحبهما، ومن أبغضهما فببغضي أبغضهما.

وولد الحسن للنصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة عام أُحُد بعد الوقعة، وعقَّ عنه رسول الله ص في اليوم السابع كبشاً، وحلقت رأسه أمُّه فاطمة وتصدقت بوزنه فضةً على المساكين.

مقدمة
في فضل الزهراء وولديها سبطي رسول الله ص

من خط الأمير علي بن الداعي يحيى بن المُحَسِّن سلام الله عليهما ما لفظه:

ذكر الناصر[1] في كتابه « فضائل فاطمة» عليها السلام عن النبي ص قال: كان النبي ص جالساً مع عائشة فدخلت فاطمة، فعانقها النبي ص وقبلها، وشم شفتيها، فقالت عائشة: ما أكثر ما تقبل فاطمة! قال: يا حُمَيْراء أتدرين لماذا أقبلها؟ قالت: لا، قال: إنه لما أسرى بي جبريل إلى السماء وأدخلني الجنة، فرأيت على بابها شجرة يقال لها: طوبى، حملها أصغر من الرمان، وأكبر من التفاح، وأحلى من العسل، وأبيض من اللبن، وألين من الزبد، وأعذب من الشهد، ليس له عجم، فناولني جبريل واحدة منها فأكلتها، فإذا عند أصل الشجرة عين يقال لها: سلسبيل أبيض من اللبن، وأضوأ من الشمس، فسقاني جبريل من ذلك الماء فشربت، فلما نزلت إلى الأرض اشتهيت خديجة، فواقعتها فحملت بفاطمة، فهي حوراء أنسية ليس يخرج منها ما يخرج من النساء عند الحيض، فإذا اشتهيت رائحة الجنة قبلتها، فشممت منها رائحة الجنة.

وعن النبي ص: «إنما سميت ابنتي فاطمة لأن الله تعالى فطمها وفطم محبيها من النار، وسميت الزهراء يعني المتلألئة من شدة إنارتها، ومنه سمي القمر الأزهر» ذكره في محاسن الأزهار.

وقال ص لعلي عليه السلام: «أوتيت ثلاثاً لم يؤتهن أحد ولا أنا: أوتيت صهراً مثلي ولم أوت أنا مثلي، وأوتيت زوجة صديقة مثل ابنتي ولم أوت مثلها زوجة، وأوتيت الحسن والحسين من صلبك ولم أوت من صلبي مثلهما، ولكنكم

---

[1] يريد الإمام الناصر الأطروش.

مني وأنا منكم ».

وفي « أنوار اليقين » ما لفظه: وعنه ص أنه قال لعلي: « يا علي لك أشياء ليست لي منها: إن لك زوجة مثل فاطمة وليس لي مثلها، ولك ولدان من صلبك الحسن والحسين وليس لي مثلهما من صلبي، ولك مثل خديجة أم أهلك وليس لي مثلها حماة، ولك صهر مثلي وليس لي صهر مثلي، ولك أخ مثلي وليس لي أخ مثلي، ولك أخ في النسب جعفر وليس لي مثله في النسب، ولك أم مثل فاطمة بنت أسد الهاشمية المهاجرة وليس لي أم مثلها ».

وعنه ص: « سيدات نساء العالمين أربع: آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد».

وعن ابن عباس قال: كنا جلوساً مع النبي ص في المسجد، فدخلت فاطمة باكية، فقال: ما يبكيك يا بنية؟ فقالت: يا رسول الله، غاب عني الحسن والحسين في هذه الليلة، فما أدري أين هما، فقال: يا بنية لا تبكين، فإن لهما رباً هو أحفظ لهما وأرأف بهما مني ومنك، فولّت فاطمة وتغشى النبي ص ما كان يغشاه عند الوحي، وسري عنه وهو يضحك حتى بدت نواجذه، وقال: هذا حبيبي جبريل يخبرني عن الله أن ابني الحسن والحسين في حظيرة لبني النجار، وقد وكّل الله بهما ملكاً من الملائكة جعل أحد جناحيه تحتهما وأظلهما بالآخر، ثم قام ص يجر رداءه وقال لأصحابه: قوموا ننظر إليهما على هذه الصفة، فأتاهما النبي ص ودخلها، فوجدهما نائمين والملك موكل بهما، فانكب النبي ص يقبّلهما، وبكى فرحاً مما رآهما عليه، فحمل

الحسن على منكبه الأيمن وحمل الحسين على منكبه الأيسر.

فلما خرج من الحظيرة اعترضه أبو بكر، فقال: يا رسول الله اعطني أحد الغلامين أحمله عنك، فقال: يا أبا بكر، نعم الحامل ونعم المحمول وأبوهما خير منهما، فاعترضه عمر، فقال مثل قول أبي بكر، وردّ عليه ص ما رد على أبي بكر، ثم قال: والذي بعثني بالحق نبياً لأشرِّفنكما في هذا اليوم كما شرَّفكما الله، ثم قال: يا بلال! هلم إليَّ بالناس، فنادى بلال: الصلاة جامعة.

فدخل النبي ص المسجد وصلى ركعتين ثم صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: أيها الناس ألا أخبركم بخيرالناس أباً وأماً، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الحسن والحسين، أبوهما شاب يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، وأمهما فاطمة بنت رسول الله ص، أيها الناس ألا أخبركم بخير الناس خالاً وخالة؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الحسن والحسين، خالهما القاسم بن رسول الله، وخالتهما رقية بنت رسول الله، أيها الناس ألا أخبركم بخير الناس عماً وعمة؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الحسن والحسين عمّهما جعفر ذو الجناحين يطير في الجنة حيث يشاء، وعمتهما أُمُّ هانئ بنت أبي طالب. أيها الناس ألا أخبركم بخير الناس جداً وجدة؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: الحسن والحسين جدُّهما رسول الله وجدّتهما خديجة سيدة نساء أهل الجنة.

ثم قال بعد ذلك: اللهم إنك تعلم أن الحسن في الجنة والحسين في الجنة،

وجدُّهما في الجنة وجدتهما في الجنة، وأبوهما في الجنة وأمهما في الجنة، وخالهما في الجنة وخالتهما في الجنة، وعمهما في الجنة وعمتهما في الجنة، اللهم إنك تعلم أن من يحبهما في الجنة، ويبغضهما في النار.

وقال أبو جعفرالدوانيقي(): انتهيت إلى مدينة فيها مسجد قد اجتمع فيه جماعة لصلاة الفجر، قال: فدخل المسجد شاب على رأسه عمامة قال: فقام يركع إلى جانبي، فلما سجد سقطت العمامة عن رأسه، فنظرت إلى رأسه، فإذا [هو قحف] خنزير، فلما صلينا أخذت بيده فقلت: ما هذا الذي أرى بك من سوء الحال؟ فقال: أنت صاحب أخي الذي حدثته من فضائل علي؟ فكساك حلته، وحملك على بغلته، وأعطاك مالا؟ قلت: وأنت أخوه؟ قال: نعم، فأخذ بيدي، فلما خرج من المسجد وصرنا عند بعض منزله، قال: ترى هذه الدار وهذه الدكان الذي على بابها، قلت: نعم، قال: أنا أؤذن في كل يوم على هذا الدكان الأذان للصلوات الخمس، وكنت مولعاً أن ألعن علياً بعد كل أذان مائة مرة، فلما كان أمس وقت الظهر وكان يوم جمعة لعنته ألف مرة، فبينا وأنا كالنائم على هذا الدكان بين النائم واليقظان إذ رأيت كأنّ رسول الله ص أقبل ومعه أصحابه حتى صعد الدكان، فجلس وجلس أصحابه، والحسن والحسين واقفان في يد الحسن إبريق، فرفع رسول الله ص رأسه إلى الحسن، وقال: يا حسن اسقني، فمد الحسن يده بالكأس إلى الحسين، فقال: يا حسين صب،

() من خبر طويل، رواه عنه الأعمش راجع مناقب ابن المغازلي ١٠٧.

فصب الحسين الإبريق في الكأس، فناول الحسن رسول الله ص فشرب، ثم قال: اسق أصحابي، فسقاهم رجلاً رجلاً، فلما شربوا جميعاً قال لهما النبي ص: اسقيا النائم على الدكان، قال: فكأني أرى الحسن والحسين يبكيان، فقال لهم النبي ص: وما يبكيكما؟ قالا:
يا رسول الله كيف نسقي من يلعن أبانا بعد أن يؤذن في وقت كل صلاة مائة مرَّة، وأقرب ما لعنه الساعة ألف مرَّة، قال: فرأيت رسول الله ص قد وثب إليَّ مغضباً، يجر رداءه فضربني برجله، ثم قال: قم غيَّر الله ما بك من خِلْقه.

قلت: يا هذا أتدري أية موعظة، وقد ضمنت لأخيك أني أحدثك فقال: قل ما تشاء؛ فقلت: حدثني أبي عن أبيه عن جدي ابن عباس، قال: كنا جلوساً عند النبي ص إذ أقبلت فاطمة باكية فقال لها النبي ص: ما يبكيك؟ قالت: يا رسول الله عيَّرتني نساء قريش، وزعموا أنك زوجتني مُعدماً لا مال له، فقال لها النبي ص: والذي بعثني بالحق نبياً يا بنية ما زوجتك حتى زوجك الله تعالى من فوق عرشه، وأشهد على ذلك جبريل وميكائيل.

وعنه ص: « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما » وعنه ص « من أحب الحسن والحسين فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني» انتهى المنقول من خط الأمير علي بن الداعي سلام الله عليهما إلا ما نسبته إلى محاسن الأزهار ومن أنوار اليقين فمن غير خطه.

وفي أهل الكساء جميعاً قال ص لهم: « أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم » وقال ص : لما أسري بي رأيت على باب الجنة مكتوباً بالذهب: «لا إله

إلا الله محمد حبيب الله، علي ولي الله، فاطمة أمة الله، الحسن والحسين صفوة الله، على باغضهم لعنة الله».

وقال ص للحسن: « اللهم أحبه وأحب من يحبه » وعنه ص: « إن ابني هذا سيد، ومن أحبني فليحب هذا في حجري » وعن سلمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ص : « الحسن والحسين من أحبهما أحببته، ومن أبغضهما أبغضته، ومن أحببته أحبه الله، ومن أحبه الله أدخله الجنة جنة النعيم، ومن أبغضهما وبغى عليهما أبغضته، ومن أبغضته أبغضه الله، ومن أبغضه الله أدخله النار نار جهنم خالداً فيها، وله عذاب مقيم».

وعن محمد بن علي رضي الله عنه قال: قال الحسن عليه السلام: إني لأستحيي من ربي أن ألقاه ولم أمش إلى بيته، فمشى عشرين مرَّة من المدينة على رجليه. وعن علي ابن زيد قال: حجَّ الحسن عليه السلام خمس عشرة حجة ماشياً وإن النجائب لتقاد معه، وخرج من ماله مرتين، وقاسم الله ماله ثلاث مرات، أخرج ذلك في «الصفوة» وذكره السمهودي في «جواهر العقدين».

وعن مصعب بن الزبير( ) قال: حجَّ الحسين بن[1]علي عليه السلام خمساً وعشرين حجة ماشياً، أخرجه ابن عبد البر والبغوي في معجمه.

وقد قدمنا **ذكر آية المباهلة** وقضائها بالفصل الصحيح والفضل الصريح

---

(1) كذا ورد في الأصل، والصواب: مصعب بن عبد الله الزبيري.

للخمسة عليهم السلام، ولم أورد فيما مضى آية التطهير وذكر قصة الكساء، وهذا موضع ذلك ليعم؛ فعن أم سلمة أن النبي ص جلّل على علي والحسن والحسين وفاطمة [بكساء] ثم قال: « اللهم إن هؤلاء أهل بيتي وخاصتي اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا» قالت أم سلمة: وأنا معهم يا رسول الله؟ قال: « إنك إلى خير» أخرجه الترمذي.

وعن عائشة قالت: خرج رسول الله ص وعليه مرط مرحل أسود، فجاء الحسن فأدخله، ثم جاء الحسين فأدخله، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله ثم قال: ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا** [الأحزاب:٣٣]﴾.

وفي حديث طويل في خبر الكساء ما لفظه: فلما صاروا تحت الكساء نادى الجليل جل جلاله؛ يا ملائكتي وسكان سماواتي وأرضي انظروا إلى من تحت الكساء، فوعزتي وجلالي وارتفاعي في علو مكاني ما خلقت شمساً ولا قمراً، ولا أرضاً ولا سماءً، ولا حجراً ولا شجراً، ولا أنثى ولا ذكراً، ولا ليلاً ولا نهاراً، ولا حساباً ولا عقاباً، ولا جنة ولا ناراً، ولا مسلمين ولا كفاراً إلا في محبة من تحت الكساء. فعند ذلك قال جبريل عليه السلام: إلهي وسيدي ومولاي، أتأذن لي أن أهبط إليهم فأكون سادسهم تحت الكساء، فقال: يا جبريل إن أذنوا لك فقد أذنت لك، فعند ذلك هبط جبريل كالبرق الخاطف، وهو يقول: السلام عليك يا أحمد، السلام عليك يا محمد، السلام عليك يا مزمل، السلام عليك يا مدثر، السلام عليك يا أبا القاسم، السلام عليك يا سيد العرب والعجم،

ثم قال: يا محمد إني سمعت العلي الأعلى يقول: يا ملائكتي وسكان سماواتي وأرضي انظروا إلى من تحت الكساء، فوعزتي وجلالي وارتفاعي في أعلى علو مكاني ما خلقت شمساً ولا قمراً، ولا سماءً ولا أرضاً، ولا حجراً ولا شجراً، ولا أنثى ولا ذكراً، ولا حساباً ولا عقاباً ولا جنة ولا ناراً، ولا مسلمين ولا كفاراً إلا في محبة من تحت الكساء، ثم قال: يا محمد أتأذن لي أن أدخل إليكم فأكون معكم تحت الكساء، قال: قد أذنت لك فدخل إليهم انتهى.

قال في بعض كتب الشيعة الإمامية والله أعلم به:

وقد جاء عن الأئمة عليهم السلام: سبحان من خلق الدنيا والآخرة وما سكن في الليل والنهار لمحمد وآل محمد، وذلك كثير في الأخبار أورده الخوارزمي مرفوعاً إلى النبي ص قال: لما نفخ الله الروح في آدم عليه السلام أوحى إليه: وعزتي وجلالي لولا عبدان أريد أن أخلفهما في داري ما خلقتك، قال: يا إلهي فيكونان مني، قال: نعم يا آدم، ارفع رأسك ثم انظر فرفع رأسه فإذا مكتوب على العرش: لا إله إلا الله محمد نبي الرحمة، وعلي مقيم الحجة، من عرف حق علي زكا وطاب، ومن أنكر حقه لعن وخاب. وقد تكلم السيد المرتضى[1] علم الهدى في هذا المعنى فقال: إذا كان الله عالماً أن اللطف في تكليف الأمم بنبوة نبينا محمد، وإمامة أئمتنا عليهم السلام على وجه لا يقوم غيرهم مقامهم فقد تعين مع التكليف الأمر فيمن ذكرناه، وصح

(1) لعل المقصود به الشريف المرتضى، وسيأتي ذكره لاحقا في نص الكتاب.

القول على ذلك بأنه لولاهم عليهم السلام ما خلق الله تعالى ولا كلف ولا أثاب ولا عاقب، لأن كونهم ألطافاً في التكليف لا ينوب غيرهم منابهم يقتضي ذلك.

ووجدت في بعض مسوداتي بخطي بعد رقم ما ترى، وكان محلهما متقدماً عند ذكر زواج فاطمة ولكن هذا موضع ذكرها في الجملة:

وروى جابر بن عبد الله قال: لما زوَّج رسول الله ص فاطمة من علي عليهما السلام أتاه أناس من قريش فقالوا: زوَّجت علياً بمهر خسيس - وقيل: خفيف، وقد زوجه ص باثني عشر أوقية - فقال: ما زوَّجت علياً ولكن الله زوَّجه، ليلة أسري بي إلى سدرة المنتهى أوحى الله إلى السدرة أن انثري ما عليك، فنثرت الدر والجواهر والمرجان، فابتدرن الحور العين فالتقطن وهن يتناهبنه ويتفاخرن به، ويقلن: هذا نثار فاطمة بنت الرسول ص. وروي أنه ليلة الزفاف أتى ص ببغلته الشهباء و [ثنى] عليها قطيفة، وقال لفاطمة: اركبي، وأمر سلمان يقودها والنبي ص يسوقها، فبينما هم في الطريق إذ سمع النبي ص وجبةً[1]، فإذا هو بجبريل عليه السلام وسبعين ألف من الملائكة وميكائيل وسبعين ألف، فقال: ما أهبطكم إلى الأرض؟ فقالوا: جئنا نزف فاطمة إلى زوجها علي بن أبي طالب، فكبَّر جبريل وميكائيل وكبّرت

---

(1) أي حركة خفيفة.

الملائكة، وكبّر محمد ص فوقع التكبير على العرش من تلك الليلة( )، رواه القاضي جعفر بن أحمد في شرحه على قصيدة الصاحب الكافي التي أولها:

قالت أبا القاسم استخففت بالغزل   فقلتُ ما ذاك من همّي ولا أملي

ولنقتصر على هذا القدر في هذه المقدمة.

[بيعة الإمام الحسن ووفاته وصلحه مع معاوية]

ونرجع إلى ذكر الحسن عليه السلام فنقول: بويع له عليه السلام يوم موت أبيه، يوم الاثنين لثمان بقين من شهر رمضان سنة أربعين، وقد تقدم ذكر خطبته

عليه السلام وقتل ابن ملجم.

قالوا: وكان عمّاله عمال أبيه عليه السلام ولما تجهز للمسير إلى حرب معاوية، وقد كان أحس من أكثر جنده الملل من الحروب، واتفق له ما اتفق من انتهاب ثقله، وطعن فخذه، وتفرق أجناده، ولحوق من لحق منهم بمعاوية، وخشي على نفسه وأهل بيته الاستئصال، اضطر إلى صلح معاوية على شرائط، والقصة مشهورة، فلم يف له معاوية بشيء من الشروط، بل استثقل حياته،واحتال في سمِّه، على يدي امرأته أم الحسن جعدة ابنة الأشعث بن قيس، وبذل لها مائة ألف درهم وتزويج يزيد ابنه، فلما سقته السم وفّى لها بالمال دون التزويج، وتزوجت بعده عليه السلام في أولاد طلحة، فكان

( ) رواه أيضا ابن المغازلي في المناقب ٢١٥ - ٢١٦، والطبري في ذخائر العقبى ٣٢.

أولادها إذا جرى بينهم وبين غيرهم شيء قالوا لهم: يا بني مُسمِّمة الأزواج. ولما احتضر الحسن عليه السلام قال: لقد سُقيت بالسمّ ثلاث مرات، ما منهن واحدة بلغت مني ما بلغت هذه، لقد تقطعت كبدي. وقد أحسن من قال:

تعزَّ فكم لك من أسوةٍ تفرّج عنك غليل الحزنْ
بموت النبي وقتل الوصي وقتل الحسين وسمِّ الحسنْ

وتوفي عليه السلام بالمدينة وله سبع وأربعون سنة، وقيل: ست، وقيل: خمس، ومدة خلافته ستة أشهر وقليل، واختلفوا في تاريخ موته حسب اختلافهم في مبلغ عمره. وقد كان أوصى أن يدفن إلى جنب جده رسول الله ص إلا أن يخاف أن يراق محجمة دم، قالوا: فلما سمعت عائشة بذلك، ركبت بغلاً واستنفرت بني أمية؛ فقال القائل:

فيوماً على بغل ويوماً على جمل

فجمع مروان من هناك من بني أمية وأتباعهم، وبلغ ذلك الحسين عليه السلام فجاء هو ومن معه في السلاح ليدفنوا حسناً مع النبي ص، وأقبل مروان وأصحابه، وهو يقول: يا رُبَّ هيجا هي خير من دعة، أيدفن عثمان بالبقيع ويدفن الحسن في بيت رسول الله ص؟ والله لا يكون ذلك وأنا أحمل السيف، فلما كادت الفتنة تستعر قام عبد الله بن جعفر[1] ومسور بن مخرمة، وقال عبد الله بن جعفر للحسين: إنه عهد إليَّ أن أدفنه في البقيع، بحقي عليك

---

(1) هو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، أول مولود من المسلمين بالحبشة، توفي بالمدينة سنة ٨٠هـ.

أن لا تخالفني في ذلك، فدفن في البقيع، وقبره مشهور مع أمه فاطمة عليهما السلام.

وللحسين عليه السلام فيه من أبيات يرثيه بها:

أأدهِنُ رأسي أم تطيب مجالسي   وخدُّك معفورٌ وأنت سليبُ
أم استمتع الدنيا بشيء أَحبُّه   ألا كلما يدني إليك حبيبُ
أم اشرب ماء المزن أم غير مائه   وما لدموعي في الإناء غروبُ[1]
فلا زلت أبكي ما تغنَّت حمامةٌ   وما هبّ في الدنيا صباً وجنوبُ
وما قَطّرت عينٌ من الماء قطرةً   وما اخضرّ في دَوْح الحجاز قضيبُ
وليس حريباً من أَصيب بماله   ولكنَّ من وارى أخاه حريبُ
بكائي طويلٌ والدموع غزيرةٌ   وأنت بعيدٌ والمزار قريبُ
ولما مضى عني أخي ذقت حرقةً   له لم يُذِقْنيها سواه غريبُ

وكان صلحه لمعاوية صواباً لما ذكرناه أولاً من خشية استئصاله وأهله، وتفرق جموعه، وللعلم السابق المذخور المكنون عنده عليه السلام وعند أبيه وأخيه من النبي ص وأنه قال في خطبته لما قال له معاوية: أبا محمد إنك قد تكرّمت بما لا تطيب به نفس أحد، ووهبت شيئاً لم يجد به غيرك، فلا عليك أن تتكلم حتى يعلم الناس أنك قد بايعت، فقال: أنا فاعل ذلك ثم قام على قدميه وقال: أيها الناس إن أكيس الناس من اكتفى[2]، وإن أحمق الحمق

---

(1) في نسخة: وإلا لدمعي في الإناء غروب. (مؤلف).

(2) في أنساب الأشراف: إن أكيس الكيس التقى.

الفجور، وإنكم لو طلبتم ما بين جابلص وجابلق أو بين لابتيها رجلاً جده رسول الله ص ما وجدتموه غيري، وغير أخي الحسين، وقد علمتم أن الله تعالى قد هداكم بجدي، وأنقذكم من الضلالة، ونزهكم عن الجهالة، وأعزكم به بعد الذلة، وأكثركم بعد القلة، واعلموا أن معاوية نازعني حقاً هو لي دونه، فنظرت في صلاح الأمة، وقد كنتم بايعتموني [على أن تسالموا من سالمت]، فرأيت أن أسالم معاوية، وأضع الحرب بيني وبينه خوفاً من سفك الدماء ﴿ **وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ** [الأنبياء:١١١]﴾ .

وقد كان عليه السلام بعد تفرق أصحابه عنه، واستسلام أمير جيشه إلى معاوية، وضرب بعض أعدائه فخذه بمعول كان في يده، وسقوطه لذلك من على فرسه مغشياً عليه، وأخذ مُطْرَفه من على رأسه، وتمزيق أثوابه، وقتل أصحابه لمن ضربه بمعوله، أفاق الحسن من غشيته وقد نزف دمه وضعف، فعصبوا جراحه وحملوه إلى المدائن، وأنزلوه في القصر، وجاؤوه بالأطباء، فأقام الحسن في المدائن يتداوى حتى برئ وخطب خطبة قال فيها: يا أهل العراق، ما هذا منكم بمنكر، وأنتم الذي أكرهتم أبي يوم صفين على الحكمين، ثم خالفتم أمره في قتال القوم، واحتججتم بالمصاحف وفشلتم حتى صار إلى ما صار إليه، ثم بايعتموني غير مكرهين، وخرجت في هذا الوجه، فكان منكم ما كان. يا أهل العراق، إني قد أيست من نصرتكم، وإني مسلّم هذا الأمر إلى معاوية.

ولما قال له سفيان بن الليث[1] التميمي: السلام عليك يا مذل المؤمنين فلقد جئت بأمر عظيم، هلا قاتلت حتى تموت ونموت معك، فقلت: يا هذا، إن رسول الله ص لم يخرج من الدنيا حتى رفع له ملك بني أمية فنظر إليهم وهم يصعدون على منبره ص واحداً بعد واحد، فشقَّ ذلك عليه، فأنزل الله عليه في كتابه العزيز: ﴿ **لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ** [القدر:٣]﴾ من سلطان بني أمية. فقال الحسين عليه السلام: أما والله لو اجتمع الخلق جميعاً على أن يقطعوا كائناً لما قدروا ولو كنت كارهاً لفعلك يا أخي.

ولما حضرت الحسن عليه السلام الوفاة قال له الحسين: من فعل بك هذا يا أخي؟ قال له: وما سؤالك عن ذلك؟ أمن يكون جده رسول الله ص يكون غمازاً، إن كان قصدك ثأري فإن الله تعالى أشد منك انتقاماً، وبيني وبين الذين فعلوا بي ذلك وقفة بين يدي أحكم الحاكمين، وإني موصيكم يا أخوتي بتقوى الله، والتجنب عن بني أمية.. [2]، اعلم يا حسين أنه سيكون لك معهم أحوال وأهوال كما ذكر رسول الله ص، فلا تركن إليهم واحذرهم، مع أنه لا حذر من قدر، وأنا أشهدكم وكفى بالله شهيداً أني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ص، ثم توفي رحمة الله عليه.

---

(1) في مقاتل الطالبيين ٧٥: سفيان بن الليل.

(2) كلمتان لم تتضحا في الأصل.

ولما قال معاوية والحسن عنده: أرسلوا للحسين بن علي ليبايع، فقال له الحسن: يا معاوية لا تفعل، فإنه لا يبايع أبداً أو يقتل، ولا يقتل حتى يقتل أهل بيته، ولن يقتل أهل بيته حتى تقتل شيعته، ولن تقتل شيعته حتى يقتل أهل الشام، فسكت معاوية عن الحسين.

فانظر إلى هذه الأقوال القاضية بأن ذلك وقع منه عليه السلام عن علمٍ بما هو واقع من ذلك، ولا يبعد أن يكون مأموراً كما قلنا في أبيه سلام الله عليه، فإن الصادق جعفر بن محمد الباقر عليهم السلام قال: حدثني أبي عن أبيه عن جده عن علي عليهم السلام أن رسول الله ص أخذته نعسة وهو على منبره، فرأى في منامه رجالاً ينزون على منبره نَزْو القِردة، ويردّون الناس على أعقابهم القهقرى، فاستوى رسول الله ص جالساً والحزن يُعرف في وجهه، فأتاه جبريل عليه السلام بهذه الآية: ﴿ **وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَانًا كَبِيرًا** [الإسراء: ٦٠]﴾ يعني بني أمية. فقال: يا جبريل أعلى عهدي يكونون أو في زمني؟ قال: لا، ولكن تدور رحى الإسلام من مهاجرك فتلبث بذلك عشراً، ثم تدور رحى الإسلام على رأس خمس وثلاثين من مهاجرك، فتلبث بذلك خمساً، ثم لا بد من رحى ضلالة هي قائمة على قطبها، ثم ملك الفراعنة، قال: وأنزل الله في ذلك ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ**﴾ إلى قوله: ﴿ **خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ** [القدر:١-٣]﴾ يملكها بني أمية ليس فيها ليلة القدر قال: فأطلع الله نبيه عليه السلام أن بني أمية تملك سلطان هذه الأمة وملكها طول

هذه المدة، فلو طاولتهم الجبال لطالوا عليها حتى يأذن الله تعالى بزوال ملكهم، وهم في ذلك يستشعرون عداوتنا أهل البيت وبغضنا، أخبر الله تعالى نبيه بما يلقى أهل بيت محمد وأهل مودتهم وشيعتهم في أيامهم وملكهم.

قال: وأنزل الله تعالى فيهم: ﴿ **أَلَمْ تَرَى إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ، جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ** [إبراهيم:٢٨-٢٩]﴾ ونعمة الله تعالى محمد وأهل بيته، حبهم إيمان يدخل الجنة، وبغضهم كفر ونفاق يدخل النار، فأسرّ رسول الله ص ذلك إلى علي وأهل بيته.

ثم قال الصادق عليه السلام: ما خرج ولا يخرج منا أهل البيت إلى قيام قائمنا أحد ليدفع ظلماً أو ينعش حقاً إلا اصطلمته البلية، وكان قيامه زيادة في مكروهنا وشيعتنا، انتهى كلام الصادق عليه السلام.

قلت: والذي لاح لي وتقوّى في خاطري أن قول جبريل عليه السلام « ثم ملك الفراعنة» أشار بذلك إلى ملك بني العباس، وبقوله: «رحى ضلالة» ملك بني أمية، ولا شك في ذلك، ولعل ذلك كذلك عند الصادق والأئمة عليهم السلام، وحينئذ فصلح الحسن عليه السلام هو عين الصواب. فإن قيل: فما بال الحسين وزيد بن علي وغيرهما خرجوا عليهم مع معرفتهم بذلك؟ قلت على الخبير سقطت، والجواب والله أعلم: أنهم وإن قد علموا ذلك أو ظنوه، فهم مأمورون بالجهاد وبذل الأنفس لما فيه من المصلحة التي علمها الله تعالى من إحياء الجهاد والعبادة، وفوزهم بالحسنى وزيادة، فإن علياً عليه السلام قاتل معاوية مع علمه بما قد أسرّ إليه النبي ص كما تقدم، وكان

صبره أيام أبي بكر وعمر وعثمان رعاية للدين، وخوفاً على ذهابه بالكلية لو نازعهم في الأمر بالسيف والسنان، كما أشار إليه الإمام الداعي عليه السلام حيث قال:

وخاف لو ناصبهم أبو الحسن   أن تفسد الملة عبّاد الوثنْ

البيت وقد تقدم.

وقال في «شرح الأزهار»: إذا كان يحصل بتلف الآمر أو الناهي إعزاز للدين وقدوة للمسلمين فإنه يحسن منه الأمر والنهي وإن غَلب في ظنه أنه يؤدي إلى تلفه، كما كان من زيد بن علي والحسين عليهما السلام، ذكره في فصل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فكيف في الجهاد.

وفي غرة صحيفة زين العابدين عليه السلام ما لفظه: قال حدثني عمير بن المتوكل الثقفي البَلْخي عن أبيه متوكل بن هارون، قال: لقيت يحيى بن زيد بن علي عليهما السلام وهو متوجِّه إلى خراسان بعد قتل أبيه فسلمت عليه، فقال لي: من أين أقبلت؟ قلت: من الحج، فسألني عن أهله وبني عمه بالمدينة، وأحفى السؤال عن جعفر بن محمد عليه السلام، فأخبرته بخبره وخبرهم، وحزنهم على أبيه زيد بن علي عليه السلام، فقال لي: قد كان عمِّي محمد بن علي قد أشار على أبي بترك الخروج، وعرَّفه إن هو خرج وفارق المدينة ما يكون إليه مصير أمره، فهل لقيت ابن عمي جعفر بن محمد عليه السلام؟ قلت: نعم. قال: فهل سمعته يذكر شيئاً من أمري؟ قلت: نعم، قال: بمَ ذكرني؟ خبرني. قلتُ: جُعِلت فداك ما أُحِبُّ أن أستقبلك بما سمعته منه،

فقال: أبالموت تُخَوِّفني؟ هاتِ ما سمعته، فقلت: سمعته يقول: إنك تُقتل وتصلب كما قُتل أبوك وصلب، فتغيَّر وجهه وقال: ﴿ **يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ** [الرعد:٣٩]﴾.

إلى أن قال: ثم دعا بعيبة، فاستخرج منها صحيفة مقفلة مختومة، فنظر إلى الخاتم وقبّله وبكى، ثم فضّه وفتح القفل، ثم نشر الصحيفة ووضعها على عينيه، وأمرَّها على وجهه وقال: والله يا متوكل لولا ما ذكرت من قول ابن عمّي أني أُقتل وأصلب لما دفعتها إليك، ولكنت بها ضنيناً، ولكني أعلم أن قوله حق أخذه عن آبائه، وأنه سيصح، فخفت أن يقع مثل هذا العلم إلى بني أمية فيكتموه، ويدخروه في خزائنهم لأنفسهم، فاقبضها، واكفنيها وتربّص بها، فإذا قضى الله من أمري وأمر هؤلاء القوم ما هو قاض، فهي أمانة لي عندك حتى توصلها إلى ابني عمّي: محمد وإبراهيم ابني عبد الله ابن الحسن بن الحسن بن علي عليهما السلام، فإنهما القائمان في هذا الأمر بعدي.

قال المتوكل: فقبضت الصحيفة، فلما قُتل يحيى بن زيد عليه السلام صرت إلى المدينة، فلقيت أبا عبد الله [جعفر الصادق] عليه السلام فحدثته الحديث عن يحيى، فبكى واشتد وجده به، وقال: رحم الله ابن عمّي وألحقه بآبائه وأجداده[1] فأين الصحيفة؟ فقلت: هاهي، ففتحها وقال: هذا والله خط عمّي زيد ودعاء جدي علي ابن الحسين عليهم السلام.

---

(1) زاد في الصحيفة السجادية: والله يا متوكل ما منعني من دفع الدعاء إليه الا الذي خافه على صحيفة أبيه.

قال المتوكل: ثم استأذنت أبا عبد الله عليه السلام في دفع الصحيفة إلى ابني

عبد الله بن الحسن فقال ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا** [النساء: ٥٨]﴾ نعم، فقم فادفعها إليهما، فلما نهضت للقائهما قال لي: مكانك، ثم وجّه إلى محمد بن عبد الله وإبراهيم فجاءا فقال: هذا ميراث ابن عمكما يحيى من أبيه، وقد خصّكما به دون إخوته، ونحن مشترطون عليكم فيه شرطاً، فقالا: رحمك الله قل فقولك المقبول، فقال: لا تخرجا بهذه الصحيفة من المدينة، قالا: ولم ذلك؟ قال: إن ابن عمِّكما خاف عليها أمراً أخافه أنا عليكما، قالا: إنما خاف عليها حين علم أنه يُقتل. فقال أبو عبد الله: وأنتما فلا تأْمَنَا، فوالله إني لأعلم أنكما ستخرجان كما خرج، وستقتلان كما قتل، فقاما وهما يقولان: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ثم ذكر الصادق عليه السلام للمتوكل تماماً لهذا الكلام الكلام السابق عنه عليه السلام في رؤيا النبي ص ونزول الآية: ﴿ **وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا** [الإسراء: ٦٠]﴾ وقد تقدم ذلك.

فليعلم من لا يعلم ويقول: كيف سكت علي عليه السلام عن الأمر وطلبه أيام المشايخ، وهو بالمحل الأعلى من الشجاعة الباهرة، والرئاسة الظاهرة؟ ثم يقول: كيف سلّم الحسن السبط التقي لمعاوية اللعين الشقي، وهو يعلم ظلمه وبغيه وفسقه وعتوه - أن ذلك عن أمرٍ مكنون، وعلمٍ مخزون، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والحمد لله رب العالمين.

[من مقامات الإمام الحسن السبط]

ونقلت من خط الأمير جمال الدين علي بن الداعي إلى الله يحيى بن المُحَسِّن
عليهما السلام ما لفظه:

ومن مقامات الحسن السبط الشهيد سلام الله عليه ما ذكر أبو حاتم في أخباره: أن معاوية اجتمع يوماً عنده عمرو بن العاص، وعتبة بن أبي سفيان، والوليد بن عقبة بن أبي معيط، والمغيرة بن شعبة فقالوا له: يا معاوية، أرسل لنا إلى الحسن بن علي لنسُبَّ أباه ونوبِّخَه ونُصَغِّرَهُ، وكانوا قد تواطئوا على أمر واحد. ثم قال عمر: و إن الحسن قد أحيا أباه، وخفقت النعال خلفه، وأمر فَأُطِيع، وقال فَصُدِّق، وهذا رافعه إلى ما هو أعظم منه، فلو بعثتَ إليه فأخذنا منه النَّصفَة كان رأياً، فقال معاوية: إني والله أخاف أن يقلِّدكم قلائد تبقى عليكم في قبوركم، فوالله ما رأيتُه قط إلا خفتُ جنابه، وهِبتُ عتابَه، فإن بعثت والله إليه أنصفتُه منكم، فقال عمرو: أتخاف أن يأتي باطلُه على حَقِّنا، أو مرضُه على صحتنا؟ قال: لا فابعثوا إليه إذاً، فالقوه بما في أنفسكم، ولا تُكَنَّوا ولا تلجلجوا، وصرِّحوا ولا تعرضوا، فلن ينفعكم غير التصريح.

قال: فبعثوا إلى الحسن عليه السلام، فقال الرسول: أجب أمير المؤمنين معاوية فقال: من عنده؟ فسمَّاهم، فقال: ما لهم خرَّ عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون، ثم قال: يا جارية، أبلغيني ثيابي، ثم

قال: اللهمَّ إني أدرأُ بك في نحورهم، وأعوذ بك من شرورهم، وأستعين بك عليهم، فاكفنيهم بما شئت وكيف شئت، وأنَّى شئت بحولك وقوتك يا رحمن، ثم قال للرسول: هذه دعوات الفرج. فلما أتى معاوية رحَّب به وناوله يده، فقال الحسن عليه السلام: إنَّ الترحيب سلامة، والمصافحة أمانة، قال: أجل، فلما قعد قال له معاوية: ما أنا دعوتك ولكن هؤلاء أحرجوني فيك حتى أرسلت إليك فدعوتك لهم، وإنما دعوك ليُعَرِّفوك أن عثمان قتل مظلوماً، وأن أباك قتله، فاسمع منهم وأجبهم، ولا يمنعنك هيبتي ولا هيبتُهم أن تتكلم بصليب لسانك، فقال الحسن: سبحان الله! البيت بيتك، والإذن فيه إليك، والله لئن كنت أجبتَهم إلى ما أرادوا أنه استحياءٌ لك من الفحش، وإن كانوا غلبوك على ما تريد إنه استحياءٌ لك من الضعف، فبأيِّهما تُقِر؟ ومن أيهما تعتذر؟ فهلا إذ أرسلت إليّ أنبأتني فأجيء بمثلهم من بني هاشم، على أنهم مع وحدتي أوحش مني من(١) جميعهم، و [إن] الله لوَليي، فليقولوا فاسمع.

فبدأ عمرو بن العاص فحمد الله وأثنى عليه، ثم ذكر علياً، فلم يترك شيئاً من الوقوع فيه حتى عَيَّره بأنه شتم أبا بكر، واشترك في دم عمر، وقتل عثمان مظلوماً، وادَّعى ما ليس له بحق، ثم قال: إنكم معشر بني هاشم لم يكن الله ليعطيكم الملك على قتلكم الخليفة، واستحلالكم ما حرَّم الله عليكم، وحرصكم على الملك، وإتيانكم مالا يَحلُّ لكم، ثم أنت يا حسن: كيف تحدث نفسك أنك كائن خليفة؟ وليس عندك عقل ذلك ولا رأيه، فكيف تُراك تأتيه وأنت أحمق

---

(١) في الحدائق ١/ ١٥٧: أوحش منهم مع جميعهم.

قريش! وفيك سوء عقل أبيك، وإني دعوتك لأسُبَّكَ وأباك ثم لا تستطيع أن تغيّره، ولا أن تكذبه، فأما أبوك فقد كفانا الله شرَّه، وأما أنت ففي أيدينا، نتخيّر فيك، والله لو قتلناك ما كان في قتلك إثمٌ من الله، ولا عتب من الناس، فتكلّم وإني لأعلم أنك وأباك من شر خلق الله.

ثم تكلم عتبة بن أبي سفيان فقال: إنكم يا بني هاشم قتلة عثمان، ثم لم تَدُوْهُ ولم تقيدونا به، والله ما علينا لو قتلناك بعثمان إثم من الله، ولا لومٌ من الناس، وكان من الحق أن نقتلك وأباك، فأمَّا أبوك فقد تفرَّد الله بقتله وكفاناه، وأما أنت فقد أقادك الله به، إذ كان أبوك شرَّ قريش [لقريش]، أقطعهم لأرحامها، وأسفكهم لدمائها، وعليك القَوَد في كتاب الله، ونحن قاتلوك به، وأمّا رجاؤك الخلافة فليست قدحة رأيك، ولا رجح ميزانك.

ثم تكلم الوليد بن عقبة فقال: إنكم بني هاشم[1] أخوال عثمان، ولنعم الوالد كان لكم إذ كنتم أصهاره، ولنعم الصهر كان لكم، يعرف حقكم، ويكرمكم، وإنكم كنتم أول من حسده ودبَّ في قتله وفتك به، وكنتم أنتم قتلتموه، وأطعتم الناس في قتله، حرصاً على الملك، وقطيعة للرحم، فكيف ترون الله طلب بدمه؟ فكيف ترون أنزلكم منازلكم، أما أبوك فقتله الله، وأما أنت فصرت إلى ما كرهت.

ثم تكلم المغيرة بن شعبة فقال: يا حسن، إن عثمان قُتل مظلوماً، ولم يكن

---

(1) في الأصل: «بنو هاشم».

لأبيك في ذلك عذر بري، ولا اعتذار مذنب، غير أنا ظننا أنه راض بقتله لضمِّه قتلته، ومكانهم منه، وكان والله طويل اللسان والسيف، يقتل الحي ويعيب الميت، وبنو أمية لبني هاشم خير من بني هاشم لبني أمية، ومعاوية خير لك منك له.

فتكلم الحسن عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: والله يا معاوية ما شتمني غيرك فحشاً منك، وخلقاً سيئاً، وبغياً علينا، وعداوة لرسول الله ص قديماً وحديثاً، ولا أبدأ إلا بك، ولا أقول إلا دون ما فيك، والله لو كنتُ أنا وهؤلاء في مسجد رسول الله ص وحولنا أهل المدينة لما استطاعوا أن يتكلموا بالذي تكلموا به، ولكن اسمعوا أيها الملأ، ولا تكتموا حقاً علمتموه، ولا تصدقوا باطلاً إن تكلمتُ به: أنشدكم الله أتعلمون أن الرجل الذي شتمتموه وتناولتم منه اليوم قد صلّى إلى القبلتين كلتيهما، وأنت يا معاوية كافر بهما تراهما ضلالة وتعبد اللات والعزى، وبايع البيعتين بيعة الرضوان وبيعة الفتح، وأنت يا معاوية بالأولى كافر وبالثانية ناكث.

وأنشدكم الله تعالى أتعلمون أن علياً لقيكم يوم الأحزاب ويوم بدر مع رسول الله ص ومعه راية رسول الله ص والمؤمنين، ومعك يا معاوية لواء المشركين من قريش، في كل ذلك يفلج الله حجته، ويحقق دعوته، ويصدِّق أحدوثته، وينصر رايته، وفي كل ذلك رسول الله ص راضٍ عنه في المواطن كلها.

وأنشدكم الله، أتعلمون أن رسول الله ص حاصر قريظة والنضير [وخيبر]، فبعث عمر براية المهاجرين، وسعد بن معاذ براية الأنصار، فأمّا سعد فجيء به جريحاً، وأمّا عمر فرجع بأصحابه، فقال النبي ص: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحبُّ اللهَ ورسولَه، ويحبُّه الله ورسولُه يفتح الله على يديه» فتعرّض لها أبو بكر وعمر، وعليٌّ يومئذ أرمد، فدعاه النبي ص وأعطاه إياها، فلم يلبث حتى فتح الله عليه، فاستنزلهم على حكم الله ورسوله، وأنت يومئذ مشرك بمكة عدو لله. بالله أتعلمون أن علياً من أصحاب محمد ممن حرّم الشهوات من الذين أنزل الله فيهم: ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ** [المائدة:٨٧]﴾ وكان في رهط هو عاشرهم، فأنبأهم الله تعالى أنهم مؤمنون، وأنت في رهط قريب من أولئك لعنك رسول الله ص.

وأنشدك الله ، أتعلم أنك كنتَ تسوق أباك يوم الأحزاب، ويقود به أخوك هذا القاعد عتبة بن أبي سفيان، وهو على جمل أحمر بعدما عمي أبو سفيان، فلعنَ رسولُ الله ص الجملَ والقائدَ والسائقَ والراكبَ.

وأنشدك الله ، أتعلم أنك كنتَ تكتب لرسول الله ص وكان يعجبه حسن خطك، فأرسل إليك يوماً فقال الرسول: هو يأكل، فأعاد ذلك مراراً، كل ذلك يقول [الرسول]: هو يأكل، فقال ص: «اللهم لا تشبع بطنه» فنشدتك الله، ألست تعرف تلك الدَّعوة في نهمتك وأكلتك ورغبة بطنك؟

ونشدتك الله تعالى، أتعلم أن رسول الله ص لعن أبا سفيان في سبعة مواطن: لعنه يوم لقيه خارجاً من مكة مهاجراً إلى المدينة، وأبو سفيان جاء

من الشام فوقع فيه، وسبَّه وكذَّبه وأوعده وهمَّ أن يبطش به، فصدَّه الله عنه. ولعنه يوم أحد قال أبو سفيان: أُعْل هبل، فقال ص: الله أعلى وأجل، فقال أبو سفيان: لنا العزّى ولا عزى لكم، فقال ص: الله مولانا ولا مولى لكم، ولعنة الله وملائكته ورسله عليه، ولعنه يوم بدر إذ جاء أبو سفيان بجمع قريش، فردّهم الله بغيضهم، فأنزل الله فيهم آيتين: سَمَّى أباك في كلتيهما وأصحابه كفاراً، وأنت يا معاوية يومئذ مع أبيك. ولعنه يوم الهدي معكوفاً أن يبلغ محله، فرجع رسول الله ص ولم يطف بالبيت، ولم يقض نسكه. ولعنه يوم الأحزاب جاء أبو سفيان بجمع قريش، وجاء عتبة بن زيد[1] بغطفان، وواعدكم قريظة والنضير، فلعن الله القادةَ والأتباعَ، فأما الأتباع فلا تصيب اللعنة مؤمناً، وأما القادة فليس فيهم مؤمن ولا مجيب ولا ناج. ولعنه يوم حملوا على رسول الله ص في العقبة، وهم اثنا عشر رجلاً: سبعة من بني أمية أبو سفيان فيهم، وخمسة من سائر قريش، لعن الله من على الثنية غير النبي وناقته وسائقها وقائدها. فهل تردُّون عليَّ مما قلت شيئاً؟

ومنها: لعنك يوم همَّ أبوك أن يُسلم، فبعثت إليه بشعر معروف تنهاه عن الإسلام، فهذه مواطن لعنت فيها أنت وأباك، ومنها: ولاك عمر الشام فخنته، وولاك عثمان فتربصت به، وقاتلت علياً على أمر كان أولى به منك عند الله،

---

[1] كذا ورد في الأصل، والصواب: عيينة بن حصن بن بدر راجع الحدائق ١/ ١٦٠.

فلما بلغ الكتاب أجله، صار إلى خير منقلب وصرت إلى شرٍّ مثوى، وقد خفَّفت عنك من عيوبك.

قال الأمير علي بن أمير المؤمنين الداعي إلى الحق عليه السلام: وشعر معاوية إلى أبيه يرده عن الإسلام هو [قوله]:

يا صخر لا تسلمنَّ طوعاً   بعد الذين ببدر أصبحوا مزقا

جَدَّي وخالي وعمُّ الأم يا لهمُ   قوماً وحنظلة المُهدِي لنا الأرقا

لا تركنَنَّ إلى أمرٍ يقلدنا   والراقصات به في مكة الخِرقا

والموت أهون من قول الشقاة لقد   خلّى ابن حرب لنا العزّى لنا

فإن أبيت أبينا ما تريد فلا   نثني[1] عن اللات والعُزّى لنا عُنقا

وأما أنت يا عمرو: فإن أول يومك أن وُلدت على فراش مشترك، وقد احتج فيك خمسة من قريش: أبو سفيان بن حرب، والوليد بن المغيرة، وعثمان بن الحويرث، والنضر بن حارثة، والعاص بن وائل، كل واحد منهم يدّعي أنك ابنه، فغلب عليك جزّار قريش العاص بن وائل ألأمُها حسباً، وأخبثها منصباً، وأعظمها لعنة، ثم قمت خطيباً في نادي قريش فقلت[2]: إني شانئ محمداً، فأنزل الله تعالى: ﴿**إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ**﴾ [الكوثر:٣] ثم كنت في كل يوم قاتَلَ فيه رسول الله ص أشدهم له عداوةً وتكذيباً، ثم كنت من الفسقة

---

(١) في شرح النهج: حاد ابن حرب عن العزى إذا فرقا. والفرق: بفتح الفاء الخوف.

(٢) قائل ذلك: هو أبوه العاص بن وائل، كما هو المشهور ولعل ما هنا تحريف.

الذين ركبوا إلى النجاشي في جعفر، فكذّبك الله وردّك بغيضك، فلما أخطأك ما رجوتَ أجلبتَ على صاحبك عمارة بن الوليد فقتلته، وأنت عدو بني هاشم في الجاهلية والإسلام، ولسنا نلومك على حسبك، ولا نستعتبك في حبٍّ، وقد هجوتَ النبي ص بسبعين بيتاً، فقال نبي الله: اللهم إني لا أحسن الشعر، ولكن الْعَنْهُ بكل بيت لعنة. وأما قولك في عثمان فإنك ألهبتها عليه ناراً، ثم هربت إلى فلسطين، فلما بلغك قتله حبستَ نفسَك على معاوية، فبعته دينَك بدنياك، ولسنا نلومك على بغضنا وأنت القائل حيث قلت[1]:

تقول ابنتي: أين أين المسيـ ـر؟ وما السير مني بمستنكرِ
فقلت: دعيني فإني امرؤ أريد النجاشي في جعفرِ
لأكوِيَه عنده كيَّة أقيم بها صَعَر الأصعرِ
ولا أنثني عن بني هاشم بما اسْطَعتُ في الغيب والمحضرِ
وعن عائب اللات في قوله ولولا رضى اللات لم نمطرِ
وإني لأشنى قريش له وأقولهم فيه بالمنكرِ
وأجرا قريش على عيبه وإن كان كالذّهب الأحمرِ
فإن بزَّني الأمر تابعته وإلا لويتُ له مشفري

وأما أنت يا عتبة: فوالله ما أنت بحصيف فأجيبك، ولا عاقل فأعيبك، ولا فيك خير يُرتَجى، ولا شر يُتّقى، وأما وعيدُك إياي بالقتل فهلا قتلت الذي

[1] من بحر المتقارب.

وجدت ... ( ) على فراشها قد غلبك على فرجها، وشركك في ولدها؟ ولو كنت تستحيي من شيء أو تقتل أحداً لما أمسكتها بعد إذ بغت عليك، ولم تغر عليها ولا عليه، فكيف يخافك أحد؟ أم كيف توعّد الناس بالقتل وقد تركته! ولا ألومك على سبِّ عليٍّ وقد قتل خالك مبارزةً، واشترك هو وحمزة في جدك فقتلاه. وأما قولك في رجائي الخلافة فلعمري إن لي لملمساً( ) ولكنك والله ما أنا بنظير أخيك، ولا خليفة أبيك، وكان حقاً لك أن تستحي من قول نصر بن الحجاج حيث يقول:

يا لرجال لحادث الأزمان ولسوءة ساءت أبا سفيانِ
نبئتُ عتبة قذّرته عرسُه لصداقة الهُذَلي من لحيانِ
ألفاه معها في الفراش فلم يكن حُراً وأمسك شرة النسوانِ
لله درُّك خلِّ عنها إنها ليست وعندك علمها بحَصانِ
واطلب سواها حرّة مأمونة ألقت عليه بثقلة الديثانِ
لله درك إنها مكروهة قالوا الزنا ونكاحها سيّانِ
لا تُلْزِمنْ يا عُتب نفسك حبَّها إن النساء حبائلُ الشيطانِ

وأما أنت يا وليد: فلا ألومك أن تسبَّ علياً وقد جلدك في الخمر، وقتل أباك بيده صبراً عن أمر رسول الله ص، وكيف تسبَّه وقد سماه الله تعالى في عشر آيات مؤمناً، وسمّاك فاسقاً! وكيف تسبَّه وأنت عِلْج( ) من أهل

(١) بياض لمقدار كلمة، أوردها ابن أبي الحديد: اللحياني.
(٢) في الحدائق: لملبسا، والعبارة في حاجة إلى تأمل.
(٣) العلج: الواحد من كفار العجم (مختار الصحاح ٤٤٩).

صفُّورية! وأما زعمك أنا قتلنا عثمان، فوالله ما استطاع طلحة والزبير أن يقولا [لعلي] ذلك، ولو استطاعا لقالا، وكأنك قد نسيت قول شاعرك حيث يقول:

أنزل الله في كتابٍ عزيزٍ   في عليٍّ وفي الوليد قرآنَا(١)

...القصيدة.

وأما أنت يا مغيرة: فوالله ما كنتَ حقيقاً أن تقع في هذا المكان، إنما مثلك مثل البعوضة حيث وقعت على النخلة فقالت لها: استمسكي فإني نازلة عنك، فقالت النخلة: والله ما شعرت بوقوعك فيشق عليَّ نهوضك، ونحن والله ما شعرنا بعداوتك، ولا غمّتنا إذ عرفناها، ولكن أخبرني بأي الخصال تسبُّ علياً: انتقاصاً في نسبه؟ أم بُعداً من رسول الله ص؟ أم سوء بلاء في الإسلام؟ أو جَوْرَ حكمٍ؟ أو رغبة في الدنيا؟ فلئن قلتَ واحدةً منها فقد كذبت، أو جئت تزعم أن علياً قتل عثمان، ولعمري لو قتله ما كنت من ذلك في شيء.

فأمّا قِيْلُكم في الإمرة والملك الذي أعطيتكم(٢) فإن الله تعالى قال لمحمّد ص:

---

(١) باقي الأبيات جاءت في «جمهرة خطب العرب» وهي:

فتبوأ الوليد إذ ذاك فسقا   وعلي مبوأ إيمانا

ليس من كان مؤمنا عمرك اللـ   ـه كمن كان فاسقا خوّانا

سوف يدعى الوليد بعد قليل   وعلي إلى الحساب عيانا

فعلي يجزى بذاك جناناً   ووليد يجزى بذاك هوانا

(٢) كذا، وفي الحدائق: أعطيتم.

﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ [الأنبياء:١١١] **﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً** [الإسراء: ١٦]**﴾** والله ما نصرت عثمان حياً، ولا غضبت له ميتاً، وما زالت الطائف دارك حتى كان أمس، وأما اعتراضك في بني هاشم أو بني أمية فهو دعاؤك إلى معاوية. ونفض ثيابه وخرج.

فقال معاوية: ذوقوا، قد نبأتكم، والله ما خرج حتى أظلم عليَّ البيت[1] وقال معاوية شعراً:

أمرتكم أمراً فلم تسمعوا له   وقلتُ لكم لا تبعثُنَّ إلى الحسنْ

فإني وربِّ الراقصات عشية   بركبانها يهوين من سرّة اليمنْ

أخاف عليكم منه طولَ لسانه   وبعد مداه عند تجريره الرّسَنْ

فلما أبيتم كنتُ فيه كبعضكم   وكان خطاي فيه غَبْناً من الغَبنْ

فأجمعتم بغياً عليه وغدرةً   وقد يعثر العير المدلُّ من السِّمنْ

فكيف رأيتم غِبَّ رأيي ورأيكم   ألا إنه دار السلاح على المِجنْ

فحسبكم ما كان من نضج كيَّه   وحسبي وحسب المرء في القبر

انتهى المقصود من سيرة الحسن طلباً للاختصار، على أنه عليه السلام هو وأخوه سبطا رسول الله وريحانته من الدنيا، فكيف يحيط بتعداد صفاتهما واصف، وإنما كلما ذكرته في شرحي هذا من سيرة الأئمة يُفيد ذكرهم

---

(١) وأحفظ أنهم قالوا: ما ذقنا إلا ما ذقت، والاستجراء عليك ولم يثبت في خط الأمير رحمه الله تعالى. (تمت مؤلف).

وقيامهم بالأمر، وامتحانهم، ووفياتهم، ومواضع قبورهم، أعاد الله علينا من بركاتهم، وحشرنا في زمرتهم.

وقد عنَّ لي أن أذكر ما جرى من سرعة الجواب من بني هاشم وتنوير بصائرهم، لما ذكرت ما ذكره الحسن السبط من الجوابات السابقة، والحديث ذو شجون، والشيء بالشيء يذكر كما قيل:

تعرّض مختاراً وما كان ذاكراً   لعهد اللوى والشيء بالشيء يُذْكرُ

قال معاوية لعقيل بن أبي طالب: ما حال عمك أبا لهب؟ فقال: في النار يفترش عمتك حمالة الحطب. وقال له يوماً وقد أعطاه مائتي ألف درهم: كيف رأيت عطيتنا من عطية علي بن أبي طالب؟ فقال عقيل: عليٌّ خير لي في دنياي وآخرتي، وأنت خير لي في دنياي، ثم خرج من عنده، فلقي جارية أعجبته، فساوم فيها بأربعين ألف درهم، فرجع إلى معاوية فسأله ثمنها، فقال له معاوية: أتشتري جارية بأربعين ألف درهم؟ فقال: لعل يولد لي منها ولد إن كلمته علا مفرقك بالسيف، فضحك معاوية وأمر له بأربعين ألف.

قال الراوي: فاتفق أن ولدت هذه الجارية لعقيل ولداً سماه مسلماً، فابتاع مسلم من معاوية أرضاً ونقده معاوية ثمنها، فبلغ ذلك الحسين بن علي عليه السلام فقال: يا معاوية إنا لا نجيز بيع مسلم، فاردد علينا ضيعتنا. فأرسل معاوية إلى مسلم أن اردد علينا مالنا، واقبض ضيعتك، فإن حسيناً أبى أن يجيز بيعك، فكتب إليه مسلم: والله ما دون أن أردد إلا أن أعلو مفرقك بالسيف، فضحك معاوية. ومن هنا قيل: كان معاوية حليماً، فردَّ بعض

العلماء ذلك بأن قال: لو كان حليماً ما باع آخرته بدنياه، لكنه كان حماراً نهاقاً.

وأقول: علِم الخبيث أن ذلك المال الذي في يده هم أولى به منه، وأنه غصب في يده؛ دليل ذلك ما روي أن عيراً مرَّت بالحسين بن علي عليهما السلام تحمل جوهراً ووشياً وعنبراً إلى معاوية، فأخذها الحسين عليه السلام وكتب إلى معاوية: أما بعد، فإني مرت بي عيرٌ تحمل جوهراً ووشياً وعنبراً، وقد أخذت منها حقي الذي أوجب الله لي. فلما وصل الكتاب إلى معاوية كتب إلى الحسين عليه السلام: أما بعد، فقد فهمت كتابك، وقد سوّغتك ما أخذت، وكتبت إليك أبياتاً فافهمها وهي:

يا حسين بن عليٍّ ذا الأملْ لك بعدي وثبةٌ لا تحتملْ

ليس بعدي لك من يحملها ليس بعد الموت والوثب عملْ

يا حسين بن علي ليس ما نلت من أمرك هذا بخللْ

أخذُك المالَ ولم تؤمر به إن هذا من حسين لعَجَلْ

قد أجزناها وفي إمضائها عذرك اليوم فدع عنك العللْ

واحذرنْ بعدي أن تصلى بمن عذرُه: قد سبقَ السيف العَذَلْ

ليتني يا ابن أخي شاهدها فأقيها عنك بالأمر الجللْ

فيقال: إن معاوية حرّض يزيداً بهذه الأبيات على قتل الحسين عليه السلام.

ودخل عقيل بن أبي طالب بعدما كف بصره، وقيل: عبد الله بن عباس

رضي الله عنهما وقد كف بصره أيضاً - على معاوية، فقال: ما لكم يا بني هاشم تصابون في أبصاركم؟ فقال: كما تصابون يا بني أمية في بصائركم، وأشار معاوية لعنه الله تعالى إلى ما روي أن عبد المطلب أصابه العمى في آخر عمره، وكذلك ولده العباس، وابن عباس وعقيلاً وذلك لعماه في دينه؛ فإن أباه أبا سفيان كذلك أصابه العمى والخَرَفْ أيضاً.

وحكي أن هنداً بنت عتبة بن ربيعة وقفت بالموسم، وقالت: يا بني هاشم، أين أبي؟ أين أخي؟ أين عمي الذين كانت وجوههم تضيء للساري في الليل العاكر، ويفتق بمدحهم لسان الذاكر، فقال لها عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه: إذا دخلت النار فخذي على شمالك انتهى.

[ذكر الإمام الحسين بن علي السبط]

وأما شبر: فهو الحسين أمير المؤمنين أبي عبد الله سبط رسول الله ص، ولد لخمس ليال خلون من شهر شعبان سنة أربع للهجرة.

وكان بين ولادة الحسن والعلوق بأخيه الحسين خمسون ليلة، ولما ولد أذّن رسول الله ص في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى، وعقَّ عنه في اليوم السابع، وحلقت أمه رأسه، وتصدقت بوزنه فضةً على المساكين.

وكان الحسين يشبه النبي ص من سرّته إلى قدميه، وكان شديد البياض حتى أنه كان يهتدى إلى موضعه في الليل المدلهم لشدة بياض وجهه ونحره، وكيف لا وهو ابن محمد المصطفى وعلي المرتضى وفاطمة الزهراء،

وخامس أهل الكساء، الذين شهد بتطهيرهم التنزيل، وأثنى عليهم الملك الجليل، فقال عزّ مِن قائل: ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾ [الأحزاب:٣٣] فهم المطهّرون من الأدناس، والمفضّلون على جميع الجِنَّة والناس، ولله القائل:

بأبي خمسة همُ جُنِّبوا الرجـ ـس كرامٌ وطُهِّروا تطهيرا
أحمد المصطفى وفاطم أعني[1] وعلياً وشبراً وشبيرا
من تولاهم تولاه ذو العر ش، ولقّاه نضرةً وسرورا
وعلى مبغضيهم لعنة اللـ ـه وأصلاهم[2] المليك سعيرا

وعن النبي ص أنه قال: «حسينٌ مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً، حسين سبط من الأسباط».

وبويع له يوم نُعي معاوية في المدينة، وسيرته تحتاج إلى مجلدات لكني أشير منها إلى نبذٍ كافية، وتلويحات شافية ؛ فالحاصل أنه لما خرج من المدينة ليلة الأحد لليلتين بقيتا من رجب سنة ستين للهجرة، فدخل مكة ليلة الجمعة لثلاث خلون من شعبان، فوردت عليه كتب أهل الكوفة فيها بالبيعة له، وفيها: إن وصلت إلينا وإلا فأنت آثم. فلما عزم على المسير جاءه ابن عباس ونهاه عن ذلك، وقال له: يابن عمّ، إن أهل الكوفة قوم غُدر قتلوا أباك، وخذلوا أخاك،

---

(1) في الأصل: «وفاطمة الطهر» والتصويب عن الحدائق ١/ ١٩٠.

(2) في الأصل: «ولقاهم».

وطعنوه وسلموه، وأسلموه إلى عدوه، وإن خفت على نفسك من المقام بمكة فسِرْ إلى اليمن، فإن بها عزلة ولنا بها أنصار وفيها قلاع وشعاب، واكتب إلى أهل الكوفة فإن أخرجوا الأمير عليهم وسلّموها إلى نائبك، فسِرْ إليهم؛ فإنك إن سرت إليهم على هذه الصفة لم آمن عليك منهم، وإن عصيتني فاترك أولادك وأهلك هاهنا، فوالله إني لخائف عليك أن تُقتَل كما قُتِل عثمان ونساؤه وأهله ينظرون إليه.

ولما بلغ ابن الحنفية مسيره وكان يتوضأ وبين يديه طست، فبكى حتى ملأه بدموعه، ولم يبق بمكة إلا من حزن لمسيره، فلما أكثروا عليه أنشد:

سأمضي وما بالموت عارٌ على الفتى   إذا ما نوى خيراً وجاهد مسلما
وواسى الرجال الصالحين بنفسه   وفارق مثبوراً وخالف مجرما
فإن عشت لم أذمم، وإن مُت لم أُلاَم   كفى بك داءً أن تعيش وترغما

ثم قرأ ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ [الأحزاب:٣٨] وروي أنهم سمعوه مرة في زمن معاوية وقد أراد أخذ العهد ليزيد في حياته ينشد بيتي يزيد بن مفرغ الحميري:

لا ذَعَرتُ السَّوامَ في غسق الصبـ   ـح مغيراً ولا دُعيتُ يزيدا
يوم أُعطَى على المهانة[1] ضيماً   والمنايا يَرصُدنَني أن أحيدا

فعرفوا أنه سيخرج على يزيد.

---

(1) في الديوان: يوم أعطى مخافة الموت ضيما.

قالوا: فلما خرج من مكة سابع ذي الحجة، وصل إلى بستان بني عامر فلقيه الفرزدق الشاعر يوم التروية، فقال له: إلى أين يا ابن رسول الله؟ ما أعجلك عن الموسم؟ فقال له: لو لم أعجل لأخِذتُ أخذاً، فأخبرني عمَّا وراءك يا فرزدق؟ قال: تركت الناس بالعراق قلوبهم معك وسيوفهم مع بني أمية. وكان الوالي على الكوفة يومئذ النعمان بن بشير، فكتب إليه يزيد بن معاوية بتسليم الأمر لعبيد الله بن زياد، فجهز عمر بن سعد بن أبي وقاص لقتال الحسين في أربعة آلاف، وقال له: اكفِني هذا الأمر، وكان عمر يكره قتال الحسين، فقال: اعفني، وقد كان ولاه الري وخراسان فقال: إن لم تفعل وتقاتل الحسين عزلتك، فقال: امهلني الليلة، ففكر فاختار ولاية الري، وقال:

فوالله ما أدري وإني لواقفٌ هنالك من أمري على خطرينِ

أأترك ملك الريِّ والريُّ منيتي أم ارجع مذموماً بقتل حسينِ

وأصلى جحيماً بعده ليس دونها ولكن ملك الري قرّة عينِ

وفي نسخة:

وفي قتلهِ النارُ التي ليس دونها حجابٌ وملك الري قرّة عينِ

قال الراوي: فلما أصبح عمر غدا إلى ابن زياد وقال: أنا أقاتله.

قال ابن سيرين(١): وقد ظهرت كرامات علي بن أبي طالب عليه السلام، فمنها في هذا: أنه لقي عمر بن سعد يوماً وهو شاب، فقال له: ويحك يا ابن

(١) كذا الأصل، ولعله ابن شيرين.

سعد كيف بك إذا قمت مقاماً تخيّر فيه بين الجنة والنار، فتختار النار.

قالوا: ولما وصل الحسين عليه السلام كربلاء وقف ليختار مكاناً ينزل فيه، فإذا سواد الخيل قد أقبل كالليل، فنزلوا مقابلهم ومنعوهم الماء ثلاثة أيام، فناداهم بعض عسكر عمر ابن سعد: يا حسين أما تنظر إلى الماء كأنه كبد السماء، والله ما تذوق منه قطرة حتى تموت عطشاً، وناداه أيضاً عمر بن الحجّاج: يا حسين هذا الماء تلغ منه الكلاب، وتشرب منه خنازير أهل السواد، والحمير والذياب، وما تذوق أنت منه قطرة حتى تذوق الحميم في نار الجحيم. فكان سماع هذا القول على الحسين وأصحابه أشد من منعهم الماء، ولله القائل:

منعتموهُم ورودَ الماء ولو وردوا ما ضرَّ ذلك سيحوناً وجيحونا

منعهم الله حوض محمد، وأظمأهم يوم ظمأ الأكباد، وأشربهم الحميم، وألبسهم سرابيل القطران.

قال: فلما اشتد بالحسين عليه السلام وأصحابه العطش، بعث إليه عمر بن سعد يطلب الاجتماع به، فاجتمعا خلوة، فقال له عمر: ما جاء بك؟ فقال: أهل الكوفة، فقال: أما عرفت ما فعلوا معكم! فقال: من خادعنا في الله انخدعنا، فدعوني أرجع فأقيم بمكة، أو أذهب إلى بعض الثغور فأقيم به، فقال: أكتب إلى ابن زياد بذلك. فكتب إلى ابن زياد بما قال، فهمَّ ابن زياد أن يجيبه، فقال شِمْر بن ذي الجوشن: لا تقبل منه حتى يضع يده في يدك، فإنه إن أفلت كان أولى بالقوة منك، وكنت أولى بالضعف منه، قال: نعم. فكتب إلى ابن سعد: إني لم أبعثك إلى الحسين تُمَنّيه السلامة، وتكون شافعاً له عندي، فإن نزل على حكمي،

ووضع يده في يدي فابعث به إليَّ، وإن أبى فازحف عليه واقتله وأصحابه، وأوطئ الخيل صدره وظهره، وإن أبيت فاعتزل أمرنا، وسلّمه إلى شمر بن ذي الجوشن، فقد أمرناه فيك بأمر، وكتب في أسفل الكتاب:

الآن حين تَغَلْغَلَتْه حبالُنا يرجو الخلاص ولات حين خلاصِ

ودفع الكتاب إلى شمر وقال له: اذهب إليه، فإن فعل ما أمرته وإلا فاضرب عنقه، وأنت الأمير على الناس، فلما وصل شمر إلى عمر ناداه عمر: لا أهلاً ولا سهلاً بالأبرص لا قرب الله دارك، ولا أدنى مزارك، وقبّح ما جئت به، ثم قرأ الكتاب وقال: والله لقد نهيتَه عما كان في عزمه، ولقد أذعن، ولكنك شيطان، وبعث عمر إلى الحسين فأخبره بما جرى، فقال: والله لا وضعت يدي في يد ابن مرجانة أبداً، ثم إن عمر نادى وقال: يا خيل الله اركبي، فزحفوا إليه، وعلم الحسين أنهم قاتلوه فعرض على أصحابه الانصراف، وكذلك على أهله، وأن يتفرقوا عنه فبكوا وقالوا: قبّح الله العيش بعد.

وسمعت أخته زينب بنت علي فقامت تجر ذيولها وتقول: واثكلاه! ليت الموت أعدمني الحياة قبل يموت أخي الحسين خليفة الماضين وثمال الباقين، ثم لطمت وجهها والحسين يعزيها، وهي لا تقبل عزاء.

ثم قال الحسين: ما يقال لهذه الأرض؟ قالوا: كربلاء، فبكى وقال أخبرتني أم سلمة قالت: كان جبريل عند رسول الله ص وكنتَ معي، فبكيت، فقال

النبي ص: «دعي ابني» فأخذك ووضعك في حجره، فقال له جبريل عليه السلام: أتحبه؟ فقال: نعم، فقال: إن أمتك ستقتله، وإن شئت أن أريك تربة أرضه التي يقتل فيها، فقال: نعم، فبسط جبريل جناحه على أرض كربلاء، فقال: هذه أرض كربلاء فأراه إياها. فلما قيل للحسين عليه السلام: هذه أرض كربلاء قال: هذه والله الأرض التي أخبر بها جبريل رسول الله ص، وإني أقتل بها.

وكان عسكر الحسين عليه السلام خمسة وأربعين فارساً ومائة راجل، قُتل منهم ثمانون نفساً، ولم يحضر قتال الحسين عليه السلام أحد من أهل الشام، بل كلهم من أهل الكوفة ممن كاتبه، وكانوا ستة آلاف مقاتل، فأعطى الحسين رايته أخاه العباس، وجعل بيوت الحرم خلفه، فأضرم القوم النار وراء البيوت، فناداه شمر: يا حسين! تعجلت النار في الدنيا، فقال له الحسين: يا ابن راعية المعزى، أنت والله أولى بها صلياً.

قالوا: وكان أول من رمى عسكر الحسين عمر بن سعد لعنه الله، ثم صاح بالناس: ما تنتظرون به احملوا عليه حملة واحدة؟ أما تعلمون من تقاتلون هذا سيف المنية، قال: فحملوا عليه فكان بينهم كالسبع الضاري، يروغ يميناً وشمالاً، قال: فأحصى في درعه مائة وعشرين طعنة ومائة وإحدى وثلاثون رمية وخمس وستون ضربة بالسيف، منها نافذ إلى بدنه ومنها غير نافذ، ثم خرج من بينهم ودخل خيمة الحريم، فنظر إلى طفل له يتلظى من العطش

وقال: يا قوم إن لم ترحمونا فارحموا هذا الطفل، وقد كان على يديه، فرماه رجل بسهم فذبحه، فجعل الحسين يبكي ويقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم دعونا لينصرونا فقتلونا، فنودي من الهوى: يا حسين دعه فإن له موضعاً في الجنة.

وإلى ذلك أشار يحيى بن سلامة الحصكفي بقوله في قصيدته المشهورة:

ومصرعُ الطفل فلا أذكرُه ففي الحشا منه لهيبٌ يقِدُ

يرى الفراتَ ابنُ الرسول ظامئاً يلقى الردى وابن الدَّعي يرِدُ

حسبك يا هذا وحسب من بغى عليهم يوم المعاد الصمدُ

قال الراوي: ورماه حصين بن تميم بسهم فوقع في شفتيه عليه السلام، فجعل الدم يسيل وهو يبكي ويقول: اللهم إني أشكو إليك ما يفعل بي وبإخوتي وأهلي، ثم اشتد به العطش، فهمَّ أن يلقي نفسه في القوم، ثم شرفت نفسه عن ذلك، فجاء وقت صلاة الظهر، وقيل: الجمعة، فصلى بأصحابه صلاة الخوف، فتكالبوا عليهم، فتشدد الحسين عليه السلام ولبس سراويلاً ضيقاً، فأعجلوه ثم ضربه الحصين بن تميم على رأسه بالسيف، فسقط وشاركه شمر بن ذي الجوشن، وكان أبرصاً وهو الذي احتز رأسه.

وفي رواية قال: لم يزل الحسين عليه السلام يقاتل حتى بلغ الفرات بعد جهد، فأزالهم عنه، وأراد أن يشرب فأتاه سهم مسموم من يد رجل مشئوم يقال له: موقد النار، فأصابه في لبته، فعالجه بيده الشريفة حتى أخرجه

ونظر إليه، وجثا على ركبتيه، والتقى الدم بيديه، وخضب به لحيته ورأسه وهو يقول: هذا في سبيل الله، واتكأ على سيفه، وانكب على وجهه، فلما نزف الدم انقلب على شقه الأيمن، فكل من أراد قطع رأسه لم يجزم عليه إلا الكلب الأبقع شمر بن ذي الجوشن، أبرص الجسم كأنه الغراب الأبقع، فقال الحسين لما رآه: الله أكبر، والله أنت قاتلي، ليس يقتلني غيرك، أنت الكلب الأبقع، صدق جدي ص فإنه قال: «رأيت كلباً أبقع يلغ في دمي» ولا أراك إلا إياه، أنت والله هو، فغضب شِمْر من كلامه وقال: تشبهني بالكلب، والله لأقتلنك ولا أبالي من كان خصمي فيك، قال: أو تعلم أنك محاسب؟ قال: والله إني لأعلم ذلك، ثم دنا منه وهو يقول:

أقتُلك اليوم ونفسي تعلما علماً يقيناً ليس فيه من عمى

إن أباك خير من تكلّما بعد النبيِّ الطاهر المكرّما

وقد علمت أن لي جهنما

قال الحسين عليه السلام: فإذا علمت ذلك، فما دعاك بحمل عظيم إثمي؟ قال: أخذ الجائزة من يزيد، قال: تشتري رضاء المخلوق بسخط الخالق، قال: إذا رضي عليّ يزيد فلا أبالي بمن سخط، وقد علمت ما لي بعدها من خلاق، فقال الحسين: لا رضي الله عليك، ولا أذاقك طعم الحياة بعدي. قال الراوي: فحزّ رأسه من قفاه، ثم وضعه في مخلاته ومضى حتى ألقاه قدام عمر بن سعد، ثم احتمله على قناة طويلة، وطافوا به الأسواق، ومضوا به المدائن حتى وضعوه بين يدي يزيد بن معاوية لعنه الله تعالى.

وقد اختلف في الشمر لعنه الله تعالى، فقيل: قتله عبيد الله بن زياد لما أوصل رأس الحسين بين يديه، وقال:

املأ حِجْري فضة وذهبَا قتلت خير الناس أماً وأبا

فقال: ويحك حيث علمت أنه خير الناس فلم قتلته؟ فقتلَه، وهذه الرواية يقوِّيها ما روي أن الذي أوصل الرأس إلى دمشق عند يزيد خولي بن ربعي[1] الأصبحي.

وقيل: إن الذي قتل الشمر يزيد بن معاوية لما قال له ذلك، فغضب وأمر بضرب عنقه، ويقوِّي ذلك ما روي أنه ما زال في طريقه عطشاناً حتى لو سقي ماء البحر لم يروى، وكان يدلع لسانه على صدره من العطش، وكان يرى السراب فيحسبه ماء فيذهب إليه فلا يجد شيئاً، وبقي معذباً كذلك إلى أن قتل لا رحمه الله؛ والله أعلم أي ذلك كان.

ولما قتل الحسين عليه السلام انتهبوا ما عليه من الشعار والدثار والسلاح والكراع، ونهبوا خيمة الحريم، وهتكوا ذلك الحمى العظيم، ونزعت أقراط كرائمه وحلائله، ووجدوا في خيمته ولده الأصغر علي بن الحسين الذي عرف بعد بزين العابدين، وهو يومئذ ابن إحدى عشرة سنة، فلما أوصلوهم إلى بين يدي ابن زياد قال: من هذا الطفل؟ قالوا: علي بن الحسين، قال: أو ليس قد قُتِل عليَّ بنَ الحسين؟ قالوا: قتل علي الأكبر وهذا الأصغر، فلما

(1) في المقاتل ٨٨: خولي بن يزيد الأصبحي.

سمع علي بن الحسين سؤال ابن زياد استفتح وقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾ [آل عمران:١٨٥]. ثم قال: يا ويلك يا ابن زياد ما خلق الله العباد إلا للفناء، وسوف نبعث وتبعثون، ونسأل وتسألون، فاستعد للسؤال جواباً، وللجواب صواباً، فإن الله تعالى ورسوله خصماك يوم القيامة، فأعرض عنه وكلّم أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب بكلام، فأجابت عليه بما يخزيه، تركته اختصاراً.

ثم أرسل بهم إلى دمشق، فلما قربوا من دمشق ودخل البشير على يزيد يعلمه بقدومهم تغير واسود وجهه، وانتقع لونه، فقال له مروان بن الحكم: أيخزيك هذا يا أمير المؤمنين؟ لو قدر عليك لفعل بك أعظم من ذلك، ثم قال: من عاش بعد عدوه يوماً فقد بلغ المنى، عن أذنك نخرج للقائه فقال: نعم، فأمر بالمدينة فزينت، وبالأعلام فنشرت. قال سهل بن سعد: فإني بالرأس الكريم فوق القناة وهو يضيء ضياء الشمس، قال: فقام يزيد بن معاوية وهو يتعثر في مشيته من الفرح، وعليه قباء من خز أحمر، ومنديل من القباطي الأخضر، وبيده قضيب محلّى بالذهب، وعلى رأسه قلنسوة من اللؤلؤ فقيل له: الرأس بالباب موقوف من أول النهار، أيدخل عليك أم يرمى به في الصحراء، فأنشأ يقول:

نفلّق هاماً من رجالٍ أعزةٍ ... علينا وهُمْ كانوا أعقَّ وأظلما
متى ما تردنا من قريش عصابةٌ ... فإنا سنحمي حوضنا أن يهدما
أتانا حسين والحوادث جمَّة ... فأسيافنا من نحره تقطر الدما

قتلنا حسيناً إذ أتانا ببغيه   وقطع حبل الوصل حتّى تصرما

قال: ثم أذن لهم بالدخول فدخل شمر لعنه الله برأس الحسين عليه السلام، فأخذوه وجعلوه في طست من الفضة، وغطوه بمنديل من القباطي الأحمر، قال سهل: فأخذته بكلتا يدي إلى حجري وقبلته، وقلت: يعزُّ على محمد المصطفى مقامك هذا يا أبا عبد الله. فوثب إليه غلمان يزيد فكبوه ومزقوا أطماره وأخذوا الرأس منه، وأدخلوه على يزيد، فنظرت إليه فإذا هو رجل قصير دميم، كبير الرأس، عظيم البطن، أفطس الأنف، أسود الوجه، أحمر العينين، أسفع الخدين، على خرطومه ضربة تزدريه العين عند رؤيته، فسلمت عليه فردَّ عليَّ بقوله: لا سلمك الله أبعدوه عني، فخرجت من عنده، فدخل شِمْر بالرأس فقال:

أوقر ركابي[1] فضة وذهبا   إني قتلتُ الملك المحجَّبا
قتلتُ خير الناس أماً وأبا

إلى آخر ما قال، فقال يزيد لعنه الله: ويحك أيها الكلب، جعلت أم الحسين خيراً من أمي، وأباه خيراً من أبي، وإن كان خير الناس فلم قتلته؟ والله لا نالك من جائزتي إلا القتل، ثم دعا بخادم له، وقال: دونك هذا الأحمق فاقتله، فقتله لا رحمه الله تعالى.

---

(1) في الأصل: «هبا هبا هبا أو قر حصاني ذهبا» ولم أجد في المصادر ما يدعم مثل هذا السياق، فتوفرت على هذا التصويب.

قال سهل: فأومى بالقضيب أن قدموه، فقدموه إليه وفتحوه فإذا نوره يصعد، وثناياه كالدر المنظوم، فأدخل القضيب بين ثناياه وجعل ينكتها به، وقال: ما كان أحسن مبسمك، وما كان أعذب منطقك، ولقد كنت غنياً عن هذا يا أبا عبد الله، ولقد كان لك في أبيك عبرة إذ خرج على أبي فنصره الله عليه، ونصرني عليك فسفك دمك، وأنشد أبيات عبد الله بن الزبعرى في يوم أحد، وقيل: بل هي له وليس لابن الزبعرى منها إلا قوله: فجزيناهم ببدر مثلها.. البيت.

وقيل: ليس ليزيد منها إلا قوله: لست من عتبة.. البيت والله أعلم. وعلى الجملة فالخلاف لمن هي بين كافرين، لأنه قد كفر بها أو بالتمثل بها وبغير ذلك، فلعنه الله لعناً وبيلاً وهي:

ليت أشياخي ببدرٍ شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسلْ
يوم جالت بفناهم خيلنا واستحَرَّ[1] القتل إذ ضاق السبلْ
لو رأوهم والقنا تقرعُهم من صريعٍ وقتيلٍ منجدلْ
لو رأوهم لاستهلّوا فرحاً ثم قالوا: يا يزيد لا شللْ
فجزيناهم ببدرٍ مثلها وأقمنا ميل بدرٍ فاعتدلْ
لستُ من عتبة إن لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعلْ

ورأيت في بعض النسخ ما لفظه منها:

---

(1) في الأصل: «واسمحد».

لعبت هاشم بالملك فلا خبرٌ جاء ولا وحي نزلْ

وفيها: أنه وقع غراب على كنيسة يزيد لعنه الله فصاح صياحاً متتالياً فقال يزيد:

يا غرابَ البين ما شئتَ فَقُلْ إنما تندب أمراً قد فُعِلْ

كلُّ مُلْكٍ ونعيمٍ زائلٍ وبناتُ الدهر يلعبنَ بكلْ

ليت أشياخي.. الأبيات.

قال: ثم استدعى يزيد بعلي بن الحسين عليه السلام، فأدخل عليه، فأقبل عليه السلام يتخطى الرقاب ولم يسلم، فقال له يزيد: هذا سوء أدب يا غلام تتخطى الرقاب ولا تسلم، فقال علي: عليكم! ويلكم كيف أسلم على أهل النار، فسبحان الله ما أحلمه حين أمهلك وقد قتلت أبي، وأنت تعلم أنك تعص الله ورسوله، فقال يزيد: إنما أراد أن ينكس رأسي بين الملأ، فقال علي: أنت نكست رأسك فقال يزيد: أبوك قطع الرحم، ونازعني ملكي، وخالف أمري، فأراد الله قطع أجله، فقال علي: أما والله يا يزيد ما نعرف لك ولا لأبيك حقاً فنتبعه، ولا فضلاً فنقر به، وإنما بنا هديتم، وبشريعتنا اقتديتم، ومن الضلال خلصتم، وأنت طليق غادر وابن غادر، وفضلنا عليك وعلى جميع الأمة ظاهر، وعهدنا في أعناقكم، ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ **مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنْفُسِكُمْ إلاَّ فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ** ﴾ [الحديد:٢٢].

فقال يزيد: يا علي ما أصاب من مصيبة فبما كسبت أيديكم، فقال علي: لم

يعن الحقُّ جل جلاله هاهنا موت الدنيا ومصائبها وفنائها لأنه حتم على جميع العباد، ولكن مصيبة الأديان، والرجوع عن الإيمان، هو والله بلاء عظيم، والله يا يزيد لقد خسرتم فينا الدنيا والآخرة، وارتكبتم الآثام، وعدتم إلى عبادة الأصنام، وعدلتم عن عبادة الملك العلام، وخرجتم إلى ظلمة الكفر والطغيان. فقال له يزيد: كيف رأيتَ الله قتل أباك؟ فقال علي: لعن الله قاتل أبي ومن كان سبباً في قتله انتهى.

قيل: ولما دخل علي بن الحسين إلى دمشق أسيراً هو وأهل بيته وحرمه أنشأ يقول:

أقاد أسيراً في دمشق كأنني من الزنج عبدٌ غاب عنه نصيرُه

وجدي رسول الله صفوة خلقه نعم وأبي يوم الغدير أميرُه

فيا ليت لم أبصر دمشق ولم يكن يراني يزيد في البلاد أسيرُه

قال سهل: لما صرت بدمشق حال دخول الرأس الكريم وهو على قناة، فركزت قبال روش[1] فيه خمس نسوة، ورأيت بينهن عجوزاً محدودبة عوراء قاربت ثمانين سنة، فأخذت حجراً وضربت بها وجه الحسين. قال سهل: فقلت: اللهم اهلكها ومن معها بحق محمد وأهل بيته، فوالله ما استتمت كلامي حتى سقط الروش ومن فيه معها بأجمعهن ومات تحته خلق كثير.

قيل: وقال علي بن الحسين ذلك اليوم:

---

(1) كذا الأصل. ولم أقف على ما يفيد معناها في المعاجم، ولعلها بمعنى كوة أو شرفة كما يفيد السياق.

هو الزمان فما تفنى عجائبه عن الكرام وما تهدى مصائبُه
فليت شعري إلى كم ذا تحاربنا صروفُه وإلى كم ذا نحاربُه؟
يسيِّرونا على الأقتاب عاريةً وسائق العِيس يحمي منه غاربُه
كأننا من أسارى الروم بينهم أو كلما قاله المختارُ كاذبُه
كفرتمُ برسول الله ويلكُمُ أصابكم من عذاب الله صائبُه

قال الراوي: دعا يزيد لعنه الله يوماً علي بن الحسين عليه السلام وكان يومئذ عمره إحدى عشرة سنة، فقال له يزيد: تصارع هذا - يعني خالداً ابنه - قال: لا ولكن إعطني سكيناً وأعطه سكيناً حتى أقاتله، فضمه إليه وقال: شنشنة نعرفها من أخزم، ثم قال يزيد لعلي بن الحسين: قل حوائجك الثلاث التي وعدتك بهن، فقال: أما الحاجة الأولى: فتريني وجه أبي الحسين حتى أتزوَّد من النظر إليه وأودعه، والثانية: أن تردَّ علينا ما أخذت منا، والثالثة: إن كنت عزمت على قتلي أن توجه مع هؤلاء النساء من يردُّهن إلى حرم جدهن. فقال: أما وجه أبيك فلن تراه، وأما قتلك فقد عفوت عنك وأذممت لك، وأما النساء فما يردهن إلى المدينة غيرك، وأما ما أخذ منكم فأنا أعوّضكم عنه أضعافاً. فقال عليه السلام: أما مالك فما نريده وهو موفّر عليك، وإنما طلبت ما أُخِذ منا، لأن فيه قناع فاطمة بنت محمد عليها السلام وقلادتها، فأمر بردّ ذلك كله، وزاد عليه مائتي دينار، ففرّقها عليّ عليه السلام على الفقراء والمساكين، ثم أمر يزيد بردهم إلى المدينة، وأنفذ معهم من يحفظهم ويتفقد أحوالهم، ويوصلهم إلى مدينة جدهم محمد ص.

***

وكان قتل الحسين يوم عاشوراء يوم الجمعة لعشر مضين من المحرم سنة إحدى وستين للهجرة وهو ابن أربع وخمسين[1] سنة، وكان مدة ظهوره وانتصابه للأمر إلى أن قتل شهراً واحداً ويومين، ودفن جسده الكريم في كربلاء.

واختلف في رأسه أين دفن بعد؟ فمنهم من قال: إنه رد مع السبايا إلى المدينة فدفن عند قبر أمه فاطمة عليها السلام، قاله ابن سعد كاتب الواقدي. وقيل: ردّ إلى الجسد الكريم بكربلاء فدفن معه، قاله هشام[2]. وقيل: إنه بدمشق، ذكره ابن أبي الدنيا والبلاذري في تاريخه وابن عساكر، وقيل: إنه بمسجد الرقة، والقول الخامس: أن خلفاء مصر نقلوه من دمشق إلى عسقلان ثم نقلوه إلى القاهرة بمصر، وله بها مشهد عظيم.

قلت: فتختص مصر بفضيلتين عظيمتين: قبر رأس الحسين، وقبر رأس زيد بن علي بن الحسين بن علي عليهم السلام، كما سنذكره إن شاء الله تعالى في سيرته.

قال الفقيه محمد بن علي الزحيف رحمه الله: وعلى الجملة ففي أي مكان كان رأسه وجسده فهو ساكن في القلوب، قال: وفي المعنى أنشد بعض

---

(1) في الحدائق ١/ ٢٢٣، والتحف ٦٠: ست وخمسين.

(2) هو هشام بن محمد السائب الكلبي.

أشياخنا:

لا تطلبوا المولى الحسيـ ـن بأرض شرقٍ أو بغربِ
ودعوا الجميع وعرِّجوا نحوي فمشهده بقلبي

وممن قتل معه من أهل بيته ستة وعشرون نفساً، سبعة من إخوته وهم: جعفر، والعباس، وعثمان، وأبو بكر، ومحمد الأصغر، وعبيد الله، وعبد الله.

ومن أولاده: علي الأكبر وعبد الله، ومن أولاد أخيه الحسن السبط: عبد الله، وأبو بكر، والقاسم. ومن أولاد عبد الله بن جعفر: عون، ومحمد، وعبيد الله. ومن أولاد عقيل: مسلم قتل بالكوفة وهو رسول الحسين داعياً إليه وقصته مشهورة، وجعفر بن عقيل، وعبد الرحمن بن عقيل، وعبد الله بن عقيل. ومن أولاد مسلم بن عقيل: محمد، وعبد الله، ثم أبو سعد[1] محمد بن عقيل، وفي نسخة: أبو سعيد بن عقيل، هذه رواية «النجم الثاقب في مناقب علي بن أبي طالب» عليه السلام.

قلت: وموسى[2] بن الحسين المقدم ذكره الذي قيل فيه: ومصرع الطفل فلا أذكره؛ وقد تقدم.

والطاهر والمطهر أبناء مسلم بن عقيل، اللذين قتلهما الكثير بن الأسود على شاطئ الفرات، ولهما قصة طويلة عجيبة خلاصتها: أنهما خرجا من

---

(1) في نسخة: أبو سعيد (مؤلف) وهو موافق لما في المآثر.

(2) هذا سهو، والصواب: عبد الله بن الحسين كما في مقاتل الطالبيين ٩٤ - ٩٥.

خيمة الحسين هاربين بعد قتله، وهما دون التكليف، فلما صارا إلى يد هذا الظالم قتلهما ورمى بجثتيهما إلى الفرات، فأقبل بدن كل واحد منهما إلى صاحبه، ثم أخذ رأسيهما، ومضا بهما إلى ابن زياد، فألقاهما بين يديه، فقال: رأسا من؟ قال: الطاهر والمطهر ابني مسلم بن عقيل، فقال: فهلا أتيتني بهما سالمين، قال: قد عرضا ذلك عليَّ فأبيت، قال: وأين وجدتهما؟ قال: في بيتي، قال: ويلك أليس كانا ضيفيك؟ لقد جئت شيئاً منكراً، أما رحمت غربتهما؟ والله لأخيّبن رجاك ولأذيقنك ما أذقتهما، وأمر رجلاً فظاً غليظاً وقال: امض به إلى حيث قتلهما فاقتله حيث قتلهما، ولا تخلط دمه بدمهما، وأذِقْه ما أذاقهما، فمضى به إلى هناك، فقال له الكثير لعنه الله: اخلط دمي بدمهما، وخذ مني ألف دينار، فأخذها ولم يخلط دمه بدمهما، فقيل: إن مقتله يفور ناراً ودخاناً انتهى. قلت: وأظن أن دم الأخوين الذي يوجد من البحر ينبت من ذلك الدم والله أعلم.

قال علماء السيرة: ما بقي أحد ممن حضر مقتل الحسين عليه السلام فخذله إلا عُوقب في الدنيا إما بالقتل أو العمى أو اسوداد الوجه، أو زوال الملك في مدة يسيرة؛ فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: أوحى الله إلى محمد ص أني قتلت بيحيى بن زكريا سبعين ألفاً، وأني قاتل بابن ابنتك سبعين ألفاً وسبعين ألفاً، أخرجه الحاكم أبو عبد الله في المستدرك.

ولما أراد الله سبحانه وتعالى إهلاك الظالمين قاتلي الحسين بن علي عليه السلام لم يزل يزيد نادماً على ما فعل بعدما رأى من الآيات والعبر ما

سنذكر بعضه، ونفرد له فصلاً إن شاء الله تعالى - فخرج يوماً إلى الصحراء من خارج دمشق إلى جبل يقال له: الجون، فبينما هو في فرسانه وثقات دولته إذ عنّت له ظبية بيضاء، في أذنيها شنفين من ذهب مخلخلة مسورة، فطمع فيها وطردها بجواده، وقال: لا أحد يلحقني، فشردت إلى جبل الجون، فدخلت غاراً في الجبل، فنزل عن فرسه ودخل إليها فلم يجد شيئاً، فذهب ليخرج فانطبق عليه باب الغار، فأبطأ على أصحابه فتتبعوه فلم يجدوا غير فرسه مشدودة إلى جانب الجبل، فدنوا منه، فإذا هم يسمعون صراخه داخل الكهف وهو يقول: ما لي ولك يا حسين، ويردد هذه الكلمة، ويسمع صلصلة الحديد والضيق الشديد، وشمّوا القطران فانصرفوا خجلين، فإذا دنا الليل نظروا إلى ذلك المكان وهو يتقد نيراناً، وإذا كان النهار نظروا دخاناً، فقيل: إن ولده معاوية بن يزيد بنى عليه بيتاً، لا رحم الله يزيد.

[حركة التوابين]

قال في «شرح الزحيف»: ولما دخلت سنة خمس وستين للهجرة ندم أهل الكوفة، وتابوا من خذلانهم للحسين عليه السلام واجتمعوا مع سليمان بن صُرد، وحالفه منهم ثمانية عشر ألفاً، فصفى له منهم خمسة آلاف، وسار بهم نحو الشام، لأن ابن زياد لما بلغه موت يزيد بن معاوية هرب من البصرة إلى الشام، فالتجأ إلى مروان بن الحكم، وهو الذي ولاه الخلافة بعد يزيد، فلما بلغه إقبال سليمان ومن معه تلقاهم عبيد الله بن زياد في جيوش أهل الشام بأمر مروان، فاقتتلوا أياماً، وكانوا في أربعة آلاف وابن زياد في

ثلاثين ألفاً، ثم التقوا يوماً وكانت لسليمان في أول اليوم وعليه في آخره، فقُتل سليمان وافترق التوَّابون.

قال ابن جرير: فلما فرغ ابن زياد من التوابين جاءه نعي مروان لا رحمه الله، فوثب عليه المختار بن أبي عبيد رضي الله عنه، وجاءته الإمداد من البصرة والمدائن والأمصار، وقام معه إبراهيم بن الأشتر النخعي، فخرجت الشيعة معه ينادون: يا ثارات الحسين، فقتل المختار جميع من شهد قتل الحسين بأقبح القتلات وأشنعها، فلم يبق من الذين قاتلوا مع عمر بن سعد أحد، وبعث إلى الذي حمل رأس الحسين إلى زياد، فأحاطوا بداره، فاختبأ في كنيف فيه، فأخرجوه ومثلوا به وحرقوه، وقال المختار لأصحابه: لأقتلن رجلاً يرضي قتله أهل السماء وأهل الأرض، وكان قد أعطى عمر بن سعد أماناً على أن لا يخرج من الكوفة، فأتى رجل إلى عمر فقال له: قد قال المختار كذا وكذا، والله ما يريد سواك، فأرسل إليه عمر ولده حفصاً، وقال له: يقول لك أبي أن تفي لنا بالذي وعدتنا وبالذي كان بيننا، فقال له المختار: اجلس ثم أشار إلى رجلين فغابا، ثم عاد وبيد أحدهما رأس عمر بن سعد، فقال ولده حفص: أقتلتم أبا حفص؟ فقال له المختار: وأنت تطمع في الحياة بعده؟

لا خير لك فيها، ثم ضرب عنقه، وقال المختار رضي الله عنه: عمرٌ بالحسين وحفصٌ بعلي بن الحسين ولا سواء، ثم قال: والله لو قتلت به ثلاثة أرباع قريش ما وفوا ولا بأنملة من أنامله، ثم قتل شمراً أقبح قتلة، وقيل:

ذبحه كما ذبح الحسين، وأوطأ الخيل صدره وظهره، وبعث المختار بالرؤوس إلى محمد بن الحنفية.

ولما بلغ ابن زياد ما فعل المختار نزل على الموصل في ثلاثين ألفاً، فجهز المختار إليه إبراهيم بن الأشتر في سبعة آلاف، فالتقوا يوماً كانت الدائرة فيه أول النهار على أصحاب إبراهيم، ثم تراجع الناس آخر النهار وأعطاهم الله النصر، فانكسر أصحاب ابن زياد، ووقع السيف فيهم والبحر بجانبهم، فكان من غرق منهم أكثر ممن قتل، قال ابن الأشتر: لقد ضربت رجلاً على شاطئ هذا النهر فشممت في سيفي رائحة المسك، فاطلبوه وانظروا من هو؟ فأتوا بالنيران فإذا هو عبيد الله بن زياد، فبعث ابن الأشتر برأسه إلى المختار، فجلس بالقصر وألقيت الرؤوس حوله، فألقاها في المكان الذي وضع فيه رأس الحسين عليه السلام.

قال بعض الرواة: فبينما أنا واقف عند الرؤوس بالكُناسة في بعض الأيام إذ قال الناس: قد جاءت قد جاءت، فإذا حية عظيمة تتخلل الرؤوس حتى دخلت في منخري ابن زياد وخرجت من الآخر، فغابت ساعة ثم عادت، ففعلت كذلك ثلاثة أيام، وفي رواية: فعلت ذلك مرتين أو ثلاثاً. قال الراوي: أخرجه الترمذي وقال: حسن صحيح.

[بعض مما رثي به الإمام الحسين]

قلت: ورثي الحسين عليه السلام بما لم يرث به أحد فيما علمت من

الكثرة، وفي كل زمان ومكان، وناحت عليه الجن، قالوا: وُجد في كنيسة من كنائس الروم بيتاً مكتوباً وعليه تاريخه، فوجد قبل الإسلام بثلاثمائة سنة وهو:

أترجو أمة قتلت حسيناً شفاعة جده يوم الحسابِ

ذكره في شرح البسامة الكبرى، قال شيخنا القاضي العلامة عماد الدين يحيى بن أحمد الحاج بن عواض الأسدي(1) رحمه الله في بعض مؤلفاته ما لفظه: ووجد في «شرح المقامات» للمسعودي أن رجلاً من أهل نجران احتفر حفيرة فوجد فيها لوحاً من ذهب، فيه مكتوب:

أترجو أمةٌ قتلت حسيناً شفاعة جدِّه يوم الحسابِ

وكتب إبراهيم خليل الله، فجاءوا باللوح إلى رسول الله ص فبكى وقال: « من آذاني في عترتي لم تنله شفاعتي» انتهى.

قالوا: وكان يسمع نواح الجن على الحسين تسعة أيام، وقال عبد الملك بن مروان يوماً لأهل مجلسه: أمنكم من يخبر عن حصى بيت المقدس يوم قتل الحسين؟ فقال الزهري: نعم وجد تحت الحصى دم عبيط.

وذكر صاحب «التقريب في تفسير القرآن» أن السماء بكت دماً يوم قتل الحسين، وكذلك روى غيره من أهل التفسير في تأويل قوله تعالى: ﴿ **فمَا**

(1) من مشايخ المؤلف، وسيأتي ذكره لاحقا في نص الكتاب.

بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ﴾ [الدخان:٢٩]، قال صاحب « التقريب»: وعن ابن سيرين: لم تكن الحمرة التي ترى مع الشفق قبل قتل الحسين عليه السلام.

وقال الصاحب الكافي رضي الله عنه:

ناحت ملائكةُ السماء عليهُمُ   وبكوا وقد سُقّوا كؤوسَ الذّبلِ

فأرى البكاء مدى الزمان مُحَلّلاً   والضحك بعد السبط غير مُحَلّلِ

قد قلتُ للأحزان دومي هكذا   وتنزَّلي في القلب لا تترحّلي

من قصيدة طويلة، وقال صاحب «البسامة الكبرى»[1]:

وأسبلت عبرة الروح الأمين على   دمٍ بطفّ لآل المصطفى هدرِ

وقد رُوي: دم بفخ، واعترض بأنه لم يعلم سيلان دمع الروح جبريل إلا على الحسين وصححه، وكان قد صدّر في القصيدة (بفخ) بدل (بطف)، وسيأتي ذكر من قتل بفخ من الأئمة قريباً إن شاء الله تعالى، وسمع هاتف يقول:

أيها القاتلونَ ظلماً حسيناً   أبشروا بالعذاب والتنكيلِ

كلُّ أهل السماء يدعو عليكم   من مليكٍ وصالحٍ ورسولِ

قد لُعِنتم على لسان ابن داود   وذي الروح صاحب الإنجيلِ

في أبيات طويلة ومنها:

---

(١) يعني الشاعر الأندلسي ابن عبدون.

إن يوم الحسين شيّب رأسي   نفسُ فاستعصمي بصبر جميلِ

وقال الشريف الرضي الموسوي رضي الله عنه:

ولقد حبستُ على الديار عصابةً   مضمومةَ الأيدي على أكبادِها

حسرى تجاوب[1] بالبكاء عيونُها   وتعط[2] بالزفرات من أيرادها

وقفوا بها حتى كأن مطيّهُم   كانت قوائمُهن من أوتادها

هل تطلبون من النواظر بعدكم   شيئاً سوى عبراتها وسهادِها

شغَلَ العيونَ عن البكاء[3] بكاؤنا   لبكاء فاطمةٍ على أولادها

أَترى درت أن الحسينَ طريدةٌ   لقنا بني الطرداء عند ولادها

كانت مآتمُ بالعراق تعدُّها   أَمَويّةٌ بالشام من أعيادها

ما راقبت غضب النبي وقد غدا   زرع النبي مظنّة لحصادها

جعلت رسول الله من خصمائها   فلبئس ما ذخرت ليوم معادها

نسلُ النبي على صِعاب مطيِّها   ودمُ النبي على رؤوس صِعادها

والهفتاه لعصبة علويةٍ   تبعت أميَّة بعد عِزّ قيادها

جعلت عِران الذل في آنافها   وعلاط وَسْمِ الضيم في أجيادها[4]

واستأثرت بالأمر عن غُيّابها   وقضت بما شاءت على شُهّادها

---

(١) في الأصل: «حشم أغارت» والتصويب عن الديوان.

(٢) الأصل: «وتغص» وتعط: أي تشق.

(٣) في الديوان: عن الديار.

(٤) العلاط: سِمة أو حبل في عنق البعير، و العران: عود يجعل في أنف البعير.

طلبت ِترات الجاهلية عندها وشفت قديم الغِلّ من أحقادها
زعمت بأن الدين سوّغ قتلها أوليس هذا الدين عن أجدادها
الله سابقكم إلى[1] أرواحها وكسبتم الآثام في أجسادها
أخَذَتْ بأطراف الفخار فعاذرٌ أن يصبح الثقلان من حُسادها
تروي مناقب فضلها أعداؤُها أبداً وتسنده إلى أضدادها
يا غيرة الله اغضبي لنبيّه وتزحزحي بالبيض عن أغمادها
قف بي ولو لَوْثُ الإزار فإنما هي مهجة عَلِق الهوى بفؤادها
بالطفّ حيث غدا مُرَاق دمائها ومناخُ أينقها ليوم جلادها
القفر من أرواقها، والطير من طرّاقها، والوحش من عُوّادها
هذا المقال وما بلغتُ وإنما هي حَلْبَة خلعوا عِذار جوادها
أأقولُ جادكم الربيع وأنتم في كل منزلةٍ ربيعُ بلادها
أغنى ضياء الشمس عن أوصافها بضيائها وجلائها وبعادها

وقال الأمير أبو فراس الحارث بن سعيد بن حمدان من قصيدة له طويلة رثى بها الحسين عليه السلام وهي:

يومٌ بسفح الدير لا أنساه أرعى له دهري الذي أولاهُ
يومٌ عمرتُ العمرَ فيه بفتيةٍ من نورهمْ أخذ الزمانُ بَهاهُ
فكأنّ أوجهَهمْ ضياءُ نهاره وكأن أوجهَهمْ نجومُ دجاهُ

(1) في الأصل: «الله سائلكم على» والتصويب عن الديوان.

ومُهفهفٍ للغصن حُسنُ قوامِهِ والظبي منه إذا رنا عيناهُ
نازعتُه كأساً كأنّ ضياءها لما تبدّى في الظلام ضياهُ
في ليلةٍ حسُنتْ لنا بوصاله فكأنها[1] من حُسْنها إيّاهُ
وكأنما فيها الثريّا إذ بدتْ كفٌّ تشير إلى الذي يهواهُ
والبدرُ منتصفُ الضياء كأنه متبسِّمٌ بالكفِّ يسترقاهُ
ظبيٌ لَوَ أن الذّرَ مرّ بخدّه من دون لحظ الناظرين[2] أدماهُ
إن لم أكن أهواه أو أهوى الردى في العالمين لكلّ من يهواهُ
فحُرِمْتُ قُرْبَ الوصل منه مثلما حُرِم الحسينُ الماءَ وهو يراهُ
إذ قال: أسقوني فَعُوِّض بالقنا من شُربِ عذب الماء ما أرواهُ
واحتُزَّ رأسٌ طالما مِنْ مرةً أدنتْهُ كفّا جدِّه ويداهُ
يومٌ بعينِ الله كان وإنّما يُملي لظلم الظالمينَ اللهُ
وكذاك لو أردى عِداة نبيِّه ذو العرش ما عرَفَ النبيّ عِداهُ
يومٌ عليه تغيّرت شمسُ الضحى وبكتْ دماً ممّا رأته سَماهُ
لا عُذرَ فيه لمهجةٍ لم تنفطرْ أو ذي بكاءٍ لم تفض عيناهُ
تبّاً لقومٍ تابعوا أهواءهم فيما يسوؤهمُ غداً عُقباهُ
أتراهمُ لم يسمعوا ما خصّهُ منه النبيُّ من المقال أباهُ
إذ قال يومَ غدير خمٍّ معلناً: من كنتُ مولاه فذا مولاهُ

---

[1] وفي كتاب الغدير ٣/ ٥٥١: فكأنما.

[2] كذا، والصواب: من دون لحظة ناظرٍ أدماه، كما في كتاب الغدير.

هذي وصيّته إليه فافهموا يا من يقول بأنّ ما أوصاهُ

اقروا من القرآن ما في فضله وتأمّلوه واعرفوا فحواهُ

لو لم تُنزّلْ فيه إلا (هل أتى) من دون كلِّ مُنزّلٍ لكفاهُ

من كان أوّلَ من جنى القرآن من لفظ النبيِّ ونطقِهِ وتلاهُ

من كان صاحبَ فتح خيبرَ من بالكفّ منه بابها ودحاهُ

منْ عاضدَ المختارَ من دون الورى من وازرَ المختارَ من واخاهُ

من بات فوق فراشه متنكّراً لما أطلّ فراشه أعداهُ

من ذا أراد إلهنا بمقاله الصادقون القانتون سواهُ

من خصّه جبريلُ من ربِّ العُلى بتحيّةٍ من ربِّه وحبَاهُ

أظننتمُ أن تقتلوا أولادَهُ ويُظِلّكُمْ يوم المعاد لواهُ

أو تشربوا من حوضه بيمينه كأساً وقد شرب الحسينُ دماهُ

طوبى لمن لاقاه يوم أوامِهِ فاستلّ ماء حياته فسقاهُ

قد قال قبلي في قريضٍ قائلٌ: ويلٌ لمن شفعاؤه خُصماهُ

أنسيتمُ يومَ الكساءِ وإنّه ممّن حواهُ مع النبيِّ كِساهُ

إذ قال جبريلٌ بهم متشرِّفاً أنا منكم قال النبيُّ كذاهُ

يا ربِّ إني مهتدٍ بهداهمُ لا أهتدي يوم الهدى بسواهُ

أهوى الذي يهوى النبيَّ وآلَهُ أبداً وأشنأ كل من يشناهُ

وأقولُ قولاً يُستدلُّ بأنّه مُستبصرٌ من قاله ورواهُ

شعراً يودُّ السامعون لَوَ انّه لا ينقضي طولَ الزمانِ مداهُ

يُغري الرواةَ إذا روته بحفظه   ويروقُ حسنُ روِيّه معناهُ

انتهى ولله دره وجزاه أفضل الجزاء وحشره في زمرة المصطفى. و [قد] قلتُ موازياً لها، وناسجاً على منوالها، وإن لم تكن من أمثالها ولا تعد من أشكالها، إلا أني أحببت أن أنفق مما عندي، وأستفرغ في عملي الإحسان جهدي، مع تلهب أحشائي مما أصاب إياي، وداعياً لأبي فراس:

دمعٌ على خَدَّيَ قد أجراه   شعرٌ يروق محبرٌ فحواهُ

يُبكي العيون ويستلذ روِيّه   مَنْ يستلذ بحب من يهواهُ

شعرٌ لَوَ ان الشعر جسمٌ قائمٌ   يعقل[1] لطأطأ رأسه وراماهُ

ملِكُ الكلام لأنه من معربٍ   ملكٍ يطيب نظامُه ونداهُ

ضمَّنت فيه أبا فراسَ ممادحاً   يجزيك عنها بالثواب اللهُ

ضمنت فيه حادثاً ما مثله   من حادثٍ في الدهر لا ننساهُ

لا كان يومٌ حُزَّ سبطُ محمد   فيه ولا كان الذي أرداهُ

يومٌ بكت فيه السما بدمائها   وتغيّرت فيه نجوم سمَاهُ

والأفقُ أظلمَ والهواتفُ جهرةً   ندبت حسيناً والخيول تطاهُ

نفسي الفداءُ لسيّدٍ ما مثله   قبل رسول الله منه فاهُ[2]

نفسي الفداء لهاشميٍّ ضيغمٍ   سبط الرسول وحرزُه وحماهُ

---

(١) كذا وردت الكلمة في الأصل.

(٢) كذا ورد عجز البيت في مخطوطة الأصل.

نفسي فداء للحسين وآله … أهل التقى والرافعين لواهُ

يا ويل من أرداه ظلماً ويله … ويلاً طويلاً حينما أرداهُ

تركوه عُرياناً وحزّوا رأسه … في غير ذنبٍ في الأنام أتاهُ

قتلوه عطشاناً وأوطوا جسمه … فوق التراب فغسّلته دِماهُ

يا ليت شعري أين حلم القوم إذ … قتلوا الحسين وذبّحوا أبناهُ

وعلام أردوه وما ذا أمّلوا … أن يظفروا بعد الحسين وما هو( )

لا شك أنّ القوم لمّا يُسلِموا … إسلام من سمحت به شفتاهُ

أو أنّهم أمِنُوا صوارم حيدرٍ … والله لم يخشوه في عقباهُ

ويلاً لهم من حاكم عدلٍ له … في خلقه ما شاءه أمضاهُ

ضحّوا بسبط للنبي بكربلا … وسبوا حلائلَهُ مع أبناهُ

وأتوا بنسوان الحسين يقودهم … من لا يخاف الله وهو يراهُ

فوق الجمال بلا غطاء سيّروا … هتكاً لعرض محمد وعلاهُ

وأتوا بزين العابدين مكتّفاً … طفلاً صغيراً يعتليه بهاهُ

أخذوا الجوائز من يزيد لقتلهم … سبط النبيِّ وكشفهم لنساهُ

تبت يدا من نال منهم نيلة … غُلّت عليه كفه ويداهُ

والله لا يخفاه فعل أميَّةٍ … والدولة الأخرى بأهل ولاهُ

آل النبيِّ مطرّدون وما لهم … في الدولتين مناصرٌ إلا هو

( ) كذا الأصل.

قُتِلوا وقِيْدوا بالسلاسل عنوةً واستُضْعِفوا والله لا يخفاهُ
لكنه يختار جل جلاله دارَ القرار لكلِّ من يهواهُ
أملى ومدَّ لكل خبٍّ ظالمٍ حلماً وليس بعاجز حاشاهُ
هيهات قد خسروا وباءوا بالذي يخزيهُمُ يومَ المعاد لقاهُ
هم حاولوا نوراً يطفّوه فما قدروا وربُّ العرش لا ينساهُ
يأبى إله العرش يطفوا نوره في الذكر جاء عليه يأبى الله
ظنّوا بأن الله يقطع أرضه من قائمٍ يجلو الظلام ضياهُ
الله خلّف بعد أحمد آلَهُ قرنا كتاب الله دام ثناهُ
في كلِّ عصرٍ منهُمُ متغضّبٌ للدين يردي كل من ناواهُ
ختم الإله كما بدا بجلالهم وأحلّهم بيتَ العلى وبناهُ
فهُمُ الفريق الناجيون وإنهم لهم السفينة دونها الأمواهُ
تنجو وتنجي التابعين وحسبهُمُ نصر النبي وحفظهم أبناهُ
أثنى عليهم ربُّهم في ذكره والحقُّ ما أثنى عليه الله
صُمَّت أذان الناصبين جميعهُمُ وأخو العداوة أَخرجت عيناهُ
وتجرعوا الغيظ الذي ما فوقه غيظ وسلّبهم عظيم حلاهُ
وبعين ربِّ العرش عصبة حيدرٍ ممّن أراد بجهله إقصاهُ
فهو الوصيُّ لصنوه وهو الذي في كل مكرمة بها وصّاهُ
وهو الذي واخاه في أيامه وهو الذي بمقره واراهُ

وهو الذي قد باتَ فوق فراشه　　يفديه والإظلامُ يفتح فاهُ

وهو الذي نصر الرسول مجاهدا　　مذ شبَّ حتى رُمّلت أعضاهُ

وسلِ الكِسا عنه ومن قد ضمَّه　　عند الفخار مع النبيِّ كساهُ

صهر النبي أبو الحسين المرتضى　　من هدَّ من ركن الضلال بِناهُ

من زلزل الأعدا ببدرٍ من رمى　　في خيبرٍ بالباب من أرداهُ

من صاح فيه يوم أحد صائحٌ　　من ذي الجلال وقد سمعْ أعداهُ

من قال فيه الله في تنزيله　　المؤمنُ المؤتي الزكاة سواهُ

من خصّه ربُّ العلى بفضائلٍ　　ومناقبٍ ومكارمٍ وحباهُ

من ردّت الشمسُ المنيرة جهرةً　　بعد الغروب لفرضه فقضاهُ

من ذا لواء المصطفى بيمينه　　والحوض يسقي منه من والاهُ

ويل لمن لاقاه يوم أوامِهِ　　بخصومةٍ ويلاه بل ويلاهُ

قد قال قبلي في قريضٍ قائلٌ:　　ويلٌ لمن شفعاؤه خصماهُ

ثمَّ الصلاة على النبيِّ محمد　　ما البرق لاح وما جرت أمواهُ

فصـــل

في ذكر شيء مما جرى من الإعلام بما يجري عليه وما جرى في حياته وبعد وفاته صلوات الله عليه، أعني من الإعلام بذلك قبل وقوعه، ومعرفته بذلك قبل جُرِيه، واختياره للشهادة والحياة الطيبة والجهاد في سبيل الله، حتى عاش عزيزاً سعيداً، وتوفي حميداً شهيداً رضوان الله وسلامه عليه، وكذلك ذكر ما جرى من بعض أهل الكتابين، وإسلام بعضهم، وفجيعتهم لقتله.

فأول ذلك أنه قال عليه السلام وهو في الطريق متوجهاً إلى العراق:

فإن تكنِ الدنيا تعدُّ نفيسة فدارُ ثواب الله أعلى وأنبلُ
وإن تكن الأرزاقُ قِسماً مُقدّراً فقلةُ حرص المرء في المال أجملُ
وإن تكن الأموالُ للترك جمعها فما بالُ متروكٍ به المرء يبخلُ
وإن تكن الأبدان للموت أنشئت فقتلُ امرءٍ في الله بالسيفِ أفضلُ

وقال عليه السلام بعد نزوله بكربلاء:

يا دهرُ أفٍّ لك من خليلِ كم لك بالإشراق والأصيلِ
من صاحبٍ وطالبٍ(1) قتيلِ وكل حيٍّ سالك السبيلِ
ما أقربَ الموعد في الرحيل والأمر في ذاك إلى الجليلِ(2)

قالوا: ولما رجع من مكة إلى المدينة متوجهاً إلى الكوفة دخل مسجد جده محمد ص، وصلى فيه أربع ركعات، فبينما هو كذلك إذ نظر إلى نور صادع من قبر النبي ص أضاءت منه المدينة وما حولها، فالتزم قبر جده وما ترقأ دموعه حتى انفجر عمود الصبح فغلبته عينه، فرأى النبي ص قد خرج من القبر، وهو يلثمه ويضمه إلى صدره، ويقبل بين عينيه، ويقول: إن أباك وأمك وأخاك قدِموا عليّ وهم يقرونك السلام، ويقولون: ما أسرع قدومك إلينا يا أبا عبد الله. فقال: يا جداه لا حاجة لي في الرجوع إلى الدنيا، قال: يا بني لا بد لك من ذلك، فإن لك في الجنة درجة لن تنالها إلا بالشهادة، فانتبه الحسين عليه السلام فزعاً مرعوباً، وانطلق إلى أهله وأخبرهم برؤياه.

---

(1) في أمالي أبي طالب ١٤٤: من ميت وصاحب قتيل.

(2) في الأصل: «وإنما الأمر إلى الجليل» والصحيح ما أثبتناه.

فقالت زينب بنت علي: يا أخي فإني رأيت الليلة ما هو أعظم من هذا، رأيت نسوة ينحن، ورجالاً يندبون، وقائلاً يقول شعراً:

قتيلاً بجنب الطف من آل هاشم أذلَّ رجالاً من قريشٍ فذلّتِ
حبيبُ رسول الله لم يأت فاحشاً مصيبته أعيت علينا وجلّتِ
وكنّا نرجِّيه لتحصين ديننا فمالت به نعلُ الزمانِ فزلّتِ
وشيعته من خير رهطٍ عليهم توالى بهم ريب الزمان فولتِ( )
فلا زلت أبكي للحسين بعبرة بعين سجوم فيضها ما استهلّتِ

قالت أم سلمة: وأنا رأيت رؤيا أعظم من ذلك، سمعت في المنام قائلاً يقول شعراً:

ألا يا عين فانهملي بجد فمن يبكي على الشهداء بعدي؟
على رهطٍ تسوقهم المنايا إلى مستكبرٍ في الملك وِغْدِ
وفيهم خير من ركب المطايا وسيدُ كل ذي شيبٍ ومُرْدِ
قتيل الظالمين مضى شهيداً وخلّفني فما ينفك وجدي
فيا ليت المنية قد أتتني وقد أمسيت في قبري ولحدي
ولم أعرف حسين ولم أراه ألا يا للحسين وآل ودي
ولكنَّ الليالي أخرتني لطول شقاوتي ولشؤم جدي

فقال الحسين عليه السلام: يا أمه لي أسوة بجدي رسول الله ص ثم قام

( ) كذا ورد البيت في الأصل.

للخروج، فقالت أم سلمة: إلى أين تريد؟ قال: لا يحل لي القعود بعد بيعة أهل الكوفة واستنهاضهم لي، فقالت: لا تخرج بعيالك، فأخاف أن تقتل وهم ينظرون إليك، يا بني أما ترى هذه التربة التي استودعنيها جدك يوم جاء بها الملك وأنت في مهدك، وقال: إنها من هذه الناحية التي تريد، قال: أريني أنظر إليها، فلما نظر التراب أخذ منه شيئاً فتركه معه، ثم ودّع أم سلمة ومضى لشأنه.

قال أنس بن مالك رضي الله عنه بعد أن قتل الحسين عليه السلام: لقد أتيت ذات ليلة من ذي خشب حتى إذا صرت ببطن الوادي إذ سمعت صوتاً في الهواء ولا أرى شخصه وهو يقول:

يا من يؤم إلى المدينة قاصداً   أدِّ الرسالة غير ما متوانِ
قتلت طغاة بني أمية سيداً   خير البرية سيّد الشبانِ
ابن المفضل في السماء وغيرها   صهر النبي وقاتل الأقرانِ
بكت المساجد والمشاعر بعد ما   بكت الأنام له بكل مكانِ
فابكوا الغريب ومن ثوى في بلدة   ابن البتول وخيرة النسوانِ
لا زلت أبكي يا حسين بعبرة   لك من قتيل نازح الأوطانِ

قال أنس: فقلت: سألتك بمن أنطقك إلا ما أعدت عليَّ الأبيات حتى أحفظها، فكررها علي حتى حفظتها، فلما وصلت المدينة أتيت أم سلمة فقرعت الباب، فخرجت فقالت: ما وراءك؟ فأنشدتها الأبيات، وأخبرتها فقالت: أرجو أن لا يكون كذلك، وأن يكون من مردة الجان. قال: فلما كان

الصبح وإذا بأم سلمة حزينة باكية في منزلها، فاجتمع إليها نسوة المدينة وقلن: ما يبكيك؟ قالت: صدق أنس فلقد أتاني اليوم رسول الله ص في غير هيأته، وبيده قارورة ملآنة دماً، فقلت: يا رسول الله مالي أراك بغير هيأتك التي كنت عليها؟ قال: هذا أوان فراغي من دفن الحسين، قلت: فما هذه القارورة معك؟ قال: هذا دم الحسين التقطته، فقلنا: يا أم سلمة، أفلا تنظرين إلى التراب الذي استودعكِ إيّاه رسول الله ص، فقامت إلى القارورة فإذا هي ملآنة دم عبيط.

والقصة أصلها عنها وهي: أن النبي ص كان جالساً وعنده جبريل عليه السلام، فأقبل الحسين فضمه النبي ص إلى صدره وقبّل بين عينيه، فقال جبريل عليه السلام: يا محمد أتحب الحسين؟ فقال ص وكيف لا أحبه وأخاه، وهما ريحانتا قلبي وقرة عيني، قال: فبكى جبريل، فقال ص: ما يبكيك يا جبريل؟ قال: أسفاً على هذا الغلام قال: وكيف كان ذلك؟ قال: إنه يموت قتلاً، قال: ومن يقتله؟ قال: قوم يزعمون أنهم من أمتك، كأني أنظر إليهم يوم القيامة وأنت تطردهم عن حوضك، يقادون عطشاناً إلى النار. قال: يا جبريل وأين يقتل ولدي؟ قال: ببلدة في العراق، وإن شئت أريتك من تربتها، قال: نعم، قال: فعرج جبريل عليه السلام فأتى بقبضة من تراب كربلاء فدفعه إلى النبي ص فشمه، فقال جبريل: ما تجد؟ قال: أجد ريح كربٍ وبلاء، قال: إنه من تراب بقعةٍ في العراق تسمى كربلاء، فاحفظوا التراب فإذا رأيتموه قد صار دماً فاعلموا أنه قد أصيب هذا الغلام. قال: فأخذ

التراب ص وهو يبكي، فدخلت عليه فاطمة وأم سلمة فقالتا: ما يبكيك يا رسول الله؟ قال: حزناً على هذا الغلام، قالتا: وما ذاك؟ قال: إنه يموت قتلاً، قالتا: بأي أرض؟ قال: بأرض العراق وحيداً غريباً، قالتا: فبعلم الغيب؟ قال: لا ولكن أعلمني جبريل، وهذه التربة من موضع مصابه، فقالت فاطمة: لا حول ولا قوة
إلا بالله العلي العظيم! ثم بكت حتى أغابت، فقال النبي ص : احتفظي بهذا التراب
يا أم سلمة فلن أدركه، ولن يدركه عليّ، ولن تدركه فاطمة ولا الحسن، فأخذت
أم سلمة التراب فوضعته في قارورة وختمت عليه.

قالوا: ولما ارتحل عمر بن سعد لعنه الله بحريم الحسين ونفله ورأسه من كربلاء لقيه قوم من اليهود، فدفعوا له خمسة وعشرين ألف درهم على أن يأذن لهم يوارون جسد الحسين عليه السلام في التراب، فأذن لهم، ثم مضوا فلما انتهوا إلى وادٍ من أودية الشام، فإذا في جانب الوادي صومعة لراهب، فحطوا قريباً منها، فلما مضى بعض الليل أوجس الراهب في نفسه خيفة، فأشرف من صومعته، فرآهم نياماً والرأس منصوباً على قناة وعنده قنديل من نور، وسلسلة من السماء، والقنديل بيد ملك والملك يقول: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾ [آل عمران:٢١] ورأى النور يصعد من رأس

الحسين إلى السماء، وسمع هاتفاً بشعر، تركته اختصاراً، فجعل يبكي وبينما هو كذلك إذ كشف له عن بصره، فإذا باب من أبواب السماء قد فتح والملائكة تنزل فوجاً بعد فوج، وتبكي وتلثم فم الحسين، وتقول: يا أبا عبد الله أبشر برضوان الله والجنة، فإن لك درجات في الجنة لم ينلها أحد من أهل زمانك، ولم تكن لتنالها إلا بما أصابك، فطوبى لكم معشر المظلومين.

فقال الراهب في نفسه: أما هؤلاء فمن الملائكة بلا شك، وأما الرأس فلا علم لي ثم نزل إليهم وقال: يا قوم رأس من هذا معكم؟ قالوا: رأس خارجي خرج على الأمير يسمَّى الحسين، فقال: ويلكم لا يكون هذا رأس ابن بنت نبيكم رسول الله، فنكسوا رؤوسهم، فعلم أنه هو فقال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، لو كنتم من أمته ما فعلتم هذا، ثم أعطاهم درة كان يستضيء بها في صومعته، ثم قال: والله ما عندي أنفس من هذه فخذوها واتركوا الرأس عندي بقية هذه الليلة، قال: فأعطوه الرأس، فطلع به إلى صومعته، وبات يقبله ويبكي، فسقط على خده قطرة دم من الرأس، فأخذته عينه فرأى رسول الله ص في منامه وهو يقول: هذه القطرة براءة لك من النار فأبشر، فانتبه الراهب وهو يقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله ص، ثم قال: يا ويلكم بماذا أتيتم لا أنالكم الله شفاعة نبيكم، والله لتنالن بعد الحسين ضنك المعاش، ولتصيرن إلى النار.

وفي بعض الكتب: فلما حمله بين يديه انكب عليه يقبل ثناياه، ويقول: يعز عليَّ يا أبا عبد الله ألا أكون شهيداً بين يديك، ولكن أخبر جدك محمداً أني

محب له ولك، ثم غسله غسلاً ناقياً وطيّبه، ووضعه في طست بين يديه وجعل ينظر إليه ويبكي، فغلبته عينه، فبينما هو نائم إذ نظر في منامه ثلاثة أنفار قد عبروا عليه، أنوارهم ساطعة وقد دنوا من الرأس، فتقدم الأول منهم وقال: يعزُّ عليَّ يا ولدي أن لم أحضر يومك حتى كنت أشفي قلبي بهذا الحسام، ثم تقدم الثاني وقال: يعزُّ علي يا أخي ما نزل بك يا نسل الكرام، ثم تقدم الثالث ونوره قد طبق المشرق والمغرب، فأخذ الرأس بيده وضمّه إليه، ونادى: يا حسين ،عظّم الله أجرك يا ولدي، بلغ الكتاب أجله، واستحق كل عامل عمله. فقال الراهب: يا سادتي من أنتم؟ فقال المتكلم: أنا محمد رسول الله، وهذا علي، وهذا الحسن، ثم نادى: أدخلي يا بنية، فدخلت الزهراء وهي تنادي: يا قتيل أهل الظلم والعدوان يعزُّ عليّ يا بني ما نزل بك، بيني وبين قاتلك ديّان يوم الدين، ثم نادت: يا راهب إن قدرت أن تمنعهم أن لا يأخذوه فافعل، ونحن شفعاؤك يوم القيامة، فقال الراهب: ومن لي بذلك يا سادتي، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ثم أفاق من رقدته وهو تائه العقل، وإذا بالنداء من القوم: يا راهب هات وداعتنا، قال: وأي وداعة لكم عندي، قالوا: الرأس، قال: ولأي شيء أخذتم مني المال؟.

وفي هذه الرواية: أنه أعطاهم في مبيتهِ عنده بُدْرة من العين، فقالوا: لقد كذب لسانك، قال: أنا أملك بالرأس منكم، ولا أسلمه إليكم إلا أن يصحبه رأسي، قالوا: ويلك أتعرّض نفسك للموت، قال: قد علمت أنه لا يصعب قتلي على قوم قتلوا ابن بنت نبيهم، ثم أفرغ عليه عدة كانت عنده، ونزل إليهم فوقف في مقاتلتهم،

وهو يقول:

قل لمن للوصي بالجهل سبّا تبَّ ما عشت من فعالك تبّا

لِمْ تعرضت للوصي بحربٍ وقتالٍ وأنت تعرف أبّا

إن أكن للمسيح عبداً فإني لم أزل للنبي أظهر حبا

ثم حملوا عليه وحمل عليهم، فقتل إحدى وعشرين فارساً، ثم قُتِل شهيداً رضي الله عنه وأرضاه، فهدموا صومعته وأخذوا الرأس، وجمعوا ما في صومعته من ذهب وفضة، فرده الله عليهم خزفاً، فقال لهم خولي: اكتموا هذا الأمر وإلا فهو عار ومسبّة إلى يوم القيامة.

وعن عبد الله بن عمر قال: كان لي جار من بني شيبان جسده أبيض، ورأسه ووجهه أسود، فقلت له: ما هذا الذي بك؟ قال: إني أحدثك بحديث ما حدثت به أحداً غيرك، إني شهدت عسكر ابن زياد وأخذت رأساً من رؤوس آل محمد، فأصبحت كما ترى وإني لا أنام إلا وأرى ذلك الرأس ينكتني في رأسي، وإني عرفت ذلك لأهلي فكانوا إذا نمت أيقظوني من رقدتي.

وعن جعفر بن محمد عليه السلام قال: إذا كان يوم القيامة وضع لسيدة نساء العالمين فاطمة بنت محمد المصطفى ص منبراً من نور بين يدي أبيها تكون فيه، ثم ينادي مناد: معاشر الخلائق، هذه فاطمة الزهراء ابنة محمد المصطفى تريد أن تجوز على الصراط فغضوا أبصاركم، فإذا وضعت رجلها على الصراط نوديت: يا فاطمة، فتلتفت فإذا السيد الحسين عليه

السلام إلى منبر جده محمد ص جسداً بلا رأس، فيصرخ صرخة فلا يبقى ملك مقرب، ولا نبي مرسل إلا جثى على ركبتيه وخرَّ مغشياً عليه، ثم يفيق والحسين يمسح وجهها، ثم يدعى بقاتله ومن أعان عليه ومن رضي بقتله، فيؤمر بهم جميعاً إلى النار.

وحدث الطالقاني عن الأعمش قال: حججت بعد قتل مولاي الحسين عليه السلام فإذا أنا برجل يطوف ويقول: اللهمَّ اغفر لي يا إلهي وما أظنك تفعل، قال: فلما سمعت قوله قلت في نفسي: سبحان الله العظيم، وما ذنب هذا الرجل المسكين حتى يقول هذا القول، ثم قلت له: إنك بين يدي ملك كريم يغفر الذنب العظيم، فلو سألت الله عز وجل المغفرة لذنوبك لكان أجود، فإنه جواد كريم رؤوف رحيم، فقال لي: يا عبد الله مَنْ أنت؟ فقلت: أنا سليمان بن مهران[1] الأعمش، فلما سمع بذكري قال لي: يا سليمان، إيّاك طلبت ولك سألت، ثم أخذ بيدي وأخرجني من الحرم حتى انتهى بي إلى الأبطح، وقال: يا سليمان ذنبي عظيم، قلت له: ذنبك أعظم من الجبال والبحار؟ قال: نعم، قلت: فذنبك أعظم من السموات والأرض؟ فقال: نعم، فقلت: أذنبك أعظم من كل شيء خلقه الله عز وجل ومن العرش والكرسي؟ فقال: نعم، فما وصفت له شيئاً إلا وقال: ذنبي أعظم منه، فمهلاً حتى أخبرك بذنبي فقلت: أخبرني بذنبك الذي لا يغفره الله تعالى، فقال لي: يا سليمان، اسمع قضيتي وأخلي سمعك

[1] في الأصل: «صفوان» وهو خطأ وهو المحدث المشهور عدَّه في رجال الزيدية الحاكم الجشمي. ولد سنة ٦١ وتوفي ١٤٨هـ راجع مطلع البدور ٢/ ٣٦٢ وغيرها من المصادر والمعاجم.

لقصتي، واعلم أني أحد الأربعين الرجل الذين قتلوا الحسين بن علي بن أبي طالب بكربلاء وألقى برأسه إلى يزيد بن معاوية.

قال: فلما سمع سليمان قول الغلام قال له: يا غلام وكيف كان قتله؟ وما كان من شأنه؟ قال: يا سليمان، لما بعثنا يزيد بن معاوية قاتلناه حتى قتل، ثم لما صار رأسه بين يدي عبيد الله بن زياد أمر أربعين رجلاً أنا أحدهم بإيصاله إلى الشام إلى يزيد بن معاوية، فلم نزل نقطع به الفيافي والقفار حتى انتهينا إلى خضراء دمشق، فلما وُضع الرأس بين يدي يزيد أبعده الله ولعنه وأخزاه، ورأى الناس قد هموا بالخلاف عليه قال: ماذا تشيرون عليَّ أن أصنع برأس الحسين؟ فقال قائل منهم: إرم به في الفلاة، وبعضهم قال: ارم به في البحر، فقام رجل وقال: يا يزيد اعرف رأس من هو ولا تجهل قدره، إني أخاف أن تأخذه الملائكة من بيننا، ولا نأمن بعده الزلازل وقحط السنين وريب الزمان، وعواقب الحدثان، ولكن اعمل عملاً يحسن عاقبته، قال: وما ذاك؟ قال: تغسله بالمسك والعنبر والكافور وتلقيه في ثياب من الحرير، وتستودعه في سفط من الذهب، ثم تُقفِل عليه بقفل من الذهب، ثم تجعل السفط في صندوق من نحاس، ثم تجعل الصندوق في تابوتٍ من الحديد وتدفنه قدّام قصرك ليكون لك فخره، وتبني عليه مسجداً، وتوكل هؤلاء الأربعين بحراسته أربعين يوماً حتى تذهب نضارته وبهاؤه، ففعل ذلك وبنى عليه من العاج، ووكلنا بحراسته، فجعل بعضنا يقول لبعض: أتذكرون ما قد فعل علي بن أبي طالب يوم بدر وحنين، قتل آباءنا ورجالنا،

فإذا جنَّ الليل ونامت العيون وسكتت الحركات استخرجنا رأس الحسين وحرّقناه بالنار، وأصبحنا في بلاد أخرى.

وفي رواية: فضرب يزيد لنا سرادقاً خارج المدينة، وأخذ الرأس وحمله إلى بيت منامه، وغسله ودفعه إلى منادٍ ينادي عليه في أزقة المدينة، فسمع المنادي رجلاً يقرأ: ﴿ **وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ**﴾ [الأنعام:١٨] قال فأجابه الرأس: صدقت يا عبد الله ﴿**الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا**﴾ [الفرقان:٥٤] لجدي المصطفى ص ثم صمت، فرجع المنادي إلى يزيد وهو فزع مرعوب، فأعلمه بذلك فاستغرب ذلك وطيّبه بالطيب، وجعله في طست من الذهب الأحمر، فلما جنَّ الليل ونام يزيد بن معاوية استيقظ بعض حلائله، فنظرت إلى نور قد خرج من الطست إلى السماء، فزعقت رعباً، فانتبه يزيد أو نبهته فقالت له: قم فانظر إلى هذا النور العظيم، فانتبه ونظر إلى ذلك النور فقال لها: اكتمي هذا ولا تخبري به أحداً، فلما أصبح أمر بالرأس فأخرجه إلينا إلى ذلك السرادق، وأمرنا بحراسته.

قال في الروايتين: فلما جنَّ الليل ونام أصحابي وهم سكارى قال: ونمتُ أنا

يا سليمان. وفي الرواية الأخرى: فبينما أنا بين النائم واليقظان فإذا سحابة عظيمة وسمعت فيها دوياً كدوي الريح العاصف، وخفقان أجنحة الملائكة حتى لصقت بالأرض، فرأيت ملكاً عظيماً قد نزل فرأيته قد بسط بساطاً

مكللاً بالدر والياقوت، فإذا بخمسة من الملائكة قد نزلوا بيد كل ملك كرسي عظيم من نور يتلألأ نوراً، فنصبوا تلك الكراسي على ذلك البساط، وإذا بخمسة آخرين قد نزلوا بيد كل واحد كرسي عظيم فنصبوهم أيضاً، وسمعت منادياً يقول: انزل يا آدم فإذا برجل أبهج الرجال وجهاً وأملحهم هيئة عليه حلة من حلل الجنة، قد هبط في صف من الملائكة، فاستدارت الملائكة بالخيمة فطاش عقلي، وارتعدت فرائصي، وانعقد لساني، فبقيت لا أقوم ولا انقلب إلا أني أنظر بعيني وأسمع بأذناي، فأقبل إلى الرأس الكريم وقال: السلام عليك يا بقية الصالحين، عشت سعيداً، وقتلت طريداً عطشاناً، غفر الله لك يا بني ولا غفر لقاتلك، ثم جلس على كرسي من تلك الكراسي، ولم ألبث إلا يسيراً وإذا أنا بسحابة أخرى سمعت فيها خفقان أجنحة الملائكة وقائلاً يقول: انزل يا نوح، فإذا برجل يعلوه سُمْرة، أحسن الناس هيئة عليه حلتان من حلل الجنة، قد نزل من الهوى وأقبل إلى الرأس الكريم وقال: السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك يا بقية الصالحين، عشت سعيداً وقتلت طريداً عطشاناً حتى ألحقك الله بنا، غفر الله لك يا بني ولا غفر لقاتلك، ثم قعد على كرسي من تلك الكراسي.

فما لبثت إلا يسيراً وإذا بسحابة أخرى أعظم من الأولتين وسمعت فيها دويّاً كدوي الرعد القاصف، وتهليلاً وتسبيحاً وتكبيراً حتى لصقت بالأرض وفيها منادياً ينادي ويقول: انزل يا إبراهيم يا خليل الرحمن، فنزل ومعه وفد من الملائكة وأقبل إلى الرأس، وقال: السلام عليك يا بقية الصالحين، عشت

سعيداً وقتلت طريداً عطشاناً حتى ألحقك الله بنا، غفر الله لك يا بني ولا غفر لقاتلك، الويل ثم الويل لقاتلك غداً من النار، ثم قعد على كرسي من تلك الكراسي. فلم ألبث إلا يسيراً وإذا بسحابة أخرى وهي سحابة عظيمة وسمعت فيها دوياً كدوي الرعدالقاصف، وتهليلاً وتسبيحاً حتى لزقت بالأرض، وفيها ذلك المنادي وهو يقول: اهبط يا صفوة الله وكلمته، أنزل يا موسى. فنزل ومعه وفد من الملائكة، فأقبل إلى الرأس الكريم وقال: السلام عليك يا بقية الصالحين، عشت سعيداً وقتلت طريداً عطشاناً حتى ألحقك الله بنا، غفر الله لك ولا غفر لقاتلك، الويل ثم الويل لقاتلك غداً من النار، ثم قعد على كرسي من تلك الكراسي. فلم نلبث إلا يسيراً فإذا بسحابة أعظم من الأولتين وسمعت فيه ذلك المنادي وهو يقول: انزل يا روح الله ورسوله، أنزل يا عيسى فإذا برجل حسن الوجه تعلوه صفرة، وعليه حلتان من حلل الجنة، فتقدم إلى الرأس وقال: السلام عليك يا بقية الصالحين، عشت سعيداً وقتلت طريداً، ولم تزل عطشاناً حتى ألحقك الله بنا، غفر الله لك يا بني ولا غفر لقاتلك، لقاتلك الويل ثم الويل لقاتلك غداً من النار، ثم قعد على كرسي من تلك الكراسي وأنا أنظر إلى ذلك يا سليمان.

فلم ألبث إلا يسيراً وإذا أنا بسحابة أعظم من السحابات كلها لها دوي كدوي الرعد القاصف، وخفقان أجنحة الملائكة، وهم بالتسبيح والتقديس،

فأقبلت حتى لصقت بالأرض وفيها مناد يقول: انزل يا أبا القاسم، انزل يا أول انزل يا آخر، انزل يا حاشر، انزل يا مدثر انزل يا مزمل، انزل يا أحمد، انزل يا خير البشر، انزل يا محمد صلى الله عليك، فإذا هو قد نزل وعليه حلتان من حلل الجنة، وعن يمينه صف من الملائكة، وعن يساره الإمام علي بن أبي طالب وابنه الحسن وسيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء، قال: فتقدم النبي ص حتى وقف على الرأس الكريم فأخذه وضمّه إلى صدره وقبّله، وبكى بكاءً شديداً فقال: حبيبي يا حسين، بُنيي عشت سعيداً وقتلت طريداً ولم تزل عطشاناً حتى ألحقك الله بنا، غفر الله لك يا بني ولا غفر لقاتلك، الويل ثم الويل لقاتلك غداً من النار، ثم دفعه إلى الإمام المرتضى فأخذه وضمّه وقبّله وبكى بكاءً شديداً وقال: حبيبي يا بني، غفر الله لك ولا غفر لقاتلك، الويل ثم الويل لقاتلك غداً من النار، ثم دفعه إلى الزهراء فأخذته وضمّته إلى صدرها وقبلته وبكت بكاءً شديداً ما عليه من مزيد، وقالت: حبيبي بُنيي، يا حسين رحمك الله ولا رحم قاتلك، غفر الله لك ولا غفر لقاتلك، وهي تبكي حتى أبكت لبكائها من كان عندها في الأرض من الملائكة والنبيين.

وفي الرواية الأخرى وهي: أنه مدفون على تلك الصفة فنزل ص وجبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وعليه حلة من ديباج وتاج من ياقوت، وهو راكب على ركاب له، وعلى جنبه سطران مكتوبان لا إله إلا الله محمد رسول الله ص، وبين يديه قوم مُرْد على خيول شهب، بأيديهم

حراب تلظى كأنها مخاريق نار، فقام إليه آدم ونوح وإبراهيم والأنبياء فعزَّوه في الحسين وهم يبكون، فنادى: يا جبريل ائتني برأس ولدي فضرب جبريل بجناحيه فانشق التابوت وجميع الأقفال، وأخرجه إلى بين يدي رسول الله ص.

وفيهما(١): فأخذه وضمه إلى صدره وقبّله وبكى بكاءً شديداً، وفي أحدهما فقال: حبيبي يا حسين، عشت سعيداً وقتلت طريداً، ولم تزل عطشاناً حتى ألحقك الله بنا، غفر الله لك يا بني ولا غفر لقاتلك، الويل ثم الويل لقاتلك غداً من النار، ثم دفعه إلى علي عليه السلام فأخذه وضمّه وبكى بكاءً شديداً، ثم دفعه إلى أمه فأخذته وضمّته وبكت بكاءا ما عليه من مزيد، ودعت له وعلى قاتله، وبكت حتى أبكت لبكائها من كان عندها في الأرض، فأقبل آدم على محمد فقال: السلام على الولد الصالح المبارك الطيب، أعظم الله أجرك، وقوّى صبرك، وأحسن عزاك في ابنك الحسين، وكذلك قال له بقية الأنبياء فقال ص: يا أبي يا آدم، ويا أبي نوح، ويا أبي إبراهيم، ويا أخي موسى، ويا أخي عيسى اشهدوا على ما ترون من فعل هؤلاء بأولادي، وجعل يبكي ص فبينما هم كذلك إذ أقبل ملك من السماء بيده حربة لها نور ساطع، فقال: يا محمد لقد قطعت ببكائك قلبي، وأنا الملك الموكل بسماء الدنيا، وإن الله عز وجل قد أمرني لك بالطاعة، فإن أمرتني أن أطبق عليهم السماء فلا أبقي منهم أحداً على وجه الأرض فعلت(٢). قال له النبي ص : مهْلاً أيها الملك الكريم، وإذا بملك ثان قد

---

(١) أي في الروايتين.

(٢) وفي إحدى الروايتين: بدل ملك السماء هذا أنه ملك الشمس قال: يا رسول الله إن أمرتني أن أسلط

أقبل وقال: السلام عليك يا رسول الله، لقد قطعت ببكائك قلبي، أنا الملك الموكل بالبحر فلو أمرتني أن أطبق عليهم البحر فيموتوا الكل غرقاً لفعلت ذلك، امتثالاً لأمرك، فقال له ص: مهلاً مهلاً أيها الملك الكريم، فإذا بملك ثالث قد أقبل وقال: السلام عليك يا نبي الله، لقد قطعت ببكائك قلبي، أنا الملك الموكل بالريح فلو أمرتني أن [أشبب] عليهم شيئاً من الرياح بمقدار سم الخياط فأسقط ثمارهم ومنازلهم فيموتون، فقال النبي ص: مهلاً أيها الملك الكريم. فإذا بملك رابع قد أقبل على النبي ص وهو أعظم الملائكة له ألف رأس وستمائة جناح قد نشرها في الهواء، فقال: السلام عليك يا نبي الله وحبيبه، أنا أخوك جبريل، إن الله عز وجل أرسلني إليك وأمرني لك بالطاعة، فإن أمرتني بهلاك القوم أهلكتهم أجمعين بصيحة الفزع، أو أخسف بهم المدينة خسفاً، أو أترآى لهم في الصورة التي تراءيت فيها لعاد وثمود فشققت قلوبهم وأجوافهم، قال: لا، قال: فأقتلع هذه الأرض بحذافيرها ويخلق الله أرضاً غيرها وتكون أمتك يا محمد، قال: يا جبريل إن لهم مدة وأجلاً معلوماً، وبيني وبينهم الحكم العدل الذي لا يجور، فقالت الملائكة: جزاك الله أفضل ما جزى نبياً عن أمته، ثم قال: يا جبريل انطلق برأس ولدي إلى جثته.

قال: فمضى جبريل ثم التفت النبي ص إلينا فقال: من هؤلاء؟ قالوا: هؤلاء الموكلون بحراسة رأسه، ولقد همّوا بإحراقه بغضاً لأبيه علي بن أبي طالب، وإنا قد أمرنا بهم. قال: يا سليمان، فجعلت الملائكة تضرب بأيديها إلى لحى أصحابي وهم يطعنونهم بالحراب التي في أيديهم حتى أفنوهم عن

عليهم الشمس فتغلي منها أدمغتهم كما يغلي قدر النحاس إذا ... فلم يجبه إلى ذلك. (تمت مؤلف).

آخرهم، فلما بلغوا إلى ضرب واحد منهم نبذه إلى لحيتي[1] فوثبت قائماً على قدمي، فأطلق الله لساني فقلت: أنا في ذمة الله وذمتك يا رسول الله، فقال: دعه ليحدث بما رأى.

قال: ثم صعدت الملائكة والأنبياء عليهم السلام، ثم قال لي ذلك الملك: لا رحمك الله وأحرق عظمك بالنار، قال: ثم إني استيقظت عن منامي، فرأيت أصحابي مقتولين ولم أر شيئاً ممن رأيت، فسرت إلى يزيد بن معاوية فأعلمته بما رأيت، فأخذ الرأس الكريم وطيبه ودفنه بموضع من خزانات الفراديس، ومسجده معروف بمسجد الرأس، وهو إلى يومنا هذا.

قلت: وما أظنه إلا المسجد الذي بني على موضع سقوطه من على القناة لرجمه الناس عند باب جيرون كما ذكره في إحدى الروايتين، وقد تقدم الخلاف في دفن رأسه الكريم في أول الكلام، والله أعلم أي ذلك كان.

قلت: ولا يتوهم من قرأ هذه الروايات التناقض في شيء منها، مثل قوله: إن النبي ص نزل وجبريل عن يمينه ثم قال: إنه نزل بعد ذلك في تلك الحالة على صورته؛ فإنه كان هكذا أيام حياة النبي ص ينزل عليه في صورة دحية الكلبي، لئلا يفزع من رؤيته على تلك الصورة، ولم يره على صورته التي خُلق عليها في الدنيا إلا مرتين، كما ورد عنه ص فنزل معه على تلك الصورة، ثم بدا بالثانية في تلك الحال للعذاب إن أذن له والله أعلم. وقوله: إن

---

(1) كذا وردت الكلمة بدون نقاط، ولعلها: جهتي.

جبريل ذهب برأس الحسين إلى جثته وقوله: إن يزيد أخذه ودفنه بعد هذه القصة، فإنه يمكن تأويله بأن الله تعالى أبقى في أيديهم ما هو على صورته، وعلى الجملة فقدرة الله تعالى واسعة.

قال الراوي: فقال سليمان الأعمش لهذا الرجل: اذهب عني يا لعين، فما جزاؤك إلا النار، ثم قال: ويحك كبّر وتضرع وأكثر الندم إلى بارئ النسم حتى تموت صبراً، ثم ذهب عنه.

وفي إحدى الروايات أن الحسن عليه السلام قال للنبي ص : لا صبر لي حتى ينتقم الله من هؤلاء أجمعين، فعند ذلك قال النبي ص للملائكة: اقتلوهم أشر القتل، فذبحوهم أجمعين.

***

وقال الأصبغ بن نباته: دخلت مدينة الكوفة بعد قتل الحسين عليه السلام بأيام، فإذا بفندق مفتوح والناس على بابه جلوس، فرأيت رجلاً مقطوع اليدين من المرفقين، ومقطوع الرجلين من الركبتين، وأعمى العينين وهو يصيح: النار النار، قال: فدنوت من الجلوس وقلت: ما لهذا؟ قالوا: لا علم لنا، البارحة وهو صحيح ثم أصابه الآن ما ترى، فدنوت منه فوكزته برجلي وقلت: على دين الإسلام أنت؟ قال: نعم، قلت: فما بالك في هذه الحالة؟ قال: من أنت حتى أخبرك بخبري؟ قلت: الأصبغ قال: أنا ممن أعان على قتل الحسين، وأخذ رأسه فنظرت إلى ابنته سكينة قاعدة عند جثته وهي تبكي، فنظرتها فأعجبتني لحسنها

وجمالها وحسن منطقها، فمددت يدي إليها، فرمتني عنها إلى ناحية حتى أوهت مفاصلي، وقالت: ويلك إنما تمد يدك إلى نسوة رسول الله ص لا أماتك الله إلا أعمى العينين مقطوع اليدين والرجلين، وسلط عليك ناراً من السماء، فلما كان بالأمس نزلتُ في هذا الفندق صحيحاً، فلما جنّ الليل وأخذت مضجعي دخل عليَّ من هذا الباب رجل حسن الوجه نقي البدن، وقال: أنت ممن أعان على قتلي؟ فأردت أن أقول: لا، فأطلق الله لساني فقلت: نعم، قال: امدد يديك فمددتهما فقطعهما ثم قال: امدد رجليك فمددتهما فقطعهما كما ترى، ثم نفث في عيني نفثة فأعمى بصري، فقلت: بالذي بعثك إليَّ من أنت؟ قال: أنا جبريل، لما دعت ابنة الحسين أمرني الله أن أفعل بك هذا، وأبشر بعد هذا بالنار، قال الأصبغ: فوالله ما خرجت من عنده حتى بعث الله عليه شواظاً من نار من السماء فاحترق.

وقال الزهري: رأيت رجلاً أعمى ممن شهد الوقعة فسألته عن ذهاب بصره، قال: شهدت مقتل الحسين عليه السلام، ولم أضرب بسيف ولم أرم بسهم، فلما قتل رجعت إلى منزلي فنمت، فإذا أنا برجل قال لي: أجب رسول الله ص فقلت: مالي ولرسول الله، فجرّني إليه فإذا هو في المحراب حزيناً مغموماً وعنده ملك معه سيف من نار وقد قدّم إليه جماعة من أصحابي وهو يضربهم، وكلما ضرب واحداً التهب ناراً ثم يعود حياً، فدنوت منه وقلت: السلام عليك يا رسول الله، ما ضربت بسيفي ولا طعنت برمحي، ولا رميت بسهمي، قال: صدقت ولكنك كثّرت السواد معهم، فادن مني، فدنوت فإذا عنده طست مملوءة دماً، فقام الحسين

فكحلني من ذلك، فانتبهت أعمى لا أبصر شيئاً.

وعن الفضل بن الزبير قال: كنت جالساً يوماً إذ أقبل رجل يثور منه ريح القطران، فقلت: أتبيع القطران؟ قال: لا، قلت: فما هذه الرائحة؟ قال: كنت أبيع من محطة ابن سعد أوتار الحرير، فلما قتل الحسين عليه السلام بت في العسكر فرأيت النبي ص في المنام ومعه علي وهو يسقي من قتل من أصحاب الحسين عليه السلام، فقلت: اسقني، فأبى وقال: ألست ممن أعان علينا؟ قال: قلت: كنت أبيع أوتار الحرير منهم، فقال لعلي عليه السلام: اسقه قطراناً، فناولني قعباً فشربت فبلت ثلاثة أيام قطراناً ثم ذهب ذلك وبقيت رائحة القطران.

وروي أن رجلاً ممن شهد الوقعة كان يقول: ما أكثر كذب أهل العراق يقولون: لم يشهد وقعة الحسين أحد إلا أصيب ببلاء، وإني شهدت وقعته فلم يصبني شيء، ثم قام ليصلح السراج عند ضيف له وقد امتلأ ذلك الضيف غيظاً، فمد يده إلى الفتيلة فاحترقت أصبعه، فأشار بها إلى فيه ليطفئها بريقه، فاحترقت لحيته ووجهه، ثم احترق بدنه، فخرج فرمى بنفسه إلى الفرات، فقال الضيف: ما رأيت الله إلا أحرقك وأغرقك.

ومد رجل يده إلى طاهرة زوجة الحسين عليه السلام، فجذب القرط من أذنها فقالت: قطع الله يمينك، فقطعت يمينه في الحال، ومدَّ رجل آخر يده إلى أم كلثوم بنت علي كرم الله وجهه ليأخذ عليها شيئاً فقالت: شلت يمينك، فشلت من

ساعتها.

وإلى هنا أقبض عنان قلمي، وأكتفي بما ذكرته عن عبرة من غرائب ما وقع من المناقب والفضائل، ومن لم يكفه القليل لم يشفه الكثير.

[ذكر الإمام الحسن بن الحسن]

ولنرجع إلى تفسير بقية البيت فقولنا: «**والمثنى والإمام علي**».

المثنى هو: الإمام الأعظم أمير المؤمنين **الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب** عليهم السلام، وأمه خولة بنت منظور بن زبّان الفزاري، عقد بها ابن الزبير للحسن السبط عليه السلام؛ لأن أباها كان أعرابياً جافياً[1]، فخرج منظور فركز رايته بين فزارة فلم يبق قيسي إلا دخل تحتها، وقال: أمثلي يفتأت[2] عليه في ابنته، فردَّها له الحسن فسار بها، فقالت له ابنته: ويلك! إنه الحسن بن علي بن رسول الله أمثله يُرد؟ فندم ووقف وقال: إن كان له رغبة فهو يلحقنا، فلحقها فردَّها له، فولدت له الحسن.

فكان مشهوراً فضله، ظاهراً نبله، وكان له مواقف عظيمة بين يدي عمِّه الحسين ابن علي بن أبي طالب عليهم السلام في كربلاء، وكان فارساً وله

---

(1) قال في الجواهر: لم يكمل إسلامه إذ نكح امرأة أبيه بعد إسلامه فهَمَّ عمر بضرب عنقه، فأقسم ما علم تحريم ذلك في دين الإسلام، فلم يحده عمر، وأخت خولة كانت تحت ابن الزبير، وهي التي عناها الشاعر الفرزدق بقوله: أما البنون فلم تقبل شفاعتهم* وشفعت بنت منظور بن زبانا. (تمت مؤلف).

(2) يفتأت: أي يستبد.

يومئذ عشرون سنة، وقتَل من جنود الضلال عدة، وأصابته اثنتا عشرة[1] جراحة حتى ارتثَّ في وسط القتلى، فحمله خاله أسماء بن خارجة الفزاري، ورده إلى الكوفة فداواه حتّى عوفي، وانصرف إلى المدينة.

وكان السبب في قيامه وبيعته أن عبد الرحمن بن محمد الأشعث ولاه الحجاج سجستان، فسار إليها في جيش عظيم قدر ثلاثين ألفاً، فخلع عبد الملك والحجّاج وهَمَّ بأن يدعو إلى نفسه، فقال له من معه من علماء الكوفة والبصرة: هذا لا يتم إلا برجل من قريش، فراسلوا علي بن الحسين والحسن هذا، فامتنع علي بن الحسين وقال الحسن: ما بي رغبة عن القيام بأمر الله، ولكن لا وفاء لكم تبايعونني ثم تخذلونني، فلم يزالوا به حتى أجاب، فأخذ عليهم الأيمان المغلظة، وخرج إليه منهم عبد الرحمن بن أبي ليلى، وأبو البختري الطائي، والشعبي، وأبو وائل شقيق، وابن سيرين، والحسن البصري وجماعة من الأعيان، وتلقب بالرضى.

وفي بيعته يقول بعضهم:

أبلغ أبا الذُبَّان[2] مخلوع الرَّسَنْ   أن قد مضت بيعتنا لابن الحسنْ

إبن الرسول المصطفى والمؤتمنْ   من خير فتيان قريش ويمنْ

---

[1] في المصابيح ٣٨٣: وأصابته ثماني عشرة جراحة.

[2] يقصد بأبي الذبان: عبد الملك بن مروان وكان أبخرا كريه رائحة الفم.

والحُجَّة القائم في هذا الزمنْ

ثم خرج ابن الأشعث ولقيه الحجّاج، واشتد القتال بينهم ثلاث سنين كان بينهم سبعون وقعة، كلها على الحجاج سوى وقعتين، وتقوّى أمر ابن الأشعث ودخل الكوفة، فخطب للحسن بن الحسن حتى إذا كانت الجمعة الثانية أسقط اسمه، فلما كانت وقعة دير الجماجم انهزم فيها ابن الأشعث، وتوارى الحسن بأرض الحجاز وتهامة حتى مات عبد الملك، فلما ولي الوليد بن عبد الملك اشتد طلبه له حتى دس إليه من سقاه السم، وحمل إلى المدينة ميتاً وهو في ثلاث وثلاثين[1] سنة، وقيل: سبع وثلاثين، ودفن بالبقيع.

وله أولاد: محمد وبه يُكَنَّى، وأم محمد: رملة بنت سعيد بن عمرو بن نفيل، وعبد الله، وإبراهيم، والحسن المثلث، وحبيبة[2]، وزينب، وأم كلثوم وهؤلاء أمهم فاطمة بنت الحسين بن علي عليهم السلام، ومن أولاده: جعفر، وداود، وفاطمة، وملكية، وأم القاسم، وأمهم أم ولد.

والحسن بن الحسن هو أول من دعا بعد الحسين عمه على ما صححه الإمام المهدي في «البحر» وأما المنصور بالله عبد الله بن حمزة فقال: أول من دعا بعد الحسين زيد بن علي عليه السلام؛ ولعل مراد المنصور بالله أنه

---

(1) في المصابيح والحدائق ١/ ٢٣٩: ثمان وثلاثين سنة وقيل: سبع وثلاثين.

(2) حبيبة: لم تذكر في المصابيح ولا الحدائق راجع عمدة الطالب ٩٢، الطبقات الكبرى لابن سعد ٥/ ٣١٩.

أول من قام واستشهد في المعركة بعد الحسين عليه السلام، والله أعلم.

فإن قيل: كيف عقد ابن الزبير للحسن السبط عليه السلام بخولة أم الحسن المذكور وأبوها حاضر حسبما وصف صاحب السيرة؟ **قلت:** يحتمل أنه كان كافراً، فإنه نكح زوجة أبيه ثم اعتذر بأنه لم يعلم تحريم ذلك، فعذره عمر بن الخطاب ولم يحده، أو عاضلاً لها عن النكاح، وفي الحالين الحسن هو الإمام فَزَوَّج نفسه إياها وابن الزبير معبر عنه في العقد من حيث كانت صهرته وأخت زوجته التي عناها الفرزدق بقوله وقد تحاكم هو وزوجته النوار إلى ابن الزبير، فكان حمزة بن عبد الله ابن الزبير عوناً للفرزدق على النوار، وزوجة عبد الله بن الزبير[1] تعين النوار، فكان حمزة إذا أصلح الأمر عند أبيه نهاراً أفسدته ليلاً، فكانت الغلبة للنوار، فقال:

أما البنون فلم تُقْبل شفاعتُهم ... وشُفِّعت بنت منظور بن زبّانا

ليس الشفيع الذي يأتيك متّزراً ... مثل الشفيع الذي يأتيك عُرْيانا

فإن قال السائل: إن ذلك العقد في زمن علي بن أبي طالب عليه السلام قلنا: يمكن أن يكون أمر الحسن وزوّجه إياها باطناً، وكان ذلك العقد في الظاهر توصلاً إلى نيلها، والله أعلم، على أنه قد قال ص: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا وأبوهما خير منهما».

[ذكر الإمام زين العابدين علي بن الحسين]

وقولنا في البيت: **«والإمام علي»** هو الإمام المقتصد والعابد المجتهد **زين**

---

(1) وهي أخت خولة: تماضر بنت منظور بن زبان الفزاري.

العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام. وهو أحد أئمة الإمامية، وإن لم يدع فهو إمام العبادة والزهادة، وسيد الأئمة والقادة، وتعداد مكارمه وفضائله وفواضله لا تحصى إلا أنا نذكر نبذة من ذلك.

فكان صلوات الله عليه يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة حتى كركرة مساجده، وسمي ذو الثَّفِنات حتى كانت مساجده كثفنات البعير، وكان عليه السلام إذا توضأ اصفر لونه، وإذا قام إلى الصلاة أخذته الرّعدة، فقيل له في ذلك فقال: ما تدرون بين يدي من أقوم! وكان إذا هاجت الريح سقط مغشياً عليه، ووقع حريق في بيتٍ هو فيه وهو ساجد، فجعلوا يقولون: يا ابن رسول الله النار النار فما رفع رأسه، فقيل له فقال: ألهتني النار الكبرى.

وقد تقدمت الرواية عن ولده الباقر عليه السلام في رحمته له وذكره لضعفه من العبادة في صفة عبادة علي عليه السلام، وكان كثير الصدقات ينفق سراً وجهراً، حتى أنه بعد موته حُصِر من كان ينفق عليه في المدينة سراً فكانوا أهل مائة بيت، وكانوا لا يدرون أنه المنفق عليهم حتى مات عليه السلام.

وعن بهلول رضي الله عنه قال: بينما أنا ذات يوم في شوارع البصرة، فإذا بصبيان يلعبون باللوز والجوز، وإذا أنا بصبي ينظر إليهم ويبكي، فقلت: هذا صبي يتحسّر على ما في أيدي الصبيان، فقلت له: أي بني ما يبكيك؟ اشتري لك من الجوز واللوز ما تلعب به مع الصبيان، فرفع بصره إليَّ

وقال: يا بهلول أو للعب خُلِقْنا؟ فقلت: أي بنيّ فلماذا خلقنا؟ فقال: للعلم والعمل والعبادة، قلت له: من أين لك ذلك؟ قال: من قوله تعالى: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ**﴾ [الذاريات:٥٦] وقوله تعالى: ﴿ **أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ**﴾ [المؤمنون:١١٥] فقلت له: يا بني إني أراك حكيماً، فعظني وأوجز، فقال:

أرى الدنيا تجهز بانطلاق مشمّرة على قدمٍ وساقِ
فلا الدنيا بباقيةٍ لحي ولا حيٌّ على الدنيا بباقِ
كأنَّ الموت والحَدَثان فيها إلى نفس الفتى فرسَا سِباقِ
فيا مغرور بالدنيا رويداً ومنها خُذْ لنفسك بالوثاقِ

ثم رمق السماء بعينيه، وأشار إليها بكفيها ودموعه تنحدر على خديه، وهو يقول:

يا من إليه المبتهل يا من عليه المُتَّكَلْ
يا من إذا أمّله الـ ـمؤَمِّلُ لم يخط الأملْ

ثم خَرّ مغشياً عليه، قال بهلول: فرفعت رأسه إلى حجري، ونفضت التراب عن وجهه بكمي، فلما أفاق قلت له: أي بني ما نزل بك وأنت صبي صغير لم يكتب عليك ذنب؟ فقال: إليك عني يا بهلول إني رأيت والدتي توقد النار بالحطب الكبار فلا تتقد لها إلا بالصغار، أفأكون من صغار حطب جهنم؟ فقلت له: أي بني أراك حكيماً فعظني، فأنشأ يقول:

عقلت وحادي الموت في أثري يحدو فإن لم أرح يوماً فلا بد أن أغدو
أَنَعّم جسمي بالثياب ولينها وليس لجسمي من قميص البلى بُدُّ
كأني به قد مُدَّ في برزخ البلا ومن فوقه ردمٌ ومن تحته لحدُ
وقد ذهبت مني المحاسن وامحت ولم يبق فوق العظم لحمٌ ولا جلدُ
وقد كنت جاهرت المهيمن عاصياً وأحدثت أحداثاً فليس لها ردُّ
وأرخيت خوف الناس ستراً من الحيا وما خفت من سري غداً عنده يبدو
بلى خفته لكن وثقت بحلمه وأن ليس يعفو غيره فله الحمدُ
إلهي ترى نفسي وقلة صبرها إذا لاح ضوء البرق أو سبّح الرعدُ
فكيف إذا أحرقت بالنار جثتي ونارك لا يقوى لها الحجر الصّلدُ
أنا عبدُ سوءٍ خنتُ مولاي عهدَه كذلك عبد السوء ليس له عهدُ
أنا الفرد عند الموت والفرد في البلى وأبعث فرداً فارحم الفرد يا فردُ
أرى العمر قد ولّى ولم أدرك المنى وليس معي زاد وفي سفري بعدُ
فلو لم يكن شيء سوى الموت والبلا ولم يك من ربي وعيدٌ ولا وعدُ
لكان لنا في الموت شغل وفي البلا عن اللهو لكن زال عن رأينا الرشدُ
عسى غافر الزّلات يغفر زلتي وقد يغفر المولى إذا أذنب العبدُ

قال بهلول: فلما فرغ من كلامه وقعت مغشياً عليَّ، ثم انصرف الصبي وخلاني، فلما أفقت نظرت الصبيان فلم أره معهم فقلت لهم: من يكون ذلك الغلام؟ قالوا: أو ما عرفته؟ قلت: لا، قالوا: ذلك علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، فقال بهلول: لقد عجبت أن تكون تلك الثمرة إلا من تلك الشجرة.

وعن النبي ص أنه قال: «يولد لولدي الحسين ولد إذا جاء يوم القيامة قيل: هذا سيد العابدين» فكان هو عليه السلام.

وقيل: أنه كان يقطع ما بقي من مواضع سجوده ليقع سجوده على جسمه الحي، وكان لا يدع صلاة الليل في سفر ولا حضر، وكان عليه السلام يقول: اللهم إني أعوذ بك أن تحسن في لوامع العيون علانيتي، وتقبح عندك سريرتي.

وكان يقول: إن قوماً عبدوا الله عز وجل رهبة فتلك عبادة العبيد، وآخرين عبدوه رغبة فتلك عبادة التجار، وقوماً عبدوه شكراً فتلك عبادة الأحرار.

وكان يستقي الماء لطهوره بنفسه، ولا يحب أن يعينه عليه أحد، ويقضي ما فاته من ورد النهار بالليل، وإذا مشى لا تجاوز يده فخذه، ولا يخطر بيده وكان يقول: عجبت للمتكبر الفخور الذي كان بالأمس نطفة وهو غداً جيفة، وعجبت كل العجب لمن يشك في الله وهو يرى خلقه، وعجبت كل العجب لمن ينكر النشأة الأخرى وهو يرى النشأة الأولى، وعجبت كل العجب لمن عمل لدار الفناء، وترك دار البقاء.

وأوصى بعض بنيه فقال: يا بني لا تصحب خمسة ولا تحادثهم ولا ترافقهم في طريق، لا تصحبن فاسقاً، فإنه يبيعك بأكلة فما دونها، فقال: وما دونها؟ قال: يطمع فيها ثم لا ينالها. ولا تصحبن البخيل، فإنه يقطع عنك أحوج ما تكون إليه،

ولا تصحبن كذّاباً فإنه بمنزلة السراب يبعد عنك القريب ويقرب منك البعيد، ولا تصحب الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك فقد قيل: عدو عاقل خير من صديق أحمق، ولا تصحبن قاطع رحم، فإني وجدته معلوناً في كتاب الله في ثلاثة مواضع.

وروي أنه تكلم عليه رجل وافترى عليه، فقال له زين العابدين: إن كنتُ كما قلتَ فأنا أستغفر الله، وإن لم أكن كما قلتَ فغفر الله لك. فقام إليه الرجل وقبّل رأسه، وقال: جعلت فداك لستَ كما قلت، فاغفر لي فقال: غفر الله لك، فقال الرجل: الله أعلم حيث يجعل رسالاته.

وروي أن خادماً له عليه السلام أتى بشواء لضيف له عليه السلام، فسقط الشواء من يده على ولد صغير فقتله، فقال: أنت حر يا غلام فإنك لم تعمده، ثم أخذ في جهاز ولده.

ودخل زين العابدين على محمد بن أسامة بن زيد في مرضه، فجعل محمد يبكي، فقال له: ما يبكيك؟ قال: عليَّ دين، قال: كم هو؟ قال: خمسة عشر ألف دينار، فقال: هي عليَّ. وخرج يوماً من المسجد فلقيه رجل فسبّه، فأسرعت إليه العبيد والموالي، فقال لهم علي عليه السلام: مهلاً عن الرجل، ثم أقبل عليه وقال: ما سُتِر عليك من أمرنا أكثر مما بدا لك، ألك حاجة نعينك عليها؟ فاستحيى الرجل، فألقى إليه خميصة وأمر له بألف درهم، فكان الرجل يقول: أشهد أنك من أولاد الرسل.

قال في «تاريخ ابن خلكان» في ترجمة الفرزدق[1]:

وتنسب إلى الفرزدق مكرمة يرجى له بها الجنة، وذلك أنه لما حج هشام بن
عبد الملك في أيام أبيه، فطاف بالبيت وجهد أن يصل إلى الحجر ليستلمه فلم يقدر عليه لكثرة الزحام، فنصب له منبر وجلس عليه ينظر إلى الناس، ومعه جماعة من أعيان أهل الشام، فبينما هو كذلك إذ أقبل زين العابدين عليه السلام وكان من أحسن الناس وجهاً وأطيبهم ريحاً، فطاف بالبيت، فلما انتهى إلى الحجر تنحى له الناس حتى استلم، فقال رجل من أهل الشام: من هذا الذي قد هابه الناس هذه الهيبة؟ فقال هشام: لا أعرفه، مخافة أن يرغب فيه أهل الشام، وكان الفرزدق حاضراً، فقال: أنا أعرفه، فقال الشامي: من هو يا أبا فراس؟ فقال:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيتُ يعرفه والحِلُّ والحرمُ
هذا ابنُ خير عباد الله كُلِّهِمُ هذا التقي النقي الطاهر العلَمُ
إذا رأته قريشٌ قال قائلُهم إلى مكارم هذا ينتهي الكرمُ
ينمى إلى ذُروة المجد التي عن نيلها عربُ الإسلام والعجمُ
يَكادُ يُمسِكُه عِرفانُ راحته ركنُ الحطيم إذا ما جاء يَسْتَلِمُ
في كفه خيزرانٌ عَرْفُهُ عَبِقٌ في كفّ أروع في عرنينهِ شمَمُ
حَيّيتُه بسلامٍ وهو مرتفقٌ وضجّة القوم عند الباب تزدحمُ

---

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان ٦/ ٩٥.

يغضي حياءً ويُغضى من مهابته ... فما يُكَلّم إلا حين يبتسمُ
ينشقُّ نورُ الهدى عن نور غُرَّتِهِ ... كالشمس تنجاب عن إشراقها الظُلَمُ
منشقةٌ من رسول الله نبعتُه ... طابت عناصره والخيمُ والشِّيمُ
هذا ابن فاطمة إن كنتَ جاهله ... بجدِّه أنبياءُ الله قد خُتِموا
الله شرّفه قُدْماً وعظمه ... جرى بذاك له في لوحه القلمُ
فليس قولك من هذا بضائره ... العُربُ تعرف من أنكرتَ والعجمُ
كلتا يديه غِياثٌ عَمَّ نفعهما ... يُستوكفان ولا يعروهما عدمُ
سهل الخليقة لا تُخشى بوادره ... يزينه اثنان: حسنُ الخلق والشيمُ [1]
حَمّال أثقالِ أقوامٍ إذا فدحوا[2] ... حلو الشمائل تحلو عنده نَعَمُ
لا يُخلف الوعد ميمون نقيبته ... رحب الفناء أريبٌ حين يعترمُ
عمَّ البرية بالإحسان فانقشعت ... عنه العناية[3] والإملاقُ والعدمُ
من معشر حبُّهم دينٌ وبغضهُمُ ... كفرٌ وقربُهم منجى ومعتصمُ
ما قال (لا) قطّ إلا في تشهده ... لولا التشهد كانت لاءه نَعَمُ
إن عُدَّ أهل التقى كانوا أئمتهم ... أو قيل من خير أهل الأرض قيل هُمُ
لا يستطيع جوادٌ بعد غايتهم ... ولا يدانيهم قومٌ وإن كرموا
هُمُ الغيوث إذا ما أزمة أزمت ... والأسد أسد الشرى والبأس محتدمُ
لا يُنقِص الغيث بسطاً من أكفهمُ ... سيّان ذلك إن أثروا وإن عَدِموا

---

(١) لعله: والكرم والله أعلم. (مؤلف).
(٢) في الديوان: إذا افتدحوا.
(٣) في الديوان: الغياهب.

مُقَدّمٌ بعد ذكر الله ذكرهم   في كل شيء ومختومٌ به الكَلِمُ

يأبى لهم أن يحل الذم ساحتهم   خيمٌ كريمٌ وأيدٍ بالندى هُضُمُ

أرى الخلائق طراً في رقابهم   لأوليَّة هذا أو له نِعَمُ

من يعرف الله يعرف ذا ويكرمه   والدين من بيت هذا ناله الأممُ

وفي غير رواية ابن خلكان: أن هشاماً هو الذي قال: من هذا؟ وهو ظاهر قوله: وليس قولك من هذا بضائره، والله أعلم.

[استطراد: ذكر آباء الرسول الأعظم]

بيت الخلافة من بيت( ) النبوة من   بيت الرئلسة في أسلافنا الأول

أتى لإيلاف في تأليف فضلهم   بالرحلتين على ثاوٍ ومرتحل

فثيبة الحمد في البطحاء كان له   فضل على النلس بالإكرام والنَّزُل

وهاشم قبله ما زال نائله   على الوفود جرى من بعد كالمثل( )

هذه وما بعدها سبعة أبيات ألحقتها حال نقل شرح البيت لاستعظام من احتواه، ولابد من بيان ألفاظها، ومن أشرنا إليه بالتفصيل فيها بالقول الصحيح، والفصل الصريح.

فقولنا: «**بيت الخلافة**» ظاهر في بيت النبوة أي ثابت فيها وعنها.

وقولنا: «**من بيت الرئاسة**» إلى آخره فلا شك في فضل قريش في

---

(٢) الكلمة غير منقوطة في الأصل، فلعلها أيضا: بنت النبوة.

(٢) في نسخة: جرى في الناس كالمثل. (مؤلف).

الجاهلية والإسلام، ومحلهم في الشرف على أعلى السنام، لا ينكره إلا مكابر، ولا يخالف فيه إلا جاهل، هم أهل العز المنيف، وولاة الحرم الشريف.

روى ابن حنبل في «مسنده» ورفعه إلى عبد الله بن حنطب، عن أبيه قال: خطبنا رسول الله ص يوم جمعة، فقال: « قدموا قريشاً ولا تقدموها، وتعلموا منها ولا تعلموها، ولقوة رجل من قريش تعدل قوة رجلين من غيرهم، وأمانة رجل من قريش تعدل أمانة رجلين من غيرهم، يا أيها الناس أوصيكم بحب ذي قرنيها أخي وابن عمي علي بن أبي طالب، فإنه لا يحبه إلا مؤمن، ولا يبغضه إلا منافق، من أحبه فقد أحبني، ومن أبغضه فقد أبغضني، ومن أبغضني عذبه الله عز وجل».

وروينا من «مناقب الفقيه ابن المغازلي» ما رفعه إلى سالم بن عمر[1]، قال: قال رسول الله ص: « لما خلق الله عز وجل الخلق اختار العرب فاختار قريشاً واختار بني هاشم من قريش، فأنا خيرة من خيرة، ألا فأحبوا قريشاً ولا تبغضوها فتهلكوا، ألا كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة ما خلا سببي ونسبي، ألا وإنِّ علي بن أبي طالب من نسبي وسببي: فمن أحبه فقد أحبني، ومن أبغضه فقد أبغضني» ذكر ذلك في أنوار اليقين.

وقد مَنَّ الله سبحانه وتعالى عليهم بالرحلتين، وأنزل فيها سورة في

(1) كذا، والصواب: سالم عن ابن عمر كما في مناقب ابن المغازلي ٨٥.

القرآن، ولقد كان عبد المطلب يسمى شيبة الحمد[1]، وكان يطعم الوحش في رؤوس الجبال، والطير والسباع والإنس في السهل[2]، قال النبي ص: «إن عبد المطلب سن خمساً من السنن أجراها الله عز وجل في الإسلام: حرم نساء الآباء على الأبناء، فأنزل الله سبحانه: ﴿ **وَلاَ تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ**﴾ [النساء:٢٢] وسنَّ الدية في القتل مائةً من الإبل فجرت في الإسلام، وكان يطوف بالبيت سبعة أشواط ثم يقف على باب الكعبة ويحمد الله عز وجل ويُثني عليه، وكانت قريش تطوف كما شاءت قل أو كثر فسنَّ عبد المطلب سبعةً سبعةً فجرى ذلك في الإسلام، ولما حفر بئر زمزم سماها سقاية الحاج فأنزل الله سبحانه وتعالى:﴿ **أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ**﴾ [التوبة:١٩] الآية، ووجد كنزاً فأخرج منه الخمس وتصدق به فجرى ذلك في الإسلام».

ذكر ذلك في «أمالي أبي طالب» عليه السلام، وأخرج فيها أيضاً عن

---

(١) قال في «روضة الألباب»: اسم عبد المطلب شيبة، لأنه حين ولد رأوا في رأسه شعرة بيضاء، وقيل: كان وسط رأسه أبيض فسمته أمه شيبة، ويقال له: شيبة الحمد أيضاً، وإنما سمي عبد المطلب لأنه كان طفلاً حين توفي أبوه، فرباه عمه المطلب بن عبد مناف. وكان من عادة العرب أن يقولوا ليتيم كان في حجر واحد هو عبده، فاشتهر بعبد المطلب، وهلك المطلب بردمان من أرض اليمن. قيل: وليس اليوم على وجه الأرض هاشمي إلا من ولد عبد المطلب، إذ لم يبق من نسل هاشم أحد، وتوفي عبد المطلب وقد بلغ رسول الله ص ثماني سنين، وهو في مائة وعشرون سنة، وقيل: اثنين وثمانين سنة.

و«**روضة الألباب**»: كتاب للأمير أبي علامة محمد بن الإمام عبد الله بن علي. (تمت مؤلف).

(٢) ويقال له لجوده: مطعم الطير في السماء تمت من روضة الألباب لأبي علامة. (تمت مؤلف).

النبي ص أنه قال: « يبعث عبد المطلب أمة وحده [قال] وكان لا يستقسم بالأزلام ولا يعبد الأصنام، ويقول: أنا على دين إبراهيم عليه السلام».

وقال السيد أبو العباس رحمه الله تعالى: أخبرنا محمد بن جعفر [بإسناده عن جعفر بن محمد(1)] قال: قال علي عليه السلام: ما عبد أبي ولا جدي عبد المطلب
ولا هاشم ولا عبد مناف صنماً قط. قيل: فما كانوا يعبدون؟ قال: كانوا يصلون إلى البيت على دين إبراهيم عليه السلام [متمسكين به].

قلت: وقد تقدم قوله ص وسيأتي أيضاً في آخر الكتاب ومعناه: نُقلّت من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الطهارة الحديث.

وأما هاشم بن عبد مناف الذي قصدناه بقولنا: «**وهاشم قبله**» إلى آخره.

اسمه عمرو وهو أول من أطعم الطعام وهشم الثريد، ولذلك سمي هاشماً، وكانت مائدته منصوبة لا ترفع لكل وارد وصادر، وكان يكسو ويحمل من طرَقه، وينصر المظلوم، ويفك العاني، ويؤمن الخائف.

وعن سِعر بن سوادة(2) العامري أنه قال في حَديث: فدخلت تهامة(3) في ليل مُسْدِف، فأقمت حتى نفر عني قميص الليل فإذا بقباب سامية مع سعفات

---

(1) إضافة عن المصابيح.

(2) في الأصل: «سعيد بن سودة» وهو خطأ صوبناه عن المؤتلف والمختلف.

(3) في المصادر: فدخلت مكة؛ ومكة تهامية.

الجبال ، فإذا بجزر تنحر وأخرى تساق، وأكلة وحثيث على الطهاة يقولون: اعجلوا اعجلوا، وإذا بإنسان ينادي: يا وفد الله الغداء، وإذا رجل مجهر على نَشَزٍ من الأرض ينادي:
يا وفد الله من تغدّى فليرح للعشاء. [قال:] فبهرني ما رأيت، فجئت أريد عميد[1] القوم، فإذا بشيخ فقال: أمامَك؛ فرأيت شاباً كأنّ الشعرى[2] توقد من جبينه، وكأنَّ في خديه الأساريع، وعلى رأسه عمامة سوداء قد أخرج من تحتها جُمَّة، وتحته كرسي مذهب من ذويه[3] نمرقة، حوله مشايخ جّلة ناكسو الأذقان ما منهم أحد يفيض بكلمة، وكان قد نُمي إلي من حبر بالشام أن النبي الأمي التهامي هذا أوان توكفه، فلما رأيته خلته هو، فقلت: السلام عليك يا رسول الله، فقال: صهٍ صهٍ لستُ به، وكأنْ قَدِ وليتني، فقلت: من هذا؟ فقالوا: أبو نضلة هاشم بن عبد مناف[4].

فجلست إليه فسمعته يقول: معاشر قريش الحلم شرف، والصبر ظفر، والجود سؤدد، والمعروف كنز، والجهل سفه، والعجز ذلة، والحرب خدعة، والظفر دَوَل، والأيام غِيَر، والمرء منسوب إلى فعله ومأخوذ بعمله، فاصطنعوا المعروف تكسبوا الحمد، واستشعروا الحلم تحوزوا السؤدد، ودعوا الفضول يجانبكم السفهاء، وأكرموا الجليس تعمروا دياركم، وحاموا

---

(1) في الأصل: «عمود» وهو تحريف.
(2) الشعرى: كوكب نير يقال له المرزم، يطلع بعد الجوزاء.
(3) كذا رسمها في الأصل.
(4) راجع أمالي أبي طالب ٤٨٥، تاريخ دمشق ٢٠/ ٤١٣.

على الخليط يُرْغَب في جواركم، وأنصفوا الناس يثقوا بكم، وعليكم بمكارم الأخلاق فإنها تزيد في الرفعة، وإياكم والأخلاق الدنيَّة فإنها تضع من الشرف، انتهى كلامه العجيب الغريب الذي قررته النبوة وجاءت به الحكمة.

وفي معنى ذلك قيل[1]:

يا أيها الضيفُ المحوِّل رَحْلَه   هلا حللت بآل عبد منافِ

هَبِلَتْك أمُّك لو حللت بدارِهم   منعُوك من جوعٍ ومن إقْرافِ

كانت قريشٌ بيضةً فتفلّقت   فالمخُّ خالصُه لعبد منافِ

عمرو الذي هَشَمَ الثريد لقومه   ورجالُ مكةَ مُسْنِتُون عِجافُ[2]

الرائشون وليس يوجد رائشٌ   والقائلون هَلُمَّ للأضيافِ

والخالطون فقيرهُم بغنيِّهم   حتى يعود فقيرهم كالكافي

نسبت إليه الرحلتان كلاهما   سفر الشتاء ورحلة الأصيافِ

وعبد مناف اسمه: المغيرة، وفيه قيل:

إن المغيرات وأبناءهم   مِن خير أحياءٍ وأمواتِ

أخلصُهُم عبدُ مناف فهم   من لوْمِ مَنْ لام بمنجاةِ

وعن زيد بن علي عليهما السلام: اجتمع نفر من قريش فيهم علي بن أبي طالب فتفاخروا، فقالوا شيئاً من الشعر حتى انتهوا إلى علي عليه السلام،

---

(1) والقائل: مطرود بن كعب الخزاعي.

(2) كذا، وفيه إقواء من عيوب القافية، قيل: وهو مذهب معروف عند العرب.

فقالوا: يا أبا الحسن، قل فقد قال أصحابك، فقال عليه السلام:

الله أكرمنا بنصر نبيه وبنا أقام دعائم الإسلامِ
وبنا أعزَّ نبيه وكتابه وأعزّه بالنَّصر والإقدامِ
في كل معتركٍ تُطِير سيوفنا فيها الجماجم عن فراخ الهامِ
ينتابنا جبريل في أبياتنا بفرائض الإسلام والأحكامِ
فنكون أوّل مستحلٍّ حلّه ومحرّمٍ لله كل حرامِ
نحن الخيار من البرية كلها ونظامها وزمامُ كل زمامِ
الخائضو غمرات كل كريهة والضامنون حوادث الأيامِ
والمبرمون قوى الأمور بعزمهم والناقضون مراير الإبرامِ
سائل أبا كربٍ وسائل تُبّعًا عنّا وأهل العِيْر والأزلامِ
إنا لنمنع من أردنا منعه ونجود بالمعروف والإنعامِ
وترد عادية الخميس سيوفنا وتقيم رأس الأصيد القمقامِ()

وعن النبي ص أنه قال: «قال لي جبريل عليه السلام: يا محمد قلّبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد ولد أب خيراً من بني هاشم».

قال الإمام الحسن بن بدر الدين عليه السلام:

() الأمالي الخميسية ١/ ٢٧٣، تاريخ ابن عساكر ٤٢/ ٥٢٢.

هذا هو الفضل الذي دونه هام الثريا ومحل السُّهَا

ليس لهم (1) فيه نصيب وهل ينكر هذا الفضل أهل النُّهى؟

وإنّما الفضل شهي وهل ينال بالأمنية المشتهى؟

ما بعد هذا الفخر فخرٌ لمن فاخر يوماً بل هو المنتهى

انتهى. وقد أوجب ضيق الورقات هذه الاختصار، وعلى ما قد ذكرته فيها الاقتصار.

***

وسمع عن الشيخ أقوالاً حكمن له بنصرة الدين والإسلام بالأسل

وكان يكتم خوفاً من عشائره إيمانه وهو يحمي الدين عن غيل

فكم حمى المصطفى عن كل غائلة بالسيف واللِّسن في جدّ وفي هزل

الشيخ هو: أبو طالب وكان يدعى في قريش بالشيخ، اسمه: **عبد مناف بن**

عبد المطلب بن هاشم، وكنيته أبو طالب، وهو الذي كفل رسول الله ص صغيراً ونصره كبيراً، لأن أباه عبد الله مات وهو حمل أو له أربعة أشهر، ثم ماتت أمه وله أربع سنين، ثم مات جده عبد المطلب وله ست سنين، وكان عبد الله وأبو طالب أخوان من أم واحدة، فأخذه أبو طالب وربته امرأته

(1) يعني المشايخ ومن والاهم تمت. (مؤلف).

فاطمة بنت أسد الهاشمية أم علي بن أبي طالب، وكان يقول لأولاده إذا أشربهم اللبن: لا تشربوا حتى يشرب محمد أولاً، فكان إذا شرب قبلهم كفاهم ما بقي، وإذا شربوا قبله لم يكفهم.

وروى السيد أبو طالب عن [عبد الله بن(1)] الحسن بن الحسن عن آبائه عليهم السلام، قال: كان رسول الله ص إذا أخذ مضجعه وعرف مكانه تركه أبو طالب، فإذا نامت العيون جاء إليه وأنهضه من فراشه وأضجع علياً مكانه، فقال علي: يا أبتاه إني مقتول ذات ليلة، فقال أبو طالب:

اصْطبر يا علي فالصبر أحجى ... كل حيٍّ مصيرُه لشَعُوبِ(2)
قد بلوناك والبلاء يسير ... لفداء النبي وابن النجيبِ
لفداء الأغرِّ ذي النسب الثا ... قب ذي الباع والرّضي الحسيبِ
إن تُصِبك المنون عنه فأحرى ... فمصيبٌ منها وغير مصيبِ
كلُّ حيٍّ وإن تملأ عيشاً ... آخِذٌ من سهامها بنصيبِ

وروي أن أبا طالب فقد يوماً رسول الله ص ؛ فظن أنه قد قتل، فدعا فتيان بني هاشم وبني المطلب، وقال لهم: ما أرى قريشاً إلا قد قتلت محمداً، فليأخذ كل رجل منكم سكيناً ويجلس إلى عظيم من عظماء قريش، [فإذا قلت: أبغي محمداً، قتل كل منكم الرجل الذي إلى جانبه، وبلغ رسول الله ص جمع

(1) إضافة عن أمالي أبي طالب ٨٥.

(2) الشعوب: اسم من أسماء الموت.

أبي طالب وهو في بيت عند الصفا فأتى أبا طالب وهو في المسجد، فلما رآه أبو طالب أخذ بيده ثم قال: يا معشر قريش، فقدت محمداً فظننت أن بعضكم اغتاله، فأمرت كل فتى شهد من بني هاشم أن يأخذ حديدة ويجلس كل واحد منهم إلى عظيم منكم، فإذا قلت: أبغي محمداً، قتل كل واحد منهم الرجل الذي إلى جنبه، فاكشفوا عما في أيديكم يا بني هاشم، فكشف بنو هاشم عما في أيديهم فنظرت قريش إلى ذلك، فعندها هابت قريش رسول الله ص [( )].

وهو الذي منع رسول الله ص من قريش ونصره، ولما تذامرت قريش على من في القبائل منهم من أصحاب الرسول ص الذين أسلموا، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم، منع الله رسوله ص منهم بعمه أبي طالب.

ولما رأى أبو طالب قريشاً يصنعون ما يصنعون قام في بني هاشم وبني المطلب فدعاهم إلى نصرة رسول الله ص ومنعه، والقيام دونه، فاجتمعوا إليه وقاموا معه، إلا ما كان من أبي لهب عدو الله، فلما رأى أبو طالب من قومه ما سره من جدهم، جعل يمدحهم ويمدح رسول الله ص فقال:

إذا اجتمعت يوماً قريشٌ لمفخرٍ فعبدُ منافٍ سرُّها وصميمُها
فإن حُصّلت أشراف عبد منافها ففي هاشمٍ أشرافُها وقديمُها

() ما بين الحاصرتين إضافة عن كتاب الغدير ٧/ ٣٧٤ ولعلها سقطت من مسودة المؤلف ضمن الأوراق المتناثرة.

فإن فخرت يوماً فإنَّ محمداً هو المصطفى من سِرّها وكريمُها

تداعت قريشٌ غثها وسمينُها علينا فلم تظفر وطاشت حلومُها

وكنا قديماً لا نُقِرُّ ظُلامةً إذا ما ثنوا صُعرَ الخدود نقيمُها

ونحمي حماها كل يوم كريهةٍ ونمنع عن أحجارها من يرومُها

ومن قصيدة له طويلة:

كذبتم وبيت الله نبزى(١) محمداً ولما نُطاعِن دونه ونناضلِ

ونسلمه حتّى نُصَرَّع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائلِ

وينهض قومٌ في الحديد إليكم نهوض الروايا تحت ذات الصلاصلِ

لقد علموا أن ابننا لا مُكَذّبٌ ولا هو معنيٌّ بقول الأباطلِ

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأراملِ

يُلوذ به الهُلاك من آل هاشمٍ فهم عنده في نعمةٍ وفواضلِ

وقد ذكر مقاتل في تأويل قوله تعالى ﴿**وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ**﴾ [الأنعام:٢٦] بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنه: أن قريشاً اجتمعت إلى أبي طالب رضي الله عنه، وقالوا: يا أبا طالب سلم إلينا محمداً فإنه قد أفسد ديننا، وسب آباءنا لنقتله، وهذه أبناؤنا بين يديك تبنّى بأيهم شئت، ثم دعوا بعمارة بن الوليد وكان متحسناً فقال: هل رأيتم ناقة تحنّ إلى غير فصيلها، لا كان ذلك أبداً، ثم نهض عنهم ودخل على النبي ص فرآه كئيباً، وقد علم مقالة قريش فقال:

---

(١) يبزى: أي يبطش يقال: أبزى به إذا بطش فكان هذه الكلمة منه. (مؤلف).

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة أبشر وقَرّ بذاك منك عيونا
ودعوتني وزعمت أنك ناصحي ولقد صدقت وكنت قبل أمينا
وذكرت ديناً قد علمت بأنه من خير أديان البرية دينا

وقد اتفق على هذه الأبيات مقاتل والثعلبي وابن عباس وعطاء بن دينار.

ومن قوله أيضا:

أذبُّ وأحمي رسول المليك حماية حامٍ عليه شفيقْ
منعنا الرسول رسول المليك ببيض تلألأ كلمع البروقْ

وقال أيضاً:

ألا أبلغا عَنّي على ذات بيننا لؤياً وخُصّا من لؤي بني كعبِ
ألم تعلموا أن وجدنا محمَّداً نبياً كموسى خُطّ في أول الكتبِ
وأن عليه في العباد محبّةً ولا خير ممَّن خصه الله بالحبِ
وأن الذي ألصقتم من كتابكم لكم كائن نحساً كراغية السقبِ
أفيقوا أفيقوا قبل أن يُحفر الثرى ويصبح من لم يجنِ ذنباً كذي الذنبِ
ولا تتبعوا أمر الوشاة وتقطعوا أواصرنا بعد التواصل والقربِ
وتستجلبوا حرباً عَواناً وربما أَمَرَّ على من ذاقه جلبُ الحربِ
فلسنا وبيت الله نُسلِم أحمداً لعزّاء من عض الزمان ولا كربِ
ولما تَبِنْ منّا ومنكم سوالفٌ وأيدٍ أُترّت بالمهنّدة الشهبِ
بمعتركٍ ضنكٍ تُرى كسر القنا به والنسور الطخم يعكفن كالشربِ

كأنَّ مجال الخيل في حجراته   ومعمعة الأبطال معركة الحربِ
أليس أبونا هاشمٌ شدَّ أزره   وأوصى بنيه بالطعان وبالضربِ
ولسنا نَمَلُّ الحرب حتى تَمَلّنا   ولا نشتكي ما قد ينوب من النكبِ
ولكننا أهل الحفائظ والنُّهى   إذا طار أرواح الكماة من الرُّعبِ

وأراد بالكتاب الذي لصقوه أنهم كتبوا كتاباً تعاقدوا فيه على بني هاشم وبني المطلب على أن لا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعونهم شيئاً، ثم علقوا ذلك الكتاب في جوف الكعبة، والقصة مشهورة، ومن قول أبي طالب فيما رواه المنصور بالله عبد الله بن حمزة عليه السلام:

ألم تعلموا يا قوم أن محمداً   نبيٌّ كموسى والمسيح بن مريمِ

وقوله:

وبالغيب آمنا وقد كان قومنا   يصلون للأوثان قبل محمدِ

قال: وأجمعت العترة الطاهرة على إيمانه، وأدلة إيمانه ظاهرة قولاً وفعلاً، قال: وقد كان يوهم الكفار أنه باق على دينهم، لتبقى جلالة رئاسته فيهم، وكان يذكر ما ينبه العاقل على اتباع النبي ص ، ويصرح بأنا تركنا الإيمان عصبية وحمية وجهلاً، ليرجع العقلاء إلى الصواب في إتباع النبي ص.

قال المنصور بالله: وللإيهام بقي علماء العامة يدّعون بقاءه على الكفر، وأهل بيته أعلم بحاله، وقد أجمعوا على إسلامه، ولم يختلف أحد من أهل

العلم أنه لم يبلغ أحد من نصرة النبي ص مبلغ أبي طالب رحمه الله تعالى.

وقال المنصور بالله:

حماه أبونا أبو طالب وأسلم والناس لم تسلمِ
وقد كان يكتم إيمانه فأمّا الولاء فلم يكتمِ

وقد روي: أنه لما تقارب الموت من أبي طالب نظر العباس إليه يحرك شفتيه، فأصغى إليه بأذنه، فقال لرسول الله ص: والله لقد قال أخي الكلمة التي أمرته أن يقولها.

ولما مات أبو طالب أمر النبي ص بغسله وتكفينه، ثم كشف وجهه فمسح بيده اليمنى على جبهته اليمنى ثلاث مرات، ثم على اليسرى ثلاث مرات بيده اليسرى، ثم قال: كفلتني يتيماً وربيتني صغيراً ونصرتني كبيراً فجزاك الله عني خيراً.

وعن الصادق عليه السلام قال: نزل جبريل على النبي ص فقال له: يا محمد إن الله عز وجل يقرؤك السلام، ويقول: إني حرمت النار على صلب أنزلك، وبطن حملك، وحجر كفلك، فقال ص لجبريل: بين لي منهم؟ فقال: أما الصلب الذي أنزلك فعبد الله بن عبد المطلب، وأما البطن الذي حملك فآمنة بنت وهب، وأما الحِجر الذي كفلك فعبد مناف بن عبد المطلب؛ يعني أبا طالب.

قلت أنا: وقول العباس: لقد قال أخي الكلمة التي أمرته بها، وهي: أن

النبي ص كان يلقنه عند الموت قول: لا إله إلا الله ليكون آخر كلامه لا لطلب إسلامه، لأنه ص قال: « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة» فلم يسمعها منه ص لخفاء صوته عند احتضاره، فلما أصغى العباس بإذنه سمعها والله أعلم.

***

وزيد الحبر محيي الدين ناصره وصاحب المذهب المنجي عن الزلل

من جاد بالنفس إذ ضن البخيل بها لنصرة الدين لا للمال والخول

دعا هشاماً إلى التقوى وجاهده بالسيف واللِّسن في أشياعه الأوَل

حتى قضى من جهاد الظالمين يداً بها الشهادة جاءته على عجل

[ذكر الإمام زيد بن علي]

زيد المذكور هو أمير المؤمنين وسيد المسلمين **أبو الحسين زيد بن علي بن الحسين** المذكور قبله، وهو الذي رفع راية الجهاد، وشمر في إحياء الدين بجد واجتهاد، وكان حتفاً لأهل الظلم والفساد.

ولد عليه السلام أول سنة خمس وسبعين للهجرة، وأمه جيداء اشتراها المختار ابن أبي عبيد بثلاثين ألف درهم، وقال: ما أرى أحداً أحق بها من علي بن الحسين، فبعث بها إليه.

قالوا: وقد كان رأى علي بن الحسين عليه السلام جده رسول الله ص في

المنام في تلك الليلة، وأنه أخذ بيده فأدخله الجنة فزوجه حوراء، قال: فواقعتها فعلقت، فصاح بي رسول الله ص: يا علي سَمِّ المولود منها زيداً، قال: فما قمنا حتى أرسل المختار بهذه الجارية، ولما دخل بها علي حملت بزيد عليه السلام.

وكان يُشبه أمير المؤمنين عليه السلام في الفصاحة والخطابة والزهادة والعبادة، وكان يعرف في المدينة بحليف القرآن، قال خالد بن صفوان: انتهت الفصاحة والخطابة والزهادة والعبادة من بني هاشم إلى زيد بن علي عليه السلام، ولقد شهدته عند هشام وقد تضايق به مجلسه وهو يخاطبه.

وروي أنه دخل عليه يوماً وعنده يهودي فأخذ اليهودي يسبُّ رسول الله ص، ويتبجح ويتكلم في تلك الحضرة، فزجره زيد، فقال هشام: لا تؤذينا في مجلسنا وجليسنا، والقصة مشهورة، فخرج زيد مغاضباً، وكان أحد الأمور الداعية له إلى القيام، والدعاء إلى الله تعالى.

قال في «الحدائق»: عن ابن عباس قال: بينما علي عليه السلام بين أصحابه، إذ بكى بكاءاً شديداً، فقال له الحسن: يا أبت مالك تبكي؟ قال: يا بني لأمور خفيت عنك أنبأني بها رسول الله ص، فقال: وما أنبأك رسول الله به؟ فقال: يا بني لولا أنك سألتني ما أخبرتك؛ لئلا تحزن ويطول همّك، أنبأني رسول الله ص فذكر حديثاً طويلاً قال فيه: يا علي كيف أنت إذا وليها الأحول اللئيم، الكافر الذميم، فيخرج عليه خير أهل الأرض طولها

والعرض، قلت: يا رسول الله من هو؟ قال: يا علي رجل أيده الله بالإيمان، وألبسه قميص البر والإحسان، فيخرج في عصابة يدعون إلى الرحمن، أعوانه من خير أعوان، يقتله الأحول ذو الشنآن، ثم يصلبه على جذع الرمان، ثم يحرقه بالنيران، ثم يضربه بالعسبان حتى يكون رماداً كرماد النيران، ثم تصير روحه وأرواح شيعته إلى الجنان[1].

وروي أن النبي ص قال للحسين عليه السلام: «يا حسين يخرج من صلبك رجل يقال له زيد، يتخطى هو وأصحابه رقاب الناس يوم القيامة غراً محجلين». وفي رواية أخرى مثله، وزاد: «يدخلون الجنة بغير حساب».

وروي أن علياً عليه السلام خطب خطبة على منبر الكوفة، وذكر أشياء وفتناً حتى قال: ثم يملك هشام تسع عشرة سنة، وتواريه أرض رصافة رصفت عليه النار، ما لي ولهشام! جبار عنيد، قاتل ولدي الطيّب المطيّب، لا تأخذه رحمة ولا رأفة، يصلب ولدي بكناسة الكوفة، زيد في الذروة الكبرى من الدرجة العليا، فإن يُقتل زيد فعلى سنة أبيه» الحديث.

قال الإمام أحمد بن سليمان في «حقائق المعرفة»:

---

(1) الأمالي الأثنينية ٥٧٦، الحدائق الوردية ١/ ٢٤٥.

وبلغنا أن زيد بن علي عليه السلام لما خفقت عليه الرايات رفع يديه إلى السماء وقال: الحمد لله الذي أكمل لي ديني، والله ما يسرني أني لقيت محمداً ص، ولم آمر أمته بالمعروف، ولم أنههم عن المنكر، والله ما أبالي إذا أقمت كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ص أنها أُجِّجَتْ لي نار ثم قذفت فيها، ثم صرت فيما بعد ذلك إلى رحمة الله تعالى، والله لا ينصرني أحد إلا كان في الرفيق(1) الأعلى مع محمد ص، ونحن بنوه يا معاشر الفقهاء ويا أهل الحجا، أنا حجة الله عليكم، ثم هذه يدي مع أيديكم على أن نقيم حدود الله، ونعمل بكتاب الله، ونقسم بينكم بالسوية، فاسألوني عن معالم دينكم، فإن لم أنبئكم عما سألتم عنه فولوا أموركم من شئتم ممن علمتم أنه أعلم مني، والله لقد علمتُ علم أبي علي بن الحسين، وعلم جدي الحسين ابن علي، وعلم علي بن أبي طالب وصي رسول الله ص، وعيبة علمه، وإني لأعلم أهل بيتي، والله ما كَذَبتُ كذبةً منذ علمت شمالي من يميني، ولا انتهكت محرماً منذ عرفت أن الله يؤاخذني به، هلمّوا فاسألوني. ثم سار حتى انتهى إلى الكُناسة، فحمل على جماعةٍ من أهل الشام كانوا بها، ثم سار إلى الجبانة ويوسف بن عمر مع أصحابه على التل، فشدَّ بالجمع على زيد وأصحابه.

قال أبو معمر [راوي الحديث]: فرأيته عليه السلام يشدُّ عليهم كأنه الليث حتى قتلنا منهم أكثر من ألفي رجلٍ، ما بين الحيرة والكوفة، وتفرقنا فريقين،

---

(1) في الأصل: «الفريق» والتصويب عن حقائق المعرفة ٤٨١.

وكنا من أهل الكوفة أشد خوفاً.

قال أبو معمر: فلما كان يوم الخميس حاصت منا حيصة، واتبعتهم فرساننا فقتلنا أكثر من مائتي رجل، فلما جنَّ الليل ليلة الجمعة كَثُر فينا الجراح، واستبان فينا الفشل، وجعل زيد يدعو ويقول: اللهم إن هؤلاء يقاتلون عدوك، وعدو رسولك عن دينك الذي ارتضيته لعبادك، فأجزهم أفضل ما جازيت أحداً من عبادك المؤمنين. ثم قال: أحيوا هذه الليلة بقراءة القرآن، والدعاء والتهجد، والتضرع إلى الله تعالى، وأنا أعلم والله ما أمسى على وجه الأرض عصابة أنصح لله تعالى ولرسوله ص وللإسلام منكم. فكان غاية أمره أنه قتله وصلبه يوسف بن عمر [في الكوفة] فأقام على الخشبة سنتين ثم أحرقه يوسف، ونسف رماده في البحر. هذه رواية الإمام المتوكل أحمد بن سليمان عليه السلام في حقائق المعرفة.

قال ابن أبي الحديد رحمه الله تعالى[1]:

وممن سلك مذهب أسلافه في إباء الضيم وكراهية الذل، واختيار القتل، وإيثار أن يموت كريماً؛ **أبو الحسين زيد بن علي بن الحسين بن علي عليهم السلام**، أمه أم ولد، وكان السببُ في خروجه وخلع طاعة بني مروان، أنّه كان تخاصم هو وعبد الله ابن الحسن بن الحسن عليهم السلام في صدقات علي، هذا يخاصِم عن بني حسين، وهذا عن بني حسن؛ فتنازعا يوماً عند

---

(1) في شرح نهج البلاغة ٣/ ١٩٧ - ١٩٨.

خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم أمير المدينة، فأغلظ كلٌّ واحد منهما لصاحبه، فسُرَّ بذلك خالد، وأعجبه سِبابهما، وقال لهما حين سكنا: اغْدُوَا علي غداً، فلستُ لعبد الملك إن لم أفْصِل بينكما، فباتت المدينة تَغْلي كالمِرْجل، فمن قائل يقول: قال زيد كذا وكذا، ومن قائل يقول: قال عبد الله كذا وكذا، فلما كان الغد جلس خالد في المسجد، وجمع الناس؛ فمن شامت ومغموم، ودعا بهما ورغب أن يتشاتما، فذهب عبد الله يتكلّم، فقال زيد: لا تعجل أبا محمد، أعتق زيد ما يملك إن خاصمك إلى خالد أبداً، ثم أقبل على خالد فقال: أجمعت ذرية رسول الله ص لأمر ما كان يجمعهم عليه أبو بكر ولا عمر، فقال خالد: أما لهذا السفيه من يكلّمه!

فتكلّم رجل من الأنصار من آل عمرو بن حَزْم، فقال: يا ابن أبي تراب، ويا ابن حسين السفيه! أما ترى لوالٍ عليك حقاً ولا طاعة، فقال زيد: اسكت أيها القحطاني، فإنا لا نجيب مثلك، فقال الأنصاري: ولم ترغب عني! فوالله إني لخير منك، وأبي خير من أبيك، وأمّي خير من أمك. فتضاحك زيد وقال: يا معشر قريش؛ هذا الدين قد ذهب، أفذهبت الأحساب! فتكلّم عبد الله بن واقد بن عبدالله ابن عمر بن الخطاب فقال: كذبت أيها القحطاني، والله لهو خير منك نفساً وأباً وأماً ومحتداً، وتناوله بكلام كثير، وأخذ كفاً من الحصا وضرب به الأرض، وقال: إنه والله ما لنا على هذا من صبر، وقام.

فقام زيد أيضاً، وشخص من فوره إلى هشام بن عبد الملك وهو في الشام،

فجعل هشامٌ لا يأذن له وزيد يرفع إليه القِصص، وكلّما رفع إليه قصة كتب هشام في أسفلها: ارجِعْ إلى أرضك، فيقول زيد: والله لا أرجع إلى ابن الحارث أبداً. ثم أذن له هشام بعد حَبْسٍ طويل، وكان في علوية[1] فرقى زيد إليه، وقد أمر هشام خادماً له أن يتبعه حيث لا يراه، ويسمع ما يقول. فصعد زيد - وكان بادناً - فوقف في بعض الدرجة، فسمعَه الخادم يقول: ما أحبّ الحياة إلا من ذلّ! فأخبر الخادم هشاماً بذلك، فلما قعد بين يدي هشام وتحادثا حلف زيد له على شيء، فقال هشام:
لا أُصدّقك، فقال زيد: إن الله لا يرفع أحداً عن أن يرضى [بالله، ولم يضع أحدا عن أن يرضى[2]] بذلك منه. فقال هشام: إنّه بلغني أنّك تذكر الخلافة وتتمنّاها، ولست هناك! لأنك ابن أمة، فقال زيد: إن لك جواباً، قال: تكلّم قال: إنه ليس أحد أولى بالله ولا أرفع درجة عنده من نبي ابتعثه؛ وهو إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام، وهو ابن أمَة، قد اختاره الله لنبوّته، وأخرج منه خير البشر. فقال هشام: ما يصنعُ أخوك البقرة! فغضب زيد حتى كاد أن يخرج من إهابِه، ثم قال: سمّاه رسول الله ص الباقر وسميته أنت البقرة، لشدَّ ما اختلفتما، ولتخالفنه في الآخرة كما خالفته في الدنيا، فيرد الجنة وترد النار.

---

(1) في شرح النهج: في علية.
(2) ما بين الحاصرتين إضافة عن شرح النهج.

فقال هشام: خُذُوا بيد هذا الأحمق المائق، فأخرجوه، فأخذ الغلمان بيده فأقاموه، فقال هشام: احملوا هذا الخائن الأهوج إلى عامله، فقال زيد: والله لئن حملتني إليه

لا أجتمع أنا وأنت وهو، وليموتَنّ الأعجل مِنّا. فأخرج زيد وأشخص إلى المدينة، ومعه نفر يسيّرونه حتى طردوه عن حدود الشام، فلما فارقوه عَدَل إلى العراق، ودخل الكوفة، وبايع لنفسه، فأعطاه البيعة أكثر أهلها، والعاملُ عليها وعلى العراق يومئذ يوسف بن عمر الثقفي لعنه الله تعالى، فكان بينهما من الحروب ما هو مذكور في كتب التواريخ. وخذل أهل الكوفة زيداً، وتخلّف معه ممن بايعه نفر يسير، وأبلى بنفسه بلاءً حسناً، وجاهد جهاداً عظيماً، حتى أتاه سهم غرب[1]، فأصاب جانب جَبْهته اليُسرى، فثبت في دماغه فحين نزع قضى نحبه عليه السلام شهيداً رضوان الله عليه.

وكان قد نهاه عن الخروج محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، وعنّف عليه، وحذره القتل، وقال له: إنّ أهل العراق خَذَلوا أباك علياً وحسناً وحسيناً، وإنك مقتول، وإنهم خاذلوك، فلم يَثْنِ ذلك عَزْمه، وتمثّل بقوله:

بَكَرَتْ تُخَوِّفني الحتوف كأنني ... أصبحتُ من غَرَض الحتوف بمعزلِ
فأجبتُها إنّ المنيَّة منهلٌ ... لا بُدَّ أن نُسقى بذاك المنهلِ

---

(1) السهم الغرب: الذي لا يدرى راميه.

إن المنيّة لو تمثّل مُثِّلَتْ مِثْلي إذا نزلوا بضيق المنزلِ
فاقْنَيْ حياءك لا أبالك واعلمي أني امرؤ سأموت إن لم أَقتلِ

انتهى كلام ابن أبي الحديد.

فقيل: إنه هَمَّ بالرجوع إلى المدينة لما عنفه محمد بن عمر، فأقبلت إليه الشيعة وغيرهم يبايعونه، حتى أحضروا إليه ديوان خمسة عشر ألف رجل من أهل الكوفة خاصة، سوى أهل المدائن والبصرة، وواسط والموصل، وخراسان والري وجرجان، فأقام بالكوفة سبعة عشر شهراً، وأرسل دعاته إلى الآفاق، ولما دنا خروجه أمر أصحابه بالاستعداد، فجعل من يريد أن يفي له يستعد، وشاع ذلك، فانطلق سراقة [البارقي] إلى يوسف بن عمر فأخبره، فبعث من يطلبه ليلاً، فلم يوجد عند رجلين قد كان ذكر سراقة أنه عندهما، فأتوا بهما يوسف، فلما كلمهما استبان له أمر زيد وأصحابه، وأمر بهما يوسف فضربت أعناقهما، فبلغ الخبر زيداً، فتخوّف أن تؤخذ عليه الطريق، فخرج قبل الأجل الذي ضربه لأهل الأمصار، إذ كان قد وعد أصحابه ليلة الأربعاء أول ليلة من صفر سنة اثنتين وعشرين ومائة، فأصبح زيد ومن انضم إليه في تلك الليلة وهم مائتان وثمانية عشر رجلاً فقال زيد: سبحان الله أين الناس؟ فقيل له: هم محصورون في المسجد، قال: لا والله ما هذا لمن بايعنا بعذر. ثم بعد ذلك وقع القتال بينه وبين القوم، فلما رُمي بالنشابة في جبهته - حسبما سبق - تُرِك السهم على حاله، فرجع ورحل أصحابه، ولا يظن أهل الشام إلا أنه رجع للمساء بالليل، فأُمِر

للطبيب، فقال له: إن نزعتها مت من ساعتك، فقال عليه السلام: الموت أهون عليّ مما أنا فيه فعهد عهده، وأوصى وصيته.

فقيل: إن من جملة وصيته أن قال لولده يحيى بن زيد سلام الله عليهما:

أَبُنَيَّ إما أهلِكَنّ فلا تكن دنس الفعال مبيض[1] الأثوابِ

واحذر مصاحبة اللئيم فإنما شَيْنُ الكريم فُسولة الأصحابِ

ولقد بلوت الناس ثم خبرتهم وبلوت ما وصلوا من الأسبابِ

فإذا القرابة لا تقرّب قاطعاً وإذا المودة أقرب الأنسابِ

فلما فرغ من وصيته نزعت النشابة فقضى نحبه سلام الله عليه، وذلك عشية الجمعة لخمس بقين من المحرم سنة اثنتين وعشرين ومائة على ما صححه في «الحدائق» فيكون قبل الميعاد الذي ضربه لأصحابه بخمس ليال والله أعلم[2].

ولما توفي عليه السلام اختلف أصحابه في دفنه، ثم اتفقوا على أن عدلوا بنهر عن مجراه، ثم حفروا له ودفنوه، وأجروا الماء على ذلك الموضع،

---

(1) في الأصل: «مظهر» وهو تحريف.

(2) وقد قال سلام الله عليه لما رمي بسهم في آخر نهار الجمعة في جبينه، وكان قد سأله سائل عن أبي بكر وعمر، فأعرض عنه، ولم يجبه فلما وقع به السهم قال: أين السائل عن فلان وفلان، قال: هو أنا يا ابن رسول الله، قال: هما رمياني هذه الرمية، وأقاماني هذا المقام، فدمانا في رقابهما إلى أن تقوم الساعة، رواه... ورواه الحسن بن بدر الدين، والمنصور بالله عبد الله بن حمزة، والسيد حميدان، وغيرهم من آل الرسول (من هامش الأصل) بخط المؤلف ولم يشر إلا أنها من الأصل، فأسقطناها في الهامش.

وكان معهم غلام سندي، فلما أصبح نادى منادي يوسف بن عمر: من دلَّ على قبر زيد فله من المال كذا وكذا، فدلّهم عليه ذلك السندي، فاستخرجوه، وحزّوا رأسه، ووجّهوا به إلى هشام، وصلبوا جثته بالكناسة. قال في «الحدائق»: بقي مصلوباً سنة وشهوراً، وقيل: أياماً، وقيل: سنتين، قال: ذكر ذلك السيد أبو طالب عليه السلام(). وقيل: بقي مصلوباً أربعة أعوام.

وفي «أمالي المرشد بالله» يرفعه إلى رجاله أنه مكث سنتين إلى أيام الوليد بن يزيد. وفي « تاريخ ابن خلكان » ما لفظه: وذكر أبو بكر بن عياش وجماعة من الإخباريين أن زيداً أقام مصلوباً خمس سنين عرياناً، فلم ير أحد له عورة ستره الله تعالى، وذلك بالكناسة في الكوفة، فلما كان في أيام الوليد بن يزيد وظهر ولده يحيى بن زيد بخراسان كتب الوليد إلى عامله بالكوفة: أن أحرق زيداً بخشبته، ففعل ذلك، وأذرى الرماد الذي له في الرياح على شاطئ الفرات.

وفي «الترجمان» ما لفظه: ثم لما دعا ولده يحيى بن زيد عليهما السلام أنزله الوليد وأمر بتحريقه، فحُرِّق ثم ذري في البحر. ورُوي أن رماده اجتمع في البحر حتى صار مثل هالة القمر، وقد أشار إلى ذلك السيد العلامة الهادي بن إبراهيم بن الوزير رحمه الله تعالى حيث قال:

وما لك تربة فأقول تسقى لأنك بين أمواج الفراتِ

ورأيت في بعض التواريخ أن رأسه عليه السلام مقبور بمصر مشهور

() الحدائق ١/ ٢٦٣، الإفادة ٦٦.

مزور، فقلت في مرثية لي سأذكرها هنا إنشاء الله تعالى:

سقى مصراً بمنهمل همورٍ وعلّله بأمواه الفراتِ

وذكره ابن خلكان وسيأتي ما ذكره عقيب ذكر مرثية ابن بقية المصلوب إن شاء الله تعالى عند ذكر كلام ابن خلكان فيه؛ فحينئذ فقد اختص مصر بفضيلتين عظيمتين: قبر رأس زيد وقبر رأس جده الحسين، كما ذكرته في سيرته عليه السلام.

فصـل

نذكر فيه بعض ما اتفق للإمام من الكرامات أيام صلبه وشيئاً مما رثي به.

فمن ذلك أن العنكبوت كانت تنسج على عورته ليلاً فكانوا إذا أصبحوا هتكوا نسجها بالرماح، **ومنها**: أن امرأة مؤمنة خرجت فطرحت عليه خمارها فالتاثت بمشيئة الله تعالى، فصعدوا وحلوه فاسترخت سرته حتى غطت عورته. **ومنها**: ما ذكره ابن خلكان أنها لم تر له عورة قط، **ومنها** أن امرأة من أعدائه أشارت إليه بأصبعها فغاصت في كفها كأن لم تكن.

قال في «روضة المشتاق»: وكان يجيء طيران فيظللانه من الشمس بأجنحتهما، قال فيها وفي «مقاتل الطالبيين» وغيرها بالإسناد: أن الذي حمل رأس زيد بن علي عليه السلام أصابه الفالج من وقته، وهو زهرة بن سليم.

وعن سماعة بن موسى الطحان قال: رأيت زيد بن علي عليه السلام مصلوباً فما رأى أحد له عورة بل استرسل جلد من بطنه، من قدامه وخلفه حتى ستر عورته، وروي أن رجلان أتيا يمشيان حتى وقفا على خشبة زيد ومدا أيديهما وقال: هذا الفاسق بن الفاسق؛ فما برحا حتى يبست أيديهما.

ورأيت في بعض الكتب أنه صلب مع زيد رجل من عدوه مع من صلب من شيعته عليه السلام، فكان بعض عقلاء المجانين يأتي كل صباح فيسلم على زيد وأصحابه، ويترحم عليهم، فإذا وصل إلى جثة ذلك الرجل قال: أما أنت يا هذا فشعر عانَتِك تخبرني أنك لست من القوم، وإنما أخذت بغير ما أخذوا به، لأنهم رحمهم الله تعالى قد استجدوا قبل حضور الوقعة، فيتعجب الناس من قوله.

وله عليه السلام فضائل كثيرة شهيرة، لو لم يكن له إلا اشتهار مذهبه في الآفاق، وطيران طيور فضائله على رؤوس المؤمنين والفساق، من غير حيلة إلى إظهار مذهبه كما فعل ملوك بني العباس لغيره من الفقهاء من الأمر باتباعهم، واتخاذ تلك المقامات في الحرم حيلةً على العامة ليتبعوهم؛ وكيف لا وهو الذي باع نفسه من رب العالمين، وجاهد في الله حتى أتاه اليقين.

وروي أنه لم ينم الليل عشرين سنة، وكان يُغشى عليه عند ذكر الله تعالى حتى يقول القائل: إنه لا يعود إلى الدنيا، وكان كثير البكاء، فقال الراوي:

والله لقد رأيته يبكي بدمع يشبه الدم، ولقد كان دمعه يبل لحيته، فقيل له في ذلك فقال: لم لا أبكي؛ فوالله لو أعطاني الله الأمان من الحساب والعقاب ليحق لي أن أبكي إن كنتم تعلمون يا ذوي الألباب.

وإلى زيد تنتسب الفرقة الناجية إن شاء الله تعالى الزيدية لاتباعها له ولآل محمد في مذاهبهم، وعقيدتهم وانتمائهم إلى زيد جميعاً، وقولهم بإمامة زيد، ومن أبى ذلك فليس بزيدي حقيقة وإن انتسب إليهم، فالهدوية والقاسمية والناصرية[1] زيدية، وإن حصل بينهم اختلاف في مسائل الفروع، فكل مجتهد فيها مصيب في الأصح؛ قال الإمام الكامل عبد الله بن الحسن بن الحسن عليهم السلام: العلَمُ بيننا وبين الناس علي بن أبي طالب عليه السلام، والعلامة بيننا وبين الشيعة زيد بن علي، فمن تبع زيداً فهو شيعي، ومن لم يتبعه فليس بشيعي. وأراد أن بحب علي ومتابعته يتميز المؤمن عن المنافق، كما وردت بذلك الأخبار الصحيحة.

وعبد الله بن الحسن بن الحسن سيأتي ذكره، وهو الذي تخاصم هو وزيد على صدقات علي، فانظر إلى اعترافه بإمامته وفضله، ونجاة من اتبعه انتهى.

قال بعض المؤرخين: وقد أنصف الله من هشام في الدنيا بالتحريق له بعد

---

(1) نسبة **الهادوية** إلى الإمام الهادي يحيى بن الحسين، و**القاسمية** نسبة إلى جده الإمام القاسم الرسي، و**الناصرية** نسبة إلى الإمام الناصر الأطروش، وهذه الثلاث من مدارس الزيدية الفقهية.

موته، وفي الآخرة بالنار وبئس القرار، قال: فمكن الله وزير آل محمد أبا حفص الخلال من صلب هشام وضربه وتحريقه، وذلك أنه لما مات طلوه بالصبر، فوجدوه بعدما نبشوه مثل ما دفن، فقال بعض شعراء المنصور بالله عبد الله بن حمزة في كلمة يمدحه بها:

وكم صون جسم كان فيه هلاكه   كما صِيْنَ بِالتَّصْبِيرِ جسمُ هشامِ

هكذا في الحدائق، وقال المسعودي في «مروج الذهب»: إن عمر بن هانئ الطائي قال: خرجت مع عبد الله بن علي عم السفاح والمنصور حتى انتهينا إلى قبر هشام، فاستخرجناه صحيحاً ما فقدنا منه إلا خرمة أنفه، فضربه عبد الله ثمانين سوطاً، ثم أحرقه، ثم استخرجنا سليمان بن عبد الملك فلم نجد منه شيئاً إلا صلبه وأضلاعه ورأسه، فأحرقناه، وفعلنا كذلك بغيرهما من بني أمية، وكانت قبورهم بقنسرين. ثم انتهينا إلى دمشق فاستخرجنا الوليد بن عبد الملك فما وجدنا في قبره قليلاً ولا كثيراً، وحفرنا عن عبد الملك فما وجدنا [إلا شؤون، ثم احتفرنا عن يزيد بن معاوية فما وجدنا[1]] منه إلا عظماً واحداً، ووجدنا مع لحده خطاً أسود كأنما خط بالرماد بالطول في لحده، ثم تتبعنا قبورهم في جميع البلدان فأحرقنا ما وجدنا منهم. قال: وكان سبب فعل عبد الله هذا ببني أمية ما فعله هشام بزيد بن علي عليهما السلام، فانتصر لبني عمه.

---

(1) إضافة عن مروج الذهب ٣/ ٢٩.

ومما رثي به زيد بن علي عليه السلام ما ذكره في «شرح الزحيف» من قول
أبي ثُمَيْلة الأنباري، وهو قوله:

أبا الحسين أثار فقدك لوعةً ... من يلق ما لاقيت منها يكمدِ
فعرى السُّهاد ولو سواك رمت به ... الأقدار حيث رمت به لم نَسْهدِ
فَعَبَرْتُ بعدك كالسليم[1] وتارة ... أحكي إذا أمسيت فعل الأرمدِ
ونقول: لا تبعد، وبعدك داؤنا ... وكذاك من يلقى المنية يُبْعَد
كنت المؤمَّل للعظائم والذي ... يرجى لأمر الأمة المُتَأوّدِ
فقُتِلْت حين نضلت كل مناضل ... وصعدت في العلياء كل مُصَعَّدِ
وطلبت غاية سابقين فنلتَها ... بالله في سننٍ كريم الموردِ
وأبى إلهك أن تموت ولم تَسِر ... فيهم بسيرة صادقٍ مستنجدِ
والقتل في ذات الإله سجيةٌ ... منكم وأخذٌ بالفعال الأمجدِ
والوحشُ آمنةٌ وآل محمد ... ما بين مقتولٍ وبين مطرّدِ
نصباً إذا ألقى الظلام ستوره ... رقد الحمام وليله لم يرقدِ
يا ليت شعري والخطوب كثيرةٌ ... أسباب موردها وما لم توردِ

---

[1] السليم: هو الملدوغ من حية أو نحوها سمي بالسليم تفاؤلاً تمت. (مؤلف).

ما حُجَّة المستبشرين بقتله ... بالأمس أو ما عذر أهل المسجدِ[1]

يعني الشيعة الذين قالوا له: أين تخرج عنا رحمك الله ومعك مائة ألف سيف من أهل الكوفة والبصرة وخراسان يضربون بها بني أمية دونك، وليس قبلنا من أهل الشام إلا عدة يسيرة؟ فأبى عليهم فلم يزالوا يناشدونه حتى أجاب بعد أن أعطوه العهود والمواثيق، ثم أسلموه كما أسلموا جديه الحسن والحسين عليهما السلام.

وقال الصاحب الكافي إسماعيل بن عباد رضي الله عنه:

بدا من الشيب في رأسي تفاريقُ ... وحان للهو تمحيضٌ وتطليقُ

هذا ولا لهو مع همٍّ يعوقني ... بيوم زيد وبعض الهمّ تعويقُ

لما رأى أن أمر الدين مطرّح ... وقد تقسّمه نهبٌ وتمحيقُ

وأن أمر هشام في تفرعنه ... يزداد شراً وأن الرجس زنديقُ

قام الإمام بحق الله تنهضه ... محبة الدين إن الدين مَوموقُ

يدعو إلى ما دعا آباؤه زمناً ... إليه وهو بعين الله مرموقُ

ابن الرسول نعم وابن الوصي نَعَمْ ... وابن الشهيد نعم والقول تحقيقُ

لم يشفهم قتله حتى تعاوره ... قتلٌ وصلبٌ وتحريقٌ وتغريقُ

نعم: وهذه المرثية التي ذكرت منها: سقى مصراً؛ وقد أثبتها هنا ليطلع عليها من اطلع على شرحي هذا، فلعله يصلح ما رأى بها من العيب، ويدعو

[1] الأبيات في مقاتل الطالبيين ١٤٤، الأمالي الأثنينية ٦٤٩ـ ٦٥٠.

لي بالرحمة ممن يعلم الغيب، وقصدت مضاهاة المرثية التي في الوزير ابن بقية المصلوب، التي منها:

ركبتُ مطيةً من قَبْلُ زيدٌ   علاها في السنين الماضياتِ

التي قال فيها ابن خلكان: اتفق العلماء أنه لم يعمل مثلها في بابها، فتجاسرت على موازنتها وتصديت لمعارضتها، ووجدت أجراً وجصاً وقولاً حقاً في إمام يحق لمثله المديح، وقد ربما ينفق بفضله في سوق الفضل بالثمن الربيح، لما تضمنته من الشرف بشرف من قيلت فيه، فإن العلم يشرف بشرف المعلوم؛ وهي:

أجِد في ذكر ساداتٍ ثقات   رماهُمْ دهرهم بالنائباتِ

وعارَضَهُم بأضداد بغاة   وهم أهل الطهارة والصلاةِ

وهُمْ زين الزمان وهم حُلاه   وهم أهل المكارم والصِلاتِ

بهم وصّى النبي وقال أهلي   أئمتكم مدى أجل الحياةِ

وهم ورّاث علمي بعد موتي   به يهدون مَنْ قَبِل العظاتِ ()

وهذا الأنزع الأسد المعلّى   وصيّي في الورى بعد المماتِ

وليّي ناصري عضدي معيني   على الأمر المُهِمّ مدى حياتي

إمامُكم جميعاً بعد موتي   وليُّكم المؤدّي للزكاةِ

فردَّ القوم هذا القول لما   مضى الهادي إلى طرق النجاةِ

وعند وفاته صلّى إلهي   عليه وآله الغُرَر الهداةِ

() كذا الأصل.

دعاهُمْ ثم قال لهم: هلموا ... لأكتبُ ما به تَرْجُوا لقاتي

ليسلم بعضهم من فتك بعض ... ويُقضى فيهم بالصالحاتِ

فقالوا هاجِرٌ في القول لكن ... كتاب الله يكفي في الوَصَاةِ

فلاح بخده غضب مهول ... لما قالوه من سوء الصفاتِ

ولما مات لم يرعوا علياً ... وأبدوه الحناة الكامناتِ

وقد شُغل الوصي بموت طه ... وهم شُغلوا بتلك السيئاتِ

فقدّم قبله الدهر المعادي ... أبا بكر وكان من الجفاةِ

فأول من أعان على الرزايا ... وسنَّ لضدهم شق العصاةِ

أبو بكر وثانيه وظلت ... خلافته تدور على القُلاةِ

ولم يك عاجزاً عنهم ولكن ... بعلمٍ صَدَّ عن حرب الجناةِ

وقالوا للبتول وفي يديها ... من النحلات شيء بالهباتِ

من المختار والدها: تنَحي ... نُصَيّرها لغيرك بالصِلاتِ

ولم تُقبل شهادتها وماتت ... بغصتها تُجَرّع في المماتِ

وحين تقدموا الهادي علياً ... تنازع حقه أهل التِّراتِ

وقام بها معاوية بن حرب ... شقيق الكفر في العصب البغاةِ

كساه المصطفى حللاً فثاروا ... عليه واكتسوا تلك الكساتِ(١)

ولما أصبحت في غير آل الـ ... ـنبي المصطفى الغُرَر الولاةِ

تنازعها من الأرجاس قومٌ ... وصارت نُهبَة بين الطغاةِ

---

(١) كذا، ولو قال: عليه وزحزحوا قطب الرحاة؛ لكان أحسن.

تولّتها أميّةُ وهي شؤم على الإسلام من غادٍ وآتِ
وضحّوا بالحسين السبط جهراً وبالحسن الرضى في الغادياتِ
وساقوا نسوة المختار طه أسارى مثل أسرى الصابياتِ
إلى شر البرية والبرايا يزيد الرجس ملعون الرُّفاتِ
وبالحسن المثنى قد أطافوا بجندٍ كالكلاب الضارياتِ( )
وزيد خير من ركب المطايا أذاقوه الردى بالماضياتِ
مضى جسداً وأبقى حسن ذكر وإسماً باقياً في الباقياتِ
أمير المؤمنين أبو حسين حميد الذكر محمود الوفاةِ
شهيد الأحول الطاغي هشاماً شنيع الذكر موضوع السِّماتِ
تولى قتله لما دعاه إلى التقوى وفعل الصالحاتِ
وأعلى جسمه من فوق جذعٍ تَمَكّن من عناق المكرماتِ
وأوقد حوله النيران ليلاً وحرّسه بعمالٍ ثقاتِ
أقاموا حوله قد قيل خمساً سنيناً عدَّها في الجامعاتِ
مضى فيها هشام إلى جحيمٍ وزيد في الجنان العالياتِ
فحرّقه الوليد أخوه لما تولى بعده ملك الطغاةِ
وكان لزيد آيات كبار تناقلها الثقات عن الثقاتِ
كتستير لعورته بسترٍ إلهيٍّ حماه عن العتاةِ
فما نظروا إلى تلك المزايا ولا اعتبروا بتلك البيناتِ

( ) لعله قال: كالكلاب العاويات.

وذرّوا جسمه في اللّج عمداً ... رماداً لا يُغيّر بالشتاتِ

تَدَوّر مثل بدر التم بدراً( ) ... ونوراً للعيون الرامقاتِ

وأما الرأس منه ففوق رمح( ) ... به طافوا على روس العِداةِ

وفي مصر ثوى بعد التنائي ... على ما قيل عن سير الرواةِ

سقى مصراً بمنهمرٍ همورٍ ... وعلّله بمنهل الفراتِ( )

ففيه رأس خير الناس زيدٍ ... ورأس السبط شبّر ذي السماتِ( )

فزيد في بروج المجد بدر ... وزيد ذو العلوم النافعاتِ

خليفة جده المختار طه ... ووارث حيدر تلك الصفاتِ

فقل للشامتين به أفيقوا ... كفرتم أنتم بالمعجزاتِ

وقل للشامتين به لعنتم ... وقعتم في النيار اللافحاتِ

وقل للشيعة الأبرار بشرى ... لكم بالأمن عن خوف العصاةِ

بذلتم أنفساً في الله حتى ... مضت تحت الرماح الشارعاتِ( )

سقى أجداثكم في كل حين ... برحماتٍ غوادٍ رائحاتِ

وزار أبا الحسين سلام ربي ... يُصاحب بالصلاة الزاكياتِ

وزارت سبطه يحيى بن زيد ... شبيه أبيه في كل الصفاتِ

---

(١) في نسخة: جسما.

(٢) في نسخة: وشلوا رأسه من فوق رمح.

(٣) في نسخة: بمنهل فرات.

(٤) كذا عجز البيت في الأصل.

(٥) في الأصل: «الرماح القاطعات» وما حررناه تصويب.

دعا فمضى بأسياف الأعادي شهيداً بين أجنادٍ بغاةِ
ومصلوباً كما صلبوا أباه على جذع تشرّف بالدعاةِ
وللنفس الزكية حول طه تولى قتله لِصٌّ الولاةِ
وأصناه الكرام وهم دعاة كذلك جُرّعوا بالمشرقاتِ
فموسى ثم إدريس ويحيى وإبراهيم هزّام الغواةِ
وعبد الله كاملنا أبوهم تناوله الرشيد بموجعاتِ
ومَنْ بالجوزجان ومن بفخ وطوس والحجاز وبالسَّراتِ
ففي طوس الرضا بالسم علّوا وموسى قد رُمي بالفادحاتِ
ويحيى الفذ من عمر إمامٌ أقام الدين في تلك الجهاتِ
أراد حياة دين الله فيها فعاجله الطغام بماضياتِ
كأنَّ المصطفى وافى بدين كدين هرقل أو كالترهاتِ
فكافوه بقتل بنيه حتى شفوا غيظاً بأسر الطيباتِ
وأخلوا عنهم بيتاً بنوه وأجلوهم بأطراف الفلاةِ
ويأبى الله يخلو من هداة بقوا فينا فهم سفن النجاةِ
إلى أن يظهر المهدي منا يُؤَيد بالمسيح وبالحماةِ
وهم في الأرض أنوار البرايا كأنهم الجبال الراسياتِ
وهم أهل المكارم والمعالي وهم أهل العلوم العالياتِ
وهم أهل العبادة والتوخي لما يرضاه مرسي الشامخاتِ
وهم حجج الإله على البرايا بيوم الجمع للرِّمم الرفاتِ

أقاموا العدل والتوحيد حقاً رموا روس العداة بقاتلاتِ
فما للجبر والتشبيه إلا مقال داحض في المهملاتِ
رددناه بأقوالٍ صحاحٍ موثقةٍ بتصحيح الثقاتِ
وإني قد ختمت النظم مني بتسليمٍ يدوم مدى الحياةِ
على طه وعترته جميعاً مع الصلوات تترى في الصلاةِ
وزارهم من الرحمن رَوْح وحيّاهم بمنشور الصِلاتِ

قال في «شرح الزحيف»: وكان هشام أحولاً، قال الفرزدق وقد حبسه حين مدح علي بن الحسين بقصيدته المتقدمة، وقد حبسه بين المدينتين:

أيحبسني بين المدينة والتي إليها جميع الناس يهوى منيبُها؟
يقلّب رأساً لم يكن رأس سيدٍ وعيناً له حولاء بادٍ عيوبُها

قال: وإذ قد عرض ذكر الحول فنذكر ماهيته وشيئاً مما قيل فيه، وفيما هو يشبهه من عاهات الملوك والرؤساء؛ أما ماهيته فقال بعضهم: إنه تغير في الحدقة، بحيث ترى من هوية الشخص شخصين، وحكي أن بعضهم ذكر هذا المعنى وكان له ولد أحول، فقال: يا أبت، لو كان ذلك صحيحاً لرأيت هذين الديكين أربعة، وما ثَمَّ إلا ديك واحد، فضحك أبوه والحاضرون. وقال بعضهم: إن قولهم إن الأحول يرى الشيء شيئين ليس على إطلاقه، بل إنما ذلك إذا كان حوله هو اختلاف إحدى الحدقتين بالانخفاض والارتفاع، وأما ما كان بسبب اختلاف

العينين يمنة ويسرة فلا، قال: ومما يؤيد ذلك أن الإنسان إذا غمز إحدى حدقتيه حتى تخالف الأخرى يمنة أو يسرة، فإنه يرى الشيء شيئين، وقد أحسن بعض الأدباء حيث يقول:

يجيء إلينا بالقليل يظنه كثيراً وليس الذنب إلا لعينيه
ومن سوء حظي أن رزقي مقترٌ براحة شخص ينظر الشيء مثليه

قالوا: وأصحاب العاهات من الملوك: الإسكندر كان أخنف، أنو شروان كان أعور، يَزْدَجر كان أعرج، جذيمة الوضاح كان أبرص، النعمان بن المنذر كان أحمر العينين والشعر، عبد الملك بن مروان كان أبخر[1]، يزيد بن عبد الملك كان أفقم، أخوه هشام أحول، مروان الحمار كان أشعر أزرق، عبد الله بن الزبير كوسج، موسى الهادي كانت شفته العليا فيها تقلص، وكان أبوه المهدي قد رتب معه خادماً يلازمه متى غفل وفتح فاه، قال: موسى أطبق؛ فجرى عليه هذا النبز: موسى أطبق.

قلت: وقد أشاروا بذكر هذا إلى ما روي: كل ذي عاهة صلف، ولا شبهة أن هؤلاء المذكورين من أهل الصلف انتهى.

***

---

(1) وكان يسمى أبا الذبان لكثرة وقوعها على بخره. (من هامش الأصل).

[ذكر جماعة من المصلوبين]

قيل: وأول من صلب في الإسلام عقبة بن أبي معيط قتله رسول الله ص ثم أمر بصلبه، ومنهم خبيب بن عدي وابن الدثنة الأنصاري، أسرتهما هذيل يوم الرجيع، ولهما حديث طويل، ثم صلبوهما، وعقبة بن خثيم[1] بن هلال النمري صلبه خالد ابن الوليد، وهانئ بن عروة المرادي، ومسلم بن عقيل بن أبي طالب صلبهما عبيد الله بن زياد بسوق الكوفة، وعبد الله بن الزبير صلبه الحجاج بمكة منكوساً، وقال: لا أنزله حتى تشفع فيه أمه أسماء بنت أبي بكر، فلم تتكلم فيه، فيقال: أنه بقي مصلوباً سنة، فمرت به بعد ذلك فقالت: أما آن لراكب هذه المطية أن يترجل، فأُنزل ويقال: أنه أتي إليها بأسلابه فوضعتها في حجرها، فحاضت وجرى اللبن في ثديها، فقالت: حنت إليه مواضعه، ودرَّت عليه مراضعه. ومنهم يزيد بن المهلب بن أبي صُفْرة صلبه مسلمة بن عبد الملك وعلّق عليه خنزيراً وزق خمر.

ومنهم هذا الإمام **الولي بن الولي زيد بن علي** أفديه بنفسي، وأدعو إلى الله به وأتوسل به إليه[2]:

---

(1) كذا، والصواب: عقبة بن قيس بن البشر بن هلال النمري راجع جمهرة أنساب العرب.

(2) هذا من كلام المؤلف، والسياق السابق نقلا عن الزحيف.

يا من رضاه أملي اختم بخيرٍ عملي
بحب زيد بن علي بن الحسين بن علي

[وأقول]:

ظني في الله حسن وفي النبي المؤتمن
وفي الوصي ذي المنن وفي البتول فاعلمن
وفي الحسين والحسن

وهذا عرض ولي فيه غرض يعلمه الله عز وجل، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

رجعنا إلى ذكر المصلوبين في الإسلام: وممن صلب الإمام الشهيد بن الشهيد يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي سلام الله عليهم، وسيأتي ذكر ذلك في ترجمته عليه السلام.

وممن صلب خالد بن عبد الله القسري صلبه مروان الحمار، ومنهم جعفر بن يحيى البرمكي صلبه هارون وقطعه ثلاث قطع ثم أحرقه، ومنهم الوزير محمد بن بقيّة صلبه عضد الدولة، فرثاه أبو الحسن محمد [بن عمر] بن يعقوب الأنباري بترثية ما قيل مثلها في بابها وهي:

علوٌّ في الحياةِ وفي الممات لحقٌّ أنت إحدى المعجزاتِ
كأنّ الناس حولك حين قاموا وفودُ نداك أيام الصلاتِ
كأنكَ قائم فيهم خطيباً وكلّهمُ قيامٌ للصلاةِ
مددت يديك نحوهم احتفاءً كمدّهما إليهم بالهباتِ

ولما ضاقَ بطنُ الأرضِ عن أن يضمَّ عُلاك من بعد المماتِ
أصاروا الجوَّ قبرك واستنابوا عن الأكفان ثوب الساكناتِ(١)
لعظمك في النفوس تبيت ترعى بحفّاظ وحرّاس ثقاتِ
ولم أر قبل جذعك قط جذعاً تَمَكّن من عناق المكرماتِ
وتشعل عندك النيران ليلاً كذلك كنت أيام الحياةِ
ركبتَ مطيةً مَنْ قَبْلُ زيدٍ علاها في السنين الماضياتِ
وتلك فضيلة فيها تأسّ تباعدُ عنك تعيير العداةِ
أسأتَ إلى النوائب فاستثارت فأنت قتيل ثأر النائباتِ
وكنت تجير من جور الليالي فعاد مطالباً لك بالتّراتِ
وصيَّرَ دهرك الإحسانَ فيه إلينا من عظيم السيئاتِ
وكنت لمعشرٍ سعداً فلمّا مضيت تفرقوا بالمنحساتِ
غليلٌ باطنٌ لك في فؤادي يخفّفُ بالدموع الجارياتِ
ولو أني قدرتُ على قيامٍ بفرضك والحقوق الواجباتِ
ملأت الأرض من نظم القوافي ونحتُ بها خِلاف النائحاتِ
ولكنّي أصبّرُ عنك نفسي مخافةَ أن أعدَّ من الجناةِ
وما لك تربةٌ فأقول تسقى لأنك نصبَ هطل الهاطلاتِ
عليك تحيةُ الرحمن تترى برحماتٍ غوادٍ رائحاتِ

قال الحافظ ابن عساكر في « تاريخ دمشق »: لما صنع أبو الحسن هذه المرثية، كتبها ورماها في شوارع بغداد، فتداولها الأدباء إلى أن وصل

(١) في الديوان: ثوب السافيات.

الخبر إلى عضد الدولة، فلما أنشدت بين يديه تمنى أن يكون هو المصلوب دونه، وقال: عليَّ بهذا الرجل. فطلب سنة كاملة، واتصل الخبر بالصاحب بن عباد فكتب له بالأمان، فلما سمع
أبو الحسن بذكر الأمان قصد حضرته، فقال له: أنت القائل هذه الأبيات؟ قال: نعم، قال: أنشدنيها فلما أنشده:

فلم أر قبل جذعك قط جذعاً تَمَكّن من عناق المكرماتِ

قام إليه الصاحب وعانقه، وأنفذه إلى عضد الدولة، فلما مثل بين يديه قال له: ما الذي حملك على مرثية عدونا؟ قال: حقوق سلفت، وأيادٍ مضت، فجاش الحزن في صدري، فرثيته. وهذه القصيدة اتفق العلماء على أنه لم يعمل في بابها مثلها.

وممن صلب الفقيه الأديب عُمَارة بن علي اليمني فإنه صلبه السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب سابع سبعة من أعيان أهل مصر، وكان عمارة هذا من الشعراء المجيدين، ومدح الفائز بن الظافر العبيدي بمدائح منها:

أقسمتُ بالفائز المعصوم معتقداً فوزَ النجاة وأجرَ البرِّ في القسمِ

لقد حمى الدين والدنيا وأهلهما وزيرُه الصالحُ الفرّاج للغممِ

ومنها:

فهل درى البيت أني بعد فرقته ما سِرْت من حرمٍ إلا إلى حرمِ

ولما مات العاضد آخر من ملك من العبيدين مصراً، رثاه وأهل بيته بقصيدة منها:

رميتَ يا دهر كفَّ المجد بالشلل ورُعْته بعد حسن الحلي بالعطَلِ

قدمت مصراً فأولتني خلائفها من المكارم ما أربى على الأملِ

قومٌ عرفتُ بهم كسب الألوف ومن تمامها أنها جاءت ولم أسلِ

يا عاذلي في هوى أبناء فاطمة لك الملامة إن قصرت في عذلي

بالله زُر ساحة القصرين وابكِ معي عليهما لا على صفين والجملِ

ماذا ترى كانت الأفرنج فاعلةً بنسل آل أمير المؤمنين علي

وكان سبب شنقه وصلبه أنه سُعي به إلى صلاح الدين بأنه يرى رأي الفلاسفة في النبوات، وأنها بالتكسب لما قال في مدح النبي ص:

وكان مبدأ هذا الدين من رجل سعى فأصبح يُدعى سيّد الأممِ

فقيل: إن علماء السوء من أهل مذهب السلطان أفتوه بقتله، وليس لذلك في الحقيقة، وإنما هو لمحبة أهل البيت ومدح العبيديين وترثيتهم، مع أن صلاح الدين كان من أتباع العاضد، وإنما خطب لبني العباس في مصر أيام مرض العاضد أو بعد موته، تعيباً منه على أهل توليته ومخدوميه مع أن أهل المذاهب يثنون عليه مثل ابن خلكان وغيره.

وما أحسن قول الفقيه عمارة رحمه الله حيث يقول:

غصبت أميّةُ إرثَ آل محمدٍ سفهاً وشنت غارة الشنآنِ
وغدت تخالف في الخلافة أهلها وتقابل البرهان بالبهتانِ
لم يقتنع أحلافها(1) بركوبها ظهر الشقاق وغارب العدوانِ
وقعودهم في رتبة نبوية لم يبنها لهم أبو سفيانِ
حتى أضافوا بعد ذلك أنهم أخذوا بثأر الكفر في الإيمانِ
وأتى زيادٌ في القبيح زيادةً تركت يزيدَ يزيدُ في الطغيانِ
حربٌ بني حربٍ أقاموا سوقها وتشبهت بهم بنو مروانِ

انتهى ما جمعته من سيرة الإمام الولي زيد بن علي عليه السلام، وما تعلق بها مما يدعو بعضه إلى بعض، وإن لم يكن منه فالحديث ذو شجون، والشيء بالشيء يذكر، ولو أطلقت عنان القلم فيما يتعلق ذكره بذكر ما ذكرتُ هنا لخرجت إلى غير المقصود، وهذا رجوع إليه فأقول:

وصنوه الباقر النحرير عالمنا وجعفر الصادق الأقوال والعمل
همُ همُ في جميع الفضل قد سبقوا فمالهم في علو السبق من مثل
فأشهد الله أن الحق دينهم وأنهم خير من صلى ومن يَصُلُ(2)
أهل الديانة بل أهل العبادة بل أهل الزهادة فاسمع عنهم وقل

(1) في الديوان: لم تقتنع أحلامها.

(2) يصل: بضم الصاد وكسره، فالضم للصاد من الصولة، وبالكسر من الصلة. (تمت مؤلف).

[ذكر الإمام محمد الباقر]

الباقر هو: إمام العلم والعمل وأحد أئمة الإمامية، وهو **أبو جعفر محمد بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن علي بن أبي طالب** رضوان الله عليهم.

وسمي بالباقر لتبقره في العلم، قال زيد بن علي أخوه لهشام: سماه رسول الله ص الباقر، وأنت سميته البقرة، وقد مضت الحكاية. فكفى بتسمية جده رسول الله ص فضلاً وشرفاً.

ويروى عنه أنه عليه السلام خرج حاجاً فلما دخل المسجد الحرام نظر إلى البيت فبكى حتى علا صوته، فقيل له: إن الناس ينظرون إليك فلو رفقت بنفسك في البكاء قليلاً، قال: لم لا أبكي لعل الله ينظر إلي بنظرة أفوز بها غداً، ثم طاف بالبيت وركع خلف المقام، ورفع رأسه من السجود فإذا موضع سجوده مبتل بدمع عينيه.

وقال له بعض أصحابه: ما هذا الجزع؟ فقال: والله إني لمشغول القلب، وإني لمحزون لأنه من دخل قلبه صافي خالص دين الله شغله عما سواه، وما عسى أن تكون الدنيا، هل هي إلا مركب ركبته أو ثوب لبسته أو امرأة أصبتها أو أكلة أكلتها، أو قال نحو ذلك، ثم قال: إن أهل التقوى أيسر أهل الدنيا مؤنة، وأكثرهم معونة، إن نسيت ذكروك، وإن ذكرت أعاونك، قوّالون لحق الله، قوامون بأمر الله، فأنزل الدنيا بمنزلة منزلٍ نزلت به وارتحلت عنه، أو كمالٍ أصبته في منامك فاستيقظت وليس معك منه شيء؛ شعراً:

ألا إنما الدنيا كأحلام نائم وما خيرُ عيشٍ لا يكون بدائمِ
تأمّل إذا ما نلت بالأمس لذة وأفنيتها هل أنت إلا كحالمِ

وقال عليه السلام: إن الغنى والعز يجولان في قلب المؤمن فإذا وصلا إلى مكان فيه التوكل استوطناه، فإن لم يجدا فيه التوكل ارتحلا عنه.

[ذكر الإمام جعفر الصادق]

وجعفر الصادق بن محمد الباقر هو أبو عبد الله أحد أئمة الإمامية، وفضله أشهر من أن يذكر.

فعن الليث بن سعد رضي الله عنه قال: حججت سنة ثلاث عشرة ومائة، فلما صليت العصر يوماً في الحرم رقيت جبل أبي قبيس، فإذا أنا برجل جالس يدعو الله تعالى فقال: يا رب يا رب حتى انقطع نفَسُه، ثم قال: يا رباه يا رباه حتى انقطع نفسه، ثم قال: رب رب حتى انقطع نفسه، ثم قال: يا الله يا ألله حتى انقطع نفسه، ثم قال: يا رحيم يا رحيم حتى انقطع نفسه، ثم قال: يا أرحم الراحمين حتى انقطع نفَسُه سبع مرات، ثم قال: اللهم إني أشتهي العنب فأطعمنيه، [اللهم] وإن بُرْدي قد خلقا، يعني ثوبيه. قال الليث: فوالله ما استتم كلامه حتى رأيت سلة مملوءة عنباً وليس على وجه الأرض يومئذ عنب، وبردين موضوعين، فأراد أن يأكل فقلت: أنا شريكك، فقال: ولم؟ قلت: لأنك كنت تدعو وأنا أؤمن، فقال لي: تقدم وكُلْ ولا تخبيء منه شيئاً، فتقدمت فأكلت حتى شبعت والسلة لم تنقص شيئاً، ثم قال لي: خذ أي البردين أحب إليك، فقلت: أما البردان فأنا غني عنهما، فقال لي: توار عني حتى

ألبسهما، فتواريت عنه فأتزر بأحدهما وارتدى بالآخر، ثم أخذ البردين الذين كانا عليه، فأخذهما بيده ونزل، فاتبعته حتى إذا كان بالمسعى لقيه رجل فقال: اكسني يا ابن رسول الله كساك الله، فدفعهما إليه، فلحقت الرجل فقلت له: من هذا؟ قال: جعفر بن محمد، فطلبته لأسمع منه شيئاً فلم أجده سلام الله عليه وعلى آله.

قال سفيان الثوري: سمعت جعفر الصادق يقول: عزت السلامة حتى لقد خفي مطلبها، فإن تكن في شيء فيوشك أن تكون في الخمول، فإن لم تكن في الخمول فيوشك أن تكون في التخلي، وليس كالخمول، فإن لم توجد في أحدهما فيوشك أن تكون في الصمت، وليس كالتخلي، فإن لم توجد في الصمت فيوشك أن تكون في كلام السلف الصالح، والسعيد من وجد في نفسه خلوة.

وقال سفيان: قال لي جعفر بن محمد الصادق: يا سفيان فسد الزمان، وقل الإخوان، وتقلبت الأعيان، فاتخذ الوحدة، أمعك شيء تكتب فيه فقلت: نعم، فقال:

لا تجزعنّ لوحدةٍ وتَفَرّد ومن التفرد في زمانك فازددِ

ذهب الإخاء فليس ثَمَّ إخوة إلا التملق باللسان وباليدِ

وإذا كشفت ضميره عن قلبه وافيت منه نقيع سمّ الأسودِ

فقلت: يا سيدي زدني، فقال: اعمل بهذا طول عمرك فإنه ينفعك.

وروي أن أبا جعفر المنصور طلب جعفر الصادق عليه السلام وقد تغيظ عليه وواعده بالقتل، فلما دخل عليه تهدده وأوعده، وقال: اتخذك أهل العراق إماماً، يُجبون إليك زكاة أموالهم، وتلحد في سلطاني، وتبغي الغوائل [في ملكي]، قتلني الله إن لم أقتلك. فقال جعفر عليه السلام: إن سليمان بن داود عليه السلام أُعطي فشكر، وإن أيوب عليه السلام ابتلي فصبر، وإن يوسف ظُلم فغفر، فذهب غيظ المنصور وشره، ورضي عنه وأثنى عليه، فلما خرج من عنده قيل له: ماذا قلت حين دخلت عليه؟ فما جاءوا بك إليه إلا ليقتلوك، قال: قلت: اللهم احرسني بعينك التي لا تنام، واكنفني بكنفك الذي لا يرام، واغفر لي- أو قال: وارحمني - بقدرتك عليّ، فلا أَهْلك وأنت رجائي، اللهم إنك أجل وأكبر مما أخاف وأحذر، اللهم بك أدفع في نحره، وأستعيذ بك من شره.

وفي رواية الربيع: لما قال جعفر ذلك مد المنصور يده فصافحه، وأجلسه على مفرشته وقال: يا غلام عليَّ بالمدهن الكبير، فغلف لحيته بالغالية حتى قطرت، ثم قال: قد حبسناك اذهب في حفظ الله وكلاءته. ثم قال: يا ربيع ألحق أبا عبد الله جائزته وكسوته، فلحقته وقلت: يا أبا عبد الله إنما وضع السيف والنطع لأجلك، فأي شيء تحرك به شفتيك، قال: نعم يا ربيع أما إنك رجل منا أهل البيت، لما رأيت الشر في وجهه قلت: حسبي الرب من المربوبين، وحسبي الخالق من المخلوقين وحسبي الرازق من المرزوقين، وحسبي الله رب العالمين، حسبي من هو حسبي، حسبي من لم يزل حسبي، حسبي الله لا إله إلا

هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم انتهى.

فائــدة: قال في «حقائق المعرفة» للإمام أحمد بن سليمان قال:

دخل أبو حنيفة ومحمد بن أبي ليلى على جعفر بن محمد عليهما السلام وهو في المدينة، فقال لأبي حنيفة في كلام طويل وقد ذمَّ قياسه الذي كان يقيس، فقال له: يا نعمان أول من قاس إبليس، أمره الله أن يسجد لآدم فقال: أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين، ثم قال له: أيهما آكد عند الله الصلاة أم الصيام؟ فقال: الصلاة، قال: فلِمَ أمر الله الحائض تقضي الصيام ولا تقضي الصلاة، وهذا آكد من هذا؟ فقال: لا علم لي، فقال: أيهما أعظم عند الله القتل أم الزنا؟ قال: القتل، قال: فلِم أمر الله في القتل بشاهدين وفي الزنا بأربعة؟ قال: لا علم لي. قال: يا نعمان أيهما أنجس البول أم الجنابة؟ قال: البول، قال: فلم أمر الله بالغسل من الجنابة وأمر بالاستنجاء من البول؟ قال: لا علم لي. قال: يا نعمان لِمَ جعل الله المرارة في الأذنين، والمُلُوحة في العينين، والرطوبة في المنخرين، والحلاوة في اللسان والشفتين؟ ولِمَ جعل بطن الراحة لا شعر فيها؟ قال: لا أدري.

فسأله ابن أبي ليلى عن تفسير ذلك؛ فقال: أما قضاء الصيام فلأنه شهر في سنتها، فأمرها الله أن تقضيه لذلك. وأما الصلاة فإنه تُصلِّي في كل يوم وليلةٍ سبع عشرة ركعة، والنوافل تسع ركعات، فلم يجب القضاء لأجل ذلك، يريد من قِبَل كثرة الصلاة. وأما القتل فإنه فعلٌ واحدٌ بمفعول به، فحكم فيه بشاهدين،

والزنا فعل فاعلين فحكم لكل واحدٍ بشاهدين، والبول يخرج من المثانة لا غيرها فأمر فيه بالاستنجاء، والمني يخرج من بين الصُّلب والترائب فأمر فيه بالغسل ليطهّر به بدنه كله.قال أبو حنيفة: أو ليس هذا قياس؟ قال: لا، بل أخبرني به أبي عن أبيه عن النبي ص.

قال: وأما مرارة الأذنين فلئلا تدخل الهوام في خرق الأذنين إلى الدماغ، وأما ملوحة العينين فلأنهما شحمتان فأمسكتا بالملوحة لئلا يذوبان[1]، وأما الحلاوة في الفم فلأن نجد به طعم الأشياء، وأما الرطوبة في المنخرين فلأن نجد بهما ريح الأشياء، ولولا ذلك كانتا كسائر جسده، وجعل بطن الراحة لا شعر فيه ليحس اللمس، فاعلم ذلك انتهى.

وتوفي جعفر رحمة الله عليه في المدينة، وقبره في البقيع في قبة أهل البيت في قبر فيه هو والباقر والإمام الحسن السبط وزين العابدين علي بن الحسين وفاطمة الزهراء، هؤلاء في قبر واحد، والعباس بن عبد المطلب في قبر، وكلهم في القبة سلام الله عليهم أجمعين. والقياس أن يقال: فيه جعفر وأبوه وجده علي بن الحسين مع الحسن السبط وأمه الزهراء.

***

ولنذكر عيسى بن زيد وولده عليهما السلام فنقول:

---

(1) في حقائق المعرفة ٧٢: فأمسكهما بالملوحة لئلا يذوبا.

هل مثل عيسى بن زيد في زهادته إذ كان من زهده يسقي على الجمل[1]
فقيه آل رسول الله عالمهم أجل مئتزرٍ بالعلم مشتمل
لم تلهه زهرة الدنيا وزينتها ولا استجاب إلى لهوٍ ولا غزل
وسبطه خير من يمشي على قدم شمس الهدى أحمد التحرير خير ولي
ربُّ الأمالي والإملا الحديث[2] **على أشياعه في مقام غير مبتذل**
وكان مختفياً حتى جرى علماً عليه من طول ما استخفى من الرذل

[ذكر الإمام عيسى بن زيد]

هو فقيه آل رسول الله **عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب** رضي الله عنهم أجمعين؛ وسمي المختفي لاختفائه مدة طويلة، وروي أنه كان يستقي في مدة اختفائه مع السقائين على جمل له وهم لا يعرفونه، وشهد وقعات كثيرة مع الإمامين النفس الزكية محمد بن عبد الله وصنوه إبراهيم.

قال في «روضة المشتاق»: ومن كراماته عليه السلام شدة ورعه، فروي في كتب أبي الفرج بالإسناد إلى علي بن جعفر قال: حدثني أبي أنه دخل

---

(1) قال في «روضة المشتاق» كان في بعض الأوقات عليه السلام يخرج إلى صحاري البلد ويلتقط ما يتقوت به من الأشجار المباحة أو مما رغب الناس ورموا به، ومثل هذا في مقاتل الطالبيين. (تمت مؤلف).

(2) في نسخة: «العلوم».

على عيسى بن زيد عليهما السلام وهو يأكل خبزاً وقثاءً، قال: فأعطاني رغيفتين وقثائتين وقال لي: كل، فأكلت رغيفاً ونصف الآخر مع قثاءة ونصف فشبعت وتركت الباقي، فلما كان بعد أيام جئته فأخرج لي الكسرة ونصف القثاءة وقد ماتت، فقال لي: كل فقلت: وأي شيء في هذا حتى خبيته لي فقال: لأني كنت دفعته إليك عطية فصار لك، أكلت بعضه وبقي البعض، فكل إن شئت أو تصدق به، ومثل هذا الورع لا يكون في غيره نفع الله به وبآبائه.

وتوارى في الكوفة في دار علي بن صالح أخو الحسن بن صالح بن حي وتزوّج بنت الحسن بن صالح، وتوفي مختفياً في الكوفة، ذكر ذلك في الترجمان عن شمس العلوم.

قال يحيى بن الحسين بن زيد بن علي: قلت لأبي: إني أشتهي أن أرى عمي عيسى، فقال لي: إن ذلك يشق عليه، وأخشى أن ينتقل من مكانه مخافة أن يعرف فيه، ولكن إذا صرت إلى الكوفة فاسأل عن دور بني حي، واقعد في أول السكة الفلانية، فإنه يُقبل عليك عند المغرب كهل صفته كذا وكذا، قد أثر السجود في جبهته، يستقي الماء على جمل لا يضع قدماً ولا يرفعها إلا ذكر الله سبحانه وتعالى، فإذا سلّمت عليه فإنه يفزع منك، فانتسب له لعله يسكن قلبه، ففعلت كذلك، وسلمت عليه ففزع كما تفزع الوحوش من الإنس، فقلت: يا عم أنا ابن أخيك، فضمني وبكى حتى خشيت أن تخرج نفسه، ثم

أناخ جمله وجعل يسألني عن أهله رجلاً رجلاً، وامرأة امرأة، وصبياً صبياً، وأنا أشرح له وهو يبكي، ثم قال: يا بني أنا أستقي الماء على هذا الجمل، فأصرف أجرة الجمل إلى صاحبه وأتقوّت الباقي.

وزاد في كتاب « مقاتل الطالبيين » قال: وربما عاقني عائق عن استقاء الماء فأخرج إلى البرية، يعني بظهر الكوفة، فألتقط ما يرمي به الناس من البقول فأتقوته، قال: ثم أقسم عليَّ لا عدتُ إليه، وودّعني.

وتوفى مختفياً، ثم توفي بعده ختنه الحسن بن صالح بن حي، فقال المهدي العباسي لمن نعاهما إليه: لقد جئتني ببشارتين عظيمتين يجل خطرهما، موت عيسى والحسن.

قال الحاكم أبو سعد رحمه الله تعالى في كتابه «جلاء الأبصار»: وروى يعقوب بن داود قال: دخلت مع المهدي في طريق خراسان بعض الخانات فإذا على حائط مكتوب هذه الأبيات:

والله ما أطعم طعم الرُّقادْ خوفاً إذا نامت عيون العبادْ

شرَّدني أهلُ اعتداءٍ وما أذنبت ذنباً غير ذكر المعادْ

آمنت بالله ولم يؤمنوا فكان زادي عندهم شرَّ زادْ

أقول قولاً قاله خائفٌ مشرّد قبلي كثير السُّهادْ

منخرقُ الخُفَّين[1] يشكو الوجا تُنْكيه أطرافُ مَرْوٍ حِدادْ
شرَّده الخوف وأزرى به كذاك من يَكْرَه حَرَّ الجِلادْ
قد كان في الموت له راحةٌ والموتُ حَتْمٌ في رقاب العبادْ

قال: فجعل المهدي يكتب تحت كل بيت: «أخرج ولك الأمان من الله سبحانه وتعالى ومني، فاظهر متى شئت» ودموعه تجري على خديه، فقلت: من قائل هذه الأبيات يا أمير المؤمنين؟ قال: الجاهل[2] عيسى بن زيد.

وكان عيسى بن زيد وأخوه الحسين بن زيد، وموسى وعبد الله ابني جعفر ممن شهد مع النفس الزكية محمد بن عبد الله - الآتي ذكره - وقعاته مع الجنود العباسية، ثم كان عيسى بن زيد مع صنوه إبراهيم بن عبد الله حتى قتل، ثم توارى عيسى بعد قتله واختفى حتى مات.

قلت: وسيأتي ذكر الأبيات التي أولها: منخرق الكفين. في سيرة الإمام النفس الزكية محمد بن عبد الله عليه السلام.

وقال في «أمالي الإمام الناطق بالحق أبي طالب» عليه السلام ما لفظه: أخبرنا أحمد ابن محمد البغدادي قال: أخبرنا أبو الفرج علي بن الحسين المعروف بالأصبهاني، قال: حدثني عمي الحسن بن محمد قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني محمد بن أبي العتاهية، قال: حدثني أبي،

---

(1) في الأصل: «الكفين» وما حررناه تصويب.
(2) كذا، والصواب: أتتجاهل راجع مقاتل الطالبيين ٣٤٨.

قال: لما امتنعت من قول الشعر وتركته أمر المهدي بحبسي في سجن الجرائم، فأخرجت من بين يديه إلى الحبس، فلما دخلته دهشت وذهل عقلي، ورأيت منظراً هالني، فرميت بطرفي أطلب موضعاً آوي إليه، أو رجلاً آنس بمجالسته، فإذا أنا بكهل حسن السمت، نظيف الثوب، بين عينيه سيماء الخير فقصدته فجلست إليه من غير أن أسلم عليه أو أسأله عن شيء من أمره؛ لما أنا فيه من الجزع والحيرة، فمكثت كذلك ملياً وأنا مطرق ومفكر في حالي، فأنشد الرجل هذين البيتين:

تَعَوَّدتُ مسَّ الضر حتى ألفته وأسلمني حسن العِزَاء إلى الصبرِ

وصيّرني يأسي من الناس واثقاً بحسن صنيع الله من حيث لا أدري

فاستحسنت البيتين وتبركت بهما وثاب إليَّ عقلي، فأقبلت على الرجل وقلت له: تفضل أعزّك الله تعالى بإعادة البيتين.

فقال: ويحك يا إسماعيل، ولم يكنني، ما أسوأ أدبك، وأقل عقلك ومروءتك، دخلت إليَّ ولم تسلم عليَّ تسليم المسلم على المسلم، ولا توجعت لي توجع المبتلى للمبتلى، ولا سألتني مسألة الوارد على المقيم حتى إذا سمعت مني بيتين من الشعر الذي لم يجعل الله فيك[1] خيراً ولا أدباً سواه، ولا جعل لك معاشاً غيره، لم تتذكر ما سلف منك فتتلافاه، ولا اعتذرت مما قدمته وفرّطت فيه من الحق حتى استنشدتني مبتدياً، حتى كأن بيننا أنساً

(1) كذا الأصل.

قديماً، ومعرفة سابقة، وصحبة تتبسط المنقبض! فقلت له: تعذرني متفضلاً، فدون ما أنا فيه يدهش. قال: وفي أي شيء أنت، إنما تركت قول الشعر الذي كان جاهك عندهم وسبيلك إليهم، فحبسوك حتى تقوله، وأنت لا بد من أن تقوله فتطلق، وأنا يدعى بي الساعة فأطالب بعيسى بن زيد بن رسول الله ص فإن دللت عليه فقُتل لقيتُ الله بدمه، وكان رسول الله ص خصمي فيه، وإلا قتلت مكانه، فأنا أولى بالحيرة منك، وأنت ترى احتسابي وصبري.

فقلت: يكفيك الله وأطرقت خجلاً منه، فقال: لا أجمع عليك التوبيخ والمنع اسمع البيتين فاحفظهما، فأعادهما عليَّ مراراً حتى حفظتهما.

ثم دعي به وبي فلما قمنا قلت: من أنت أعزك الله تعالى؟ قال: أنا حاضر صاحب عيسى بن زيد. فأدخلنا على المهدي، فلما وقف بين يديه قال: أين عيسى بن زيد؟ قال: ما يدريني أين عيسى، طلبته فأخفته فهرب منك في البلاد، وأخذتني فحبستني، فمن أين أقف على موضع هارب منك وأنا محبوس؟ فقال له: وأين كان متوارياً؟ ومتى آخر عهدك به؟ فقال: ما لقيته منذ توارى، ولا أعرف له خبراً، فقال: والله لتُدلّ عليه أو لأضربن عنقك الساعة، فقال: اصنع ما بدا لك، أنا أدلك على ابن رسول الله ص لتقتله، وألقى الله ورسوله وهما يطالباني بدمه، والله لو كان بين ثوبي وجلدي ما كشفت عنه، فقال: اضربوا عنقه، فضربت عنقه. ثم دعاني فقال: أتقول الشعر أو ألحقك به؟ فقلت: بل أقول الشعر، فقال: اطلقوه.

قال محمد بن مهرويه: والبيتان الذين سمعهما من حاضر من شعره الآن انتهى.

ورحم الله حاضراً ولا رحم من قتله، فإن حاضراً من رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، ورضي الله عن عيسى بن زيد، وعوضه جنات النعيم آمين، ولله القائل وهو دعبل:

لا أضحك الله سِنَّ الدهر إن ضحكت وآلُ أحمدَ مطرودون قد قهروا
مشرّدون نُفُوا عن عقر دارهمُ كأنّهم قد جنوا ما ليس يغتفرُ

***

[ذكر الإمام أحمد بن عيسى بن زيد]

وأما سبطه المذكور فهو: **أحمد بن عيسى بن زيد صاحب «الأمالي».**

قال في «العمدة»: كان أحمد بن عيسى فقيهاً كبيراً زاهداً، ومولده سنة ثمان وخمسين ومائة، وقال في « مقدمة البحر »: إنه دعا وبويع له، ولم يتمكن من الخروج واستتر إلى أن مات( ) ووفاته سنة أربعين ومائتين، وكان قد عمي في آخر عمره، لأنه كان قد بقي في دار الخلافة في حبس موسى الهادي إلى أن تولى الرشيد وكبر ثم أخذ ثم حبس وخلص، واختفى حتى مات وقد جاوز الثمانين، فلذلك سمّي المختفي( ). يقال: إنه اختفى ستين٢ سنة،

() مقدمة البحر ٢٣٢.

() عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ٢٦٦.

ولا يعلم أحد اختفى مثل هذه المدة من بني آدم، وذلك لقهر الظالمين، وعدوان المعتدين.

قال في « أمالي الإمام الناطق بالحق أبي طالب» عليه السلام:

روى أبو عبد الله محمد بن يزيد المهلَّبي قال: حدثنا محمد بن زكريا الغُلابي، قال: صرتُ إلى أحمد بن عيسى بن زيد عليهما السلام وهو متوارٍ بالبصرة فقال لي: لما طلبنا هارون - يعني الملقب بالرشيد - خرجت أنا والقاسم بن إبراهيم وعبد الله ابن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن عليهم السلام فتفرقنا في البلاد، فوقعت إلى ناحية الري، ووقع عبد الله بن موسى إلى الشام، وخرج القاسم بن إبراهيم إلى اليمن، فلما توفي هارون اجتمعنا في الموسم، فتشاكينا ما مرّ علينا، فقال القاسم عليه السلام: أشد ما مر بي أني لما خرجت من مكة أريد اليمن، صرت في مفازة

لا ماء فيها ومعي بنت عمي، وهي زوجتي وبها حِبَل، فجاءها المخاض في ذلك الوقت، فحفرت لها حفرة لتتولى أمر نفسها، وضربت في الأرض أطلب لها ماء، فرجعت وقد ولدت غلاماً وأجهدها العطش، فألححت في طلب الماء فرجعت إليها وقد ماتت والصبي حي، فكان بقاء الغلام أشد عليَّ من وفاة أمه، فصليت ركعتين وطلبت الله أن يقبضه، فما فرغت من دعائي حتى مات.

وشكى عبد الله بن موسى: أنه خرج من بعض قرى الشام وقد حُثَّ عليه الطلب، وأنه سار إلى بعض المسالح[1] وقد تزيا بزي الأكَرَاة[2] والفلاحين، فسخَّره بعض الجند وحمل على ظهره شيئاً، وكان إذا أعيا ووضع ما على ظهره للاستراحة ضربه ضرباً شديداً، وقال: لعنك الله ولعن من أنت منه.

وقال أحمد بن عيسى: وكان من غليظ ما نالني أني صرت إلى وَرْزَنِين[3] ومعي ابني محمد، وتزوجت إلى بعض الحاكة هناك، وتكنيت بأبي حفص[4] الجصَّاص، فكنت أغدو وأقعد مع بعض من آنس به من الشيعة، ثم أروح إلى منزلي كأني قد عملت يومي، وولدت المرأة بنتاً، وتزوج ابني محمد إلى بعض موالي عبد القيس هناك، فأظهر مثل ما أظهرته، فلما صار لابنتي نحو عشر سنين طالبني أخوالها بتزويجها من رجل من الحاكة له فيهم قَدْرٌ، فضقت ذرعاً بما دفعت إليه، وخفت من إظهار نسبي، وألحَّ القوم عليّ في تزويجها، ففزعت إلى الله عز وجل وتضرعت إليه في أن يخير لها ويقبضها ويحسن عليَّ الخلف، فأصبحت الصبية عليلة ثم ماتت من يومها، فخرجت إلى ابني محمد أبشِّره فلقيني في الطريق، وأعلمني أنه ولد له ابن فسميته علياً، وهو بناحية وَرْزَنِين لا أعرف له خبراً للاستتار الذي أنا فيه.

---

(1) المسالح: الثغور.

(2) الأكره: الحراثين المزارعين.

(3) ورزنين: من كبريات قرى الري.

(4) في الأصل: «بأبي جعفر» والتصويب عن الأمالي ١٩٠.

قال السيد أبو طالب الحسني رضوان الله عليه: هذا الخبر هو طريق إثبات نسب علي بن محمد صاحب البصرة. **قلت**: وهو الذي يقال له علوي البصرة، وسيأتي ذكره في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى وتصحيح نسبه، وبيان السبب في الاختلاف فيه، وأن السبب هو من أعدائه بني العباس وأتباعهم، لأنه جرعهم الوبال، وأسقاهم كأس النكال وسلطه الله عليهم، وكانوا يقولون له: صاحب الزنج، ويسمونه في كتبهم بذلك، لأن عسكره كان من الزنج.

وعن محمد بن منصور: أنه دق عليه باب بيته بالكوفة ليلاً فإذا هو القاسم بن إبراهيم، ثم دق عليه فإذا هو أحمد بن عيسى، ثم دق ثالثاً فإذا هو عبد الله بن موسى، ثم دق فإذا هو الحسن بن يحيى، كل واحد منهم جاء من جهة لما هم فيه من الاختفاء من السلطان، ولله القائل:

تشّتت أهل البيت في كل وجهة ... من الأرض أقصى شرقها والمغارب

قبور لهم فيها ثوت ومنازل ... وحكمهم إذ ذاك حكم الأجانبِ

فلا صلة بين القبور وجيرة ... ولا الحيُّ منهم زائر للأقاربِ

من اليمن الأقصى تعد قبورهم ... إلى يثرب والرس بين الأخاشبِ

فلا فرق في التحقيق ما بين ميت ... ولا بين حي لا يرى الأهل غائبِ

انتهى. قلت أنا: فرحم الله من والاهم، وأبعد من رحمته من ظلمهم وعاداهم، ولكن سألت وقد فعل، فإن النبي ص قال: « من أحب أن يحيى

حياتي ويموت ميتتي، ويدخل الجنة التي وعدني ربي فليتول علي بن أبي طالب وذريته أئمة الهدى من بعدي فإنهم لن يخرجوكم من باب الهدى إلى باب الضلالة ».

وفي حديث آخر: « قد أعطاهم الله علمي وفهمي، وهم عترتي من لحمي ودمي، إلى الله عز وجل أشكو ظالمهم من أمتي، والله لتقتلنهم أمتي لا أنالهم الله عز وجل شفاعتي » أخرجه الشقيف في كتاب « الموازرة » ثم قال: صدق ص ؛ قتلت الخوارج علياً، وقتل معاوية الحسن بالسم، وقتل يزيد الفاجر الحسين، وقتل بنو مروان الحسن بن الحسن، وقتل هشام زيد بن علي، وقتل الوليد ولده يحيى بن زيد وغيرهم، ثم قتل بنو العباس جماعة من الأئمة، وجملة من أهل البيت، فعلى من قتلهم وآذاهم لعنة الله، ولكن قد قال جدهم ص: « إنا أهل البيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وإن أهل بيتي سيلقون بعدي أثرة[1] وشدة، وتطريداً في البلاد حتى يخرج رجل من أهل بيتي فيملأها عدلاً كما ملئت ظلماً » أخرجه في كتاب «الموازرة» أيضاً.

وفيها [أي في الموازرة]: قال ص « استوصوا بأهل بيتي خيراً فإني أخاصمكم عنهم غداً ومن أكن خصمه أخصمه، ومن خصمته دخل النار، ولا يبغض أهل بيتي إلا منافق ». وفي حديث: « لا يحبنا أهل البيت إلا

---

(1) أثَرة: بفتح الهمزة والثاء اسم من أثر يؤثر إيثارا إذا أعطى، أراد صلى الله عليه وآله أنه مستأثر عليكم فيفضل غيره بنصيبيه من الفيء، قاله في النهاية تمت تجريد بلفظه. (مؤلف).

مؤمن تقي، ولا يبغضنا إلا منافق شقي » وليس هذا موضع الأحاديث في هذا الباب.

قال الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة عليه السلام: تعادت علينا الأمة بعد محمد ص كما تعادي السباع الضواري على كسيرة الشاء، ولو خلّف ص بهيمة للزم حفظها، فكيف بعترته الطاهرة أدلة الدنيا وشفعاء الآخرة، ثم قال عليه السلام في قصيدة لم أحفظ منها إلا قوله:

تداعى لحرب بني المصطفى ذوو الجهل منها[1] ومراقها

وقال عليه السلام: وعلى الجملة فليس في بيضة الإسلام دولة أو بلدة إلا وفيها لقتيل طالبي تربة، أو قال: تِرة - الشك مني-.

وروى الفقيه العلامة محمد بن يحيى بهران في « ابتسام البرق شرح القصص الحق»: أن فاطمة البتول عليها السلام تمثلت عقيب مخاطبتها لأبي بكر في شأن فدك بقولها:

قد كان بعدك أنباء وهينمة[2] لو كنتَ شاهِدَها لم تكثر الخُطَبُ
إنا فقدناك فَقْدَ الأرض وابلها واختلَّ قومك فاشْهَدهم فقد نكبوا[3]

---

[1] أي الأمة.

[2] الهينمة: الصوت الخفي. وفي اللسان: وهنبثة؛ والهنبثة: الاختلاط في القول.

[3] في الأصل: «نكب»، وتروى: فاشهدهم قد انقلبوا.

قد كان جبريل[1] بالآيات يؤنسنا فغبت عنا فكل الخير محتجبُ
وكنت بدراً ونوراً يستضاء به عليك تنزل من ذي العزة الكتبُ
تهضمتنا رجال واستخِفّ بنا مذ غبت عنا فنحن اليوم نُغْتَصبُ
وقد رزينا الذي لم يرزه أحد من البرية لا عجم ولا عربُ
فسوف نبكيك ما عشنا وما بقيت منا العيون بهتّانٍ لها سرِبُ

وقال المحب دُعْبل بن علي الخزاعي رحمه الله تعالى:

فليس حي من الأحياء نعلمهُ من ذي يمانٍ ولا بكرٍ ولا مُضَرِ
إلا وهم شركاء في دمائُهم كما تشارك أيسارٌ على جُزُرِ
قتلاً وأسراً وتشريداً ومنهبة فعل الغزاة بأهل الروم والخزرِ

***

[ولنرجع إلى أبيات الدامغة]:

ونال يحيى بن زيد في خلافته ما نال والده في الله من مثل
وكان يحيى بن زيد خير من حملت به العواتق واستعلى على حمل
دعا إلى الله لم يخش الأولى سفكوا دم الإمام ولم يجنح إلى ملل
نفسي فداه وأشياع له صدقوا ما عاهدوا الله في قول وفي عمل
لم يرض بالذل إذ وصّاه والده بل صدّق القول مختاراً بلا فشل

---

(1) في الأصل: «وكان جبريل» وما حررناه تصويب.

ففي النهار جهاد طار عِثْيره والليل بالذكر والتسبيح في زجل
فالله يشهد أن المجد إرثهم لا إرث مروان عن ود وعن هبل
فلعنة الله لا تنفك واكفة على الوليد ومروان وذي الحول
ونضّر الله زيداً وابنه وكذا الأشياع في جنة الفردوس بالنُّزل

[ذكر الإمام يحيى بن زيد]

هو الإمام أبو عبد الله وقيل: أبو طالب **يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب** عليهم السلام.

كان عليه السلام مثل أبيه في الشجاعة وقوة القلب في مبارزة الأقران، وله مقامات مشهورة بخراسان مدة ظهوره بها، فإنه لما استشهد أبوه صلوات الله عليه خرج من الكوفة متنكراً مستتراً مع جماعة من أصحابه، فدخل خراسان، ونزل على الحريش(١) بن عبد الرحمن الشيباني، فكتب يوسف بن عمر إلى نصر بن سيّار يطلبه، فكتب إلى عامله عقيل بن معقل الليثي فطلبه ببلخ، فذكر له أنه في دار الحريش، فطالبه بتسليمه، فأنكر أن يكون عالماً به، فضُرِبَ ستمائة سوط فلم يعترف، فقال: والله لا أرفع السوط عنك حتى تسلمه أو تموت، فقال حريش: والله لو كان تحت قدميّ هاتين ما رفعتهما، فاصنع ما بدا لك! فلما خشي ولد الحريش على أبيه دس إليه بأنه

(١) في الأصل: «الحرش» والصواب ما أثبتناه عن المقاتل ولن نشير لما سيأتي لاحقا.

يدله عليه إن أفرج عن أبيه، فدل عليه، فأخذ وحمل إلى نصر بن سيّار، فقيّده وكتب بخبره إلى يوسف بن عمر، فكتب يوسف إلى الوليد، فأمر إليه الوليد أن أفرج عنه واترك التعرض له ولأصحابه، فكتب يوسف إلى نصر بما أمر به الوليد، فدعاه نصر وحل قيده، وقال له: لا تثر الفتنة، فقال عليه السلام: وهل في أمة محمد ص أعظم من فتنتكم من سفك الدماء، والشروع فيما لستم له بأهل؟ فسكت نصر وخلى سبيله، فخرج من عنده وعزم إلى بيهق فأظهر الدعوة هناك، وبايعه فيها سبعون رجلاً، فاجتمع على حربه زهاء عشرة آلاف قائدهم سلم بن أحوز عن رأي نصر بن سيّار، فخرج عليهم يحيى وقاتلهم وهزمهم، ثم اجتمع عليه بقية العسكر والجيش فقاتلهم ثلاثة أيام ولياليها أشد القتال حتى قتل أصحابه، وأتته نشابة في جبهته، ثم حزوا رأسه، وحملوه إلى مروان في رواية « الحدائق ».

وقال الحاكم في « شرح العيون »: إلى الوليد وهو الصحيح. وكان قتله في شهر رمضان الكريم عشية الجمعة سنة ست وعشرين وقيل: سنة خمس وعشرين ومائة، وصلب بدنه عليه السلام على مدينة الجوزجان، وسنه إذ ذاك ثمان وعشرون سنة، وعرض عليه أن يتزوج فقال: هيهات وأبو الحسين مصلوب بكُناسة الكوفة ولم أطلب بثأره.

وكان عليه السلام ينشد:

يا ابن زيد أليس قد قال زيد   من أحب الحياة عاش ذليلا

كن كزيدٍ فأنت مهجة زيدٍ   واتخذ في الجنان ظلاً ظليلا

يشير إلى قول أبيه لما خرج من عند هشام: من أحب البقاء استدثر الذل إلى الفناء.

وروى الإمام المنصور بالله عليه السلام أن قاتل يحيى كان قد رأى في منامه أنه رمى نبياً فقتله، فلما أصبح أخبر بذلك من أخبر، ثم غل يديه إلى عنقه، وأقام كذلك مدة من الزمان حتى خرج يحيى عليه السلام واجتمعت الجنود الظالمة لحربه، فقال له بعضهم: قد قام هذا الخارجي ولا غنى بنا عن رميك فاخرج معنا، فإذا انقضت الحرب عدت لحالك، فخرج فكان هو القاتل ليحيى عليه السلام.

ولا عقب ليحيى عليه السلام **قالوا**: ولم يزل يحيى مصلوباً إلى أن خرج أبو مسلم الخراساني صاحب الدعوة فأنزله من خشبته، وصلى عليه ودفنه، وتتبع كل من قاتله حتى أفناهم. وقبر يحيى بن زيد عليهما السلام بتُسْتر[1] مشهور مزور، وقيل: ببلدة اسمها زرعونة[2] من أرض الجوزجان.

وأمر أبو مسلم بإقامة المآتم في بَلْخ ومَرْو سبعة أيام، وناحت عليه النساء وكل من ولد في تلك السنة من أولاد الأعيان سمّوه يحيى، ولقد أحسن أبو

(١) تستر: مدينة بخوزستان، كانت في عصر ياقوت من أعظم المدن بها (راجع معجم البلدان ٢/ ٢٩).

(٢) زرعونة: كذا في الأصل، ولم أقف عليها وهي من الجوزجان كما يفيد السياق.

مسلم في فعله، لو وفقه الله تعالى لسلّم الأمر بعد أن صار في يده لأهل بيت النبوة ومعدن الرسالة، لكن اتبع هواه، وغرته دنياه، فسلّمه لبني العباس فسلطهم الله عليه، [حيث] قتله أبو الدوانيق، وسيأتي ذكر ذلك إن شاء الله تعالى.

وينسب إلى يحيى بن زيد رضوان الله عليه وسلامه هذه الأبيات الغريبة والموعظة العجيبة:

انظر إلى الأطلال كيف تغيرت   من بعد ساكنها وكيف تنكرتْ

سحب البلى أذيالَه برسومها   فتقطعت أحجارها وتكسرتْ

ومضى جماعة أهلها لسبيلهم   فتغيّبت أخبارهم وتسترتْ

لما نظرت صبابة لقبورهم   سحّت جفوني ماءها فتحدّرتْ

لو كنت أعقل ما أفقت من البكا   حسبي هناك ومقلتي ما أبصرتْ

نصبت لنا الدنيا زخارف حسنها   مكراً بنا وخديعة ما فتّرتْ

وهي التي لم تحل قط لذائقٍ   إلا تغيّر طعمها وتمررتْ

خدّاعة بجمالها إن أقبلت   فجّاعة بزوالها إن أدبرتْ

وهابة سلابة لهباتها   طلابة لخراب ما قد أعمرتْ

فإذا بنت أمراً وتمَّ بناؤه   نصبت مجانقها عليه فدمرتْ

فلكم من الأمم السوالف أهلكت   لو أنها نطقت بذلك أخبرتْ

طلابها في سَكرةٍ من حبها علقت بها ألبابُهم فتحيّرتْ

يلقون من طلب بها ومطالب قسواتها ويداً بهم قد غررتْ

إلا القليل وأين هم بل أين هم الآمنون إذا الجحيم تسعرتْ

يا رب فيك وإن طلبت رجيتي يسر عليَّ إذا الأمور تعسرتْ

وامنن عليَّ برحمة يوماً ترى عند الحساب نفوسنا ما أحضرتْ

انتهى ما وجد كما وجد.

قلت: ولا شبهة أنه قد علم أنه يخرج ويصلب كما قد تقدم ذكر ذلك في ترجمة الحسن السبط عليه السلام، روى ذلك المتوكل بن هارون( ) وروايته لذلك عن جعفر الصادق عليه السلام، وكذلك أبوه زيد بن علي عليه السلام قد علم ما يصير إليه أمره، وإنما خرجوا إعزازاً للدين وجهاداً للظالمين.

قال في « روضة المشتاق » ما لفظه: ومنها - أي من كرامات زيد بن علي عليهما السلام - إخباره بشيء من المغيبات مما خصه به آباؤه عليهم السلام عن الله،

( ) هو المتوكل بن هارون الثقفي البلخي: أحد رواة الصحيفة السجادية قال: لقيت يحيى بن زيد بعد مقتل أبيه عليه السلام وهو متوجه إلى خراسان، فسلمت عليه، فقال: من أين أقبلت؟ فقلت: من الحج، قال: فسألني عن أهله وبني عمه، فأخبرته بحزنهم على أبيه، فقال: قد كان عمي أبو جعفر أشار عليه بترك الخروج، وعرفه إلى ما صار إليه أمره، فهل لقيت ابن عمي جعفرا، فقلت: نعم فقال: فهل سمعته يذكر من أمري شيئا، قلت: جعلت فداك قال: إنك تقتل قتلة أبيك وتصلب، فقال: ﴿ يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾ راجع الرواية في (حقائق المعرفة) ص ٥٠٤.

أو ألهمه الله إياه؛ بالإسناد إلى عيسى بن أبي فروة[1] أن رجلاً جاء إلى زيد بن علي عليه السلام فقال له: يا ابن رسول الله؛ إن تكن المهدي المنتظر الذي تنتظره الأمة خرجت معك بنفسي ومالي، وإلا تكن هو لم أتعجل البلاء فإنه لا طاقة لي بالبلاء، فقال زيد: لقد سألتني عن أمر لم يسألني عنه أحد قط، ثم قال: أعد عليَّ مسألتك، فأعادها ثلاثاً. فنكّس رأسه في الأرض ساعة، ثم رفعه وقال: إن رسول الله ص عهِد إلى علي عليه السلام فلزم[2] بكلكله الأرض حتى قتل عثمان، ثم دعا الناس إلى كتاب الله، وطلب حقه، وأظهر حجته فقتل، ثم قام الحسين فدعا إلى كتاب ربه وأظهر حجته، وطلب حقه فقتل، وأنا أخرج غداً فأدعو إلى كتاب الله وأظهر حجتي، وأطلب حقي فأقتل، فأنا حجة قائم آل محمد على بني أمية أن يقولوا: لم يجيء لهذا الأمر منكم أحد يطلبه.

وبالإسناد عن قيس بن أمامة، عن أبيه عن جده قال: قلتُ لزيد بن علي عليه السلام وهو يريد الخروج على يوسف بن عمر: كيف تريد الخروج وهو بالحيرة في ستين ألفاً - وفي رواية أنه في سبعين ألفاً - من أهل الشام؟ فقال لي: يا أبا الفضل خروجي وقتلي وصلبي مكتوب بعهد رسول الله ص، والكتاب عند ابن

---

(1) في الأصل: «عيسى بن أبي قره» والصواب ما أثبتناه راجع مطلع البدور ٣/ ٤١٣.

(2) في مناقب الكوفي ٢/ ١٦٣: أن يلزم بكلكله الأرض.

أخي جعفر فانظروا فيه.

***

وكالمثلث والعباس نالهما قهرٌ وصنوهما إبْراهيم ثم علي
والكامل الحبر عبد الله صنوهم أبو الأئمة أهل العلم والعمل
محمد ثم إبراهيم قد دعيا وقام يحيى وإدريس الإمام ولي
وسلَّ موسى بن عبد الله خامسهم سيفاً على البغي يفري هامة البطل
وكلّهُم صار حيًّا عند خالقه بالنص والذكر وهو الفوز بالأمل
وسلَّ إدريس سيفاً بعد والده إدريس في الغرب واستعلى على الدول
ثم المثلث إدريس استقر به داعٍ ومنهم ملوك الغرب عن كمل

المثلث الأول المراد به: **الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب** عليهم السلام[1].

والعباس صنوه: **العباس بن الحسن بن الحسن**[2]، قال في « الشافي »:

---

(1) بعد هذا بياض قدر سطرين. وفي (مقاتل الطالبيين) ص ١٧١: قال أبو الفرج عن الحسن المثلث: كان متألها فاضلا ورعاً، يذهب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى مذهب الزيدية، ولما حبس عبد الله بن الحسن آلى أخوه الحسن بن الحسن المذكور ألا يدهن ولا يكتحل، ولا يلبس ثوبا لينا ولا يأكل طيبا. قال: وتوفي في محبسه بالهاشمية في ذي القعدة سنة خمس وأربعين ومائة وهو ابن ثمان وستين سنة.

(2) الصحيح أن العباس المذكور من أولاد الحسن المثلث، وقد ترجم له أبو الفرج في مقاتله، وذكر أن وفاته في الحبس وهو ابن خمس وثلاثين لسبع بقين من شهر رمضان سنة ١٤٥هـ (مقاتل الطالبيين ١٧٩) وولده هو الإمام علي بن العباس الذي دعا إلى نفسه ببغداد إلى آخر ما نقله المؤلف عن الشافي أو المآثر. راجع مروج الذهب ٣/ ٩٩، المصابيح (أثناء ترجمة الإمام الفخي)، جمهرة

دعا إلى نفسه ببغداد، واستجاب له جماعة وافرة من الزيدية، فأمر المهدي عليه الجواسيس فجاؤه بعلمه، فقبض عليه قبل استحكام أمره، ولم يزل في حبسه إلى أن وفد عليه الحسين بن علي المعروف بالفخي عليه السلام قبل دعوته، فاستوهبه منه فوهبه له، ثم دس المهدي إليه سماً في شربة، فلم تزل تعمل فيه حتى قدم المدينة فتفسّخ لحمه بعد دخوله المدينة بثلاثة أيام.

وكذلك ولده علي بن العباس حبس قيل في حبس أبي الدوانيق وقيل: المهدي.

وأما إبراهيم فهو: إبراهيم بن الحسن بن الحسن( ) قال في « مقدمة البحر »: خرج بعد قتل ابني أخيه محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن، وأسره المنصور وحبس حتى مات في الحبس. واختلف في إمامته، فمنهم من يقول: كان إماماً، ولم يذكره الهادي ولا السيد أبو طالب، قلت: والأصح أنه كان إماماً، وقد عدّه في الأئمة عمران بن الحسن بن ناصر، وأحمد بن محمد بن الأكوع، وكان موته في شهر ربيع الأول سنة خمس وأربعين ومائة، انتهى كلام المهدي في البحر.

وأما علي المذكور في قافية البيت: فهو علي بن الحسن بن الحسن بن

أنساب العرب.

قلت: وقد يرد في نسبه: على بن العباس بن الحسن بن الحسن السبط، كما في (التحف) ١٣٤، و(الشافي) ١/ ٢١١، و(المقاتل) ٣٤٢، والصحيح ما قلناه.

() ترجم له أبو الفرج في مقاتل الطالبيين ١٧٢- ١٧٤ وهو المعروف بالشبه.

الحسن، وهو والد الإمام الحسين الفخي الآتي ذكره.

وكان علي هذا يسمَّى بالعبد الصالح، وعلي الأغرّ، وعلي الخير، دخلت الحية بين ثيابه وهو يصلي، فلم يخرج من الصلاة ولا خاف منها، وكان كثير العبادة والتلاوة للقرآن، وتزوج ابنة عمه زينب بنت عبد الله بن الحسن بن الحسن، فلما زفت إليه قال لها: هل لك أن نصلي هذه الليلة شكراً لله حيث جمع بيننا، قالت: نعم، فباتا كذلك فلما دنا طلوع الفجر قالت له: هل لك أن نصوم هذا اليوم شكراً لله حيث جمع الله بيننا، قال: نعم، فصاما، ثم أقبلت الليلة الثانية، فباتا يصليان ثم صاما ثانياً كذلك، ليلهما يقومان ونهارهما يصومان سنة كاملة. فقال له عمه عبد الله بن الحسن ابن الحسن: رغبت عن سنة جدك ص أقسمت عليك إلا ما تركت هذا الأمر، فولد لهما المهدي لدين الله الحسين بن علي صاحب فخ عليه السلام.

وكان علي من جملة المحبوسين مع عمه عبد الله بن الحسن بن الحسن في عشرين من بني الحسن، فكانوا في مطبق مظلم، لا يهتدون إلى أوقات الصلاة إلا بقراءته، لما كان يعتاده من الوِرْد، ولما اشتد عليهم البلاء وعظم الأمر قال له عبد الله بن الحسن ابن الحسن: قد ترى يا بني ما نزل بنا، فادعو الله تعالى وكان مجاب الدعوة، ففكّر ثم قال: يا عم إن لأبي الدوانيق منزلة في النار لم يكن ليبلغها إلا بما فعل بنا، وإن لنا منزلة في الجنة لم نكن نبلغها إلا بما نحن فيه، فإن شئت أن أدعو الله تعالى أن يقصر بنا عن منزلتنا

في الجنة، ويقصر به عن منزلته في النار فعلت، فقال: لا يا بني. وسيأتي ذكر القبض عليهم وحبسهم في ترجمة الكامل إن شاء الله تعالى انتهى.

وعلي هذا يسمَّى ذو الثفنات أيضاً كزين العابدين.

[ذكر كامل أهل البيت عبد الله بن الحسن]

وأما الكامل فهو: عبد الله بن الحسن بن الحسن، وسمي الكامل لأنهم كانوا إذا قالوا: من أعلم الناس؟ من أفصح الناس؟ من أكرم الناس؟ من كذا من كذا؟ قيل: عبد الله بن الحسن. وهو أبو الأئمة: المهدي النفس الزكية محمد بن عبد الله، وإبراهيم، وإدريس، ويحيى، وموسى.

وكان عليه السلام من العبادة مع كماله وعلمه بمحل عظيم، فحكى الثقات أنه صلى الفجر بوضوء العشاء ستين سنة لا ينام بل في عبادة الرحمن، ثم كان يسجد عند طلوع الفجر ويقول: اللهم إنك تعلم أني لم أعبدك حق عبادتك، ولكن
لم أشرك بك شيئاً ولم أتخذ من دونك ولياً.

ولما مات السفاح وقام بعده أبو الدوانيق، بعث بعطاء أهل المدينة، وكتب إلى عامله بها: أن أعط الناسَ في أيديهم ولا تبعث إلى أحدٍ بعطائه، وتفقّد بني هاشم ومَن تخلف منهم ممّن حضر، واحتفظ بمحمد بن عبد الله وإبراهيم بن عبد الله، ففعل ذلك، وكتب إليه: أنه لم يتخلف أحد من العطاء إلا محمد

وإبراهيم، فإنهما لم يَحضُرا. فكتب أبو جعفر إلى أبيهما يسأله عنهما ويأمره بإظهارهما، ويخبره أنه غير عاذرٍ له عنهما. فكتب إليه عبد الله: إنه لا يدري أين هما ولا أين توَجها، فلم يزل المنصور يترصد عليهما، ويسأل ثقاته عنهما إلى أن حضر الموسم، وحجّ أبو جعفر، فلما دخل إلى المدينة أرسل إلى بني الحسن فجمعهم، فسأل عبد الله عن ولديه، فقال: لا علم لي أين هما وأين توجها، فقال: أظهرهما لي ولك أن أصل رحمك ورحمهما، وأن أعظم ولايتهما، وأعطي كل واحد منهما ألف ألف درهم، فتراجع هو وعبد الله حتى قبضه في اثني عشر رجلاً من بني الحسن. هذه رواية صاحب «العقد » وفي رواية الحاكم: فوق عشرين رجلاً.

قال صاحب «الترجمان»: وهو الصحيح، منهم علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن[1] وقد تقدم ذكره، وأمر بهم فَسِيّروا إلى العراق، وحبسوا في أضيق حبس في مطبق مظلم، كانوا لا يميزون الأوقات إلا بقراءة علي بن الحسن وِرْدَهُ من القرآن كما تقدم، فمنهم من مات، ومنهم من نجا وهم القليل، وبعضهم قتل، وقتلهم كان على صفات مختلفة.

قالوا: وممن مات في الحبس إسماعيل بن إبراهيم وكان يسمى الديباج

---

(1) وهو والد الإمام الحسين الفخي.

مطلقاً، لأنه كان مثل سبيكة الذهب، كلما اشتد الوقد عليها ازدادت حسناً[1]، وممن كان في الحبس محمد بن إبراهيم أخوه، وكان يسمى الديباج الأصفر، فقال أبو جعفر لمحمد ابن إبراهيم: أنت الديباج الأصفر؟ فقال: نعم، فقال: إذاً والله لأقتلنك قتلة ما قتلتها أحداً من أهل بيتك، فأمر بأسطوانة فلما فرغت أدخل فيها، فبنى عليه وهو حي رواه ابن جرير الطبري[2].

وروي أن إسماعيل بن إبراهيم قبل حبسه قد كان أتي له من مصر بألفي دينار ورزمة ثياب، فسايره رجل من المسجد إلى البيت، فقال: ألك حاجة؟ فقال: لا إنما أحببت أن أصل جناحك، فأمر له بإحدى الرزمتين وبعض المال.

قالوا: ولما أخرجهم أبو الدوانيق من المدينة إلى العراق محبوسين، كان جعفر الصادق عليه السلام ينظر إليهم من حيث لا يُنظر، ودموعه تجري على خديه، وأنشأ بعض شيعتهم شعراً يقول فيه:

مَنْ لنفسٍ كثيرة الإشفاق ولعينٍ كثيرة الإطراقِ
جمدت للذي دهاها زماناً ثم جادت بدمعها المهراقِ
لفراق الذين راحوا إلى المو ت عياناً والموت مُرّ المذاقِ

---

(1) مقاتل الطالبيين ١٨٠.
(2) المقاتل ١٨١، تاريخ الطبري ٩/ ١٩٨.

ثم راحوا يسلِّمون علينا بأكفٍّ مشدودة بالوثاقِ

ما رأينا من البرية طراً مثلهم لو وقى من الموت واقِ

كرماً عندما أَلَمَّ وصبراً ليست المقرفات مثل العتاقِ[1]

منهم سيِّدُ البرية يشكو طول حبس وعض كبلٍ مضاقِ[2]

صبّحت وجهه قريش وعاذت بمفدّى مبارك سبّاقِ

وفي الرواية أنه لما قتل منهم من قتل ومات في حبسه من مات أمر شيبة بن عقال إلى الموسم لينال من آل أبي طالب، فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال: إن علي بن أبي طالب شقَّ عصا المسلمين وخالف أمير المؤمنين، وأراد الأمر لنفسه فحرمه الله أمنيته وأماته بغيظه، ثم هؤلاء ولده يُقْتلون وبالدماء يخضبون. فقام إليه رجل فقال: الحمد لله رب العالمين، ونصلي على محمد الأمين، وسائر النبيين، أما ما قلت من خيرٍ فنحنُ أهله، وما قلت من شر فأنت به أولى، وصاحبك به أحرى: يا من ركب غير راحلته، وأكل غير زاده، ارجع مأزوراً، ثم أقبل على الناس فقال: أخبركم مَنْ ذلك الأبخس ميزاناً والأبين خسراناً مَنْ باع آخرته بدنيا غيره وهو هذا، ثم جلس. فقال الناس: من هذا؟ فقيل: جعفر الصادق عليه السلام[3].

وعن عبد الله بن راشد قال: سمعت الجراح بن عمر وغيره يقولون: إن

---

(1) المقرفات: الغير العربيات الخالصات، والعتاق: النجائب الكرام.

(2) عجز البيت في الأصل: «طول حبس أيضا وغص مذاق» وما حررناه تصويب عن الشافي ١/ ١٩٤.

(3) أمالي أبي طالب ١٧١، تنبيه الغافلين ١٨٥.

الحسن ابن صالح بن حي وأخاه علياً خرجا مشتملين على سيفين إلى عبد الله بن الحسن، فقالا: قد جئناك يا ابن رسول الله فمرنا بالذي تريد، فقال: قد قضيتما ما عليكما، ولن تغنيا في هؤلاء شيئاً فانصرفا، قال: فانصرفا[1].

وعن فاطمة بنت رسول الله ص وعليها، قالت: قال لي رسول الله ص: «يدفن من ولدي سبعة بشاطئ الفرات لا يسبقهم الأولون ولا يدركهم الآخرون»[2] فكانوا عبد الله بن الحسن وإخوته وأولادهم الذين هلكوا في حبس المنصور لعنه الله تعالى.

وروى السيد أبو طالب بإسناده[3] إلى محمد بن يحيى الصولي قال: سمعت أبا العيناء يقول وقد تذاكرنا ذهاب بصره قال: كان أبو الدوانيق يثق بجدي، وكان في نهاية الثقة والعقل، فقال له: قد ندبتك لأمر عظيم. ثم عرَّفه ما يريد منه وأطلق له مالاً خطيراً، وقال: صِرْ إلى المدينة وافتح بها دكان عطّار، وأظهر أنك من خراسان من شيعة عبد الله ابن الحسن، وأنفق على حشمه وأهدِ لهم وله ما يقربك عندهم، وكاتبني مع ثقاتك بأنفاسهم، وتعرّف لي خبر ابنيه محمد وإبراهيم. فمضى جدي ففعل ذلك كله، فلما قبض أبو الدوانيق على عبد الله وأهل بيته جعل يُوَبِّخه على شيء فشيء من فعله وقوله، ويخبره بما ظن أن أحداً لا يعلمه، فقال عبد الله لبعض ثقاته: من أين أُتِينا؟ فقال: من جهة العطار،

---

(1) المقاتل ٢٥٩.
(2) المقاتل ١٧٧، التحف شرح الزلف ٩٢.
(3) أمالي أبي طالب ١٧٥- ١٧٦.

فقال: اللهم ابتله في نفسه وولده بما يكون نكالاً له وردعاً لغيره، قال: فعمِي جدي وعمِي بعده أبي، وأنا على ما ترون، وكذلك ولدي.

[ذكر الإمام محمد بن عبد الله (النفس الزكية)]

وأما أولاد الكامل الأئمة: فالأول المهدي لدين الله أبو عبد الله **محمد النفس الزكية**، وقيل: كنيته أبو القاسم محمد بن عبد الله، كان يسمى صريح قريش؛ لأنه

لم يكن في آبائه من أمه أم ولد إلى أمير المؤمنين، وكذلك جداته من قبل أمه[1].

وورد الأثر بتسميته بالنفس الزكية في قوله ص ولفظه أو معناه: إن النفس الزكية يقتل فيسيل دمه إلى أحجار الزيت على قاتله ثلث عذاب أهل جهنم[2]. فكان هو الذي قتل فيّ ذلك المكان وسال دمه إلى الأحجار.

وحملت به أمه أربع سنين، وقد روي أنه المراد بقول الشاعر:

وما جئت حتى أيس الناس أن   وسميت منظوراً وجئت على قدر

قال الزحيف: فائدة: وممن حملت به أمه أكثر من تسعة أشهر الضحاك بن مزاحم ولد لستة عشر شهراً، وشعبة بن الحجاج ولد لسنتين، وهرم بن حيان ولد لأربع سنين، ولذلك سمي هرماً، ومالك بن أنس حمل به أكثر من

---

(1) راجع ذلك في مقاتل الطالبين.

(2) الشافي ١/ ١٩٨، تاريخ المدينة المنورة لابن شبه ١/ ٣٠٦.

ثلاث سنين، والحجّاج بن يوسف ولد لثلاثين شهراً، وكان يقول: أذكر ليلة ميلادي، وعبد الملك ابن مروان ولد لسنة، والشافعي حملت به أمه أربع سنين أو أقل، والحنفية يمازحونهم ويقولون: ما جسر إمامكم يظهر أوان الوجود حتى مات إمامنا، فتجيبهم الشافعية: بل إمامكم ما تثبت لظهور إمامنا انتهى.

قلت: وكذلك منظور[1] لبث في بطن أمه أرابع سنين، وقد قيل أن قول الشاعر:

وما جئت حتى أيس الناس أن   وسميت منظوراً وجئت على قدر

قيل فيه. ذكره في « الشفا» وفي « أصول الأحكام » للإمام أحمد بن سليمان
عليه السلام، وذكر في « الكافي » رواية الناصر للحق عليه السلام أن البيت [قيل] في محمد بن عبد الله النفس الزكية، وهو الذي صدرناه في كتابنا هذا.

وروي عن محمد بن عجلان قال: إن امرأته كانت تلد لأربع سنين، وأنها ولدت ولداً لأربع سنين قد بدت ثناياه، وفي الرواية عنه: أنه حصل له ثلاثة أولاد في اثني عشر سنة، كل واحد حمل به أربع سنين.

وكان محمد بن عبد الله عليه السلام ممن اختفى مدة من الدولة الظالمة حتى

---

(1) هو منظور بن زيّان الفزاري: شاعر مخضرم راجع الأعلام ٧/ ٣٠٨.

ظن النصر وحصلت لدعوته الإجابة، قال الحاكم رحمه الله في «جلاء الأبصار »: كان لمحمد بن
عبد الله عليه السلام ابن صغير من أم ولد، وكان على جبل هارباً، فحثّهم الطلب فهربوا فسقط الصبي من ذلك الجبل وتقطّع ومات، فقال محمد بن عبد الله عليه السلام:

مُنْخَرِقُ الخُفَّين يشكو الوجا تُنْكِيهِ أطرافُ مَرْوٍ حِدادْ
شرَّدَهُ الخوفُ وأزرى به كذاك من يكره حَرَّ الجلادْ
قد كان في الموتِ له راحة والموتُ حَتْمٌ في رقاب العبادْ

وقد تقدم في ترجمة عيسى بن زيد عليه السلام ذكر هذه الأبيات، ضمنها عليه السلام قوله: والله ما أطعم طعم الرقاد إلى آخره.

وحكى صاحب « العقد » حكاية عن عبد الله بن الحسن في إخفائه لولديه محمد وإبراهيم ابني عبد الله قصة لا تصح ربما صورها بعض النواصب.

قال السيد أبو طالب عليه السلام: وكان محمد بن عبد الله عليه السلام فارساً شجاعاً خطيباً بارعاً في الخطبة على تَمْتَمةٍ كانت تعتريه إذا تكلم، فإذا عرضت له ضرب صدره بيده فينطلق لسانه، وهو أول من خُوطب بأمير المؤمنين، وبعده محمد بن جعفر ابن محمد. وكان بين كتفيه شامة تشبه شامة رسول الله ص، وفيه قال الشاعر:

فإن الذي تروي الرواةُ لبيّن إذا ما ابن عبد الله فيهم تجردا

له خاتم لم يعطه الله غيره   وفيه علامات من البر والهدى

وكان عليه السلام غزير العلم، وافر الفهم، سمع الحديث من آبائه، وسمع عن نافع وابن طاووس، وله كتاب « السير » المشهور، يقال: أن محمد بن الحسن الشيباني نقل أكثر مسائل السير منه، وفيه من غرائب الفقه ما يدل على علو منزلته، ويكشف عن عالي مرتبته.

ومن شعره عليه السلام:

متى يُرى للعدل نور وقد   أسلمني ظلمٌ إلى ظلمِ

أمنية طال عِداتي بها   كأنني فيها أخو حُلْمِ

وكان عليه السلام قوياً جداً، روى الشيخ أبو الفرج عن سعيد بن عقبة قال: كنَّا مع عبد الله بن الحسن بسُوَيْقة وبين يديه صخرة، فقام محمد بن عبد الله يعالجها ليرفعها، فأقلّها حتى بلغت ركبتيه، فنهاه أبوه فانتهى، فلما دخل عبد الله عاد إليها محمد فأقلّها حتى طلع بها على منكبيه ثم ألقاها، فحُزِرت ألف رطل. قال: فوقف موسى الهادي[1] على الصخرة بسويقة، فاجتمع هو ورجل من أصحابه على علاجها، وهي على حرفها، فكان جهدهما أن حركاها.

قالوا: ولما انتشرت دعوته عليه السلام في الآفاق، وعقدت من أهل الفضل في الأعناق، اضطر إلى الخروج قبل أوانه، وذلك أن أبا الدوانيق لما حبس عبد

---

[1] لعل المقصود بموسى في رواية أبي الفرج: موسى الجون راجع المقاتل ٢٢١.

الله بن الحسن وإخوته بسبب محمد هذا، وأمر بضرب موسى بن عبد الله فضرب ستمائة سوط، ثم أطلقه، وشرط أن يكون عوناً له على أخيه محمد بن عبد الله وعيناً عليه في المدينة، وأمره بالبقاء فيها، فأقام مدة بالمدينة، فكتب واليها إلى أبي جعفر: أنك أمرت موسى ليكون عيناً لنا على أخيه فصار عيناً له علينا، فأمر أبو جعفر بإحضاره، فلما خرجوا بموسى من المدينة خشي عليه أخوه محمد القتل، فشهر نفسه في الحال.

وكان ظهوره لليلتين بقيتا من شهر جماد الآخرة سنة خمس وأربعين ومائة، وانضاف إليه في تلك الحال مائتان وخمسون رجلاً، فوقف على سجن المدينة وأخرج من فيه، ودخل المسجد قبل الفجر فخطب الناس، وقال في خطبته بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على محمد ص: أما بعد: يا أهل المدينة فإني والله ما خرجت فيكم وبين أظهركم [لأتعزز بكمٍ] فغيركم كان أعزّ لي منكم، إلا أني حبوتكم بنفسي، مع أنه لم يبق مصر من الأمصار يعبد الله فيه إلا وقد أُخذَت لي فيه البيعة، وما بقي أحد من مشرق ولا مغرب إلا وقد أتتني بيعته، وإن أحق الناس بالقيام بهذا الأمر لأبناء المهاجرين والأنصار، مع ما قد علمتم من سوء مذهب هذا الطاغية الذي قد بلغ من عتوِّه وطغيانه أن اتخذ لنفسه بيتاً وبوّبه بالذهب - يعني أبا الدوانيقي - ثم بالغ في ذمِّه، وصلى بالناس وبايعوه طوعاً إلا شرذمة قليلة، وهرب والي المدينة إلى أبي الدوانيق فلحق، وسألوه عن موسى فقال: قد أنفذته إلى المنصور، فبعث أخوه جماعة من الفرسان فردوه.

ثم خرج عليه السلام إلى مكة فبويع هناك، وبعث أخاه إبراهيم إلى البصرة، وأما هو فرجع من مكة إلى المدينة، فوجّه إليه أبو جعفر عيسى بن موسى في أربعة آلاف رجل، فوصل وحصل القتال ساعة فانهزم أصحاب الإمام وتفرقوا، فرجع
عليه السلام إلى دار مروان، فصلى الظهر واغتسل وتحنط، وكان القتال يوم الإثنين للنصف من شهر رمضان، قال بعضهم: رأيت محمداً وإنه لأشبه خلق الله بما ذُكِر من حمزة بن عبد المطلب يهذُّ الناس بسيفه، ما يقاربه أحد إلا قتله، والله ما يليق[1] شيئاً، حتى رماه إنسان بسهم فوقف إلى ناحية في جدار المسجد، وتحاماه الناس.

وروي أنه قتل ذلك اليوم اثني عشر رجلاً من جنود الظالمين، ثم كان انهزام عسكره على ما رواه الإمام المنصور بالله عليه السلام بحيلة امرأة عباسية كانت في المدينة، فإنها أمرت خادماً لها بقناع أسود رفعه في منارة رسول الله ص، وأمرت خادماً لها آخر فصاح في العسكر: الهزيمة الهزيمة، فإن المسودة قد جاءوا من خلفكم فدخلوا المدينة، فرأوا الراية السوداء فلم يشكوا في ذلك، وانهزم الناس وبقي وحده يقاتل حتى ضربه رجل على ذقنه فسقطت لحيته على صدره، فرفعها بيده وشدّها، ثم رُمي بنشابة في صدره، فحملوا عليه من كل جانب فقتل، وتولى الإجهاز عليه حميد بن قحطبة[2].

---

(1) أي لم يلق شئيا إلا قطعه حسامه (هامش الحدائق ١/ ٢٩٤).

(2) الحدائق الوردية ١/ ٢٩٤ - ٢٩٥، مقاتل الطالبيين ٢٣٨ وما بعدها.

وفي بعض الأخبار أنه لما حمي الوطيس خرج النفس الزكية في قباء طاق وهو يقول:

قاتِل فما بك إن حُبِست بدومةٍ   في ظل غرفتها إذا لم تخلدِ
إنَّ امرءاً يرضى بأهون عيشةٍ   قصرت مروءته إذا لم يزددِ[1]

وروي أنه عليه السلام قال لأخته في ذلك اليوم: إني مقاتل هؤلاء القوم فإن زالت الشمس ومطرت السماء فإني مقتول، وإن زالت الشمس ولم تمطر السماء وهبت الريح فإني أظفر بالقوم، فإذا زالت الشمس فأجِّجي التنانير وهيِّئي هذه الكتب، فإن زالت الشمس ومطرت السماء فاطرحي هذه الكتب في التنانير، فإن قدرتم على بدني فخذوه، ولن تقدروا على رأسي هذا فأتوا ببدني إلى صلب[2] بني نُبَيْهٍ على مقدار أربعة أذرع أو خمسة، فاحفروا لي حفرة وادفنوني فيها، فلما مطرت السماء فعلوا ما أمر به عليه السلام، فقتل بعد العصر يوم الإثنين لأربع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة خمس وأربعين ومائة، وقيل: سنة ست، وقيل: إنه قتل عن[3] سنة اثنتين وخمسين، وكان مدة قيامه شهرين تزيد أياماً قلائل.

ولما قتل أرسلت بنته فاطمة بنت محمد وأخته زينب بنت عبد الله إلى عيسى: أن قد قضيتم منه حاجتكم فأذنوا لنا في دفنه، فأذن لهم. قال الراوي:

---

(1) أمالي أبي طالب ١٦٨.

(2) كذا، وفي الحدائق، والمقاتل: ظلة.

(3) في الأصل: «غرة» وهو سبق قلم صححناه عن الحدائق ١/ ٢٩٦.

فأخذوا جسده فحفروا له حفرة فوقعوا على صخرة، فدلوا الحبال فأخرجوها، فإذا فيها مكتوب: هذا قبر الحسن بن علي بن أبي طالب، فقالت زينب: رحم الله أخي كان والله أعلم حيث أوصى أن يدفن في هذا الموضع.

وقال الإمام المنصور بالله عليه السلام[1]: ودفن عليه السلام في البقيع ولما حفروا له قدر ذراع وجدوا القبر ملحوداً والمسك يثور منه.

ولما قتل عليه السلام دخل الجند الظالم لزيارة قبر النبي ص فوقف حميد بن قحطبة على الباب ولم يدخل، فقال له بعضهم: ما رأيت أعجب من أمرك [يا حميد] يضرب الناس آباط الإبل لزيارة قبر رسول الله ص وتصل أنت إلى باب مسجده ثم لا تزوره؟! فقال: والله إني لأستحيي منه، الآن فرغت من قتل ولده ثم أدخل لزيارته. فقال له عيسى بن موسى: اسكت.

ولأخيه الإمام إبراهيم بن عبد الله ترثية فيه، منها:

سأبكيك بالبيض الرِّقاق وبالقنا   فإنّ بها ما يدرك الطالبُ الوترا
وإنا أناسٌ لا تفيض دموعُنا   على هالكٍ منّا وإن قصمَ الظّهرا
ولستُ كمن يبكي أخاه بَعَبْرةٍ   يعصِّرها من جَفْن مقلته عصرا
ولكنني أشفي فؤادي بغارة   تلهّب في قطري كتائبها الجمرا

ولبعضهم:

---

(1) لم أقف على النص للإمام المنصور بالله.

رحم اللهُ شباباً قُتلوا يوم الثنيّه
قاتَلوا عنه بنيّا تٍ وأحسابٍ نقيّه
فرَّ عنه الناسُ طرا غير خيلٍ أسديه
قتلَ الرحمنُ عيسى قاتلَ النفسَ الزكيَّه[1]

قال الإمام المنصور بالله عليه السلام في كتاب « الإيضاح»: وقد روينا عن محمد ابن عبد الله عليه السلام أن أبا خالد[2] لقيه قبل خروجه فقال: يا بن رسول الله، متى يكون هذا الأمر؟ قال: وما يسُرُّك منه؟ ولم لا أسترُّ بأمرٍ يعزّ الله به المؤمنين ويخزي به الفاسقين، قال: أنا والله خارج، وأنا والله مقتول! ولكن والله ما يسُرُّني أن لي ما طلعت عليه الشمس وأني تركت قتالهم، وإنَّ امرءا مؤمناً لا يصبح حزينا ويُمسي حزيناً من أفعالهم لملعون مفتون.

وقبره عليه السلام من بقيع المدينة على طريق قبر الحمزة مشهور مزور، وصاروا الآن يلطخون قبره وقبته... [3] تعظيماً في زماننا، ومكيدة وتعزيزا في زمن أعدائه وأعداء الدين، والله المكافي لمن فعل تلك المكيدة بنار تطّلع على الأفئدة. وقبره وقبته روضة من رياض الجنة، والذي أمر

---

(1) انظر المقاتل ٢٢٠، تاريخ الطبري ٩/ ٢٠٥.
(2) هو أبو خالد الواسطي راجع الرواية في أمالي أبي طالب ١٨٧.
(3) كلمة لم تتضح في الأصل.

بعمارتها الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة[1] عليه السلام، أمر بذلك الشريف الحسن بن قتادة بن إدريس، وسيأتي ذكر ذلك.

[ذكر الإمام إبراهيم بن عبد الله]

وأما أخوه الإمام أبو الحسن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن عليهم السلام؛ فإنه كان قد نشأ على الديانة والعفاف والعلم والعمل حتى بلغ أشرف خطة وأعلى درجة.

ورُوي أن إبراهيم بن يحيى[2] الهمداني سُئل فقيل له: قد رأيت إبراهيم ومحمدا ابني عبد الله بن الحسن فأيهما كان أفضل؟ فقال: والله لقد كانا فاضلين، شريفين كريمين، عابدين زاهدين، وكان إبراهيم يقدم أخاه محمدا ويفضله، وكان محمد يعرف لإبراهيم فضله، وقد مضيا شهيدين[3].

وقال بعضهم: لما قتل إبراهيم وأنا بالكوفة أتيت الأعمش بعد قتله فقال: هاهنا أحد تنكرونه؟ فقلنا: لا، فقال: أما والله لو أصبح أهل الكوفة على مثل رأيي لسرنا حتى ننزل بِعَقْوته - يعني أبا جعفر - فإذا قال لي: ما جاء بك يا

---

(1) هذا سهو من المؤلف سيأتي التعقيب عليه لاحقا، فالذي أمر الإمام عبد الله بن حمزة بعمارة قبة على مشهده هو الإمام الحسين الفخي، والسيد الحسن بن الإمام النفس الزكية، والمأمور بذلك هو الشريف قتادة بن إدريس راجع الحدائق الوردية ١/ ٣٢٨.

(2) كذا الأصل، والصواب: إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى المدني الهمداني، محدث مشهور توفي سنة ١٨٤هـ راجع مطلع البدور ١/ ١٨٣- ١٨٧، الأعلام ١/ ٥٩.

(3) المصابيح ٤٤٧، أمالي أبي طالب ١٨٩.

أعمش؟ قلت: جئتُ لأبيد خضراءك وتبيد خضرائي بما فعلت بابن رسول الله ص ص [1].

وأما بيعته: فإنه عليه السلام قد كان خرج إلى البصرة بأمر محمد بن عبد الله ليدعو إليه كما سبق، فاستولى على البصرة وقام بالأمر فيها حتى وردت عليه الكتب بنعي أخيه محمد، وهو يريد أن يصلي صلاة العيد، فصلى بهم ثم رقى المنبر ونعى أخاه إلى الناس، ثم أنشأ يقول متمثلاً:

أبا المنازلِ يا عينَ الفوارس مَنْ يُفجَعْ بمثلك في الدنيا فقد فُجِعا

الله يعلم أنّي لو خشيتهُمُ أو أوجَسَ القلبُ مِن خوفٍ لهم

لم يقتلوك ولم أَسلِمْ أخي لَهُمُ حتّى نموتَ جميعاً أو نعيش معا

ولما نزل من المنبر بايعه علماء البصرة وعبّادها وزهادها، واختصت به المعتزلة مع الزيدية ولازموا مجلسه، وتولوا أعماله، فاستولى على واسط وأعمالها، والأهواز وكورها، وأعمال فارس، وكان أبو حنيفة يدعو إليه سراً، وكتب إليه: إذا أظفرك الله بآل عيسى بن موسى وأصحابه فلا تسر فيهم سيرة أبيك في أهل الجمل، فإنه لم يقتل المدبر ولم يجهز على الجريح ولم يغنم الأموال؛ لأن القوم لم تكن لهم فئة، ولكن سِرْ فيهم سيرته يوم صفين، فإنه أجهز على الجريح وقسم الغنيمة؛ لأن أهل الشام كان لهم فئة. فظفر المنصور بكتابه، فكتب إلى عيسى بن موسى وهو على الكوفة أن

---

(1) مقاتل الطالبيين ٣٢٨- ٣٢٩.

يحمل إليه أبا حنيفة إلى بغداد، فقال راوي هذه القصة: فأتي به إلى بغداد، فسُقي شربة فمات وهو ابن سبعين سنة[1].

ومن أتباع الإمام إبراهيم: بشير الرحال ومطر الوراق، وروي أن أبا الدوانيق أمر رجلاً إلى البصرة ليعرف أحوال إبراهيم، فلما رجع قال له: كيف رأيت مطرَ الورّاق، وبشير الرَّحال؟ قال: رأيتهما يدخلان على إبراهيم وعليهما السلاح، فقال: ما كنت أظن أن الصوم أبقى لهما ما يُحمل به السلاح.

قالوا: فلما قويت شوكة إبراهيم جهز أبو الدوانيق عيسى بن موسى وغيره لمحاربته، فلما بلغ ذلك إبراهيم أجمع على المسير إليهم، فأشار عليه بعض أصحابه بالوقوف بالبصرة، فأبى وسار نحوهم فالتقوا ببا خمرا، وكان عسكره أحد عشر ألف راجل وسبعمائة فارس، فكانت الهزيمة أولاً في أصحاب أبي جعفر ثم كانت في أصحاب إبراهيم عليه السلام، فثبت حتى كان آخر النهار فرفع عليه السلام المغفر عن وجهه من شدة الحر، فجاءه سهم في رأسه، فاعتنق فرسه واحتوشته الزيدية وأنزلوه، فأخذه بشير الرحال إلى حجره وهو يقول: وكان أمر الله قدراً مقدوراً، ثم حمل عليه جند الظلمة فحزوا رأسه ورأس بشير الرَّحال، فأمروا بهما إلى أبي جعفر، ودفنوا جثة إبراهيم بباخمرا.

---

(1) الإفادة ٦٣، الحدائق ١/ ٣٠٣ـ ٣٠٤.

قالوا: وصدق معه أربعمائة ضاربوا دونه حتى قتلوا.

***

وكان خروجه في رمضان[1] من سنة خمس وأربعين ومائة، فبقي في الخلافة رمضان وشوال وذي القعدة وقتل في ذي الحجة. ورثاه غالب بن عثمان الهمداني الناعطي رحمه الله تعالى فقال:

وقتيلُ بَا خَمرا الذي نادى فأسمع كلّ شاهدْ

أدنى الجنود إلى الجنو د تَزَحُّفَ الأَسْد الحواردْ

بالمرهفات وبالقنا والمُبْرِقات وبالرّواعدْ

فدعا لدين محمّد ودعوا إلى دين ابن صائد[2]

فرماهم بِلَبَان أبـ ـلَقَ سابق للخيل قائد

بالسيف يبري[3] مُصْلتاً هاماتهم بأشدِّ ساعدْ

فأتاه سهمٌ قاصدٌ لفؤاده بيمين جاحدْ

فهوى صريعاً للجبيـ ـن وليس مخلوقٌ بخالد

وتبدّدت أنصاره وثوى بأكرم دار واحد

نفسي فِداً لك من صريـ ـع غير مَمْهُودِ الوسائد

---

(1) والصواب أن دعوته كانت غرة شوال إذ أتاه نعي الإمام المهدي يوم عيد الفطر فبقي خليفةً شوال وذي القعدة وبعض الحجة فقط. (مؤلف).

(2) ابن صائد: هو عبد الله بن صائد الذي كان يظن الصحابة أنه الدجال.

(3) في المقاتل ٣٢٩: يفري.

وفدتك نفسي من غريـ ـب الدّار في القوم الأباعد
أي امرئ ظفرت به أيمان أبناء الولائد[1]
فأولئك الشهداء والصـّ ـبُر الكرام لدى الشدائد
ونجارُ يثرب والأبا طح حيث مُعْتَلَجُ العقائد
أَقْوَت منازل ذِي طُوى فبطاح مكة فالمشاهد
فالخيفُ منهم والجِمَا ر فموقف الظّعن الرواشد
فحياضُ زمزم فالمقا م فصادر عنها وَوَارِد
فسُوَيْقتانِ فينبعٌ فبقيع يثرب والملاحد[2]
أمست بلاقع من بني الـ حسن بن فاطمة الأراشد

وكان هذا الشاعر من الرئاسة والعلم بموضع ليس لأحد مثله، وجدَّ به الطلب بعد قتل إبراهيم حتى ظفر به أبو الدوانيق فقتله، ولم يُقِلْه، ولما قُدِّم للقتل قال:

هل كان يرتحل البراق أبوكم أم كان جبريل عليه ينزلُ
أم من يقول الله إذ يختاره للوحي قُمْ يا أيُّها المزمِلُ
يبدا المؤذن في الصلاة بذكره مع ذكره لله حين يُهَلّلُ

---

(1) الولائد: جمع وليدة وهي الأمة.

(2) في المقاتل ٣٣٠: فبقيع يثرب ذي اللحائد.

[ذكر الإمام يحيى بن عبد الله]

والثالث الإمام الأعظم أمير المؤمنين **يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن** عليهم السلام، أمه قرشية من ذرية زمعة بن الأسود، وأبوها ابن أخت هند والدة النفس الزكية.

كان عليه السلام كثير العبادة يصلي ليلته كلها، ثم يسجد في آخر الليل سجدة يقف فيها إلى طلوع الفجر. وكان يحيى عليه السلام من عيون الأئمة، وفضلاء الأمة، روى الحديث عن أهله وعن غيرهم، وأكثر روايته عن جعفر الصادق، وكان قد حضر القتال مع الإمام الحسين صاحب فخ، وقاتل قتالاً عظيماً، وأصيب بنشاب كثير حتى صار كالقنفذ، فلما انقضت الوقعة أقام مستتراً مدة طويلة يطوف في الآفاق، ووصل صنعاء وأقام بها شهوراً، وأخذ عنه علماء صنعاء [علماً] كثيراً، ثم دخل بلاد الحبشة وخرج منها، ثم دخل بلاد الترك فتلقاه ملكها بالإكرام، وقدم له التحف العظيمة، فدعاه يحيى إلى الإسلام فأسلم سراً.

وبث يحيى دعاته في الآفاق فجاءته كتبهم ببيعة مائة ألف، فيهم العلماء والفقهاء، قال يحيى: لا بد من الخروج إلى دار الإسلام، فنهاه ملك الترك عن ذلك، وقال: إنهم يخدعونك، فقال يحيى: لا أستجيز فيما بيني وبين الله أن أقيم في بلد الشرك ومعي مائة ألف مقاتل من المسلمين، فخرج إلى بلاد

الديلم وقال: إن للديلم معنا خرجة وأرجو أن تكون معي، فلم تكن معه وإنما كانت مع الناصر للحق. وكان في الذين بايع يحيى من عيون العلماء المشهورين: عبد ربه بن علقمة[1]، والشافعي وغيرهما، وجرى على الشافعي في ذلك نكبة، وذلك أن الرشيد لما بلغه أنه يدعو إلى يحيى بن عبد الله أنفذ إليه من أتى به على حمار مُقيّداً مكشوف الرأس، فأُدخل بغداد على تلك الحال.

قالوا: ولما استجاب ليحيى من استجاب تغيرت أحوال هارون وقطع الخمر ولبس الصوف وافترش اللبود، وتحلى بغير ما يعتاده من العبادة والصلاح، وعلم أنه لا يطيق في أخذ يحيى قسراً، فأعمل الحيلة في إخراجه من هناك، فوجّه الفضل ابن يحيى في خمسين ألف مقاتل، وألزمه التوصل في إخراج يحيى بما أمكن من الحيل، فاجتهد الفضل في ذلك إزالة للتهمة عن نفسه؛ لأنه قد كان سعى به إلى هارون أنه يعرف مكان يحيى، وأنه كتب له مسطوراً يعرضه على أهل كل جهة حتى لا يتعرضون له بحال، فلما جهز الفضل بن يحيى بالخيل والأموال الجليلة، وأمره أن يبذل لجستان ما يحب من الأموال، فلما وصل الفضل إلى هناك عرض على ملك الديلم الأموال الجليلة، فامتنع جستان من ذلك. وكان الفضل قد عرف أن امرأة جستان غالبة عليه، فطمع فيه من جهتها، فأنفذ

---

[1] في الأصل: «ابن عبد ربه وابن علقمة» وهو خطأ صوبناه عن الإفادة ٧٦، والحدائق ١/ ٣٣٠.

إليها من الألطاف والجواهر والطيب والثياب حتى أرضاها، فأشارت على جستان، فأراد تسليمه في قصة طويلة شهد على يحيى فيها فوق ألف من علماء السوء أنه عبد لهارون، فانخدع جستان فقال له يحيى: إن كان ولا بدَّ فاتركني آخذ لي الأمان ولأصحابي، فكتب له هارون أماناً عرضه يحيى على جميع علماء الإسلام، فكلهم يقول: هذا لا ينقضه ناقض، وهذه نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا أمانٌ من أمير المؤمنين هارون بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ليحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ولسبعين رجلاً من أصحابه، أني أمَّنْتُك يا يحيى بن عبد الله وسبعين رجلاً من أصحابك بأمان الله الذي لا إله إلا هو، الذي يعلمُ من أسرار العباد ما يعلم من علانيتهم، أماناً صحيحاً براً صادقاً، ظاهرُه كباطنه، وباطنه كظاهره، لا يشوبه غلّ، ولا يخالطه غش [يبطله] بوجه من الوجوه، ولا سببٍ من الأسباب. فأنت يا يحيى بن عبد الله والسبعون رجلاً من أصحابك آمنون بأمان الله على ما أصبت من مال أو دم أو حدث على أمير المؤمنين هارون بن محمد وأصحابه وقواده وجنوده وشيعته وأهل مملكته وأتباعه ومواليه وأهل بيته، وعلى أنَّ كلّ من طالبه أو طالب أصحابه بحدث كان منه أو منهم من الدماء والأموال وجميع الحقوق كلها، وما استحق الطالب على يحيى بن عبد الله وأصحابه السبعين فعلى أمير المؤمنين هارون بن محمد ضمانُ ذلك جميعه،

وخلاصه حتى يوفيهم حقوقهم بما شاؤا، بالغة ما بلغت تلك المطالبة من دم أو مال أو حد أو قصاص؛ وأنه لا يؤاخذه بشيء كان منه أو منهم مما وصفنا في صدر كتابنا هذا، ولا نأخذه هو وإياهم بضغن ولا تِرَةٍ ولا حقد، ولا وَغْر بشيء مما كان منه من كلام أو حرب أو عداوة ظاهرة أو باطنة، ولا مما كان منه من المبايعة والدعاء إلى نفسه، وإلى خلع أمير المؤمنين هارون وإلى حربه. وأن أمير المؤمنين هارون بن محمد أعطى يحيى بن عبد الله والسبعين رجلاً من أصحابه عهداً خالصاً، وميثاقاً غليظاً مؤكداً، وذمة الله، وذمة رسوله، وذمة أنبيائه المرسلين وملائكته المقربين، وأنه جعل له هذه المواثيق والذِّمَم ولأصحابه في عقدة( ) مؤكدة صحيحة، لا براءة له عند الله في دنياه وآخرته إلا بالوفاء بها. وإني قد أنفذت ذلك لك ولهم ورضيته وسلَّمته، وأشهدتُ الله وملائكته على ذلك وكفى بالله شهيداً. فأنت وهم آمنون بأمان الله، وليس عليك ولا عليهم عَتَبٌ ولا توبيخ ولا تبكيت، ولا تعريض ولا أذى فيما كان منك ومنهم إذ كنت في مناوأتي وحربي من قتل كان أو قتال أو زلة أو جرم، أو سفك دم أو جناية عمداً أو خطأ، أو أمر من الأمور سلف منك أو منهم في صغير من الأمور أو كبير، سراً أو علانية، ولا سبيل إلى نقض ما جعلتُ لك من أماني، ولا إلى نكثه بوجه من الوجوه، ولا سبب من الأسباب. وإني قد أذِنْتُ لك بالتقدم أنت وأصحابك أين شئت من بلاد المسلمين، لا تخافُ أنت ولا

( ) في أخبار فخ: في عنقه.

هم غدراً ولا ختراً، ولا إقتاراً[1] حيث أحببت من الأرض، فأنت وهم آمنون بأمان الله الذي لا إله إلا هو، لا ينالك أمر تخافه أو تحاذره من ساعات الليل والنهار، ولا أُدِخلُ في أماني عليك غِشاً ولا خديعة ولا مكراً، ولا يكون ذلك مني إليك بدسيس ولا جاسوس ولا إشارة ولا معاريض ولا كناية ولا تصريح، ولا شيء مما تخافه على نفسك، من غدر في مطعم ولا مشرب ولا ملبس، ولا أضمر ذلك لك، ولا ترى مني انتقاصاً ولا مجانبة ولا ازدراء.

فإن أمير المؤمنين هارون بن محمد نقض ما جعل لك ولأصحابك من أمانه هذا، ونكث عنه، أو خالفه إلى أمرٍ تكرهه، أو أضمر لك في نفسه غير ما أظهره، أو أدخل عليك فيما ذكر من أمانه لك ولأصحابك الخديعة لك، أو المكر بك، أو نوى غير ما جعل لك الوفاء به، فلا قَبِلَ الله منه صرفاً ولا عدلاً؛ وزُبَيْدة بنت جعفر بن أبي جعفر طالقٌ منه ثلاثاً بتةً، وأن كُلَّ مملوك له أو أمة أو سرية أو أمهات أولاد أحرارٌ، وكل امرأةٍ ينكحها فيما يستقبل فهي طالق، وكل مملوك فيما يستقبل من ذكر أو أنثى فهم أحرارٌ، وكل ما ملك من مال أو يستفيده فهو صدقة على الفقراء والمساكين، وإلا فعليه المشي إلى بيت الله الحرام حافياً راجلاً، وعليه المحرمات من الأيمان كلّها، وأمير المؤمنين هارون بن محمد

(1) كذا، وفي المآثر: ولا إقفارا، وفي أخبار فخ: ولا إخفارا؛ وهو الأقرب للسياق.

بن عبد الله خليع من إمرة المؤمنين، والأمّة من ولايته براءٌ، ولا طاعةَ له في أعناقهم؛ والله عليه فيما أكد وجعل على نفسه في هذه الأيمان[1] كفيل، وكفى بالله شهيداً.

قالوا: وكتب يحيى عليه السلام كتاباً آخر على الفضل بن يحيى، وأن هارون أمر بإعطائه الكتاب الذي فيه الأمان وكتب بخطه، وأشهد الألف والثلاثمائة رجل الذين شهدوا عليه بالرق والزور، وأتى كتاب هارون وخطه بيمينه، فخرج يحيى إلى بغداد ثم إلى المدينة، ووقف بها مدة، فتمالأ جماعة من قريش على كيده والسعاية به إلى هارون، وأنه مضمر للخروج عليه، فحبسه الرشيد وجرى له معه ومع الزبيري مناظرات خلاصتها أن هارون نقض ذلك العهد.

وقد أشار إلى ذلك أبو فراس حيث قال في « الشافية»:

يا جاهداً في مساويهم يكتّمها غَدْرُ الرشيد بيحيى كيف ينكتمُ؟

ذاق الزبيري غِبّ الحنْث وانقشعت عن ابن فاطمة الأقوالُ والتهمُ

ولما احتال الرشيد في نقض العهد قتل يحيى.

واختلفوا في قتله كيف كان؟ فروى أبو الفرج بإسناده[2] إلى رجل كان مع يحيى في المطبق، قال: كنت ليلة قريباً منه، وكان في أضيق البيوت وأظلمها،

---

(1) في أخبار فخ: في هذا الأمان.

(2) مقاتل الطالبيين ٤٠٢.

فبينا نحن ذات ليلة كذلك إذ سمعنا صوت الأقفال، فإذا هارون قد أقبل، فقال: أين هذا؟ يعني يحيى بن عبد الله. فقالوا: هو بهذا البيت، فقال: عليَّ به، فجعل هارون يكلمه بشيء
لم نفهمه، ثم قال: خذوه فضربه مائة عصا، ويحيى يناشده الله والرحم والقرابة من رسول الله ص، و[هو] يقول: ما بيني وبينك قرابة. ثم حمل وردَّ إلى موضعه، فقال: كم أجريتم عليه؟ قالوا: أربعة أرغفة وثمانية أرطال ماء، فقال: اجعلوه على النصف، ومكثنا ليالي ثم سمعنا وقعاً، فإذا نحن به قد دخل ووقف موقفه ثم قال: عليَّ به، فأخرج وفعل به مثل فعله الأول، وضرب مائة عصا أخرى، ويحيى يناشده الله، ثم قال: كم أجريتم عليه؟ قالوا: رغيفين وأربعة أرطال ماء، قال: اجعلوه على النصف، ثم خرج وعاد عليه الثالثة، وقد مرض يحيى وثقل، فلما دخل قال: عليَّ به، قالوا: هو عليل مدنف لما به، قال: كم أجريتم عليه؟ قالوا: رغيفاً ورطلاً[1]، قال: اجعلوه على النصف، ثم خرج فما لبث أن مات رحمة الله عليه، فأخرج للناس ودفن.

وقال ابن عمار في روايته: أنه بني عليه اسطوانة وهو حي، وقيل: بل كان لهارون بركة فيها أسود يرمي بمن سخط عليه فيها، فتكشط[2] لحمه، فجوعها ثم رمى بيحيى إليها، فبصبصت له وما ضرته. وقيل: سمِّمَ له وقيل:

---

[1] عند أبي الفرج: ورطلين ماء.

[2] في الحدائق ١/ ٣٥٣: فتنشط.

غير ذلك.

وليحيى عقب بالمغرب، ورثاه بعضهم بقوله:

يا بقعةً مات بها سيِّدٌ ما مثلُهُ في الأرض من سيدِ
مات السدى[1] من بعده والندى وسُمِّيَ الدهر به معتدي
لا زال غيث الله يا قبره عليك منه رائحٌ مغتدي
فكم حيَا قد حزت من وجهه وكم ندى يحيى به المجتدي
كان لنا غيثاً به نرتوي وكان كالنجم به نهتدي
فإن رمانا الدهر عن قوسه وخاننا في منتهى السؤددِ
فعن قليل نبتغي ثأره بالحسني الثائر المهتدي
إنّ ابن عبد الله يحيى ثوى والمجد والسؤدد في ملحدِ

ثم سلط الله تعالى عدوه هارون على الفضل بن يحيى وأبيه وأخيه، أعوانه على ظلم الأمة وقتل الأئمة، فقتلهم أشر القتل بعد أن أذاقهم الوبال، وجرعهم غصص النكال، ثم خلد الله هارون في نار الجحيم، لصدق قوله في كتابه الكريم، وخلِّد يحيى في جنات النعيم.

قال في «البحر»: ولا يعرف ليحيى بن عبد الله مشهد، إلا أنه مات في دار خلافة بغداد جوعاً وعطشاً، في سجن هارون لعنه الله تعالى في سنة نيف وسبعين- بتقديم السين على الباء- ومائة.

---

(1) في المقاتل ٤٠٥: الهدى.

[ذكر الإمام إدريس بن عبد الله]

والرابع من أولاد الكامل: الإمام الأعظم **إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن** عليه السلام، أمه عاتكة بنت الحارث بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومي.

جمع عليه السلام خصال الشرف وحذا حذو السلف، وكل له بعلو المنزلة اعترف، ولما جمع العلم والزهد والدين قصد بلاد الغرب بعد أن حضر وقعة فخ، وأبلى فيها بلاءاً حسناً، وكان أهل الغرب في أيام الحج قد عرفوه وشاهدوه يقاتل، وقد اصطبغ قميصه دماً، فشهر نفسه في نواحي الغرب[1]، ودعا إلى الله هناك، فلبّى لدعوته خلق كثير.

وكانت له مواقف كثيرة ومحاربات جمّة، ظهر فيها على الجنود العباسية والخوارج، ولما بلغ هارون خروجه وقوة جانبه قلق حتى هابته حاشيته، واجتنبوا كلامه خوفاً من سطوته، فجاء يحيى بن خالد فأخبروه، فجاء من تلقاء وجهه فقال: يا أمير المؤمنين، مالي أراك كئيباً؟ فإن كان لحدثٍ أو فتقٍ فلم يزل ذلك يقع على الملوك ثم يؤول الأمر إلى المحبوب، وإن كان لأمر نفديك فيه بأنفسنا وأموالنا فهي لك الفداء، وإن كان لأمر لا تكفي فيه نفوسنا وأموالنا سألنا الله كفايته. فقال: إن عاملنا بإفريقية ذكر لي في كتابه خروج إدريس بن عبد الله، وقد علمت ما بيننا وبين الطالبية، ما هو إلا خروجهم

---

(1) يعني بالغرب: غرب إفريقيا أو المغرب العربي حاليا.

وكان القتل، فقال: لتطب نفس أمير المؤمنين فإني أكفيه أمر إدريس فلا تعرف هلاكه إلا مني، فطابت نفس هارون، فاستعمل سماً وأمر به فسمِّم له عليه السلام. **قال بعض الناس**: أن السم الذي أرسلوا به كان على يدي سليمان بن جرير أحد شيوخ الزيدية ومتكلميها.

وهذه الرواية مذكورة في «الحدائق الوردية» قال الزحيف: ووجدتها أيضاً مكتوبة بخط الأمير الحسين بن محمد صاحب «التقرير» يرويها بسنده إلى أحمد بن عيسى بن زيد عليهم السلام، قال: جاء رجل من العراق يقال له: سليمان بن جرير، وكان أولاً مع إدريس فخالفه في شيء، وقد كان أعطاه هارون مائة ألف درهم على أن يقتله، فدخل إدريس الحمّام فأرسل إليه سليمان بسمكة فحين أكل منها أنكر نفسه وقال: بطني، أدركوا سليمان، فطُلب في منزله فلم يوجد، فجروا إثره، فامتنع من المسير معهم وقاتلهم، وضُرب في وجهه وفي يديه ضربتين، فالتي في يده قطعت إحدى أصابعه، وفاتهم هرباً[1].

وقيل: بل الذي سمّه الشماخ مولى لبني العباس خرج إلى هناك، فأظهر أنه متطبب شيعي، فشكا إليه إدريس وجعاً في أسنانه، فأعطاه شيئاً يستقى به عند الفجر وهرب في الليل، وفعل إدريس ما أمر به عند الفجر فقتله من بعد ثلاثة أيام؛ وفي ذلك يقول بعض شعراء العباسيين:

---

(1) مآثر الأبرار ٤٢٤، الحدائق الوردية ٣٥٩/٢.

أتظنٌّ يا إدريسُ أنّك مفلتٌ كيدَ الخليفة أو يقيك فِرارُ
فلْيُدركنّك أو تحل ببلدةٍ لا يهتدي فيها إليك نهارُ
إنّ السيوفَ إذا انتضاها شخصه طالت وتقصر دونها الأعمارُ
ملكٌ كأنَّ الموتَ يتبعُ أمره حتى يقال تطيعه الأقدارُ

قال في « مقدمة البحر »: ودعا في سنة نيف وسبعين ومات مسموماً سنة نيف وتسعين ومائة، ومشهده بطُلَيْطُلَةَ[1].

[ذكر الإمام إدريس بن إدريس وولده]

وله ولد اسمه إدريس[2] وكان من سادات العترة قال المهدي في «مقدمة البحر»[3]: ثم إدريس بن إدريسّ قام ودعا في سنة نيف وتسعين ومائة، ومات بأرض الغرب سنة ثماني عشرة ومائتين ومشهده بطليطلة مع أبيه.

---

(1) الذي في (مقدمة البحر) ص٢٢٧ المطبوع: قام ودعا بأرض المغرب ومات مسموما ومشهده بطليطلة من أعمال المغرب ونواحيها سنة نيف وسبعين ومائة (راجع ذلك) والصحيح في تاريخ وفاته سنة ١٧٥هـ وقيل ١٧٧هـ في مدينة وليلي (قرب مراكش حاليا).

(2) إدريس بن إدريس: من الأئمة في المغرب الأقصى، ولد في مدينة وليلي سنة ١٧٥هـ وتوفي أبوه وأمه حامل به، فقام بشؤون البربر راشد مولى أبيه إدريس وأمينه، وقتل راشد سنة ١٨٦هـ فقام بكفالته أبو خالد العبدي حتى بلغ الحادية عشرة فنصبه البربر في جامع وليلي سنة ١٨٨هـ فتولى بلاد أبيه وكان جوادا فصيحا حازما، أحبته رعيته واستمال أهل تونس وطرابلس الغرب والأندلس إليه، واختط مدينة فاس سنة ١٩٢هـ وانتقل إليها، وزار تلمسان وكان أبوه قد افتتحها فأصلح سورها وجامعها وأقام فيها ثلاث سنوات ثم عاد إلى فاس، واقتطع المغربين (الأقصى والأوسط) عن دعوة العباسيين من لدن السوس الأقصى إلى وادي شلف، وصفا له ملك المغرب، وضرب السكة باسمه، توفي بفاس سنة ٢١٣هـ راجع الأعلام ١/ ٢٧٨، التحف شرح الزلف ١٤٣، وسائر كتب المغرب العربي.

(3) راجع النص في المطبوع من مقدمة البحر ص ٢٧٧ فهناك تباين في النقل.

قلت: ثم ولده المثلث إدريس بن إدريس بن إدريس[1] وعقبه بالمغرب، وملك منهم جماعة، وهم مذكورون في التواريخ، ولم أقف على ذكر دعوة هذا المثلث فأذكرها.

قال ابن أبي الحديد في معرض مفاخرة بين بني هاشم وبني أمية: فإن افتخرت الأموية بملوكها بالأندلس من ولد هشام بن عبد الملك، واتصال ملكهم وجعلوهم بإزاء ملوكنا بمصر، قلنا لهم: ألا إنا الذين أزلنا ملككم بالمغرب كما أزلنا ملككم بالشام والمشرق كله، لأنه لما ملك قرطبة الظافر[2] من بني أمية خرج عليه علي بن حمود بن منصور[3] بن أحمد بن علي بن عبيد الله بن عمر بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، فقتله وأزال ملكه، وملك قرطبة دار ملك بني أمية، وتلقب بالناصر، ثم قام بعده أخوه القاسم ابن حمود وتلقب بالمأمون، ثم قام بعده يحيى بن علي بن حمود وتلقب بالمُعتلي، فنحن قتلناكم وأزلنا ملككم في المشرق والمغرب انتهى.

فإدريس الأول وولده المثنى عدَّهما في «البحر» من الأئمة، وهو

---

(1) قال عنه في المصابيح لأبي العباس الحسني ٤٥٨: ثم أوصى إلى ابنه إدريس بن إدريس بن إدريس بن عبد الله، فأقام مقام أبيه يعدل بين الناس على سيرة آبائه وأجداده، وهو أحد علماء آل محمد وهم إلى الغاية يتوارثون أرض المغرب.

(2) الظاهر: هو سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الملقب بالناصر.

(3) كذا الأصل، والصواب: ميمون.

الصحيح. وأما الحاكم في « شرح العيون » فعدَّ إدريس هذا فقال: إن إدريس هذا في الطبقة التي عد فيها المقتصدين، لأنه ذكر فيها محمد بن صالح ومن جرى مجراه انتهى.

وقد أشرنا في «الدامغة» إلى ما ذكره ابن أبي الحديد من خلافتهم في المغرب وملكهم بها.

[ذكر الإمام موسى الجون]

والخامس من أولاد الكامل: موسى بن عبد الله، ولم أظفر له بذكر دعوةٍ إلا ما مرَّ في ترجمة أخيه محمد بن عبد الله عليه السلام، إلا أنه سل سيفه في نصر الدين ودعا إلى إخوته الأئمة السابقين.

وذكر الحاكم في « شرح العيون »: أن موسى خرج بمكة وبايعه الخلق، ثم استتر حتى مات، قال: وكان جامعاً لشروط الإمامة، وسيأتي كلام الحاكم في آخر الترجمة.

ثم وجدت والحمد لله ما لفظه: قال أبو الفرج: أم موسى بن عبد الله هند بنت أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى، ولدته هند ولها ستون سنة. قال: وكان موسى يقول شيئاً من الشعر، فحدثني أحمد بن سعيد قال: حدثني يحيى بن الحسن قال: كتب موسى إلى زوجته أم سلمة بنت محمد ابن طلحة بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي قحافة أم ابنه عبد الله يستدعيها إلى العراق بقوله:

لا تتركيني بالعراق فإنّها ... بلاد بها أس[1] الخيانة والغدرِ

فإني مليء أن أجيء بضُرّةٍ ... مقابلة الأجداد طيّبة النَّشْرِ

إذا انتسبت من آل شيبان في ... ومُرّةَ لم تحفل بفضل أبي بكرِ

وله في المعنى:

وإني زعيمٌ أن أجيء بضرةٍ ... فواسية[2] فرَّاسةٍ للضرائرِ

فتكرم مولاها وترضي حليلها ... وتقطع من أقصى أصول الحناجرِ

وله عليه السلام:

لئن طال ليلي بالعراق لقد مضت ... عليَّ ليال بالنظيم قصائرُ

إذا الحي مناهم معلاء فاللوى ... فمشعر[3] منهم منزل فقراقرُ

وإذ لا يريم[4] البئر بئر سويقةٍ ... قطينٌ بها فالحاضر المتجاورُ

وروى أبو الفرج أيضاً قال: حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: قال أحمد بن الحارث عن عمر بن خلف الباهلي عن بعض الطالبيين، قال:

لما قتل أصحاب فخ جلس موسى بن عيسى العباسي بالمدينة، وأمر الناس بالوقيعة على آل أبي طالب، فجعل الناس يوقعون حتى لم يبق أحد، فقال:

---

(1) في الأصل: «رأس» والتصويب عن المقاتل ٣٧٣.

(2) في المقاتل: قراسية، وفي الهامش: القراسية الضخمة (لسان العرب).

(3) في الأصل: «معلى وباللوى فمعسر» والتصويب عن المقاتل.

(4) في الأصل: «لا يرم» وهو خطأ.

بقي أحد؟ فقيل له: موسى بن عبد الله؛ وأقبل موسى على الأثر وعليه مدرعة وإزار غليظ، وفي رجليه نعلان من جلود الإبل، وهو أشعث أغبر حتى قعد في طرف الناس فلم يسلم عليه، وإلى جنبه السري بن عبد الله من ولد الحارث بن
عبد المطلب، فقال لموسى بن عيسى: دعني أكشف عليه باله، وأعرفه نفسه، قال: أخافه عليك، قال: دعني، فأذن له فقال: يا موسى قال: أَسْمَعت فَقُلْ، قال: كيف رأيت مصارع البغي الذي لا تدعونه على بني عمكم المنعمين عليكم؟ فقال موسى ابن عبد الله: أقول في ذلك:

بني عمّنا ردُّوا فضولَ دمائنا يَنَمْ لَيْلُكُمْ أو لا تلمنا اللّوائمُ

فإنا وإياكم وما كان بيننا كذي الدَّين يقضي دينه وهو راغمُ

فقال السري: والله ما يزيدكم البغي إلا ذلة، ولو كنتم مثل بني عمكم سلمتم - يعني موسى بن جعفر- وكنتم مثله، فقد عرف حق بني عمه وفضلهم عليه، فهو لا يطلب ما ليس له. فقال موسى بن عبد الله:

فإنَّ الألى تثني عليهم تعيبني أولاك بنو عمِّي وعمُّهم أبي

فإنك إن تمدحهم بمديحةٍ تُصَدَّق وإن تمدح أباك تُكَذّبِ

وروى في « الجليس الممتع » قال: قال موسى بن عبد الله عليه

السلام[1]:

إذا أنا لم أقبلْ من الدهر كلما ... تَكَرَّهتُ منه طال عَتْبي على الدهرِ

إلى اللهِ كل الأمر في الخلق كلهم ... وليس إلى المخلوق شيء من الأمرِ

تَعَوَّدتُ مسَّ الضر حتى ألفته ... وأسلمني حسن العزاء إلى الصبرِ

ووسّع صدري للأذى (الأنس بالأذى ... وإن كان أحياناً)[2] يضيق به

وصيّرني يأسي من الناس راجياً ... لسرعة لطف الله من حيث لا أدري

قال: وهو القائل:

تولتْ بهجةُ الدنيا ... فكُلُّ جديدِها خَلَقُ

وخانَ الناسُ كُلّهمُ ... فما أدري بمن أثقُ

رأيتُ معالِمَ الخيرا ... ت سدتْ دونَها الطرقُ

فلا حسبٌ ولا نسبٌ ... ولا دينٌ ولا خُلقُ

فلستُ مُصَدَّق الأقوا ... م في شيء وإن صدقوا

انتهى ما ذكره صاحب الجليس الممتع.

قال في « مقاتل الطالبيين» لأبي الفرج الأصبهاني: عن موسى بن عبد الله قال: لما صرنا بالربذة حين حملنا أبو الدوانيق من المدينة أرسل أبو جعفر إلى أبي: أن أرسل إليّ أحدكم، واعلم أنه غير عائد إليك أبداً.قال: فابتدرته بنو إخوته يعرضون أنفسهم عليه، فجزاهم خيراً وقال لهم: أنا أكره أن أفجعهم بكم، ولكن

---

(1) الأبيات في مصادر عديدة منسوبة لأبي العتاهية راجع مقاتل الطالبيين ٣٥٩.

(2) ما بين القوسين جاء عند غير المؤلف: كثرة الأذى وقد كنت أحيانا.

اذهب أنت يا موسى. قال: فذهبت وأنا يومئذ حدث السن، فلما نظر إليَّ قال: لا أَنْعَمَ الله لك عيناً، السياط يا غلام، قال: فضربت حتى غشي عليَّ فما أدري بالضرب، ثم رفعت السياط واستدناني، وقال: أتدري ما هذا؟ هذا فيض فاض مني فأفرغت منه عليك سجلاً، ومن ورائه والله الموت أو تفتدى مني. ثم أمرني إلى المدينة للتجسس على أخوي محمد بن عبد الله وإبراهيم بن عبد الله، فقدمتها وأقمت بها شهوراً، فكتب رياح[1] إلى أبي جعفر الدوانيقي أن موسى مقيم يتربص بك الدوائر، وليس عنده شيء مما تحب، وكان ذلك سبب ظهور محمد بن عبد الله.

قال: ووجهه محمد بن عبد الله إلى الشام يدعو إليه، فقتل محمد قبل أن يصل موسى وقيل: إنه رجع إليه فشهد معه مقتله، ثم هرب حتى أتى البصرة مستتراً، فأقام بها وكان الوالي على البصرة محمد بن سليمان، فسعي بموسى إليه، فأخذه هو ومن معه، وكان معه ابنه ومواليه، فقال له محمد بن سليمان: لا قرب الله قرابتكم، ولا حيّى وجوهكم، تركتم كل بلد في الأرض إلا بلداً أنا فيها، فإن وصلت أرحامكم عصيت أمير المؤمنين، وإن أطعت أمير المؤمنين قطعت أرحامكم، ولكنه أولى بكم مني، فحملهم إلى المنصور، فضرب موسى بن عبد الله خمسمائة سوط، وقد قيل: إن موسى لم يزل محبوساً حتى أطلقه المهدي، وتوارى بعد ذلك حتى مات والله أعلم.

وقد ذكر الحاكم في « شرح العيون » أن موسى بن عبد الله بن الحسن بن

---

(1) هو رياح بن عثمان والي المنصور الدوانيقي على المدينة.

الحسن عليهم السلام خرج بمكة وبايعه الخلق ثم استتر عليه السلام ومات، قال: وكان جامعاً لشروط الإمامة، ولم يذكر وقت خروجه إلا أنه ذكره بعد ذكر يحيى بن عبد الله عليه السلام.

(ولده الإمام عبد الله بن موسى)

ومن أولاد موسى بن عبد الله: **عبد الله بن موسى**[1].

وكان فاضلاً عالماً نبيلاً، من أعيان أهل البيت عليهم السلام، وطلبه المأمون بعد موت الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، وتلطف في أمره برسالة ألقاها إليه وذكر فيها لأهل البيت فضلاً، واعتد بغيره عمن عفا عنه منهم، وذكر أنه يريد أن يقيمه مقام علي بن موسى الرضا، ويعيد له البيعة على العباسيين وغيرهم.

فأجابه عبد الله برسالة طويلة منها قوله: فبأي شيء تعتذر مما فعلته بأبي الحسن من إطعامك إياه السم حتى قتلته، والله ما يقعدني من ذلك خوف الموت ولا كراهة له، ولكن لا أجد لي فسحة في تسليطك على نفسي، ولولا ذلك لأتيتك حتى تريحني من هذه الدار الكدرة[2]، وهذه الرسالة موجوّدة مستوفاة في كتب أبي الفرج.

***

---

(1) راجع عنه التحف شرح الزلف ١٥٤، طبقات الزيدية الكبرى (خ).

(2) راجع ذلك مقاتل الطالبيين ٤٩٩.

والقائم الحسن المأسور عن غرر   والغدر والمكر للباغين كالحلل

به استعانوا على تثبيت ملكهم   فكم أتوا فيه من مكرٍ ومن حيل

والحمد لله أهل البيت كلهم   مثل الجواهر قد صينت عن الدَّغل

[ذكر الإمام الحسن بن إبراهيم]

الحسن المذكور: هو الحسن بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن المثنى هكذا في «مقدمة البحر » ثم قال فيها: قام ودعا في نيف وستين ومائة في البصرة، ومشهده بها، والمعارض له محمد المهدي.

وفي «شرح الزحيف» وغيره: **هو الحسن بن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن المثنى**[1]، ذكر السيد أبو العباس رضي الله عنه أنه دعا، وروى له دعوة عجيبة، قال الزحيف: تركت ذكرها اختصاراً.

قال: فلما بلغت دعوته اجتمعت إليه الشيعة، وكان مستتراً بالبصرة، والشيعة يلقى بعضهم بعضاً بأسبابه، فسعى به قرين بن يعلى الأزدي إلى أبي الدوانيق، فأعطاه ثلاثة آلاف درهم وأرسل معه مرغيد[2] النصراني في جماعة من الأعوان، وكتب إلى صاحب البصرة بالسمع والطاعة له، فأقبلوا حتى نزلوا البصرة، فأقبل مرغيد يظهر العبادة والتأله ومذهب الشيعة، ومضى قرين إلى الحسن فأخبره خبره، وعرّف بينه وبين الشيعة، فجعلت

٢

(١) الصواب في نسبه ما جاء في شرح الزحيف.

(٢) الغين انقطناها من المصابيح وهي مهملة في الأصل.

الشيعة تصف نسكه للحسن حتى صار الحسن مشتاقاً للقائه، ومرغيد مع ذلك لا يترك صلة الحسن بالأموال، ويقول له: استعن بها على أمرك، وكلما كتب إليه الحسن كتاباً وضعه على رأسه وعلى عينيه، وأكل ختمه يريد بذلك في رأي العين التبرك إلى أن قالت له الشيعة يوماً: إن الحسن يشتهي لقاءك، قال لهم: أخشى أن أشهر أمري، ولكن أنا في حجرة فلو جاءني مع هذا - وأومى إلى قرين - رجوت أن يكون أغبى لأمره.

فأجابته الشيعة إلى ذلك، وعمل مرغيد فهيأ القيود والرجال، فلما وافاه الحسن قيّده، وحمله من ساعته إلى أبي جعفر على البريد، فلما وصل الحسن أمر بحبسه، وبعث عميراً مولاه فأخذ قريناً وأخاه، فعذبهما حتى قتلهما، فقال في ذلك بعض الشيعة:

حمدتُ الله ذا الآلاء لما رأيت قرين يحمل في الحديد

والله أعلم هل غيظاً من المنصور عليهما حيث سعيا بالحسن، وكلفاه على حبسه فجازاهما، أم لغير ذلك[1].

قالوا: ثم إن سليمان بن الجنيد الطحاوي الصقيل[2] عمل في خلاص الحسن بعد موت أبي الدوانيق من السجن، وقد كان الحسن دفع إلى سليمان ابنه وبنته فسماهما بغير اسميهما ورباهما، وكان اسم الولد عبد الله والبنت

(١) يحقق ذلك من المظان.

(٢) في المصابيح ٤١١ و المآثر: الصيقل.

خديجة. فلما أفضت الخلافة إلى المهدي أطلق كل من كان في السجن غير الحسن ورجل آخر، فقال سليمان للحسن: قد كنت أظن أنك ستطلق، وما أرى القوم مخرجيك ما دمت حياً، فهل لك أن أعمل في خلاصك! فقال: افعل على اسم الله.

قال سليمان: فأتيت يعقوب بن داود[1] فشاورته في ذلك، فقال لي: اعمل فإنها فرصة يمكن العمل فيها، قال: فخرجت إلى أصحابي الزيدية وفيهم أبو الجوزاء[2] وكان فاضلاً، فإنه صاح بالمهدي يوماً وهو يخطب: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ**﴾ [الصف:٢] فأمر به فأدخل عليه، فقال له: ما حملك على ما صنعت اليوم؟ قال له: قول الله تعالى:﴿ **وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ** ﴾ [آل عمران:١٨٧] فاتق الله، قال: ويلك! من أنت؟ قال: رجل من المسلمين أمرك بمعروف فاعرفه، ونهاك عن منكر فانكره، فضربه بعمود كان في يده حتى غشي عليه عامة النهار، ثم دفعه إلى الربيع - وهؤلاء الذين كانوا من الزيدية، فقال لهم سليمان: كونوا على عدة، فإني أريد أن أنقب على هذا الرجل، فأجابوه بأجمعهم، فعمل في ذلك حتى نقبوا المطبق وانفتح الحصن، وخرج الحسن عليه السلام وعليه كساء شعر أسود، وقد ضرب شعره منكبيه، وكان علاجهم في النقب نصف نهار لما أراد الله من إطلاقه وتسهيل أمره، فخرج من الحبس يمشي ويتعثر

---

(١) هو الوزير يعقوب بن داود السلمي وكان له ميل إلى الزيدية راجع عنه مطلع البدور ٤/ ٥١٦-٥١٩.

(٢) في المصابيح: أبو الحوراء.

لا يستطيع المشي، والناس يستحثونه، فقال: لا أقدر على الخطو، ثم أُتي له بحمار فركبه حتى أتى منزلاً في خان فنزل فيه، وأتي إليه بابنه عبد الله وهو لا يعرفه فسلَّم عليه، واعتنقا يبكيان، وسليمان يبكي لبكائهما، ثم تَحَمَّلَ بعد ذلك إلى الحجاز، فأقام فيه بأمان من المهدي حتى توفي عليه السلام ورحمة الله وبركاته، والله الحاكم بين عباده، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وصلى الله وسلم على محمد وآله.

[ذكر الإمام عبد الله بن محمد الملقب بالأشتر]

وصاحب السند عبد الله قام به داعٍ إلى الله أهل السند كالرسل
فأسلموا واستجاب الله دعوته بأن هداهم إلى صاف من السبل
فقام فيهم بأمر الله ذو عمل ولم يزل فيه يدعو سائر الملل
حتى أتته جنود البغي قاصدة عن أمر ملتزم للبغي محتمل
فألحقوه بآباءٍ له سلفوا مضى شهيداً بسيف الفاسق الرذل
من بعد صادق صولات له شهدت بالمجد والجود والإقدام في الهول(١)

صاحب السند هو: الإمام الأعظم عبد الله بن الإمام المهدي لدين الله النفس الزكية محمد بن عبد الله عليه السلام، ويلقب عبد الله بالأشتر، وخرج على أبي الدوانيق في آخر مدة خلافته بالسند وأرض كابل.

---

(١) هاله الشيء يهوله هولاً أي أفزعه، والتهويل: التفزيع، والتهاويل: ما هالك من شيء، ذكر ذلك في الصحاح، فاستعير هنا للإقدام على ما يهول وهو الموت تحت ظل السيوف. (تمت مؤلف).

وكان السبب في خروجه إلى هناك في الابتداء أن عبد الجبار بن عبد الرحمن صاحب خراسان كتب إلى النفس الزكية أن أنفذ إليَّ ولدك أدعو لك؛ لأن
أبا الدوانيق هَمَّ بعزله بعد أن ضبط له خراسان، فسار إليه عبد الله في أربعين رجلاً أو خمسين إلى مدينة هراة، وقبل وصوله إلى عبد الجبار خرج إلى السند، وبقي بها أربع سنين يدعو الناس إلى الإسلام، فأسلم على يديه خلق كثير وكان على السند من قبل أبي الدوانيق هشام بن عمرو التغلبي، فوقع بينهما قتال كثير قتل من الفريقين زهاء ثلاثة آلاف رجل، وكان بينهما قدر خمسين وقعة في مقدار سنة، فقتل عبد الله هذا وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، وكان فارساً شجاعاً، وكان يقاتل راجلاً أيضاً، وقتل في سنة إحدى وخمسين ومائة في شهر شعبان، بعد قتل أبيه بخمس سنين.

فلما قتل هناك رُدَّ أهله وولده إلى الكوفة بعد موت أبي الدوانيق، فعقبه بها، فقتل عبد الله بالسند، وقتل أخوه علي بن محمد في سجن أبي الدوانيق بعد أن أخذ بمصر وحمل إليه، وأبوهما النفس الزكية بالمدينة، رضي الله عنهم وأرضاهم وجعل الجنة مأواهم.

ولفظ السند في الدامغة والشرح هذا هو لفظ الزحيف في شرحه، وفي «الترجمان» لابن المظفر بدل السند الهند في جميع شرحه.

وإلى تشتت قبور آل محمد عليهم السلام كأن الحسين السبط أشار بقوله

عليه السلام للنبي ص: يا أبتي من يزورنا على تشتتنا وتباعد قبورنا، فقال ص: «قوم من أمتي يريدون بذلك بري وصلتي، إذا كان يوم القيامة أخذت بأعضادهم فأنجيهم من أهوالها وشدائدها» وعنه ص: « من زار قبراً من قبورنا أهل البيت ثم مات في عامه وكل الله بقبره سبعين ملكاً يستغفرون له إلى أن تقوم الساعة» روى ذلك الهادي إلى الحق عليه السلام في أسانيده.

وروي أيضاً عنه ص أنه قال: «من زارني في حياتي أو زار قبري بعد وفاتي صلت عليه ملائكة الله اثني عشر ألف سنة»، ثم قال عليه السلام بلغنا: عن الحسين ابن علي أنه قال: يا رسول الله ما لمن زارنا؟ فقال رسول الله ص: «من زارني حياً أو ميتاً أو زار أباك حياً أو ميتاً، أو زار أخاك حياً أو ميتاً، أو زارك حياً أو ميتاً، كان حقاً على الله أن يستنقذه يوم القيامة».

وعنه ص: « من زار قبري وجبت له شفاعتي» انتهى من الأسانيد اليحيوية.

***

وكاظم الغيظ موسى ثم صفوته علي بن موسى الرضا الأوّاب خير
فزُرْ ببغداد موسى في جلالته وَزُرْ بطوسٍ أمير المؤمنين علي

[ذكر الإمام موسى الكاظم]

موسى هو: الإمام موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن

زين العابدين علي بن الحسين الشهيد السبط بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضوان الله وسلامه عليهم أجمعين، وأعاد من بركاتهم آمين.

وهو أحد أئمة الإمامية، وله فضائل واسعة، نذكر منها إن شاء الله شيئاً يسيراً فمنها: ما روي عن شقيق البَلْخي قال: خرجت حاجاً سنة تسع وأربعين ومائة فنزلت القادسية([1])، فبينما أنا أنظر إلى الناس وزينتهم وكثرتهم نظرت فتى حسن الوجه، فوق ثيابه ثوب صوف مشتملاً بشملة وفي يده نعلان وقد جلس منفرداً، فقلت في نفسي: هذا الفتى من الصوفية يريد أن يكون كلاً على الناس في طريقهم، والله لأمضين إليه ولأوبخنه، فدنوت منه، فلما رآني مقبلاً قال: يا شقيق ﴿**اجتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بعضَ الظَّنِّ إِثْمْ**﴾ وتركني ومضى، فقلت في نفسي: إن لهذا لأمر عظيم تكلّم على ما في نفسي ونطق باسمي، ما هذا إلا عبد صالح، لألحقنه ولأسألنه أن يحاللني، فأسرعت في أثره فلم ألحقه وغاب عن عيني، فلما نزلنا واقصه([2]) إذا هو يصلي وأعضاؤه تضطرب ودموعه تجري، فقلت: هذا صاحبي أمضى إليه واستحله، فصبرت حتى جلس فأقبلت نحوه، فلما رآني مقبلاً قال: يا شقيق اقرأ ﴿ **وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى**﴾ [طه:٨٢] ثم تركني ومضى فقلت: إن هذا الفتى من الأبدال، قد تكلّم على سري مرتين، فلما نزل

([1]) القادسية: قرية قرب الكوفة.

([2]) في الأصل: «فاقصة» بدون تنقيط وهو خطأ . وواقصة: منزل على طريق مكة.

بالاوى( ) إذا أنا به قائم على البئر وبيده ركوة يريد أن يستقي بها، فسقطت الركوة من يده [في البئر]، وأنا أنظر إليه، فرأيته قد رمق السماء وسمعته يقول: أنت ربي إذا ظمئت من الماء، وأنت قوتي إذا عدمت الطعاما، اللهم سيدي ما لي سواها فلا تعدمني إياها.

قال شقيق: فوالله لقد رأيت البئر وقد ارتفع ماؤها فمد يده وأخذ الركوة وملأها، وتوضأ وصلى أربع ركعات، ثم مال إلى كثيب رمل فجعل يقبض بيده ويطرحه في الركوة ويحركه ويشرب، فأقبلت إليه وسلمت عليه، فرد علي السلام، فقلت: أطعمني من فضل ما أنعم الله به عليك، فقال: يا شقيق لم تزل نعمة الله علينا ظاهرة وباطنة فأحسن ظنك بربك، ثم ناولني الركوة فشربت منها فإذا هو سويق وسكر، فوالله ما شربت قط ألذ منه، ولا أطيب ريحاً منه، فشبعت ورويت، وأقمت أياماً لا أشتهي طعاماً ولا شراباً.

ثم لم أره حتى دخلنا مكة فرأيته ليلة في جنب قبة زمزم نصف الليل وهو يصلي بخشوع وأنين وبكاء، فلم يزل كذلك حتى ذهب الليل، فلما رأى الفجر جلس في مصلاه يسبح ثم قام فصلى، فلما سلم من صلاة الصبح طاف بالبيت أسبوعاً، وخرج وتبعته فإذا له غاشية وموال وهو على خلاف ما رأيته في الطريق، ورأيت الناس يسلمون عليه، فقلت لبعض من رأيته بالقرب منه: من هذا الفتى؟ قال: هذا موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن

( ) كذا الأصل، وفي بحار الأنوار: فلما نزل زبالة.

الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، قلت: قد عجبت أن تكون هذه العجائب إلا لمثل هذا السيد انتهى من كتاب «جلاء قلوب العارفين» للشقيف رحمه الله تعالى.

وروي أن الرشيد لما نذر أن يمشي إلى بيت الله الحرام حافياً قلت: أو لزمه ذلك في عهده ليحيى بن عبد الله وحنثه فيه والله أعلم. كانوا يفرشون له في الطريق من ميل إلى ميل ويمشي عليها، فلما وصل مكة شرفها الله تعالى ابتدأ بالطواف وحده، فرأى أعرابياً يطوف ويزاحمه، فاغتاظ منه الرشيد وقال للحاجب: أقصره عن الطواف، فالتفت الحاجب إليه وقال له: قُمْ من أمير المؤمنين حتى يفرغ من طوافه، فقال له: إن الله قد ساوى بين عبيده في هذا البيت بقوله تعالى: ﴿ **سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِي**﴾ [الحج:٢٥] فلما سمع هارون مقالته إرتاع منه وقال للحاجب: دعه، ثم طاف الرشيد والأعرابي يسبقه إلى الركن والمقام، ولا يلتفت إلى الرشيد ولا يبالي به.

فلما فرغ الرشيد من طوافه قال للحاجب: اطلب الأعرابي، فقام إليه وقال له: أجب أمير المؤمنين، فقال: ما لي إلى أمير المؤمنين حاجة أبداً، فإن كان له حاجة فهو أحق مني بالقيام، فانصرف الحاجب إلى هارون وقال له: أرسلتني إلى رجل مجنون أعرابي من أهل البادية الجفاة، فقد استخف بحق الخلفاء، وأخبره بما قال، فقال الرشيد: نحن نقوم إليه وننظر كلامه، ثم نهض الرشيد إليه، والحاجب بين يديه، فسلم عليه فردَّ عليه السلام، فقال له هارون: يا أخ العرب أجلس هاهنا بإذنك، قال: ما البيت بيتي وما الحرم

حرمي حتى تستأذني فيه، البيت بيت الله والحرم حرم الله، فنحن فيه على سواء، فإن تحب تجلس فاجلس، وإن تحب تنصرف فانصرف. فقال له الرشيد: يا أخا العرب إني أسألك عن الفرض الذي كتب الله عليك، فإن كنت عرفته وقمت به فأنت بغيره أعرف، فقال: يا هذا سؤالك سؤال متعلم أم مجادل؟ قال: متعلم، قال: فاجلس مقابلاً لي حتى تسمع كلامي، ثم قال للرشيد: أعن فرض أو عن خمسة أو عن سبعة عشر أو عن أربعة وثلاثين، أو عن أربعة وسبعين، أو عن واحد من أصل اثني عشر، أو عن واحد من أربعين، أو عن خمسة من مائتين، أو عن واحد من طول العمر.

قال: فضحك الرشيد مستهزأً به، وقال: سألتك عن فرض واحد فأديت لي حسابات، فقال: لولا أن الدين بحسابات ما حاسب الله عباده يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿ **وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ**﴾ [الأنبياء:٤٧] الآية. قال: فتعجب الرشيد منه، وقال: فسر لي هذا الحساب هذه الساعة وإلا أمرت بضرب عنقك. قال الحاجب: يا مولاي هبه لله ولهذا البيت، قال: فضحك الأعرابي حتى استلقى على قفاه، فغضب الرشيد غضباً شديداً، وقال له: مم تضحك؟ قال: متعجباً منكما، ولم أدر أيكما أحمق، الذي استوهب أجلاً قد حضر، أم الذي يستعجل أجلاً لم يحضر، قال: فاهتال الرشيد من كلامه وقال: سألتك بالله أن تفسر لي هذه الحسابات! فقال له: أما فرض واحد فهو دين الإسلام، وأما الخمسة فالخمسة الفروض، وهي سبعة عشر ركعة، وأربعة وثلاثين سجدة، وأربعة وسبعين تكبيرة. وأما واحد من اثني عشر

فهو شهر رمضان، وأما واحد من أربعين فزكاة أربعين مثقالاً، وأما الخمسة من مائتين فزكاة مائتي درهم، وأما الواحد في طول العمر فالحج إلى البيت الحرام.

قال: فتعجب الرشيد منه، وأحبه حباً شديداً، ثم سأل عنه فقالوا: إنه موسى الرضا[1] ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط الشهيد بن أمير المؤمنين علي المرتضى بن أبي طالب عليهم السلام؛ فقيل: إن الرشيد قَبّلَ رأسه، وأمر له بمال جزيل وكسوة، فلم يقبلها، فقال الرشيد: الله أعلم حيث يجعل رسالاته.

وكان لباسه عليه السلام لباس الزهاد، وكان يخفي نفسه، ويعبد الله في الجبال والقفار.

وفي كتاب «مروج الذهب» للمسعودي: عن موسى بن جعفر عليهما السلام وكان في حبس الرشيد قال: بينما أنا نائم إذ أتاني النبي ص فقال: يا موسى، حُبِستَ مظلوماً فقل هذه الكلمات، فإنك لا تبيت هذه الليلة في الحبس، فقلت: بأبي وأمي أنت ما أقول؟ قال: قل: « يا سامع كل صوت، ويا سابق الفَوْت، ويا كاسي العظام لحماً ومنشرها بعد الموت؛ أسألك بأسمائك الحسنى، وباسمك العظيم الأعظم الأكبر المخزون المكنون الذي لم يطّلع

---

[1] كذا الأصل، ولربما الصواب: الكاظم.

عليه أحد من المخلوقين، يا حليماً ذا أناة لا يقوى على أناته أحد، يا ذا المعروف الذي لا ينقطع أبداً، ولا يحصى عدداً[١]،

يا رحمن يا رحيم، يا حي يا قيوم اجعل لي من أمري فرجاً ومخرجاً، إنك على كل شيء قدير». قال: فأمر الرشيد بإطلاقه، فلم يلبث في الحبس والله أعلم انتهى.

وتوفي عليه السلام لخمس بقين من رجب سنة ثلاث وثمانين ومائة، وقيل: سنة ست وثمانين ببغداد، قيل: أنه توفي مسموماً. وقال الخطيب: توفي في الحبس، وقبره في مقابر الشونيزيين[٢] خارج القبة في الجانب الغربي ومشهده مشهور مزور، وفي مشهده من قناديل الذهب والفضة وأنواع الآلات والفرش مالا يحد، ذكر ذلك ابن خلكان في تاريخه.

[ذكر الإمام علي بن موسى الرضا]

وأما ولده علي الرضا فهو الإمام المشهور، والعالم المذكور، وأحد أئمة الإمامية، عقد له المأمون بن الرشيد بالخلافة عهداً، وزوّجه ابنته، وزوج ابنه محمد الجواد ابنته الأخرى، وضرب السكة باسمه، وأمر بذكره في الخطبة، وكان الخطيب يقول إذا ذكر نسبه وعدد آباءه:

---

(١) في الأصل: «ولا يحصيك غيرك» والتصويب عن مروج الذهب ٣/ ١٣٧.

(٢) الكلمة غير منقوطة في الأصل فاستوضحناها عن ابن خلكان انظر وفيات الأعيان ٥/ ٣١٠.

ستة آباءٍ همُ ما همُ أكرمْ من يشرب صوب الغمام

وجعلت الألوية والعمائم خضراً شعاراً له عليه السلام، وكان شعار بني العباس السواد، فيقال لهم: المسودة، ويقال: إن المأمون إنما فعل ذلك ليستميل به قلوب الناس، ورَدَّ أيضاً فدكاً على ولد فاطمة، وقد أشار إلى ذلك من قال:

أصبحَ وجهُ الزمان قد ضحكا بِرَدَّ مأمونٍ هاشمٍ فدكا

إلا أنه يروى أنه سم علي بن موسى بعد ذلك في آخر شهر صفر سنة اثنتين ومائتين في عنب، وقيل: في رمان، وذلك في مدينة طوس، فقبر بها، وصلّى عليه المأمون، وقبره إلى جنب قبر أبيه هارون، وفي ذلك يقول دعبل رحمه الله تعالى:

قبرانِ في طوسَ خيرُ النَّاس كُلِّهمُ وقبرُ شرِّهمُ هذا من العبرِ
ما ينفع الرجس من قرب الزكي وما على الزكي بقرب الرِّجس من ضرر

وقال الينبعي في رسالته في القصيدة التي حث بها على طلب العلم:

ومن أعاجيب ما جاء الزمان به والدهر مغرى بتعكيس وتنكيسِ
إلصاق جثة هارون الرشيد إلى علي بن موسى الرضا بالرمس في طوس
هيهات ما كان يرضاه الإمام له مجاوراً وهو حيٌّ غير مرموسِ
وإنَّما قضت الأيام حاكمةً بذاك من جملة البأساء والبؤسِ

قلت: وأخبرني غير واحد من الزوار الطوافين للبلاد أن قبر هارون قد

هدم حتى ساوى الأرض، ورفع قبر علي بن موسى عليه السلام حتى أن تابوته أو أكثره فضة وذهباً، وأن الزوار إذا دخلوا لزيارته عليه السلام وضعوا نعالهم فوق قبر هارون وزاروا الإمام، وكل ذلك فعل الإمامية من العجم وغيرهم والزيدية، وقد أصابوا في ذلك ووفقوا، والحمد لله رب العالمين ولا عدوان إلا على الظالمين؛ ولله القائل:

من سرَّه أن يرَى قبراً برؤيته   يُفرِّج الله عمَّن زاره كُرَبه

فليأتِ طوساً فإنّ الله أسكنها   سلالةً من رسول الله منتجبه

قال في « جامع الأصول » لابن الأثير: وكان مقام علي بن موسى الرضا مع أبيه موسى بن جعفر تسعاً وعشرين سنة وأشهراً، وعاش بعد أبيه عشرين سنة، ومات وله من العمر تسع وأربعون سنة وستة أشهر. قال: وتوفي في سنة اثنتين(1) ومائتين، قال: وإليه انتهت إمامة الشيعة في زمانه، وفضائله أكثر من أن تحصى.

وعدَّه من المجددين على رأس المائتين من أهل العلم في الإمامية لأنه قال: ومن الإمامية علي بن موسى الرضا، ومن أولي الأمر المأمون بن الرشيد، انتهى كلامه واختياره؛ ونحن نقول: المجدد للدين على رأس المائتين القاسم بن إبراهيم عليه السلام.

---

(1) وعند غير المؤلف: ثلاث ومائتين وله من العمر خمس وخمسون سنة انظر التحف ١٥٢، عمدة الطالب ١٩٨.

قال في «شرح الهداية» في الفقه لمولانا ووالدنا صارم الدين إبراهيم بن محمد المؤيدي رحمه الله تعالى: وروى أحمد بن حنبل أن الإمام علي بن موسى الرضا

عليه السلام لما دخل سوق نيسابور وشقه[1] وعليه مظلة لا يرى من ورائها، فعرض له الحافظان أبو زرعة الرازي ومحمد بن أسلم الطوسي، ومعهما من طلبة العلم والحديث مالا يحصى، فتضرعا إليه أن يريهم وجهه، ويروي لهم حديثاً عن آبائه، فاستوقف البغلة وأمر غلمانه بكشف المظلة عن وجهه، وأقر عيون تلك الخلائق برؤية طلعته، وكان له ذؤابتان مدليتان على عاتقه، والناس بين صارخ وباك ومتمرغ في التراب، ومقبل لحافر بغلته، فصاحت العلماء: معاشر الناس انصتوا، واستملأ منه الحافظان المذكوران فقال: حدثني أبي موسى الكاظم عن أبيه جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن أبيه زين العابدين عن أبيه الحسين عن أبيه علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: حدثني حبيبي وقرة عيني رسول الله ص قال: «حدثني جبريل، قال: سمعت رب العزة يقول: لا إله إلا الله حصني، فمن قالها دخل حصني ومن دخل حصني أمن من عذابي» ثم أرخى الستر وسار فعد أهل المحابر والدوى الذين كانوا يكتبون فأنافوا على عشرين ألفاً.

---

[1] كذا عبارة الأصل. وفي المصادر: لما دخل نيسابور كان في قبة مستورة على بغلة شهباء وقد شق بها السوق، فعرض له الإمامان الحافظان إلخ.

وفي رواية أن الحديث المروي - يعني الذي أملاه عليه السلام - : «الإيمان معرفة بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان» فقال أحمد: لو قرأت هذا الإسناد على مجنون لبرئ من حينه انتهى.

***

قلت: وقد ذكرت الجواد محمد بن علي وزواجته ببنت المأمون، فأحببت أن أذكر منقبة عظيمة لولده أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن موسى الرضا عليهم السلام جميعا.

قال في « كنز الأحبار في الأخبار» في ترجمة المتوكل العباسي لا رحمه الله تعالى؛
ولم يكن أحد ممن تقدمه من أهل بيته ظهر في مجلسه العبث والهزل والمضاحك مثله حتى قتله ولده المنتصر لا رحمهما الله تعالى، قال: سُعي إليه بأبي الحسن علي بن محمد الجواد، وأن في منزله سلاحاً وكتباً من أهل قم وغيرهم من شيعته، وأنه قد عزم على الخروج عليهم والوثوب على الدولة في دار الملك؛ فوجّه إليه ليلاً عدة من الأتراك، فهجموا منزله على غفلة فوجدوه في بييتٍ منه يغلق عليه، وعليه درّاعة صوف وملحفة صوف مفترش الرمل والحصى، صافّاً قدميه في الصلاة، يترنَّم بآيات من الوعد والوعيد، ولم يوجد في منزله شيء مما قيل، ولا حالة يُتعلَّق بها عليه، فحملوه إلى المتوكل على حالته تلك، فلما دخل عليه أعظمه وأكرمه وأجلسه إلى جانبه، ومدَّ يده إليه بكأس من خمر كان في يده، فقال: يا أمير المؤمنين،

اعفني عنه فوالله ما خالط لحمي ولا دمي قطُّ؛ فأعفاه وقال: أنشدني شعراً استحسنه، فقال: إني لقليل الرواية للشعر، قال: لا بد أن تنشدني؛ فأنشد عليه السلام:

باتوا على قُلَلِ الأجبال تحرسهمْ غُلْبُ الرجال فلم تنفعهمُ القُلَلُ

واستنزلوا بعد عزّ من معاقلهم وأنزلوا حُفَراً يا بئس ما نزلوا

ناداهُمُ صارخٌ من بعد ما قبروا: أين الأسرّة والتِّيجان والحُلَلُ؟

أين الوجوه التي كانت منَعّمةً من دونها تضرب الأستار والكِلَلُ

فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم[1] تلك الوجوه عليه الدُّوْدُ يُقْتَتِلُ

قد طالما أكلوا يوماً وما شربوا فأصبحوا بعد طول الأكل قد أُكلوا

قال: فأشفق من حضر على علي بن محمد رضي الله عنه وظنّوا أن بادرة منه ستبدر إليه على سكره، قال: فوالله لقد بكى المتوكل بكاءً طويلاً حتى بلّت دموعه لحيته، وبكى من حضره؛ فأمر برفع الشراب ثم قال: يا أبا الحسن لقد لينت منا قلوباً قاسية، وذكرتنا ما أنساه النعيم، فأقسم بالله أعليك دَيْن؟ قال: نعم، أربعة آلاف دينار؛ فأمر بها وَرُدَّ إلى منزله من ساعته مكرماً.

وتوفي أبو الحسن علي بن محمد في جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين ومائتين بسامراء انتهى.

---

[1] في الأصل: «يسأله» والتصويب عن المسعودي راجع مروج الذهب ٣/ ٢٧١.

***

وقِفْ بفخٍّ ففيه بضعة دفنت من الرسول وقد سالت على الأسل

في حرمة البيت ضحّوا بابن فاطمة في أشهر الحج في أيامه الفُضل

في فتية من بني الزهرا جحاجحة أسد لدى الحرب بسامون للنَّزل

فأسبلت عبرات المؤمنين لما نال الحسين فما قلب رآه سلي

دعا إلى الله مرتاداً لنصرته وجاءه محرماً بالذكر في زجل

[ذكر الإمام الحسين بن علي الفَخِّي]

هو الإمام الأعظم أمير المؤمنين المهدي لدين الله رب العالمين أبو عبد الله **الحسين ابن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب** عليهم السلام، الشهيد بفخ.

نشأ على السداد وطرق الرشاد، جمع بين العلم والعمل، وأجابه أهل العقد والحل، روى العلماء فيه من الأخبار ما يشهد أنه الخيرة من الأخيار، وأنه العين في الأحبار؛ فروى أبو الفرج عن زيد بن علي عليه السلام قال: انتهى رسول الله ص إلى موضع فَخّ فصلى بأصحابه صلاة الجنائز وقال: «يقتل هاهنا رجل من أهل بيتي في عصابة من المؤمنين، تنزل عليهم الملائكة بأكفان وحنوط من الجنة، تساق أرواحهم إلى الجنة قبل أجسادهم» [1].

---

[1] مقاتل الطالبيين ٣٦٧، المصابيح ٤٦٤.

وروى أبو الفرج أيضاً عن محمد بن علي عليه السلام قال: مرَّ النبي ص بفخ، فصلى ركعة فلما صلى الثانية بكى وهو في المصلى[1]، فبكى الناس لبكائه، فقال: ما يبكيكم؟ وذلك بعد انصرافه، فقالوا: رأيناك تبكي فبكينا، فقال: نزل علي جبريل لما صليت الركعة الأولى فقال: يا محمد إن رجلاً من ذريتك يقتل في هذا المكان، وأجر الشهيد معه كأجر الشهيدين[2].

قالوا: وقد كان اشتهر من الكرم والجود بما لم يشتهر به عربي ولا عجمي في عصره، وعن بعضهم قال: بعثُ للحسين بن علي صاحب فخ حائطاً بأربعين ألف مثقال[3]، فسلمتها إليه على بابه، فما دخل إلى أهله ومنها مثقال واحد، وله قصص في الكرم باهرة، خارقة للعادة يطول ذكرها لكنه كان يعطي ما يجد ويستدين إذا لم يجد، ويقول: والله ما أظن أن لي عليه أجراً، لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ **لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾ [آل عمران:٩٢] والله ما المال عندي وهذه الحصى إلا بمنزلة واحدة.

وكان يحيى بن عبد الله بن الحسن وصنوه إدريس من أنصاره، وممن حضر معه وقعة فخ، وأبليا بلاءً حسناً، وإنما ذكرناهما قبله لما دعت إليه الضرورة مِنْ ذكرهما مع أبيهما وأخوتهما النفس الزكية وإبراهيم وموسى عليهما السلام ورحمة الله. ولما ولى موسى الهادي العباسي على المدينة رجلاً

---

(١) في المقاتل والمصابيح: في الصلاة.

(٢) مقاتل الطالبيين ٣٦٦- ٣٦٧.

(٣) في المقاتل: بأربعين ألف درهم.

من أولاد عمر بن الخطاب، فأساء المعاملة لمن فيها من الطالبيين، وطالبهم بالعرض في كل يوم، وأخذ كلاً منهم بكفالة قريبه ونسيبه، وجرى في ذلك خطب جسيم حتى أن الطالبيين هجموا على العُمَري داره بعد أن طلع مؤذنهم وقت [صلاة] الصبح المنارة، وأذّن بحي على خير العمل. وصاح العُمَري: اغلقوا البغلة على الباب، واطعموني حبتي ماء من الفشل والفزع.

قال الراوي: فولده يعرفون في المدينة ببني حبتي ماء.

قالوا: ثم هرب من داره على وجهه حتى نجا، وصلى الإمام الحسين بن علي بالناس صلاة الصبح، ثم خطب بعد الصلاة وقال بعد حمد الله والثناء عليه: أنا ابن رسول الله، على منبر رسول الله في حرم رسول الله ص، أدعوكم إلى سنة رسول الله ص [1]. أيُّها الناس تطلبون آثار رسول الله في الحجر والعود، تُمسحون بذلك[2]، وتدعون بضعة منه.[2]

ثم استخلف على المدينة وخرج قاصداً إلى مكة فيمن معه من أهله ومواليه وهم زهاء ثلاثمائة، فلما قربوا من مكة وصاروا بفخّ تلقتهم جيوش المسودة، قائدهم موسى بن عيسى، فعرض عليه العباس بن محمد الأمان والعفو والصلة فأبى ذلك.

وعن أبي العرجاء جمّال موسى بن عيسى قال: لما وصلنا بستان بني

---

(1) في الإفادة ٧٢: أدعوكم إلى كتاب الله وسنة رسول الله وإلى أن استنقذكم مما تعلمون.

(2) في المقاتل ٣٧٦: وتتمسحون بذلك وتضيعون بضعة منه.

عامر قال لي: اذهب إلى عسكر الحسين حتى تراه وتخبرني بكلما رأيت، قال: فمضيت ودرت فما رأيت خللاً ولا فللاً، وما رأيت إلا مصلياً ومبتهلاً، أو ناظراً في مصحف، أو معداً بسلاح، قال: فجئت إلى موسى وقلت: ما أظن القوم إلا منصورين علينا. فقال: كيف ذلك يا ابن الفاعلة؟ فأخبرته فضرب يداً على يد وبكى حتى قلت هو منصرف، فقال: هم والله أكرم عند الله منا، ولكن الملك عقيم، والله لو أن صاحب القبر- يعني النبي ص - نازعنا الملك لضربنا خيشومه بالسيف، يا غلام، اضرب طبلك ثم سار إليهم، فوالله ما انثنى حتى قتلهم، رواه في الحدائق[1].

قال: وكان أول من بدأهم بالقتال موسى بن عيسى قال: فحملوا عليه فاستطرد لهم حتى أوغلوا في الوادي، وحمل عليهم محمد بن سليمان من خلفهم فطحنهم طحنة واحدة حتى قتل أكثر أصحاب الحسين، وجعلت المسودة تصيح بالحسين: يا حسين لك الأمان، فيقول: الأمانَ أريد[2] فحمل عليهم فقُتِل، وقتل معه سليمان ابن عبد الله بن الحسن بن الحسن، والحسن بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن، وعبد الله بن إسحاق بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن.

ولما قتل الحسين عليه السلام حمل رأسه إلى الهادي موسى ودفنت جثته

---

(1) انظر الحدائق ١/ ٣٢٤، المقاتل ٣٨٠.

(2) يريد بذلك عليه السلام بقوله: الأمان أريد؛ أمان الآخرة بقتالكم عن دين الله (من هامش الإفادة).

الكريمة بفخ، ومشهده هنالك مشهور مزور، ولا عقب له.

وقتل وهو في إحدى وأربعين سنة[1]، وقبره من فخ عند بستان الديلمي في الزهراء[2]، أمر الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة عليه السلام إلى السيد الشريف أبي الحسن قتادة[3] بن إدريس بعمارته، فعمر عليه وعلى [الحسن بن] المهدي محمد ابن عبد الله النفس الزكية[4] قبة، وظاهر كلام الزحيف: أنه عمر على الحسين قبة أيضاً، ولا أدري هل عمرت ثم هدمت أم لم يعمر عليه إلا مشهده المعروف في عصرنا هذا، الذي حررنا فيه هذا الشرح، وهو في سنة سبع ومائة وألف.

قال الزحيف: وكانت عمارته بأمر المنصور في سنة إحدى وستمائة للهجرة.

والبَضْعة في البيت وفي خطبة الحسين عليه السلام- بفتح الباء بواحدة من أسفل وسكون الضاد المعجمة- هي القطعة من اللحم، ذكره في الشفاء.

ولبعضهم يرثي الحسين عليه السلام وأصحابه:

فلأبكينَّ على الحسيـ ـن بِعوْلَةٍ وعلى الحسنْ

---

(1) فيكون مولده عام ١٢٨هـ وحسبما ما ذكره المؤلف من تاريخ وفاته عام ١٢٧هـ.

(2) في الحدائق ١/ ٣٢٨: في الزاهر.

(3) في الأصل: «الحسن بن قتادة» وهو تحريف.

(4) زاد في الأصل: «في المدينة» فأسقطناها في الهامش.

وعلى ابن عاتكة[1] الذي واروه ليس له كفنْ

نزلوا بفخٍّ غُدوةً في غير مَنْزلة الوَطَنْ

كانوا كِراماً فانقضوا لا طائشين ولا جُبُنْ

غسلوا المذلّة عنهُمُ غَسْل الثِّياب من الدَّرَنْ

هُدِيَ العبادُ بجَدِّهمْ فلهم على النّاس المِنَنْ

رواه الشيخ أبو الفرج الأصبهاني لعيسى بن عبد الله[2].

وروى عن بعضهم قال: رأيت في النوم رجلاً ينشدني ويسألني أن أنشده هذه الأبيات فأنشدته إيّاها فقال: زد فيها:

قومٌ كرامٌ سادةٌ مَنْ هُمْ ومَنْ هُمْ ثم مَنْ

قال عبد الله الحسن بن صلاح الداعي عفا الله عنه حال تأليفه لهذا الشرح فقلت مرتجلاً:

هم خير من وطئ الثرى حقاً ومن لبس الجُنَنْ

همْ أهل بيت المصطفى أهل الفرائض والسُّنَنْ

قومٌ بهم وبجَدِّهم يرجى من الله المِنَنْ

في يوم لا يُغْنِي الحميـ ـم عن الحميم فيشفَعَنْ

---

(1) ابن عاتكة هو : سليمان بن عبد الله بن الحسن بن الحسن، قتل صبرا بعد معركة فخ.

(2) مقاتل الطالبيين ٣٨٤، مروج الذهب ٣/ ١٢٣.

ويح الخبيث بن الخبيـ ـث بن الخبيث المُمْتَهنْ[1]
ماذا تقول لجدهم ولهم إذا استعدى الحسنْ
والشاهد الملك الخبيـ ـر بما خفى وبما علنْ
ويلٌ لمن شفعاؤه خصماه ماذا استجنْ
باع السرورَ بحسرةٍ والدين للدنيا ثمنْ
حتى إذا نال المنى قلبت له ظهر المِجَنْ
وثوى بلحدٍ موحشٍ وبدا له ما قد كمنْ
فالنار مثواه ولا يرجو من الله المننْ
لا رحمة يرجو ولا عطفٌ عليه فَيُرْحَمنْ

وفخ على قدر ثلاثة أميال من الكعبة المشرفة، وبينه وبين مساجد عائشة قدر ميل.

قال في «الترجمان»: وقتل مع الحسين بن علي من أهل بيته جماعة غير من ذكر أولاً، ولما قتلوا وبقي من بقي منهم حملوهم مع الرأس إلى موسى الهادي، وكان فيمن بقي القاسم بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن، فلما حضر مجلس موسى قال له: والله لأقتلنَّك قِتْلَةً ما قتلها أحد قبلي أحداً قبلك يا ابن الفاعلة! فقال له القاسم: الفاعلةُ الصياحة[2] التي شريت بأموال المسلمين؛ أتهدّدني بالقتل لأصبرنّ لك صبراً ما صبره أحد قبلي، طلباً

---

[1] يريد بذلك: موسى بن المهدي بن المنصور أبي الدوانيق.
[2] في أخبار فخ ١٥٩: الصناجة.

لمرضاة الله تعالى. فأمر موسى بالمناشير فأقيم على كل عضو منه [منشار] حتى على وجهه، فما تأوّه قط ولا تحرك أبداً ولا قال آح حتى فرّقوا بين جميع أعضائه. فقال له موسى: كيف رأيت يا ابن الفاعلة؟ قال القاسم: يا مسكين لو رأيت ما أرى من الذي أكرمني الله به في دار المقامة، وما أعدّ لك من العذاب لرأيت حسرةً دائمة وتبينت النقمة العاجلة؛ ثم خرجت نفس القاسم رضي الله عنه وأرضاه، ثم وقعت بموسى الأكلة وعاجله الله تعالى بالنقمة.

ولما حضرت الوفاة محمد بن سليمان(1) أحد الأمراء لقتال الحسين عليه السلام لقنوه الشهادة فلم يتلقنها قط، بل يكرر هذا البيت:

ألا ليت أمي لم تلدني ولم أكن   لقيتُ حسيناً يوم فخٍّ ولا الحسنْ

وفي قتل الحسين عليه السلام يقول الهادي [العباسي]:

سلا همومي وأطفى نار مَوْجدتي   عونُ الإله على الأعداء بالظفرِ

في كل يومٍ لنا من أهلنا حسد   لما ملِكْنا وصرنا سادة البشرِ

إن يدفعوا بصغير الإرث أكبره   فما يقاس ضياء الشمس بالقمرِ

قال المهدي عليه السلام في « مقدمة البحر»: وكان قيام الحسين عليه السلام ليلة السبت لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة ثمان وستين(2)

---

(1) هو محمد بن سليمان بن علي العباسي، توفي عام ١٧٣هـ الأعلام للزركلي ٦/ ١٤٨.

(2) في المطبوع من (مقدمة البحر) ص ٢٢٧: تسع وستين ومائة. راجع الإفادة ٧٠.

ومائة، وقُتِل يوم التروية من ذي الحجة في هذا العام قدس الله روحه.

***

وهل ترى لابن إبراهيم قائمنا وصنوه ترجمان الدين من مثل

بحرا نوال ورَبًّا كل مكرمة سارت بذكرهما الركبان في الأول

ولم يزل سبط إبراهيم منتصراً للّهِ من كل ذي بغي من الدول

والناصران له قاما بدعوته وشايعاه بلا خوف ولا وجل

محمدان أقاما الدين وانتصرا للّهِ من كل ذي بغي وذي خطل

وناظر الملحد الزنديق قاسمنا فرده مسلماً والقوم في خجل

قد كان لَبَّس بالأقوال في عصب لم يعلموا غامضات العلم والجدل

حتى أتى القاسم الأواه مصرهم وبيّن الحق فاستعلى على الملل

ومات في الرس فاقصد قبره لترى نور النبوة عنه غير منتقل

هما الإمامان الأعظمان أمير المؤمنين أبو عبد الله، وقيل: أبو القاسم **محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب** رضوان الله عليهم أجمعين، وصنوه أمير المؤمنين **ترجمان الدين أبو محمد القاسم بن إبراهيم** عليهم السلام.

مَناسِبٌ ضياؤها يطفي ضياء الكواكب، وشأوها يعلو فوق متن الغياهب.

[ذكر الإمام محمد بن إبراهيم طباطبا]

فأما محمد بن إبراهيم فكان عليه السلام في زمانه عين العترة النبوية، وهالة قمر الليالي البدرية، قد انتهى إليه فضل آبائه مع سجاياهم وشجاعتهم وحسن سيرهم وأخلاقهم، وطال على أقرانه في زمانه، واشتهر بينهم في الزيادة في خصال الفضل والكمال، وفي العقل والنقل، ولم لا يكون كذلك وهو ممن عرف نسبه هنالك، وله من الكرامات مالا يتسع له هذه الجوابات.

فمنها: أنه ورد فيه عن سيد السادات ما لم يرد في غيره من ذوي الدرجات فقال: روى في كثير من كتب التواريخ ككتب أبي الفرج وغيرها بالإسناد إلى الإمام زيد بن علي عليه السلام يرفعه إلى النبي ص أنه قال: يبايع لرجل منَّا أهل البيت عند قصر الضرتين بالكوفة سنة تسع وتسعين ومائة في جمادى الأولى يباهي الله به الملائكة. قال حسن بن حسين بن زيد: فحدثت به الإمام محمد بن إبراهيم فبكى.

وروى أيضاً أبو الفرج بإسناده إلى أبي جعفر الباقر نحوه إلا أن لفظه: أنه يخطب على أعوادكم يا أهل الكوفة سنة تسع وتسعين ومائة في جمادى الأولى رجل منَّا أهل البيت يباهي الله به الملائكة، فكان هو المختص بهذه الكرامة الشريفة والآية الظاهرة الغريبة، وما ظنك بإمام ليس بينه وبين علي عليه السلام إلا طاهر مطهر وأم طاهرة زكية، ذكر ذلك كله في روضة المشتاق، ومثل هذا الحديث أورده الأمير محمد بن عبد الله في التحفة العنبرية.

[أما عن بيعته عليه السلام والسبب فيها][1] فإنه استتر مدة طويلة، واشتد عليه الطلب من أبي الدوانيق، فلم يقف له على خبر إلى أيام المأمون فاتفق أن نصر بن شبيب قدم حاجاً وكان متشيعاً حسن المذهب، وكان ينزل الجزيرة، فلما وصل إلى المدينة سأل عن بقايا أهل البيت من المذكور منهم، فذُكِر له علي بن عبيد الله بن الحسين، وعبد الله بن موسى بن عبد الله، ومحمد بن إبراهيم هذا، فأما علي بن عبد الله فإنه كان مشغولاً بالعبادة والخلوة والاعتزال لا يصل إليه أحد ولا يؤذن له.

وأما عبد الله بن موسى فكان خائفاً مطلوباً لا يلقاه أحد، وأما محمد بن إبراهيم فإنه كان يقارب الناس ويكلمهم في هذا الشأن، فأتاه نصر بن شبيب وذكره مقاتل أهل بيته، وغصب الناس إياهم حقوقهم، وأكثر القول في هذا المعنى إلى أن أجابه محمد بن إبراهيم، وواعده أن يلقاه بالجزيرة وانصرف الحاج، ثم خرج محمد بن إبراهيم إلى الجزيرة ومعه نفر من أصحابه وشيعته، وذلك في سنة تسع وتسعين[2] ومائة، فجمع نصر أهله وعشيرته، فعرض عليهم ذلك، فأجابه بعضهم وامتنع بعض، وكثر القول والاختلاف بينهم حتى تواثبوا وتضاربوا بالعصي والنعال، وانصرفوا على ذلك، حتى خلا بنصر بن شبيب بعض بني عمه، فخوفه بطش السلطان وحذره، وأكثر

---

(1) إضافة من عندنا ليستقيم السياق.

(2) في الأصل: «تسع وستين» وهو خطأ.

عليه العذل حتى قال له: إن غلب السلطان صاحبك فلا خلاص لك عن بطشه بك وببني عمك، وإن ظفر صاحبك وكان عادلاً كنت عنده رجلاً من أفناء أصحابه، ثم قال: واعلم أن أهل هذه البلدة جميعاً أعداء لآل

أبي طالب، فإن أجابوك الآن فَرُّوا عنك منهزمين، على أنك من اختلافهم أقرب منك إلى اجتماعهم، ثم تمثل له بقول الشاعر:

وابذل لابن العم نصحي ورأفتي إذا كان لي بالجهر في الناس [1]

فإن راغ عن نصحي وخالف قلبتُ له ظهر المِجَن ليندما

فثنى نصراً عن رأيه وغيّر نيته، فعاد إلى محمد بن إبراهيم معتذراً بخلاف أصحابه ورغبتهم عن أهل البيت، وأنه لو ظن ذلك فيهم لم يعده بنصرهم له، وعرض عليه أن يعطيه خمسة آلاف دينار، فانصرف محمد عنه مغضباً راجعاً إلى الحجاز، فلقي في طريقه أبا السرايا السري بن منصور أحد بني ربيعة بن ذهل بن شيبان، وقد كان خالف على السلطان ونابذه، وعاث في نواحي السواد، وكان علوي المذهب، فدعاه محمد إلى نصرته فأجابه وسُرَّ بذلك، ثم أدخله الكوفة فدعاهم إلى بيعة محمد فأجابوه جميعاً حتى ازدحموا على محمد بن إبراهيم لمبايعته.

فبعث محمد بن إبراهيم الدعاة من هنالك إلى جميع النواحي، وبايعه الأشراف محمد ابن محمد بن زيد بن علي عليهم السلام ومحمد بن جعفر الصادق، وعلي بن عبيد الله وغيرهم ممن يطول ذكره، وبعث أخاه القاسم بن إبراهيم إلى مصر

داعياً له عليه السلام.

[ذكر الإمام محمد بن محمد بن زيد]

ومحمد بن محمد بن زيد ومحمد بن جعفر هما المرادان بقولي في الدامغة: « **محمدان أقاما الدين وانتصرا** » البيت.

وخلاصة الأمر أن أبا السرايا ما زال يشن الغارات على جنود المسودة وينتصر عليهم ويغنم أموالهم، وفي خلال ذلك عرض المرض للإمام محمد بن إبراهيم فدخل عليه وهو يجود بنفسه، فرأى في وجهه الموت، فقال له: يا ابن رسول الله، كل حي يموت، وكل جديد بال فاعهد عهدك. فقال: أوصيك بتقوى الله، والمقام على الذب عن دينك، ونصرة أهل بيت نبيك، فإن نفوسهم موصولة بنفسك، وول الناس الخيرة فيمن يقوم مقامي من آل علي عليه السلام، فإن اختلفوا فالأمر إلى علي ابن عبيد الله فإني قد بلوت طريقته ورضيت دينه، ثم اعتقل لسانه عليه السلام وهدأت جوارحه، فغمّضه أبو السرايا وسجّاه، وكتم موته، فلما كان الليل أخرجه في نفر من الزيدية ودفنه في الغري، ذكره في التحفة. وكان موته في غرة رجب يوم الخميس سنة تسع وتسعين[1] ومائة، ذكره الحاكم في شرح العيون.

فلما دفن كان من الغد قام أبو السرايا فخطب الناس ونعى إليهم محمداً،

---

(1) لعله تسع وسبعين بتقديم السين على الباء التحتانية لأنه قال في البحر: ولم تطل مدته، والله أعلم تمت وكان دفنه في الغري ذكره الأمير في التحفة (من هامش الأصل).

فارتفعت الأصوات بالبكاء إعظاماً لوفاته، ثم قال في خطبته: وقد أوصى إلى علي بن عبيد الله فإن رضيتم به فهو الرضا، وإلا فاختاروا لأنفسكم، فلم ينطق منهم أحد.

فوثب محمد بن محمد بن زيد وهو غلام حدث السن فقال: فات الهالك، وبقي الباقي، ودين الله لا ينتصر بالفشل، وليست يد هذا- يعني أبا السرايا- عندنا بسيئة، وقد شفا الغليل، وأدرك الثأر، ثم التفت إلى علي بن عبيد الله فقال:ما تقول يا أبا الحسن رضي الله عنك؟ فقد وصاك بنا، امدد يدك نبايعك، فحمد الله وأثنى عليه وقال: إن أبا عبد الله رحمه الله تعالى قد اختار لكم فلم يَعْدُ[1] الثقة في نفسه، وما أردُّ وصيته في أمره[2]، ولا أدع هذا زهداً ولا رغبة عنه، ولكن الخوف أن أشتغل به عن غيره مما هو أحمد عاقبة، فامض رحمك الله لأمرك، واجمع شمل بني عمك فقد قلدناك الرئاسة علينا، فأنت الرضا عندنا، والثقة في أنفسنا، فبايعوا لمحمد بن محمد ابن زيد وفرّق عماله.

وكان من جملة عمّاله **إبراهيم بن موسى**[3] **بن جعفر الصادق** عليّه السلام على اليمن، وهو الذي قصدنا بقولنا في الدامغة:

(1) في الأصل: «يعدل».
(2) في المقاتل ٤٣٥: ولا أرد وصيته تهاوناً بأمره.
(3) هو إبراهيم بن موسى بن جعفر: أحد رجالات الطالبيين، وصل إلى اليمن عام ١٩٩هـ داعيا للإمام محمد بن إبراهيم طباطبا، وله أخبار مضطربة في المصادر التاريخية لم يتناولها الباحثون بالتمحيص.

ولابن موسى جهاد في خلافته بصعدة ونواحيها سناه جلي
أفنى المسودة الأرجلس منتضياً سيفاً أباد به قوماً من السفل
وسَدَّ خانقِ أهل الفسق خربه وللنواصب لما قام لم يُقِل

قالوا: فأذعن له أهل اليمن بالطاعة بعد وقعة كانت منه قيل: أنه قتل فيها من الجنود العباسية خمسة عشر ألفاً حتى سمي إبراهيم الجزار، وكان ينزل هو وشيعته بالقطيع من صنعاء، وكانت سكته تدعى بشارع المبيضة، وخرّب سد الخانق(1) بصعدة، وقتل البطون الذين يبغضون أهل البيت عليهم السلام، وهم بنو الحارث بنجران، والسليمانيون بعيان، واللعويون بريدة، والكباريون بثافت، والأبارة بضهر، والحواليون ببيت ذخار، وبنو يافع بالسر.

ووجد في بعض الكتب ما معناه: إن أهل اليمن كانوا يطلبون من الإمام القاسم ابن إبراهيم عليه السلام انتقاله إلى اليمن، فاعتذر إليهم بالكِبَر، ولكن أصدر معكم ولدي محمد بن القاسم، قال: وكان مما أوصاه أن قال: يا بني احذر على نفسك من قبائل في اليمن أذكرهم لك، لا تحل أفئدتهم محبة أهل البيت، ولا تخلو قلوبهم من بغضهم: بنو الحارث بنجران، والحدَّادون

---

(1) الخانق: من السدود المشهورة، ذكر في تاريخ صنعاء أن بانيه هو القيل نوال بن عتيك غلام سيف بن ذي يزن، وكان بالخنفرين أعلا وادي رحبان وفي ذلك يقول الشاعر محمد بن أبان الخنفري:
غرسنا الكروم على الخنفرين منشأ سهل وماء معينا
(من هامش الأصل) بتصرف.

بصعدة، وبنو سليمان بعيان، وبنو معيد بخيوان، وبنو الكم[1] بثافث، ولعوة بضحيان، وبنو الوليد بصنعاء، وهبرة[2] ببلاد همدان، فإياك أن تركن إلى هؤلاء القبائل أبداً. قال: وكذلك أوصى محمد بن القاسم ابن أخيه الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بذلك، وحذره من هؤلاء المذكورين، نجانا الله منهم ومن أشباههم من فسقة العرب والعجم، وهذا لا يكون إلا بوحي من الله تعالى إلى نبيه محمد ص، ثم بلغ إلى القاسم بن إبراهيم، ولا يصح أن يكون من غيرهما؛ لأن الله تعالى قال: ﴿ **قُلْ لاَ يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ**﴾ [النمل:٦٥] انتهى من خط قال فيه: نقل من خط الإمام القاسم محمد بن علي الهدوي أعاد الله من بركاته.

قلت: أو يكون القاسم عليه السلام علم ذلك من كتاب «الجفر» الذي خص الله به آل محمد ص والله أعلم.

وتواترت منه الكتب على محمد بن زيد بالفتح، وعظم أمره، واستعلى أمر
أبي السرايا أيضاً على الحسن بن سهل وزير المأمون، فقام وقعد في حرب أبي السرايا، ووقعت وقائع أكثرها على العباسية حتى إذا كان بعض الوقعات وانكسر عسكر
أبي السرايا، ولم يبق عنده وعند الإمام محمد بن محمد إلا شرذمة قليلة،

---

(1) كذا، وفي السفينة الجامعة: وبنو المكم.

(2) الكلمة غير منقوطة في الأصل فلعلها ما أثبت.

فأُسرا، وأُتي بهما إلى الحسن بن سهل فهَمَّ بضرب عنق الإمام محمد، فنهاه بعض أصحابه، وأشار عليه بالإرسال به إلى المأمون. فأما أبو السرايا فأمر بضرب عنقه، وصلب رأسه في الجانب الشرقي من بغداد، وبدنه في الجانب الغربي، وحمل الإمام محمد بن محمد إلى المأمون إلى خراسان، فلما أقيم بين يديه، جعل يتعجب من حداثة سنه، ثم أمر له بدار فأسكنها، فأقام على ذلك مدة يسيرة مقدارها أربعون يوماً، ثم دست إليه شربة فمات منها، وهو ابن ثماني عشرة سنة، وقبره بمرو.

وفي «روضة المشتاق»: ثم سقاه السم حتى قذف كبده قطعاً كما قذفها أهله قبله.

قالوا: ونظر المأمون في الديوان فوجد من قتل من أصحاب السلطان في وقائع أبي السرايا مقدار مائتي ألف، ومما رثي به محمد بن إبراهيم وأبو السرايا ومن معهما قول محمد بن علي الأنصاري رحمه الله تعالى:

أبتِ السلوَّ فما تجف مدامعي عبرى تفيض بدمعها المتتابعِ

لما تذكرتُ الحسين وبعده زيداً تحرك حزن قلب جازعِ

صلّى الإله على الحسين وصحبه في كربلاء لما ثووا بمصارعِ

وجزى ابن إبراهيم عن أشياعه خيراً وأكرمه بصنع الصانعِ

نعم الخليفة والإمام المرتضى ذي الدين كان ومستقر ودائعِ

وجزى الإله أبا السرايا خير ما يجزى وَصُولاً من مطيع سامعِ

حاط الإمامَ بنفسهِ وبسيفهِ ... ولسان ذي صدقٍ وقلبٍ خاشعِ

في فتية جعلوا السيوف حصونهم ... مع كل سلهبةٍ وطرف رائعِ[1]

فتلقينَّ يا بن النبي فما لها ... أحدٌ سواك برغم أنف الطامعِ

فلقد رأيت بها عليك حلاوة ... وضياءَ نورٍ في جبينك ساطعِ[2]

أظنه يعني محمد بن محمد بن زيد.

ومما رثي به الإمام محمد بن إبراهيم عليه السلام قول أخيه الإمام ترجمان الدين القاسم بن إبراهيم فيما رواه الشيخ أبو الفرج الأصبهاني:

يا دارُ دار غرورٍ لا وفاءَ لها ... حيثُ الحوادث بالمكروه تَسْتَبِقُ

أَنْزعتِ أهلكِ من كدّ ومن أسفٍ ... لمشرعٍ شُرْبه التصريد والرَّنَقُ[3]

فإن يكن فيكِ للآذان مستمع ... يُصبي ومرأى تسامى نحوه الحدقُ

فأيّ عيشك إلا وهو منتقل ... وأي شملك إلا سوف يفترقُ

من سرَّهُ أن يرى الدنيا معطلة ... بعين من لم يخنه الخدْع والملقُ

فليأت داراً جفاها الأنس موحشة ... مأهولة حشوها الأشلاء والخِرَقُ

قل للقبور إذا ما جئت زائرها ... وهل يزار تراب بلقع خَلِقُ؟

ماذا تضمَّنتَ يا ذا اللحد من مَلِكٍ ... لم يحمه عنك عِقْيانٌ ولا وَرِقُ[4]

---

(1) الطرف: الخيل، والسلهبة: الناقة الطويلة.

(2) الأبيات في الحدائق ١/ ٣٨١- ٣٨٢، المصابيح ٥٢٠.

(3) التصريد: التقليل يقال شراب مصرد أي مُقَلَّل، والرنق: الكدر.

(4) في الأصل: «ولا درق» والتصويب عن المقاتل.

بل أيها النازح المرموسُ يصحبُهُ ... وَجْدٌ ويحدو به الترجيع والحُرقُ

يُهدى لدار البلى من غير مَقْلية ... قد خُطّ في عرضه منها له نَفَقُ

فبات فرداً وبطن الأرض مضجعُه ... ومن ثراها له وفرٌ ومُرْتَفَقُ[1]

داني المحل بعيد الأنس أسلَمه ... بِرُّ الشفيق فحبل الوصل منخرقُ

قد أعقب الوصل منك اليأس فانقطعت ... منك القرائن والأسباب والعلقُ

يا شخص من لو تكون الأرض فديته ... ما ضاق مني بها ذرعٌ ولا خلقُ

بيْنا أَرجيّك تأميلاً وأَشفق أن ... يَغْبَرّ منك جبينٌ واضحٌ يقِقُ

أصبحت يُحثى عليك الترب في جَدَثٍ ... حتى عليك لما يحثى به طبقُ

إما تفتني[2] بك الأيام مسرعةً ... فقلّ مني عليك الحزن والأرقُ

وأيّما حدثٍ تخشى غوائله ... من بعد هُلْكِكَ يعنيني به الشفقُ[3]

وله عليه السلام مرثية أخرى ذكرها في «التحفة العنبرية» أولها:

صَرَمَ الكرى وصلَ الجفون وشجاك فقدانُ الخدينِ

مما يهيجُ بك الأسى خلجاتُ صرف نوىً شَطُونِ[4]

بعثت سواكبَ عَبْرةٍ غَرِقتْ بها مُقَلُ العيونِ

---

(١) في المقاتل: ثوب ومرتفق.

(٢) في المقاتل: إن فجعتني.

(٣) الأبيات في المقاتل ٤٤٩ـ ٤٥٠، الحدائق الوردية ٢/ ٣٨٠، الشافي ١/ ٢٦٨.

(٤) النوى: البعد، وشطون: بعيد.

وأخٍ يعين على الحوادث تعتريه وتعتريني( )

ختَرَ الزمانُ بعهده وسطت عليه يدُ المنونِ

فنعى إليَّ مصابُه نفسي وغَيّض من شُؤُني( )

علق المنون تصرّمي آنت مفارقة المنونِ

عِفْتُ المنى وطويت عن عَلَق المُنَى كشحاً فبيني

ما فاز بالخفض امرؤ جعل المنى أدنى قرينِ

لهفان يُتْبِع نفسه الـ آمال حيناً بعد حينِ

غمر الرجاءُ فؤادَهُ ودهته أنْجِيةُ الظنونِ

يسمو إلى كُرب المنى ويعود بالعهد الخؤونِ

لم يقض من حاجاته وطراً ولم يَمْهَد لدينِ

نَصْباً لكل مُهِمّةٍ حَمَّال أعباء الحزينِ

للهِ درُّ عصابة باعوا التَّظَنُّنَ باليقينِ

فسمت بهم همم العُلا من صفقة الحظ الغبينِ

فتزودّوا عِزَّ التقى وذخيرة الفضل المبينِ( )

انتهى من التحفة العنبرية للأمير محمد بن الإمام عبد الله بن علي عليهم

---

(١) وفي بعض المصادر: أعتزيه ويعتزيني.

(٢) الشأن: الخطب، ومجرى الدمع من العين وهو المراد هنا.

(٣) الأبيات في الإفادة ٩٢، والحدائق ١/ ٣٨١.

السلام.

نعم وقد اختلف في سبب موت الإمام محمد بن إبراهيم عليه السلام فذكر الحاكم في «شرح العيون »: أنه مات كما تقدم، وكذلك في «الحدائق» وأشار الإمام المهدي في «مقدمة البحر» وفي قصيدته القافية التي عدَّ فيها الأئمة إلى أنه قتل.

وأما الطبري في تاريخه فذكر أنه مات فجأة قال: فقيل: إن أبا السرايا سمّه، قلت: وهذا لا يصح، إذ بايع بعده محمد بن محمد بن زيد ولم يطلب الملك لنفسه، فيتوهم ذلك منه. وفي «الترجمان» لابن مظفر ما لفظه: وكان الإمام محمد بن إبراهيم عليه السلام يقاتل في ست أو سبع وقائع في باب الكوفة، وأصابه سهم في بعض تلك الوقعات وطعن أيضاً، فاعتل منها حتى مات، والله أعلم أي ذلك كان.

وقد أثنى السيد إبراهيم بن الوزير رحمه الله تعالى على أبي السرايا في «بسامته» فقال:

وقام فارس شيبان بدعوته أبو السرايا ولم يبخل بمنع سري

وعَدّ في « مقدمة البحر » من الأئمة إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد قال: خرج إلى أرض اليمن وله تأثيرات عظيمة، وقتل بخراسان، ومشهده بها

في نيف ومائتين[1].

قلت: وعده الحاكم من الدعاة دون الأئمة، وكان قبل دعوته داعياً إلى محمد بن إبراهيم حتى قتل، فدعا إلى نفسه، وسنحقق النقل من غير «البحر» و«شرح الزحيف» إن شاء الله تعالى. والذي يلوح لي وهو - والله أعلم - أنه قام بعد قتل محمد بن محمد بن زيد، جمعاً بين الروايات، ولا يصح غير ذلك.

[ذكر الإمام محمد بن جعفر الصادق]

وأما محمد بن جعفر الصادق فإنه قام داعياً بعد أن اطلع على كتاب صنفه بعض النواصب، سب فيه أهل البيت عليهم السلام إلى أن اتصل بفاطمة عليها السلام فنال منها، فجاء الطالبيون بالكتاب إلى محمد بن جعفر فقرؤوه عليه، وقد كانوا يطلبون منه القيام قبل ذلك فلم يساعد.

فلما سمع ذلك لم يرد عليهم جواباً دون دخول منزله، فلبس الدرع وتقلد السيف، وخرج إليهم وهو يقول[2]:

لم أكن من جناتها علم اللـ ـه وإني لحرها اليوم صالي

وبايعه من وجوه الطالبيين ورجالهم وفضلائهم الحسين بن الحسن الأفطس، ومحمد بن سليمان بن داود بن الحسن [بن الحسن] بن علي،

---

(1) في الأصل: «نيف وثمانين ومائة» وهو تحريف أو سهو راجع (مقدمة البحر) ص ٢٢٨.

(2) البيت للحارث بن عباد.

ومحمد بن الحسين المعروف بالسيلق[1]، وعلي بن الحسين بن عيسى بن زيد، وعلي بن جعفر بن محمد، وبسط يده فبايعوه، وخاطبوه بأمير المؤمنين.

وكان فاضلاً عابداً شجاعاً سخياً عالماً، جمع خصال الكمال، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً، فقيل: إن اليوم الذي يصوم فيه لا يزال في الذكر والصلاة والتعليم للعلم لا يشتغل بغيره من الأمور المتاحة، وفي يوم الإفطار يفرغ نفسه في تدبير أمره في الأمة، وقل ما نام في الليل ربعه، وكان لا يدخر لغد شيئاً في بيته، ويقول: إن ادخار ما عند الله خير من ادخار ما عندنا، ولو لم يكن لنا إلا ما ندخره لم نقم في الدنيا حالنا، وما علم أنه خرج برداء ورجع به مدة حياته، بل يتصدق به أو يهبه.

وروى الحديث وروى عنه طائفة من نقلة العلم مثل محمد بن عمر[2]، وموسى ابن سلمة، وإسحاق بن موسى الأنصاري، واستولى على المدينة ومكة.

قال يحيى بن الحسن[3]: سمعت موملاً[4] يقول: رأيت محمد بن جعفر

---

(1) في الأصل: «بالسباق» وهو تحريف صححناه عن أبي الفرج. راجع المقاتل ٤٤٠.

(2) كذا، والصواب: محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني، محدث ثقة توفي سنة ٢٤٣هـ راجع تهذيب الكمال ٢٦/ ٦٣٩.

(3) في الأصل: «يحيى بن الحسين» والصواب ما أثبتناه وهو النسابة يحيى بن الحسن العقيقي.

(4) في الأصل: «موئلا» وهو خطأ.

يخرج في مكة إلى الصلاة في ثلاثمائة رجل من الجارودية الزيدية، عليهم ثياب الصوف، وسيماء الخير فيهم ظاهر.

وكان القائم بحربه هارون بن المسيب، فهزموه مراراً، وقتلوا من عسكر هارون هذا مقتلة عظيمة، وله بعد ذلك وقعات بينه وبين الجنود العباسية، كانت اليد له فيها على أعدائه، وبعد ذلك تكاثفت عليه الجنود فالتجأ إلى جبل في الحجاز، وأقام الحرب على ساق، وسألوه الهدنة فلم يساعد إلى ذلك، إلى أن عظم الخطب عليه وحصِر أصحابه واضطروا وتفرقوا عنه، فنزل على القوم وأمنوه، وتقدم إلى خراسان فلقيه المأمون بالإنصاف، وكان يركب في ثمانين فارساً من العلويين، فخرج توقيع المأمون: لا تركبوا مع محمد بن جعفر واركبوا مع من شئتم من الطالبيين، فقالوا: لا نركب إلا مع محمد بن جعفر، ولكنا نلزم منازلنا، فأمر المأمون أن أركبوا مع من شئتم فكانوا يركبون معه حافين به، فدس عليه المأمون سماً فقتله، ومات بجرجان ومشهده بها.

ولما خرجوا بجنازته وثب المأمون فوقع بين العمودين يحمل فقال له الناس: نكفيك يا أمير المؤمنين، فقال: هذه رحم مجفوة منذ مائتي سنة، ولما وصل قبره نزل فيه وسوّاه في لحده، فلما طلع قال [ولده] إسماعيل بن محمد بن جعفر وأخوه: نكلّمه في دين أبينا، فما نجده أقرب من هذه الساعة، فابتدأهما هو حين أقبلا فقال: كم خلف أبو عبد الله من الدين؟ قالا: خمسة وعشرين ألفاً مثقال، فقال: قد قضى الله دينه، وصك بها إلى الأهواز فقبضا فيها الأرز، فغلي في

أسبوع واحد فباعاه بخمسين ألف مثقال.

قلت: قاتل الله المأمون كم احتال على الدنيا بإظهار الدين، ومحبة الأئمة الهادين ظاهراً، وقتلهم بالسم وغيره باطناً، وكان من التشيع بمحل لا يختلف فيه اثنان، وكان يناظر فقهاء العامة ويراجعهم في إمامة علي، ويثبتها ويحتج بالحجج النيرة الباهرة، وكان له معرفة جيدة وأدب بارع، ولقد فعل من الإحسان إلى الطالبيين كثيراً، ورد على أولاد فاطمة عليها السلام فدكاً، وله شعر في مدح علي عليه السلام وأهل البيت، وقال يوماً يعرض بعمه إبراهيم بن المهدي الملقب بابن شكلة، وكان ناصبياً سنياً[1]:

إذا السنيُّ سَرَّكَ أن تراه يَمُوتُ لحينه من قبل موتهْ
فجَدِّد عنده ذِكْرى عليٍّ وصَلِّ على النبي وأهل بيتهْ

ولما قتلَ أخاه الأمير محمد بن هارون تمثل بقوله:

يا صاحب البغي إن البغيَّ فاعدل فخيرُ فِعال المرء أعدلُه
فلو بغى جبل يوماً على جبلٍ لاندّك منه أعاليه وأسفلُه

[ذكر الإمام القاسم بن إبراهيم]

وأما الإمام ترجمان الدين: فهو أبو محمد القاسم بن إبراهيم أخو محمد بن إبراهيم عليه السلام، روى المنصور بالله عبد الله بن حمزة عليه السلام قال: إن شيخاً من شيوخ آل الحسن بن علي كان يدرس عليه فتيان آل الحسن،

([1]) أي على مذهب البدعية الذين تسموا بأهل السنة والجماعة. (مؤلف).

فكانوا إذا جاءوا قام في وجوههم وعظّمهم، فأقسموا عليه لا فعل. وكان القاسم من شباب أهل ذلك العصر، فكان إذا جاء قام في وجهه وعظّمه، فقالوا له: أيها السيد، قد عذرناك وهذا الفتى لك أعذر، فقال: لو تعلمون من حقه ما أعلم لاستصغرتم ما أفعله في حقه، فقالوا له: وما تعلم؟ فقال: هذا الفتى قال فيه رسول الله ص: « يخرج من ذريتي رجل مسروق الرباعيتين، لو كان بعدي نبي لكان إياه ».

وكان عليه السلام مشهوراً بالعبادة، قال بعض أصحابه: حججنا معه فاستيقظت في بعض الليل فافتقدته، فخرجت وأتيت المسجد الحرام فإذا به لاطياً بالأرض ساجداً، وقد بلّ الثرى بدموعه وهو يقول: من أنا فتعذبني فوالله ما يشين ملكك معصيتي، ولا يزيد ملكك طاعتي. وفيه يقول بعض الشعراء:

ولو أنه نادى المنادي بمكة وبطن منىً فيمن تضم المواسمُ
مَنِ السيد السبّاق في كل غاية؟ لقال جميع الناس: لا شك قاسمُ
إمام مِنَ ابنآء الأئمة قدَّمَتْ له الشرفَ المعروفَ والمجدَ
أبوه عليٌّ ذو الفضائل والنهى وآباؤُه والأمهات الفواطمُ
بناتُ رسول الله أكرمُ نسوةٍ على الأرض والآباءُ شُمٌّ خضارمُ

وله العلم الغزير، والتصانيف المفيدة في كل فن من العلوم، وأما زهده وورعه فمما لا يمتري فيه اثنان، ولا يتردد فيه رجلان:

شهد العدو بفضله وكماله والفضل ما شهدت به الأعداءُ

فروى الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليه السلام أن المأمون كلّف بعض العلويين أن يتوسط بينه وبين القاسم عليه السلام، ويصل ما بينهما على أنه يبذل له مالاً عظيماً، فخاطبه العلوي في أن يبتدي المأمون بكتاب أو يجيب عليه إذا كتب إليه، فقال: لا يراني الله أفعل ذلك أبداً.

وروى الإمام المنصور بالله: أن المأمون توصل بمن قدر عليه في أن يصافيه القاسم ويأمن جانبه، فأبى ذلك أشدّ الإباء، وأرسل إليه المأمون بوقر سبعة أبغل دنانير على أن يأخذها ويجيب عن كتابه أو يبتدئه بكتاب، فَكَرِه ذلك وردَّ المال، وقال لمن جاء به: أتريد أن يخرم أنفي المأمون؟ لا والله لا يكون ذلك أبداً، فرد المال جميعه حتى لم يقبض منه ديناراً، وهو بين قوم من حرب وبين ضعفاء أهله، فلاموه على ذلك، وقالوا: هلا قسمته بين أهلك وبين حرب ولا تأخذ منه شيئاً لنفسك، فقال الشعر المذكور الآتي. و [كذلك] الكتاب الذي كتب إليه المأمون يعرض عليه فيه أن يخلع نفسه من الخلافة ويتولاها القاسم عليه السلام، فلم يقرأ القاسم عليه السلام الكتاب ولا قبضه بيده، ولا رد له جواباً فيه، فلما راجعه بعض أصحابه في ذلك فقال: لا يراني الله أتخذ المضلين عضدا، فقيل له: فإن الرضا قد فعل له كذا، فقال: إنه ملك الرضا ولا يملكني إن شاء الله تعالى، ولما ردَّ المال لامه أهله فقال:

تقول التي أنا رِدْءٌ لها وقاءَ الحوادث دون الردى
ألستَ ترى المال منهَلّةً مخارمُ أفواهها باللّهى؟

فقلتُ لها وهي لوَّامة وفي عيشها لو صَحَتْ ما كفى
كفافُ امرءٍ قانع قوتُه ومَن يرض بالعيش نال الغنى
فإني وما رمت من نيله وقبلك حبُ الغنى ما ازدهى
كذي الداء هاجت به شهوةٌ فخاف عواقبها فاحتمى(١)

قالوا: وقد كان مال إلى حي من البادية يقال لهم: بنو حرب(٢) فحاربوا دونه.

نعم واعلم أنه لما استشهد صنوه محمد بن إبراهيم أو مات على إحدى الروايتين والقاسم بمصر دعا إلى نفسه، وبث الدعاة وهو على حال الاستتار، فأجابه عالم من الناس في بلدان مختلفة كمكة والمدينة والري وقزوين وطبرستان وتخوم الديلم.

وأقام بمصر نحو عشر سنين، وفيها كانت مناظرته للملحد الذي أشرنا إلى ذكره، لأنه كان يحضر مجالس فقهاء مصر ومتكلميها، فيسألهم عن مسائل يتعذر منهم الجواب عنها، فكان بعضهم يجيب عن شيء جواباً ركيكاً، وبعضهم يزجره ويشتمه، فبلغ خبره القاسم بن إبراهيم عليه السلام وكان مختفياً في بعض البيوت، فأرسل إليه صاحب المنزل ليحضره، فلما دخل عليه قال له رضي الله عنه: بلغنا أنك تعرضت لنا، وسألت أهل نحلتنا عن مسائلك، ترجو

---

(١) الإفادة ٨٩، الشافي ١/ ٢٦٣.

(٢) في الإفادة: يقال لهم حرب.

أن تصيد أغمارهم بحبائلك، حين رأيت ضعف علمائهم عن القيام بحجج الله تعالى، والذب عن دينه، ونطقت على لسان شيطان رجيم لعنه الله ﴿ **وَقَالَ لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا**﴾ [النساء:١١٨].

فقال له الملحد: أما إذ عِبْتَ أولئك وعيّرتهم بالجهل فإني سائلك وممتحنك، فإن أجبت عنهم فأنت زعيمهم، وإلا فأنت إذاً مثلهم.

فقال له القاسم عليه السلام: سل عما بدا لك وأحسن الاستماع، وعليك بالنَّصَفَة وإياك والظلم، ومكابرة العيان ودفع الضرورات والمعقولات، أجبتك عما سألت، وبالله أستعين، وعليه أتوكل، وهو حسبي ونعم الوكيل.

فسأله عن مسائل كثيرة مشهورة معروفة مدونة، لا يتسع هذا المختصر لإتيانها فيه، يعجز أهل زماننا عن قراءة ألفاظها ومعرفة إيرادها، فضلاً عن الجواب عنها، كلفظ: ما الدلالة على إنية الصانع وغير ذلك، فأجابه عليه السلام عن جميع مسائله حتى قال عند انقضائها: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأن كل ما جاء به حق، وتعست أمة ضلت عن مثلك، وأسلم وحسن إسلامه، ولازم مجلس الإمام، وتعلم منه شرائع الإسلام.

وفي خلال إقامته بمصر وهو يبعث دعاته إلى الجهات المذكورة أولاً، ثم إلى بلخ والطالقان والجوزجان، فبايعه أكثر أهلها، وسألوه أن ينفذ إليهم بولده، فانتثر عليه الأمر قبل التمكن من ذلك، وكثر التجهيز عليه من الجنود العباسية، ثم توفي المأمون وتولى بعده أخوه المعتصم، فشدد في طلب

القاسم، وأنفذ الجنود الواسعة إليه، فأحوج إلى الانفراد عن أصحابه، وانتقض أمر ظهوره، ذكر معناه السيد أبو طالب عليه السلام.فآوى إلى حي من البدو واستخفى، وأراد الظهور في المدينة بعد رجوعه إليها، فأشار إليه بعض أصحابه بالترك لأنها لا تحصنه، فانتهى أمره عليه السلام إلى أن اشترى جبلاً في أرض الحجاز بخمسين ديناراً، وتحصن فيه هو وأولاده، واعتمدوه وزرعوا فيه حتى أنه كان يباشر الزرع بنفسه، وبقي على ذلك حتى مات فيه وقد حصل له ثواب القائمين المجاهدين.

وتوفي في سنة ست وأربعين ومائتين وعمره سبع وسبعون سنة في جبله هذا، وهو يعرف بالرس وإليه ينسب، ومشهده فيه هو وأولاده، وجماعة من أهل بيته عليهم السلام، وهو وراء جبل أسود بالقرب من ذي الحليفة يزوره الوارد والصادر صلوات الله عليه وسلامه.

فائدة جليلة نقلت من خط من يوثق به:

وُجِد في بعض كتب القاضي العلامة ملك العلماء فخر الدين عبد الله بن حسن الدواري في معرفة من بمشهد الإمام ترجمان الدين القاسم بن إبراهيم عليه السلام بالرس؛ قال بعد ذكر وفاته: وقبره عليه السلام ليس بينه وبين القبلة شيء، وقبر ولده محمد بن القاسم مما يليه إلى جهة المشرق رأسه عند رجلي أبيه، ولم يعرف تاريخه، وقبر ولده الحسين بن القاسم مما يلي أبيه

وأخيه إلى جهة الشام، توفي سنة تسع وسبعين ومائتين[1]، وقبر السيد أحمد بن القاسم بن محمد بن القاسم بن إبراهيم وتوفي سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة، وقبر أخيه الحسين بن القاسم بن محمد ابن القاسم بن إبراهيم، وتوفي سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة، وقبر علي بن عبد الله بن محمد بن القاسم - وهو والد الإمام القاسم العياني - وتوفي في المحرم سنة خمسين وثلاثمائة، وقبر جعفر بن أحمد بن القاسم بن محمد بن القاسم بن محمد بن الحسن بن القاسم بن إبراهيم، وقبر عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم، وفي سمته[2] ذكرُ ولدٍ درس ضريحُه.

ومن نسائهم قبر أم إبراهيم بن الحسن بن القاسم، وقبر أم كلثوم بنت الحسن بن القاسم، وقبر أسماء بنت جعفر بن عبد الله بن القاسم بن إسحاق بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وقبر صفية بنت موسى من أولاد محمد بن جعفر بن أبي طالب، وقبر أسماء بنت القاسم، وقبر زينب بنت الحسين بن القاسم. قال الإمام المهدي لدين الله علي بن محمد عليهم السلام: هذا الذي عرفناه من المكتوب على قبورهم ومنهم مكتوب عليه ولم نعرفه لدروسه وانغماره بالتراب، وكثير غير مكتوب عليه، وفي قبلة المشهد خط الإمام الهادي إلى

---

[1] ينظر في هذا التاريخ؛ فقد ذكر أن الحسين بن الإمام القاسم كان موجودا في شهر الحجة سنة ٢٨٣هـ وهو يودع ولده الإمام الهادي المتوجه إلى اليمن. راجع سيرة الهادي إلى الحق ٣٧.

[2] سمته: أي مقابله.

الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم عليهم السلام منقوش على الحجر، وعلى الجملة فهذه روضة مقدسة صلوات الله على ساكنيها.

قلت: وقبر الحسن بن القاسم بصعدة في مشهد ابن أخيه الإمام الهادي إلى الحق عليهم السلام، وسيأتي ذكر ذلك إن شاء الله تعالى.

ومن كرامات الإمام القاسم بن إبراهيم عليهم السلام ما ذكر في «روضة المشتاق» قال: إنه دعا عليه السلام يوماً لأهل بيته وهم في جبل الرس قد جاعوا بأن يشبعهم الله في ذلك اليوم، فأرسل الله تعالى سحابة على ساقية مزرعة، فامتلأت تلك المزرعة بالماء، ثم عند نضوب الماء جاءت فرقة صيد من صيد البر يتبعها السباع حتى دخلت تلك المزرعة، فلم تقدر منها واحدة على الخروج حتى جاءت خدم القاسم عليه السلام ذبحتها في مواضعها، ثم رفعتها إلى البيوت، فأكلوا منها حتى شبعوا، وجاءهم ضيف فأشبعوه منها.

ومنها: أنه كان لولد له طفل شاةً تحلب له فجاء القاسم عليه السلام ضيف وهو في جبل لا ناس به غيرهم، فلم يجد بداً من ذبح تلك الشاة، فجزعت أم الولد من ذلك لأجل معرفتها بقل صبر ولدها عن اللبن، ثم توكلت وأذعنت لإجابة الإمام، فقال لها: ﴿ **عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ**﴾ [القلم:٣٢].

قال الراوي: فوالله ما أكل الضيف من لحم تلك الشاة حتى جاء بدوي بشاة

تحلب ضعفي ما كانت تحلب الأولى، وتلد في البطن الواحد ولدين، وسبب مجيئه بها أعجب منها؛ فإنه روي أنها كانت أحب غنمَهُ إليه، فقيل له: إن غنمه أخذت، فنذر للإمام بأفضلها إن رجعت، فرجعت الغنم فجاء الرجل يجري بها في تلك الحال.

ومنها: مهاجرته عليه السلام عن المواضع التي يليها الظلمة، ويجري فيها أحكام شوكة الفسقة، ويقع فيها المناكير الظاهرة، ولا يقدر أحد على إنكارها إلا بتلفه، فسكن عليه السلام بجبال الرس بين المدينة وينبع، بلاد قفر لا يهتدي إليها إلا أهل تلك البلاد العارفون بها، إذ لا طريق عليها ولا واصل إليها، إلا بدوي يتنقل بها أو يعبرها، وهي تسمى بلاد بني سالم، يرعى فيها حرب قبيلة من زبيد، فلما فعل ذلك عليه السلام كان تصيبه وأهله بها المخمصة العظمى، فيقرر من ضعف قلبه منهم بقصة عيسى عليه السلام وأمه، وكونهما عاشا على نبات الأرض، وكانت خضرة البقل ترى من ظاهر بطن عيسى عليه السلام، ويرضون بتلك الحال، ويجيئهم من الأعراب نذور للإمام عليه السلام، وفي بعض الأوقات يأكلون مما في الأرض من الأشجار، وفي بعضها يحل لهم الميتة إذا وجدها أحد من أصحابه بطريق الحاج أخذ منها ما يسد به رمقه، وصبروا على ذلك حتى لقوا الله تعالى عليه.

ومنها: انتشار علمه مع اعتزاله في جبل الرس واختفائه في أيام سياحته بمصر والعراق، وحرص أعداء أهل بيت النبي على كتم علومه، وإطفاء

نوره، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون، وقد امتلأ الحجاز واليمن وجيلان وديلمان بعلومه، ولا يعرف كثير من علماء الزيدية إلا بالقاسمية نسبة إليه عليه السلام.

وروي أنه دعا في سنة مخمصة فتهدل البيت عليه رَطْباً، ودعا في ليلة مظلمة فامتلأ عليه البيت نوراً، ذكر ذلك في «الترجمان».

قال في « شرح الزحيف» ما معناه: وبويع عليه السلام مراراً كثيرة في أوقات مختلفة أولها سنة تسع وتسعين ومائة، والبيعة الجامعة لفضلاء أهل البيت كانت سنة ست وعشرين ومائتين في منزل محمد بن منصور المرادي بالكوفة، فإنه بايعه هناك أحمد بن عيسى بن زيد فقيه آل رسول الله وعابدهم، وعبد الله بن موسى [بن عبد الله] بن الحسن، والحسن بن يحيى بن الحسين بن زيد، وكانت فضيلة السبق إلى منابذة الظالمين قد انتهت إلى هؤلاء، فاتفقوا على القاسم عليه السلام وبايعوه.

وروى السيد أبو طالب عليه السلام[١] قال:

اشتد الطلب على القاسم عليه السلام وضاقت عليه المسالك، وكان في حانوت إسكاف[٢] من خُلَّص الزيدية، فلودي نداءً بليغاً أن برئت الذمة ممن

---

(١) الإفادة ٩٩.

(٢) في الأصل: إسكافي.

آوى القاسم بن إبراهيم وممن لم يدل عليه، ومن دل عليه فله ألف دينار وكذا وكذا من البز، والإسكاف مطرق يسمع ويعمل لا يرفع رأسه، فقالوا للإسكاف: نراك ما ارتعدت؟ فقال: ومن لي بالارتياع ولو قُرِّضت بالمقاريض بعد رضى رسول الله ص عني في وقاية ولده بنفسي انتهى.

وتوفي عليه السلام بعد ولادة الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم بسنة.

ومن شعر القاسم بن إبراهيم عليه السلام قوله:

أَنِستُ إلى التَّفَرُّد طول عمري فما لي في البرية من أنيسِ
وجانبت اللئام فطاب عيشي وجانبني لذلك كل بؤسِ
لأنّ الحرَّ في الدنيا قليل ونفسي لا تميل إلى الخسيسِ
وأغناني قنوعي عن لئيمٍ أمدُّ إليه ضري أو رئيسِ

وقال عليه السلام:

تدَرَّعتُ درعاً للقنوع حصينة أصون بها عرضي وأجعلها ذخرا
وأعددت للموت الإله وعفوه وأعددت للفقر القناعة والصبرا

وله عليه السلام قصيدة في التوحيد كبيرة منها:

إني امرؤ مذهبي التوحيد أظهره والعدل أبديه تارات وأخفيه
ما كلف الله نفساً فوق طاقتها ولا يعاقب إلا بعد تنبيه
ولا يعذب طفلاً ما جنى أبداً بذنب آبائه في النار يخزيه

ولمَّا ذكر صاحب « الترجمان» هذا في اختيار القاسم عليه السلام للعزلة قال:

فائدة: قال في «كاشفة الغمة»: واختلف الناس في مخالطة الفساق من أهل القبلة، فمنهم من أوجب مباينتهم ومجانبتهم، وهم القاسم عليه السلام في جماعة من العترة، ولهم حجج كثيرة، ومنهم من لم يمنع ذلك، وأهل هذا القول يجعلون الناس على ثلاثة أضرب: منهم من يجب عليه المخالطة كالأئمة والقضاة، ومنهم من الأولى له الخلطة من غير وجوب، وهم مَنْ عرف من نفسه عدم الميل إليهم، وعرف منها الشدة عليهم، ومنهم من لا تضره الخلطة ولا تنفعه العزلة، فالأولى له المخالطة. قال: قلت: ولا كلام أن أغنى الناس من اعتزل عن الناس، ولله القائل:

أغنى الأنام فقير في ذرى جبل ... لا يعرف الوشي منسوجاً ولا التاجا
وأفقر الناس في دنياهم رجل ... أضحى إلى الجحفل الجرّار محتاجا[1]

قلت أنا: ولي من قصيدة في كتابي الذي سميته «سلوة المحزون وقدوة المغبون» من ترثية في أولادي وأخي، واعتذرت فيها عن السكون في قراض[2] بقولي منها:

---

(1) أراد بالجحفل الجرار: الجيش والأعوان.

(2) قراض: بلدة المؤلف التي سكن فيها، وهي المسمى الآن باقم من بلاد جماعة شمالي صعدة بنحو ٩٠كم.

وبلّ قراض هطّالٌ سموحٌ   ففيه السادة الشمُّ الأعاظمْ

سقى واديه منهمل همورٌ   وأَرْوى جانبيه من الغمائمْ

فقد زهرت حدائقه وراقت   ورقّت فيه أصوات النواغمْ

ولولا ما به من ظلم قومٍ   به دانوا ودانوا بالتظالم

وحكمُ الجبت والطاغوت فيه   بناهُ كلُّ معتوهٍ وآثمْ

لقلت قراض خير الأرض داراً   وخير قراض روضٌ فيه قاسم( )

وإني فيه كالآباء أدعو   إلى الرحمن أرباب المآثم

وفيه قمت أدعو باقتصادٍ   وبالمعروف عند الأمر حازم

وأنهى فيه عن نكرٍ بجهدي   وبعد الجهد لا لومٌ للائم

ولي خُطَبٌ تُسيل الدمع منهم   فكم باكٍ إذا ما قمت قائم

وأظهرت الشريعة فيه جهراً   وقمت بها على الحكام حاكم

ولو أن الزمان أقام زندي   لقَوَّمتُ المُعَوّج بالصوارم

وأمضيت المواضي في الأعادي   وأقصيت المعادي والمصارم

فقل لمعنفي: ما قمتُ فيه   مقيماً بين أرباب الجرائم

سوى أني لمصلحة مقامي   كآبائي الأئمة والأكارم

وعفو الله أرجو عن ذنوبي   فربُّ العرش أرحم كل راحم

( ) قاسم: ولد المؤلف، وتوفي في شهر جمادى الآخرة سنة ١٠٩٥هـ.

وأساله السلامة من أمور عواقبها تجرُّ إلى العظائم

وما زكّيت نفسي في نظامي وحسبي مَنْ بسر العبد عالم

فإني مثقل بعظيم وزري وما لي غيره في الدهر عاصمْ

والحديث ذو شجون، فحين ذكر صاحب «كاشفة الغمة» هذه الفائدة العظيمة دعتني النفس إلى إثبات هذه الأبيات الركيكة، وبيان وجه العذر في عدم الهجرة، وأما العزلة فالنفس إليها مائلة، لا يمنع عنها إلا ما لا بد منه، من إقامة الجمعة والجماعات، وفصل الشجار والخصومات، ومن الله أستمد الإعانة وأسأله خاتمة الخير بجوده وكرمه.

[تم الجزء الأول من شرح الدامغة الكبرى

تجزئة المحقق]

أبيات منظومة الدامغة في الجزء الأول[1]

نادِ الإلهَ لِدَفعِ الحادث الجَلَل ... وافزع إليه لجرحٍ غير مندملِ

واجهر بشكواك للسادات من مضر ... في قبة البحر عبد الله خير ولي

مما جرى من بني العباس عترته ... على الأئمة أهل العلم والعمل

قل يابن عم رسول الله سيدنا ... ويا ابن عم أمير المؤمنين علي:

أشكو إليك أموراً من بنِيْك جرت ... أجرَتْ عيون ذوي الإيمان عن كمل

عساه يسمع من شكواك معظمها ... من كلِّ أَرْعَنَ من أبنائه الأوَل

ومن أميّة لا كانت ولا ذكرت ... فإنها أصل كل البغي والزلل

فاشفع لنا في زوال الهمِّ قاطبة ... إلى الذي خلق الإنسان من عجل

تجد له عند رب العرش منزلة ... وشيعة جودها كالعارض الهطل

بحر يفيض على الصادي سواحله ... بالعلم والجود والأخبار والمثل

به استنار الحجاز المعتلي وعلا ... على البلاد فعنه العزّ لم يَحُل

لا عيب فيه ولله الكمال سوا ... أن النواصب قالوا فيه بالزّلَل

من قولهم بشنيع القول حين قضوا ... بأن ربك يقضي الكفر في الملل

---

(١) هذه أبيات منظومة الدامغة، وعددها: ٦٣٦بيتا ، تضمن الجزء الأول: ١١١، والجزء الثاني: ١٦٢، والجزء الثالث: ١٣٥، والجزء الرابع: ٢٢٨ وقد حرصنا على الاتيان بها مفردة أول كل جزء إلا الجزء الأول ففضلنا أن تكون آخر الكتاب.

وأنه سيرى يوم القيامة وهو الـ   ـفرد جل عن الإدراك بالمُقَل

وكمْ لهم من مقالاتٍ بها ذهبوا   عن مذهب الرُّشد في العَوْجا من السبل

تستّروا لابن إدريسٍ بمذهبه   فيما يقول وحاشاه عن الخطل

كلَّ المذاهب قد ذَمُّوا وقد مُقِتوا   إلا الزيود فهُمْ بالعدل في زحل

حذو بحذو بني المختار واتّبعوا   في علمهم مذهب الأبرار والرسل

ونزهوا ربَّهُمُ عن كل فاحشةٍ   وجانبوا الجبرَ والتشبيه للأزل

أنْعم بها فرقة بالآي عاملة   لسنة المصطفى أَحْيَت ولم تمل

تنجو بيوم غد إن جاء قائدُها   أئمة من بني الزهراء كلَّ ولي

بشرى لها برضا المختار مذهبها   وحفظها آله عن كل ذي دَغَل

أفنوا نفوسهم حفظاً لحرمتهم   بين الأسنّة والأسياف والخول

وكيف لا ولها الأسلاف خير بني الـ   ـدنيا السفينة عن لفظ الرسول تُلِي

أسلافها خير أسلاف وفضلهم   قد عمّ كلَّ الورى في السهل والجبل

فأولاً سيّد الإسلام قاطبة   بلا خلاف به يعتد ذو جدل

مولى اللواء أمير المؤمنين وصي الـ   ـمصطفى خاتم الأنبياء والرسل

هو الخليفة بالنص الجلي ودع   قول الغواة وأهل الجبر والجدل

هو الإمام فما تيم وإن ظلموا   ولا عدي لما قد ناله تنل

حاشاه أن تبلغ الأقوام رتبته   أو أن يقاسوا به في العلم والعمل

صهر الرسول أبو السبطين حيدرة   حامي الحقيقة مُرْوِي البِيض والأسل

من رُدّت الشمس من بعد الغروب له   وحين صلّى جرت كالسهم في عجل

صلى عليه إله العرش ما طلعت   شمس النهار على حافٍ ومنتعل

فما ثناه أبو بكر وصاحبه   عن رتبة هو عنها غير منتقل

بل جرّعاه وبنت المصطفى جرعاً   بالغيظ قد أشربا علاً على نهل

وماتت الطُهْر حقاً وهي غاضبةً   عليهما ونهت أن يحضرَا لعلي

له الإمامة عن لفظ الرسول وقد   أجاب للضرب والأقوام كالحجل

فما استجاب أبو بكر وصاحبه   ولا الزبير ولا عثمان مثل علي

فهل ثناه أبو بكر ببيعته   عن رتبة هو عنها غير معتزلي

إن الخلافة للهادي وعترته   بالحصر في الذكر في نص عليه

ولي دليل على ما قلت طالعه   كطالع الشمس إذ غطى على زحل

فما اعتذارهُمُ عند النبي إذا   ما قال خالفتمُ أمري على عجل

جرعتمُ بنتي الزهراء وحيدرة   بكأس قهركم علاً على نهل

فأبشروا شيعة الهادي بفوزكم   لنصركم عترة الهادي على الثَّقَل

خذوا الأحاديث في تفضيل سعيكم   عن الرسول بنص غير محتمل

ثم الإمام شبير السبط قدوتنا   وشبّر والمثنى والإمام علي

بيت الخلافة من بيت النبوة من   بيت الرئاسة في أسلافنا الأول

أتى لإيلاف في تأليف فضلهم　　بالرحلتين على ثاوٍ ومرتحل

فشيبة الحمد في البطحاء كان له　　فضل على الناس بالإكرام والنُّزُل

وهاشم قبله ما زال نائله　　على الوفود جرى من بعد كالمثل

واسمع عن الشيخ أقوالاً حكمن له　　بنصرة الدين والإسلام بالأسل

وكان يكتم خوفاً من عشائره　　إيمانه وهو يحمي الدين عن غيل

فكم حمى المصطفى عن كل غائلة　　بالسيف واللِّسن في جدّ وفي هزل

وزيد الحبر محيي الدين ناصره　　وصاحب المذهب المنجي عن الزلل

من جاد بالنفس إذ ضن البخيل بها　　لنصرة الدين لا للمال والخول

دعا هشاماً إلى التقوى وجاهده　　بالسيف واللِّسن في أشياعه الأوَل

حتى قضى من جهاد الظالمين يداً　　بها الشهادة جاءته على عجل

وصنوه الباقر النحرير علمنا　　وجعفر الصادق الأقوال والعمل

همُ همُ في جميع الفضل قد سبقوا　　فمالهم في علو السبق من مثل

فأشهد الله أن الحق دينهم　　وأنهم خير من صلى ومن يَصُل

أهل الديانة بل أهل العبادة بل　　أهل الزهادة فاسمع عنهم وقل

هل مثل عيسى بن زيد في زهادته　　إذ كان من زهده يسقي على الجمل

فقيه آل رسول الله عالمهم　　أجل مئتزرٍ بالعلم مشتمل

لم تلهه زهرة الدنيا وزينتها　　ولا استجاب إلى لهوٍ ولا غزل

وسبطه خير من يمشي على قدم شمس الهدى أحمد النحرير خير ولي

ربُّ الأمالي والإملا الحديث على أشياعه في مقام غير مبتذل

وكان مختفياً حتى جرى علماً عليه من طول ما استخفى من الرذل

ونال يحيى بن زيد في خلافته ما نال والده في الله من مثل

وكان يحيى بن زيد خير من حملت به العواتق واستعلى على حمل

دعا إلى الله لم يخش الأولى سفكوا دم الإمام ولم يجنح إلى ملل

نفسي فداه وأشياع له صدقوا ما عاهدوا الله في قول وفي عمل

لم يرض بالذل إذ وصّاه والده بل صدّق القول مختاراً بلا فشل

ففي النهار جهاد طار عَثّيره والليل بالذكر والتسبيح في زجل

فالله يشهد أن المجد إرثهم لا إرث مروان عن ود وعن هبل

فلعنة الله لا تنفك واكفة على الوليد ومروان وذي الحول

ونضّر الله زيداً وابنه وكذا الأشياع في جنة الفردوس بالنُّزل

وكالمثلث والعباس نالهما قهرٌ وصنوهما إبْراهيم ثم علي

والكامل الحبر عبد الله صنوهم أبو الأئمة أهل العلم والعمل

محمد ثم إبراهيم قد دعيا وقام يحيى وإدريس الإمام ولي

وسلَّ موسى بن عبد الله خامسهم سيفاً على البغي يفري هامة البطل

وكلّهُم صار حيًّا عند خالقه بالنص والذكر وهو الفوز بالأمل

وسلَّ إدريس سيفاً بعد والده إدريس في الغرب واستعلى على الدول
ثم المثلث إدريس استقر به داعٍ ومنهم ملوك الغرب عن كمل
والقائم الحسن المأسور عن غرر والغدر والمكر للباغين كالحلل
به استعانوا على تثبيت ملكهم فكم أتوا فيه من مكرٍ ومن حيل
والحمد لله أهل البيت كلهم مثل الجواهر قد صينت عن الدَّغل
وصاحب السند عبد الله قام به داعٍ إلى الله أهل السند كالرسل
فأسلموا واستجاب الله دعوته بأن هداهم إلى صاف من السبل
فقام فيهم بأمر الله ذو عمل ولم يزل فيه يدعو سائر الملل
حتى أتته جنود البغي قاصدة عن أمر ملتزم للبغي محتمل
فألحقوه بآباءٍ له سلفوا مضى شهيداً بسيف الفاسق الرذل
من بعد صادق صولات له شهدت بالمجد والجود والإقدام في الهول
وكاظم الغيظ موسى ثم صفوته علي بن موسى الرضا الأوّاب خير ولي
فزُرْ ببغداد موسى في جلالته وَزُرْ بطوسٍ أمير المؤمنين علي
وقِفْ بفخٍّ ففيه بضعة دفنت من الرسول وقد سالت على الأسل
في حرمة البيت ضحّوا بابن فاطمة في أشهر الحج في أيامه الفُضل
في فتية من بني الزهرا جحاجحة أسد لدى الحرب بسامون للنَّزل
فأسبلت عبرات المؤمنين لما نال الحسين فما قلب رآه سلي

دعا إلى الله مرتاداً لنصرته وجاءه محرماً بالذكر في زجل

وهل ترى لابن إبراهيم قائمنا وصنوه ترجمان الدين من مثل

بحرا نوال ورَبَّا كل مكرمة سارت بذكرها الركبان في الأول

ولم يزل سبط إبراهيم منتصراً للّهِ من كل ذي بغي من الدول

والناصران له قاما بدعوته وشايعاه بلا خوف ولا وجل

محمدان أقاما الدين وانتصرا للّهِ من كل ذي بغي وذي خطل

وناظر الملحد الزنديق قاسمنا فرده مسلماً والقوم في خجل

قد كان لَبَّس بالأقوال في عصب لم يعلموا غامضات العلم والجدل

حتى أتى القاسم الأواه مصرهم وبيّن الحق فاستعلى على الملل

ومات في الرس فاقصد قبره لترى نور النبوة عنه غير منتقل

ولابن موسى جهاد في خلافته بصعدة ونواحيها سناه جلي

أفنى المسودة الأرجاس منتضياً سيفاً أباد به قوماً من السفل

وسَدَّ خانقِ أهل الفسق خربه وللنواصب لما قام لم يُقِل

فهرس الموضوعات